

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية البلاغ

في

فنونه الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

السفر الرابع

المطبعة

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٥

جزء
معين التاريخ
لأهل التاريخ

الطبعة الثانية بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

فهرست

السفر الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

صفحة

الباب الثالث

١ في المجون والنوادر والفكاهات والملح

ذكر مزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣ — ذكر من أشهر بالمزاح من الصحابة
رضوان الله عليهم ٣ — ذكر شئ من مجون الأعراب ٧ — من نوادر القضاة ٩ —
من نوادر النحاة ١٣ — من نوادر المتنبيين ١٤ — من نوادر المغفلين والحقى ١٦ —
من نوادر النبيذيين ١٧ — من نوادر النساء والجواري ١٨ — من نوادر المخشيين ٢٥ —
من نوادر البغاثين ٢٨ — من نوادر اللاطة والغلمان ٢٩ — من نوادر العميان ٣٠ —
من نوادر السؤال ٣٢ — من نوادر من أشهر بالمجون ٣٣ — من نوادر أشعب وأخباره
٣٤ — من نوادر أبي دلالة ٤٦ — من نوادر أبي صدقة ٥٨ — من نوادر الأقيشر
٦٢ — من نوادر ابن سيابة ٦٨ — من نوادر مطيع بن إياس الكنانى وأخباره ٧٠ —
من نوادر أبي الشبل ٧٨ — من نوادر حمزة بن بيض الحنفى ٨١ — من نوادر أبي العيلاء
عفا الله عنه ٨٤ — ذكر ما ورد في كراهة المزح ٨٨ — من الشعر المناسب لهذا
الباب والداخل فيه ٩٠

الباب الرابع

١٠٢ في الخمر وتحريمها، وآفاتهما، وجنایاتهما، وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها
في الجاهلية، ومن حد فيها من الأشراف، ومن اشتهر بها، ولبس ثوب
الخلاعة بسببها، وما قيل فيها من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلاتها
وآنيتها، وما قيل في مبادرة اللذات، وما وصفت به المجالس، وما يجرى
هذا المجرى

ذكر ما قيل في الخمر وتحريمها ١٠٢ — ما ورد في تحريمها في كتاب الله وبينته
السنة ١٠٧ — ما قيل في إباحة المطبوخ ١٠٨ — آفات الخمر وجنایاتهما ١٠٩ —
أسماء الخمر من حيث تعصر الى أن تشرب ١١٢ — أخبار من تنزه عنها في الجاهلية
وتركها ترفعا عنها ١١٤

صفحة

ذكر من حدّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن آشتهر بها ولبس فيها ١١٦
ثوب الخلاعة ومن افتخر بشربها :

من حدّ فيها من الأشراف ١١٦ — من شربها منهم واشتهر بها ١١٨ — من افتخر
بشربها وسبائها ١٣٠

ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر : ١٣٤

ما قيل فيها على سبيل المدح لها ١٣٤ — ما قيل في وصفها وتشبيهها ١٣٥ —
ما قيل في أفعالها ١٣٩ — ما وصفت به غير ما قدّمناه ١٤٠ — ما قيل فيها اذا مرّجت
بالماء ١٤٢

ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطيبها : ١٤٥

ما وصفت به مجالس الشرب ١٤٦ — ما قيل في طيّ مجالس الشراب ١٤٨

ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانيتها : ١٤٨

ما قيل في الراوق ١٤٩ — ما وصفت به زقاق الخمر ١٥٠ — ما وصفت به
الأباريق ١٥٠ — ما وصفت به الكاسات والأقداح ١٥١

الباب الخامس

في الندمان والسقا ١٥٣

ما قيل في السقا ١٥٦

الباب السادس

في الغناء والسماع وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة وما استدل به من رأى ١٦٠
ذلك ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، ومن التابعين
ومن الأئمة والعباد والزهاد ، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف
والقواد والأكابر ، وأخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية الى
العربية ، ومن أخذ عنهم ، ومن اشتهر بالغناء وأخبار القيان

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والاباحة ١٦٠ — ما قيل في تحريم الغناء وما استدل به
من رأى ذلك ١٦٠ — دليلهم من الكتاب العزيز ١٦١ — دليلهم من السنة ١٦١ —
أقوال الصحابة ١٦٢ — أقوال الأئمة ١٦٣ — ما ورد في إباحة الغناء والسماع
والضرب بالآلة ١٦٤ — ما استدلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية ١٦٥ —
ما ورد في الضرب بالآلة ١٦٧ — في السرايع ١٦٩ — في القصب والأوتار
١٧٠ — في المزامير والملاهي ١٧٢ — ذكر ما ورد في توهين ما استدلوا به على تحريم

الغناء والسماع ١٧٤ — ما احتجوا به من الآيات ١٧٤ — ما احتجوا به من الحديث ١٧٨ — ذكر أقسام السماع وبواعثه ١٩٤ — ذكر العوارض التي يحرم معها السماع ١٩٨ — العارض الأول ١٩٨ — الثاني في الآلة ١٩٩ — الثالث في نظم الصوت ١٩٩ — الرابع في المستمع ٢٠٠ — العارض الخامس ٢٠١ — ذكر آثار السماع وآدابه ٢٠١ — من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ٢١٧ — من سمع الغناء من الأئمة والعباد والزهاد ٢٢١ — من غنى من الخلفاء وأبنائهم ونسبت له أصوات من الغناء نقلت عنه ٢٢٧ — من غنى من الخلفاء ٢٢٧ — ومن غنى من خلفاء الدولة العباسية ٢٢٨ — أبناء الخلفاء الذين لهم صنعة ويد في هذا الفن ٢٣٢ — من غنى من الأشراف والعلماء رحمهم الله ٢٥٤ — من غنى من الأعيان والأكابر والقواد ممن نسبت له صنعة في الغناء ٢٥٨

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية الى العربية ومن أخذ عنهم ومن اشتهر بالغناء :

أخبار سعيد بن مسجح ٢٦٦ — أخبار سائب خاثر ٢٧٠ — أخبار طويس ٢٧٣ — أخبار عبد الله بن سريج ٢٧٦ — أخبار معبد ٢٨٩ — أخبار الغريض وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة ٢٩٤ — أخبار محمد بن عائشة ٣٠٨ — أخبار ابن محرز ٣١٥ — أخبار مالك بن أبي السمح ٣١٦ — أخبار يونس الكاتب ٣٢٠ — أخبار حنين ٣٢١ — أخبار سباط ٣٢٣ — أخبار الأبحر ٣٢٥ — أخبار أبي زيد الدلال ٣٢٦ — أخبار عطرذ ٣٣١ — أخبار عمر الوادي ٣٣٣ — أخبار حكم الوادي ٣٣٤ — أخبار ابن جامع ٣٣٥ — أخبار عمرو بن أبي الككات ٣٣٧ — أخبار أبي المهنا مخارق ٣٤١ — أخبار يحيى بن مرزوق المكي ٣٤٩ — أخبار أحمد بن يحيى المكي الملقب بطنين ٣٥٠ — أخبار هاشم بن سليمان مولى بني أمية ٣٥١ — أخبار يزيد خوراء ٣٥٢ — أخبار فليح بن أبي العوراء ٣٥٥ — أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه ٣٥٧ — نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البرامكة رحمهم الله تعالى ٣٦٤

السفر الرابع

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل أفضل صلاة على أفضل خلقك سيدنا محمد وآله وسلم .



الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثاني

(في المجون والنوادر والفكاهات والملح)

وهذا الباب مما تجذب النفوس اليه ، وتشتمل الخواطر عليه ، فإن فيه راحةً للنفوس إذا تعبت وكَلَّتْ ، ونشاطاً للخواطر إذا سئمت وملّت ، لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال ، بل ترتاح إلى تنقل الأحوال . فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان ، ولاطفتها بالفكاهات في أحد الأزمان ، عادت إلى العمل الجَدِّ بنَشْطَةٍ جديدة ، وراحةٍ في طلب العلوم جديدة .

وقد رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَوَّحُوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كَلَّتْ عَمِيَتْ » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أُحْمُوا ^(١) هذه القلوب وألتمسوا لها طرق الحكمة ، فإنها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان ، والنفوس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهويني ، جانحة إلى

(١) أي أريحوها من تعبها .

(١) اللهو، أقارة بالسوء، مستوطنة بالعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أردتها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه. وكان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه.

- ٥ وقال هشام بن عبد الملك: قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طعاماً، وشممت الطيب حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساء حتى ما أبالي امرأة أتيت أم حائطاً، فما وجدت شيئاً ألد إلى من جليس تسقط بيني وبينه مؤونة التحفظ.
- (٢) وقال أحمد بن عبد ربه: المُلح نُزْهة النفس، وربيع القلب، ومرتع السمع، ومجلب الراحة، ومعين السرور. وقال أيضاً: إن في بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريين، فكان يوحنا لا يجلس مجلساً إلا ضحك وأضحك من حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلساً إلا بكى وأبكى من حوله. فقال شمعون ليوحنا: ما أكثر ضحكك! كأنك قد فرغت من عمالك! فقال له يوحنا: ما أكثر بكائك! كأنك قد يئست من ربك. فأوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام: أن أحب السيرتين إلى سيرة يوحنا.

- ١٥ والعرب إذا مدحوا الرجل قالوا: هو ضحك السن، بسام العشيات، هُش إلى الضيف. وإذا ذمته قالت: هو عبوس الوجه، جهم الحياء، كرية المنظر، حامض الوجه "كأنما وجهه بالخل منضوح". وكأنما أسعط خيشومه بالخردل.
- وقيل لسفيان: المزاح هُجْنة، فقال: بل سُنَّة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إني لأمزح ولا أقول إلا الحق»، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢٠ (١) كذا في العقد الفريد. وفي الأصل: «فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أدبتها».

(٢) في الأصل: «مروءة التحفظ».

(٣) في العقد الفريد: «بسام الثنيات».

ذكر مُزاحات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فمن ذلك : أنه قال صلى الله عليه وسلم
 لرجل أستحممه : « نحن حاملوك على ولد الناقة » يريد : البعير . وقال صلى الله عليه
 وسلم لامرأة من الأنصار : « الحق زوجك ففى عينه بياض » . فسعت المرأة نحو
 زوجها مرعوبة ؛ فقال لها : مدهالك ؟ فقالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : إن فى عينك بياضا ؛ فقال : إن فى عيني بياضا لا لسوء . وأنته عجوز
 أنصارية فقالت : يا رسول الله ، أدع لى بالمغفرة . فقال لها : « أما علمت أن الجنة
 لا يدخلها العُجُز » ! فصرخت ؛ فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها : « أما قرأت
 ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَثْرَابًا ﴾ .

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أعرابي قد صلى صلاة خفيفة ،
 فلما قضاها قال : اللهم زوجنى بالخور العين ؛ فقال عمر : يا هذا ! أسأت النقد ،
 وأعظمت الخطبة .

ذكر من أشتهر بالمزاح من الصحابة

رضوان الله عليهم

كان أشهرهم بالمزاح رضى الله عنهم نعيمان ، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم البدرين ، وله رضى الله عنه مزاحات مشهورة ، منها ما روى : أنه خرج
 مع أبى بكر الصديق إلى بصرى ، وكان فى الحملة سوييط ، وهو بدرى أيضا ، وكان
 سوييط على الزاد ؛ فجاءه نعيمان فقال له : أطعنى ؛ قال : لا ، حتى يأتى أبو بكر .
 فقال نعيمان : والله لأغيطانك . وجاء إلى أناس جلبوا ظهرا ، فقال آبتاعوا منى غلاما
 عربيا فارها إلا أنه دعاء له لسان ، لعله يقول : أنا حر ؛ فإن كنتم تاركه لذلك فدعوه ،

لا تُفسدوا على غلامى . قالوا : بل نبتاعه منك بعشر قلائص . فأقبل بها يسوقها ، وأقبل بالقوم حتى عقلها ، ثم قال : دونكم ! هذا هو . فقالوا : قد أشتريناك . فقال سويبط : هو كاذب ، أنا رجل حرّ ، فقالوا : قد أخبرنا خبرك ، ووضعوا فى عنقه حبلا وذهبوا به . بخاء أبو بكر رضى الله عنه فأخبر بذلك ، فذهب هو وأصحابه ، فردّوا القلائص على أربابها وأخذوه . وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالقصة فضحك ه منها حولا .

ومن مزاحاته : أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرّة عسل اشتراها من أعرابى ، وأتى بالأعرابى إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ الثمن من هاهنا . فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابى : ألا أُعطى ثمن عسلى ؟ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "إحدى هاتى نعيان" . وسأله : لم فعلت هذا ؟ فقال : أردت برك يارسول الله ، ولم يكن معى شيء . فتبسّم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى الأعرابى حقه .

ومن مزاحاته أيضا : أنه مرّ يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى ، وهو ضرير ، فقال له : قُذنى حتى أبول ، فأخذ بيده حتى إذا كان فى مؤخر المسجد قال له : آجلس ، بجلس مخرمة ليبول ، فصاح الناس : يا أبا المسور ، أنت فى المسجد . فقال : ١٥ من قاذنى ؟ فقليل له : نعيان . قال : لله على أن أضربه بعصاى إن وجدته . فبلغ ذلك نعيان ، بخاء يوما فقال لمخرمة : يا أبا المسور ، هل لك فى نعيان ؟ قال نعم . قال : هو ذا يصلى . وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يصلى ، فقال : هذا نعيان ، فعلاه مخرمة بعصاه ، فصاح به الناس : ضربت أمير المؤمنين . فقال : من قاذنى ؟ قالوا : نعيان ، فقال : لا جرم لأعرضت له بسوء أبدا . ٢٠

ومنهم ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم . وكان ذا ورع وعفاف وشرف، وكان كثير المجون، وله نوادر مستظرفة، منها : أنه لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ما تقول في إنسان هجاني بشعر، وهو :

أَذْهَبَتْ مَالِكٌ غَيْرُ مُتَرِّكٍ * فِي كُلِّ مَوْسِمٍ وَفِي الْخَمْرِ^(١)
ذَهَبَ إِلَالَهُ بِمَا تَعِيشُ بِهِ * وَبَقِيتَ وَحْدَكَ غَيْرَ ذِي وَفْرِ

فقال عبد الله بن عمر : أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح . فقال له عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن : والله أرى غير ذلك . فقال : وما هو؟ قال : أرى أن أنيكه . فقال ابن عمر : سبحان الله ! ما تترك الهزل ! وأفترقا . ثم لقيه بعد ذلك فقال له : أتدرى ما فعلت بذلك الإنسان؟ فقال : أي إنسان؟ قال : الذي أعلمتك أنه هجاني . قال : ما فعلت به ؟ قال : كل مملوك لي حرّ إن لم أكن نكته . فأعظم ذلك عبد الله بن عمر وأضطرب له . فقال له : أمرأتى والله التي قالت الشعر وهجتني به . وكانت أمرأته أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله .

وقد مدح الشعراء اللعب في موضعه، كما مدح الجِدَّ في موضعه؛ فقال أبو تمام :

الجِدُّ شَيْئُهُ فِيهِ فُكَاهَةٌ * طَوْرًا وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ

وقال الأبيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ :

إِذَا جَدٌّ عِنْدَ الْجِدِّ أَرْضَاكَ جِدُّهُ * وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَهْلَاكَ بِاطِلُهُ

(١) رواية البيهقي في كتاب الناج للجاحظ ص ١٣١ :

ذهب الاله بما تعيش به * وقسرت ليلك أيما قر

أنفقت مالك غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر

(٢) في الناج أنها عاتكة بنت عبد الرحمن .

- ومن مجنون عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكى أن جاريته قالت له :
- إن فلانا القارئ ، وكان يظهر النسك ، قد قطع على الطريق وآذاني ويقول لى :
- أنا أحبك . فقال لها : قولى له : وأنا أحبك أيضا ، وواعديه المنزل ، ففعلت وأدخلته
- المنزل ، وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا من الرجل . ودخلت
- الجارية الى البيت الذى فيه الرجل ، فدعاها فاعتلت عليه ، فوثب إليها [فاحتملها ^(١)]
- وضرب بها الأرض ، فدخل عليه ابن أبى عتيق وأصحابه وقد تورّكها ، فنجل وقام
- وقال : يافساق ، ما تجتمع هاهنا إلا لريبة . فقال له ابن أبى عتيق : أستر علينا ستر الله
- عليك . ثم لم يرتدع عن العبت بها ، فشكت ذلك الى سيدها ، فقال لها : هيئي من
- الطعام طحن ليلة الى الغداة ففعلت ، ثم قال لها : عديه الليلة ، فإذا جاء فقولى له :
- إن وظيفتى الليلة طحن هذا كله ، ثم أخرجى الى البيت وأتركه ، ففعلت . فلما دخل
- طحن الجارية قليلا ، ثم قالت له : أدير الرحى حتى أفقد سيدي ، فإذا نام وأمنا
- أن يأتينا أحدا ، صرنا الى ما تحب ، ففعل ، ومضت الجارية الى مولاها ، وأمر ابن
- أبى عتيق عدة من مولاته أن يتراوحن على سهر ليلتين ويتفقن أمر الطحن
- ويحشن عليه ، ففعلن وجعلن ينادين الفتى كلما كف عن الطحن : يا فلانة إن
- مولاي مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كفت عن الطحن ، فيقوم إليك بالعصا كعادته
- مع من كانت نوبتها قبلك إذا هى نامت وكفت عن الطحن . فلم يزل كلما سمع ذلك
- الكلام منهن آجتهد فى العمل والجارية لتفقده وتقول له : استيقظ مولاي والساعة
- ينام فأصير الى ما تحب وهو يطحن ، حتى أصبح وفرغ القمح . فأنته الجارية بعد
- فراغه فقالت له : قد أصبح فانج بنفسك . فقال : أو قد فعلتها يا عدوة الله !

(١) الكلام الذى يتسدى بهذا المربع [وينتهى فى صفحة ١١ بهذا المربع] ساقط من الأصل

وخرج تعباً نصيباً ، وأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله ألا يعود الى كلام الجارية ، فلم ترمه بعد ذلك شيئاً تكرهه . قال : وتعيشي عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار ، فوقع حجر في الدار ووقع آخر وثالث ؛ فقال للجارية : أخرجي فانظري : أذنوا المغرب أم لا ؛ فخرجت وجاءت بعد ساعة ، وقالت : قد أذنوا وصلوا . فقال الرجل الذي كان عنده : أليس قد صلينا قبل أن تدخل الجارية ؟ قال : بلى ، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجِمنا الى الغداة ، أفهمت ؟ ! قال : نعم ، قد فهمت . قال وسمع عبد الله بن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة .

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا فَإِنِّي * ضِغْتُ ذُرْعاً بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ^(١)

فركب بغلته من المدينة ، وسار يريد مكة ، فلما بلغ ذا الحليفة قيل له : أحرم ؛ قال : ذو الحاجة لا يُحرم ، وجاء حتى دخل على الثريا . فقال لها : ابن عمك يقول :

* ضِغْتُ ذُرْعاً بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ *

ثم ركب بغلته وعاد .

ذكر شيء من مجون الأعراب

سئل أعرابي عن جارية له يقال لها زهرة ، فقيل له : أيسرك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت ؟ فقال : لا والله ! تذهب الأمة وتضيع الأمة . وجد أعرابي امرأة وكان قبيح الصورة ، فنظر فيها فرأى وجهه فاستقبحه ، فرمى بها وقال : لشرّ ما طرحت أهلك . وقيل لأعرابي : لم يقال : باعك الله في الأعراب ؟ فقال : لأنّنا نُجِيع كَبِدَهُ ، وَنُعْرِى جِلْدَهُ ، وَنُطِيلُ كَدَّهُ . وتزوج أعرابي على كبر سنه ، فقيل له

(١) في ديوان عمر بن أبي ربيعة : « باني » .

(٢) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة .

في ذلك ، فقال : أبأدره باليتم ، قبل أن يبأدرني بالعقوق . ومرة أعرابي وفي يده رغيف برجل في يده سيف ، فقال : يعني هذا السيف بهذا الرغيف ، فقال : أجمنون أنت ؟ فقال الأعرابي : ما أنكرت مني ؟ أنظر أيهما أحسن أثرا في البطن .

- وَحكى أن المهدي خرج للصيد فغلبه فرسه حتى انتهى به الى خباء لأعرابي ، فقال : يا أعرابي ، هل من قري ؟ قال نعم ، وأخرج له فضلة^(١) من خبز ملة فأكلمها وفضلة من لبن فسقاه ، ثم أتى بنبيذ في زكوة فسقاه قعبا^(٢) . فلما شرب قال : أتدرى من أنا ؟ قال : لا والله . قال : أنا من خدام الخاصصة ، قال : بارك لك الله في موضعك . ثم سقاه آخر ، فلما شربه قال : أتدرى من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك من خدام الخاصصة ، قال : بل أنا من قواد أمير المؤمنين ، فقال له الأعرابي : رحبت بلأدك ، وطاب مزادك ومزادك . ثم سقاه قدحا ثالثا ، فلما فرغ منه قال : يا أعرابي ، أتدرى من أنا ؟ قال : زعمت أخيرا أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ولكني أمير المؤمنين . فأخذ الأعرابي الزكوة فأوكاها وقال : والله لئن شربت الرابع لتقولن : إنك لرسول الله ، فضحك المهدي . ثم أحاطت بهم الخيل ، فنزل أبناء الملوك والأشراف ، فطار قاب الأعرابي ، فقال له المهدي : لا بأس عليك ! وأمر له بصلة . فقال : أشهد أنك صادق ، ولو آدعت الرابعة لخرجت منها .

ودخل أعرابي على يزيد بن المهلب وهو على فرشه والناس سيماطان ، فقال : كيف أصبح الأمير ؟ قال يزيد : كما تُحب . فقال الأعرابي : لو كنت كما أُحب كنت أنت مكاني وأنا مكانك ، فضحك يزيد .

(١) الزكوة (بالضم) : زق للخمير . (٢) القعب : القدح الضخم .

(٣) أوكاها : ربطها .

ذكر شيء من نوادر القضاة

قيل : أتى عدى بن أرطاة شريحا القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة
يخاصمها اليه ، فلما جلس عدى بين يدي شريح ، قال عدى : أين أنت ؟ قال : بينك
وبين الحائط . قال : إني أمرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد الدار . قال : وإني
قدمت العراق ؛ قال : خير مقدم . قال : وتزوجت هذه المرأة ؛ قال : بالرفاء
والبنين . قال : وإنما ولدت غلاما ؛ قال : ليبنك الفارس . قال : وقد أردت أن
أنقلها إلى داري ؛ قال : المرء أحق بأهله . قال : كنت شرطت لها دارها ؛ قال :
الشرط أملك . قال : آقض بيننا ؛ قال : قد فعلت . قال : فعلى من قضيت ؟
قال : على ابن أُمك .

ودخل على الشعبي في مجلس قضائه رجل وأمرأته ، وكانت المرأة من أجهل
النساء ، فاخصما اليه ، فأدلت المرأة بحجتها ، وقويت بينتها . فقال للزوج : هل
عندك من دافع ؟ فأنشأ يقول :

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا * رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
فَتَنَّتْهُ بِدَلَالٍ * وَنَخَطَى حَاجِبَيْهَا
قَالَ لِلْجُلُوزِ قَرَّبُ^(١) * بِهَا وَقَدَّمْ شَاهِدَيْهَا
فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصْمِ * سَمٍ وَلَمْ يَقِضْ عَلَيْهَا

قال الشعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان ، فلما نظر إلى تبسم وقال :

فُتِنَ الشَّعْبِيُّ لَمَّا * رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين

بما أنتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وما أفترى به علي . قال : أحسنت !

(١) الجلواز : الشرطي .

وأحضر رجل امرأته الى بعض قضاة البصرة، وكانت حسنة المُتَقَبِّ، قبيحة المسفرة، فقال القاضى لها على زوجها وقال: يعبد أحدكم الى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسىء اليها . ففطن الرجل لميله اليها فقال : أصلح الله القاضى ، قد شككتُ فى أنها امرأتى ، فمُرّها تَسْفِر عن وجهها ؛ فوقع ذلك بوفاق من القاضى ، فقال لها : أسفري رحمك الله ؛ فسفرت عن وجه قبيح . فقال القاضى لما نظر الى قبح وجهها : قُومى عليك لعنة الله ! كلامٌ مظلوم ، ووجهٌ ظالم .

قيل : بينا رَقَبَة بن مَصْقَلَة القاضى فى حَلَقَتِهِ ، إذ مرّ به رجل غليظ العنق ؛ فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبد الله ، هذا أعبد الناس . فقال رَقَبَة : إني لأرى لهذا عنقاً ما دَقَّقْتُهَا الْعِبَادَة ^(١) . قال : فحضى الرجل وعاد قاصداً اليهم . فقال رجل لرقبة : يا أبا عبد الله ، أخبره بما قلت حتى لا تكون غيبة ؛ قال : نعم ، أخبره أنت حتى تكون نعمة . ودخل رَقَبَة الى المسجد الأعظم فألقى نفسه الى حلقة قوم ، ثم قال : قتيل فالودج رحمكم الله ! قالوا : عند من ؟ قال : عند من حكم فى الفرقة وقضى فى الجماعة ، يعنى : بلال بن أبى بُرْدَة .

وأختصم رجلان الى إياس بن معاوية وهو قاضى البصرة لعمر بن عبد العزيز فى مِطْرَف نَخْرَ وَأَنْبِجَانِيّ ، وآدعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأنجبانيّ لصاحبه . فدعا إياس بمشط وماء ، فبّل رأس كل واحد منهما ، ثم قال لأحدهما : سَرِّحْ رَأْسَكَ وسرّحه ، فخرج فى المشط عفر المطرف ، وفى مشط الآخر عفر الأنجبانيّ ؛ فقال : ياخييت ! الأنجبانيّ لك ، فأقر ، فدفع المطرف لصاحبه . وقال رجل لإياس : هل ترى علىّ من بأس إن أكلت تمراً ؟ قال لا . قال : فهل ترى علىّ من بأس ان أكلت معه كَيْسوما ؟ قال لا . قال : فإن شربت عليهما ماء ؟ قال : جائز .

(١) فى أحد الأصول : « ماوقدتها » وفى أصل آخر : « مادقتها » .

قال : فلم تحترم السكر ، وإنما هو ما ذكرت لك ؟ قال له إياس لو صببت عليك ماء هل كان يضرك ؟ قال لا . قال : فلو نثرت عليك تراباً هل كان يضرك ؟ قال لا . قال : فإن أخذت ذلك نخلطته وعجنته وجعلت منه لبنَةً عظيمة فضربت بها رأسك هل كان يضرك ؟ قال : كنت تقتلني . قال : فهذا مثل ذاك .

٥ دعا الرشيد أبا يوسف القاضي فسأله عن مسألة فأفتاه ، فأمر له بمائة ألف درهم .

فقال [إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح ! فقال : عجّلوها له .

فقيل : إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة . فقال أبو يوسف : وقد كنت في بيتي والدروب مغلقة ، فلما دُعيت فُتِحت . فقال له الرشيد : بلغني أنك لا ترى لبس السواد . فقال : يا أمير المؤمنين ، ولم وليس في بدني شيء أعزّ منه ؟ قال : وما هو ؟ قال : السواد الذي في عيني .

وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد ، فقال : لا أحرمه ، ولكني أكرهه . قال : ولم ؟ قال : لأنه لا يُجَلَّى فيه عَرُوس ، ولا يَلْبَى فيه مُحْرِم ، ولا يُكْفَن فيه ميت . فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال : ما تقول أنت في السواد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، النور في السواد . فاستحسن الرشيد ذلك . ثم قال : وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين . قال : وما هي ؟ قال : لم يكتب كتاب الله إلا به ، فاهتز الرشيد لذلك .

١٥ تقدّم رجل إلى أبي حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السَّكُونِيّ قاضي المعتمد ، وقدم أباه يطالبه بدين له عليه ، فأقر الأب بالدين ، وأراد الابن حبس والده . فقال القاضي : هل لأبيك مال ؟ قال : لا أعلمه . قال : فمذ كم دأينته بهذا المال ؟ قال : منذ كذا وكذا . قال : قد فرضتُ عليك نفقة أبيك من وقت المداينة ، فحبس الابن وخلّى الأب .

كان عبد الملك بن عمر قاضي الكوفة، فهجاه هذيل الأشجعي بأبيات منها :
 اذا ذاتُ دَلٍّ كَلَّمْتَهُ بِحَاجَةٍ * فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضِيَ تَحْنُجَ أَوْ سَعَلَ
 فكان عبد الملك يقول : قاتله الله ! والله لربما جاءتني النحنة وأنا في المتوضأ فأذكر
 ما قال فأردّها .

- وقيل : شهد سلمى الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل ، فقال : هو —
 أصلحك الله — ناصبي ، راضي ، قدرى ، مجبرى ، يشتم المجاج بن الزبير الذى
 يهدم الكعبة على بن أبى سفيان . فقال له جعفر : ما أدري على أى شىء
 أحسدك : على علمك بالمقالات ، أم على معرفتك بالأنساب ! فقال : أصلح الله
 الأمير ، ما خرجت من الكتاب ، حتى حذف هذا كله ورأى .
- وَأَسْتَفْتِي بَعْضَ الْقَضَاةِ ، وَقَدْ نُسِبَتْ إِلَى الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بَنِ قُرَيْعَةَ ، فَقِيلَ لَهُ :
 مَا يَقُولُ سَيِّدُنَا الْقَاضِي أَيَّدَهُ اللَّهُ فِي رَجُلٍ بَاعَ حَجْرًا مِنْ رَجُلٍ ، فَمِنْ رَفَعِ ذَنْبَهَا لِيَقْلِبَهُ خَرَجَتْ
 مِنْهَا رِيحٌ مَصُونَةٌ أَتَصَلَّتْ بِحَصَاةٍ فَفَقَأَتْ عَيْنَ الْمُشْتَرِي ؟ أَفْتَنَّا فِي الدِّيَةِ وَالرَّدِّ يَرْحَمُكَ
 اللَّهُ . فَأَجَابَ : لَمْ تَجِرِ الْعَادَةُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْبِدَائِعِ ، بَيْنَ مُشْتَرٍ وَبَائِعٍ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ فِي كُتُبِ
 الْفُقَهَاءِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْ فِي فَتَوَى الْعُلَمَاءِ ، لَكِنْ هَذَا وَمَا شَاكَهُ يَجْرِي بِمَجْرَى الْفَضُولِ ،
 الْمُسْتَخْرَجِ مِنْ أَحْكَامِ الْعُقُولِ ، وَالْقَوْلِ فِيهِ — وَبِاللَّهِ الْعَصْمَةِ مِنَ الزَّلَالِ وَالْخَطْلِ — :
 أَنْ دِيَّةَ مَا جَنَّتْهُ الْحَجَرُ مَلَغَى فِي الْهَدَرِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 الْأَطْهَارِ ، « جُرْحُ الْعِجَاءِ جُبَارٌ » ؛ لَا سِيَّمَا وَالْمُشْتَرِي عِنْدَ كَشْفِهِ لِعَوْرَتِهَا ، أَسْتَنَارَ
 كَامِنَ سَوْرَتِهَا . وَعَلَى الْبَائِعِ لَهَا آزْتِجَاعُهَا ، وَرَدَّ مَا قَبِضَ مِنْ ثَمْنِهَا ، لِأَنَّهُ دَلَّسَ حَجْرًا
 مَضِيقًا مَنَجْنِيقًا . وَإِذَا كَانَتْ السَّهَامُ طَائِشَةً ، فَهِيَ مِنَ الْعُيُوبِ الْفَاحِشَةِ . وَكَيْفَ
 يَمْتَنَعُ رَدُّهَا وَأَغْرَاضُهَا نَوَاطِرَ الْحَدَقِ ، وَقَلَمًا يَسْتَظْهِرُ الْمُقْلِبُونَ الْخَلِيلَ بِالْذَّرَقِ .

(١) الحجر (بالكسر) : الأثني من الخيل .

ذكر شيء من نوادر النُّحاة

قَدِمَ رجل من النُّحاة خصماً الى القاضي ، وقال : لى عليه مائتان وخمسون درهما .
فقال لخصمه : ماتقول ؟ فقال : أصلح الله القاضي ، الطلاق لازم له ، إن كان له
إلا ثلثمائة ، وإنما ترك منها خمسين ليعلم القاضي أنه نَحْوِيّ .

ومرّ أبو علقمة بأعدال قد كُتِبَ عليها : رَبُّ سُلَمٍ لأبو فلان ؛ فقال لأصحابه :
لا إله إلا الله ! يلحنون ويربحون .

وجاء رجل الى الحسن البصريّ فقال : ما تقول في رجل مات فترك أبيه
وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه . فقال : ما لأباه وأخاه ؟ فقال الحسن : ما لأبيه
وأخيه . فقال الرجل : إني أراك كلما طاوعتك تخالفني ! . وقيل سيكر هارون بن محمد

أبن عبد الملك ليلة بين يدي الموفق ، فقام لينصرف فغلبه السكر فنام في المضرب . فلما
آنصرف الناس جاء راشد الحاجب فأنبهه وقال : يا هارون آنصرف . فقال : هارون

لا ينصرف . فأعاد راشد القول على هارون ، فقال هارون : سل مولاك فهو يعلم
أن هارون لا ينصرف . فسمع الموفق فقال : هارون لا ينصرف ؛ فتركه راشد .

فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه ؛ فأنكر على راشد ، وقال :
يا راشد ، يبيت في مضربي رجل لا أعلم به ! فقال : أنت أمرتني بهذا ، قلت :

هارون لا ينصرف . فضحك وقال : ما أردت إلا الإعراب وظننت أنت غيره .

وقيل : قدم العُريّان بن الهيثم على عبد الملك ، فقيل له : تحفظ من مسَلَمَة فإنه
يقول : لأن يُلقمني رجل بحجر أحبُّ إلىّ من أن يُسمِعني رجل لحناً . فأتاه العريّان

ذات يوم فسَلَمَ عليه . فقال له مسَلَمَة : كم عطاءك ؟ قال : ألفين . فنظر الى رجل
عنده وقال له : لحن العراقيّ ؛ فلم يفهم الرجل عن مسَلَمَة ، فأعاد مسَلَمَة القول على

العريان وقال : كم عطاؤك؟ فقال : ألفان . فقال : ما الذى دعاك الى اللحن أولا والإعراب ثانيا؟ قال : لحن الأمير فكبرت أن أعرب ، وأعرب فأعربت . فاستحسن قوله وزاد فى عطائه .

ووقف نحوى على بقال يبيع الباذنجان فقال له : كيف تبيع؟ قال : عشرين بدانق ، فقال : وما عليك أن تقول : عشرون بدانق؟ فقدر البقال أنه يستريده ، فقال ثلاثين بدانق . فقال : وما عليك أن تقول : ثلاثون؟ فما زال على ذلك الى أن بلغ سبعين ، فقال : وما عليك أن تقول : سبعون؟ فقال : أراك تدور على الثمانون وذلك لا يكون أبدا .

ذكر شيء من نوادر المتنبيين

قيل : ادعى رجل النبوة فى أيام المهدي ، فأدخل عليه ، فقال له : الى من بعثت؟ فقال : ما تركتموني أذهب الى من بعثت اليهم ، فإني بعثت بالغدادة وحبستموني بالعشي . فضحك المهدي منه وأمر له بجائزة وخطى سبيله .

وتنبأ رجل وأدعى أنه موسى بن عمران . فبلغ خبره الخليفة ، فأحضره وقال له : من أنت؟ قال : أنا موسى بن عمران الكليم . قال : وهذه عصاك التى صارت ثعبانا ! قال نعم . قال : فألقها من يدك ومُرّها أن تصبح ثعبانا كما فعل موسى . قال : قل أنت (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) كما قال فرعون حتى أصير عصاى ثعبانا كما فعل موسى . فضحك الخليفة منه واستظرفه . وأحضرت المائدة ، فقيل له : أكلت شيئا؟ قال : ما أحسن العقل ! لو كان لى شيء آكله ، ما الذى كنتُ أعمل عندهم؟ فأعجب الخليفة وأحسن اليه .

وآدعت امرأة النبوة على عهد المأمون ، فأحضرت اليه فقال لها : من أنت؟ قالت : أنا فاطمة النبوة . فقال لها المأمون : أتؤمنين بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم ؟ قالت : نعم ، كل ما جاء به فهو حق . فقال المأمون : فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم « لانيّ بعدى » . قالت : صدق عليه الصلاة والسلام ، فهل قال : لانيّة بعدى ؟ فقال المأمون لمن حضره : أما أنا فقد آنقطعت ، فمن كانت عنده حجة فليأت بها ، وضحك حتى غطى على وجهه .

وآدعى رجل النبوة ، فقليل له : ما علامات نبوتك ؟ قال : أنبئكم بما فى نفوسكم . قالوا : فما فى أنفسنا ؟ قال : فى أنفسكم أننى كذبت ولست بنبيّ .

وتنبأ رجل فى أيام المأمون ، فأتى به إليه ، فقال له : أنت نبيّ ؟ قال نعم . قال : فما معجزتك ؟ قال : ماشئت . قال : أخرج لنا من الأرض بطيخة . قال : أمهلنى ثلاثة أيام . قال المأمون : بل الساعة أريدها . قال : يا أمير المؤمنين ، أنصفنى ، أنت تعلم أن الله يُنبئها فى ثلاثة أشهر ، فلا تقبلها منى فى ثلاثة أيام ! فضحك منه ، وعلم أنه محتال ، فاستتابه ووصله .

وآدعى آخر النبوة فى زمانه فطالبه بمعجزة ، فقال : أطرح لكم حصاة فى الماء فأذيبها حتى تصير مع الماء شيئاً واحداً . قالوا : قد رضىنا . فأخرج حصاة كانت معه فطرحها فى الماء فذابت . فقالوا : هذه حيلة ، ولكن أذب حصاة غيرها نأتيك بها نحن . فقال لهم : لا تتعصبوا ، فلستم أضلّ من فرعون ، ولا أنا أعظم من موسى ، ولم يقل فرعون موسى : لا أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعباناً . فضحك المأمون منه وأجازه .

وآدعى رجل النبوة فى أيام المعتصم ، فأحضر بين يديه ، فقال له : أنت نبيّ ؟ قال نعم . قال : إلى من بعثت ؟ قال : إليك . قال : أشهد إنك لسفيه أحمق . قال : إنما يذهب إلى كل قوم مثلهم . فضحك منه وأمر له بشيء .

وآدعى آخر النبوة في أيام المأمون، فقال له : ما معجزتك؟ قال : سل ما شئت ، وكان بين يديه قفل ، فقال : خذ هذا القفل فافتحه . فقال : أصلحك الله ، لم أقل إني حداد . فضحك منه وأستتابه وأجازه .

- وآدعى آخر النبوة ، فطلب ودعى له بالسيف والنَّطع ، فقال : ما تصنعون؟ قالوا : نقتلك . قال : ولم تقتلونني؟ قالوا : لأنك آدعت النبوة . قال : فاست أديها . ه
- قيل له : فأى شيء أنت؟ قال : أنا صديق . فدعى له بالسياط ، فقال : لم تضربوني؟ قالوا : لآدعائك أنك صديق ، قال : لا أدعى ذلك . قالوا : فمن أنت؟ قال : من التابعين لهم بإحسان . فدعى له بالدرة . قال : ولم ذلك؟ قالوا : لآدعائك ما ليس فيك ، فقال : ويحكم ! أدخل إليكم وأنا نبي تريدون أن تحطوني في ساعة واحدة الى مرتبة العوام ! لا أقل من أن تصبروا على الى غد حتى أصير لكم ما شئتم . ١٠
- وآدعى آخر النبوة ، وسمى نفسه نوحا ، فنهاه صديق له عن ذلك فلم ينته ، فأخذه السلطان وصلبه ، فمز به صديقه الذي كان ينهاه ، فقال : يانوح ! ما حصل لك من السفينة غير الدقل .

ذكر شيء من نوادر المغفلين والحمقى

- قال بعضهم : رأيت ابن خلف الهمداني في صحراء وهو يطلب شيئا ، فقلت له : ١٥ ما تبغى ها هنا؟ قال : دفنت شيئا ولست أهدى اليه . قلت : فهلا علمت عليه شيء! قال : جعلت علامتي قطعة من الغيم كانت فوقه ، وما أراها الساعة . ونظر مرة في الحب (وهو الزير) فرأى وجهه ، فعدا الى أمه فقال : يا أمي في الحب لص . فخأت أمه وتطلعت فيه ، فقالت : إي والله ومعه خبسة . ورئي في وسط داره

وهو يعدو عدوًّا شديدًا ويقرأ بصوت عال . فسئل عن ذلك فقال : أردت أن أسمع صوتي من بعيد . ودخل إلى رجل يعزّيه ، فقال : عظم الله مصيبتكم ، وأعان أخاك على ما يرد عليه من يأجوج ومأجوج . فضحك الناس . فقال : تضحكون مما قلت ! وإنما أردت هاروت وماروت .

وقيل : كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي ، ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام مالا . فدخل عليه أبو زياد التيمي ، وكان مغفلاً فقال : أصلحك الله ! آكتبني في القواعد ، فقال له : عافاك الله ، القواعد هنّ النساء اللاتي قعدن عن أزواجهنّ . فقال : فأكتبني في العميان . قال : آكتبوه منهم ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ . قال أبو زياد : وآكتب آبني في الأيتام ، قال : نعم ! من كنت أباه فهو يتيماً .

وسئل بعضهم عن مولده ، فقال : ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة أيام ، فاحسبوا الآن كيف شئتم .

ذكر شيء من نوادر النبذيين

قال رجل لبعض أصحاب النبذ : وجهت إليك رسولا عشيّة أمس فلم يجداك ، فقال : ذاك وقت لا أجد فيه نفسي .

وقيل لبعضهم : كم الصلاة ؟ فذكر الغداة والظهر . قالوا : فالعصر ؟ قال : تعرف وتنكر . قالوا : فالعشاء ؟ قال : يبلغها الجواد . قالوا : فالعتمة ؟ قال : ما كانت لنا في حساب قط .

شرب الأقيشر في حانوت خمار حتى نفذ مامعه ، ثم شرب بتيابه وبقى عرياناً ، فجلس في تين يستدفئ به . فمر رجل ينشد ضالة ، فقال الأقيشر : اللهم آردد عليه ،

وَأَحْفَظْ عَلَيْنَا . فَقَالَ لَهُ الْخِمَارُ : سَخِنْتُ عَيْنُكَ ، أَيُّ شَيْءٍ يَحْفَظُ عَلَيْكَ رَبُّكَ ! قَالَ :
هَذَا التَّبَنُّ ، لئَلَّا يَأْخُذَهُ صَاحِبُهُ فَأَهْلِكَ مِنَ الْبَرْدِ .

وَبَاعَ بَعْضُهُمْ ضَيْعَةً لَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُشْتَرِي : بِالْعَشِيِّ أَشْهَدُ عَلَيْكَ . فَقَالَ : لَوْ كُنْتُ
مِمَّنْ يَفْرَغُ بِالْعَشِيِّ مَا بَعْتُ ضَيْعَتِي .

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ نَوَادِرِ النِّسَاءِ وَالْجَوَارِي

قَالَ رَجُلٌ : قُلْتُ لِحَارِيَّةٍ أُرِيدُ شِرَاءَهَا : لَا يُرِيْبُكَ شَيْءٌ ، فَإِنِ عِنْدِي قُوَّةٌ .
فَقَالَتْ : أَيْسُرُكَ أَنْ عِنْدَكَ عَجُوزًا مُعْتَلِمَةً !

أَدْخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ جَارِيَتَانِ فَأَعْجَبَتْهُمَا . فَقَالَتْ الَّتِي دَخَلَتْ أَوَّلًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَنِي عَلَى هَذِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ . وَقَالَتِ الْآخَرَى : لَا ، بَلِ
اللَّهُ فَضَّلَنِي عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَحِرَّةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ .

وَعَرَّضَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ جَارِيَتَانِ بَكْرٌ وَثِيْبٌ ، فَمَالَ إِلَى الْبَكْرِ . فَقَالَتِ الثَّيْبُ : مَا بَيْنَنَا
إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ . فَقَالَتِ الْبَكْرُ : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

قِيلَ لَأَمْرَأَةٍ ظَرِيفَةٍ : أَبِكْرُ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْكَسَادِ .

وَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِحَارِيَّةٍ أَسْتَعْرِضُهَا : أَنْتِ بَكْرٌ أَمْ لَيْشٌ ؟ قَالَتْ : أَنَا لَيْشٌ يَا أَمِيرَ

المؤمنين .

وَأَسْتَعْرِضَ رَجُلٌ جَارِيَةً فَاسْتَقْبَحَ قَدَمَيْهَا . فَقَالَتْ : لَا تُبَالٍ ، فَإِنِّي أَجْعَلُهُمَا
وَرَاءَ ظَهْرِكَ .

وَقَالَ الرَّشِيدُ لِبَغِيضِ جَارِيَتِهِ : إِنَّكَ لَدَقِيقَةُ السَّاقِينَ . قَالَتْ : أَحْوَجُ مَا تَكُونُ

إِلَيْهِمَا لَا تَرَاهُمَا .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن إسحاق : أن الرشيد أحضره مجلسه ذات ليلة ،
وقد مضى شطر الليل ؛ قال : فأخرج جارية كأنها مَهَّاة ، فأجلسها في حجره ، ثم قال
غنيي ؛ فغنته :

جئن من الروم وقَالِقْلَا^(١) * يرفلن في المرط ولين المَلَا
مُقرطقات بصنوف الحلَى * يا حبذا البيض وتلك الحلَى

فأستحسنه وشرب عليه . ثم آستؤذن للفضل بن الربيع فأذن له . فلما دخل ، قال :
ما وراءك في هذا الوقت ؟ قال : خير يا أمير المؤمنين ، ولكن جرى لي الساعة سببٌ
لم يجز كتمانهُ . قال : وما ذاك ؟ قال : أخرج إلي في هذا الوقت ثلاث جوارٍ :
مكية ، ومدنية ، وعراقية ؛ فقبضت المدنية على ذكري ؛ فلما أنعظ ، وثبتت المكية
فقعدت عليه . فقالت لها المدنية : ما هذا التعدي ! ألم تعلمي أن ما لكا حدثنا عن
الزهرى عن عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من أحيا أرضا ميتة فهي له » ! فقالت الأخرى : أو لم تعلمي أن سُفيان حدثنا
عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « الصيد لمن صاده لا لمن أثاره » . فدفعتها العراقية عنه ، ووثبت عليه
وقالت : هذا لي وفي يدي حتى تصطلحا . فضحك الرشيد ، وأمر بحملهن إليه ،
ففعل وحظين عنده . وفيهن يقول :

ملك الثلاث الأنسات عِنَانِي * وحالن من قلبي بكل مكان

طلبت جارية محمود الوراق للمعتصم بسبعة آلاف دينار ، فامتنع من بيعها ،
وأشترى له بعد ذلك من ميراثه بسبعائة دينار . فذكر المعتصم ذلك لها ، فقالت :

(١) قالقلا : بلد من أعمال أرمينية .

إن كان أمير المؤمنين ينتظر بشهواته المواريث فسبعون ديناراً في ثمنى كثير، فكيف بسبعائة !

اقترح بعضهم على جاريته أن تغني له :

سرى وسرك لم يسمعهما أحداً * إلا الإله وإلا أنت ثم أنا

فقلت : يا سيدي والقوادة لا تنساها فهي الأصل .

وقال بعضهم : نظرتُ إلى جارية جميلة في دهليز؛ فقلت لى : ياسيدي تريد النيك؟ قلت : إى والله . قالت : فاقعد حتى يأتى سيدي فينيك كما نا كنى البارحة .

وقال آخر : كان لى جارية فأردتها على بعض الأمر؛ فقلت : إن الأعرور الدجال لا يدخل المدينة ولكن يُلِمُّ بأعراضها .

وأستعرض رجل جارية فقال لها : فى يدك عمل؟ قالت : لا ، ولكن فى رجلى .
وحكى أن بعض المُجَّان كان يعشق جارية أُمجن منه . فضاق يوماً ، فكتب إليها : قد طال عهدي بك ياسيدي ، وأقلقنى الشوق إليك . فإن رأيت أن تستدركى رمقى بمُضْغَةٍ علك وتجعليه بين دينارين وتُفْذِيه إلى لأستشفى به فعلت إن شاء الله . ففعلت ذلك وكتبت إليه : ردُّ الظرف من الظرف ، وقد سارعتُ إلى إنفاذ ما طلبت ، فأنعم بردَّ الطبق والمكبة ، وأستعمل الخبر : « استدر وا الهدايا بردَّ الظروف » .

وطلب آخر من عشيقته خاتماً كان معها ، فقلت : يا سيدي ، هذا ذهب وأخاف أن تذهب ، ولكن خذ هذا العود حتى تعود .

قال الجاحظ : ابتاع فتى صلفٌ بذائح جاريةً بُخاريَّةً حسناء ؛ فلما واقعها قال

لها : ما أوسع حرك ! وكرر هذا القول ؛ فقلت له : أنت الفداء لمن كان يملؤه .

وقيل لمدينة : أيما أحب اليك التمر أم النيك ؟ فقالت : التمر ما أحببته قط .
وكتب رجل الى عشيقته : مَرِي خيالك أن يلم بي . فكتبت اليه : إبعث
إلى بدينارين حتى آتيك بنفسى .

قدم بعضهم عجوزا دلالة الى القاضى وقال : أصلح الله القاضى ، زوجتني هذه
امرأة ، فلما دخلت بها وجدتها عرجاء . فقالت : أصلح الله القاضى ! زوجته
امرأة يجامعها ، ولم أعلم أنه يريد أن يحج عليها أو يسابق بها فى الحلبة أو يلعب عليها
بالكرة والصوبلجان ! .

كتب رجل الى عشيقته رقعة ، قال فى أولها : عصمنا الله وإياك بالتقوى .
فكتبت اليه فى الجواب : يا غليظ الطبع ، إن استجاب الله دعائك لم نلتق أبدا .
قال غفيل بن بلال : سمعتنى أعرابية أنشد :

وكم ليلةٍ قد بتهَا غير آثمٍ * بمهضومة الكشحين ريانة القلب^(١)
فقالت : هَلَّا أَثْمْتُ ! أنحزك الله ! .

وكتب الجَمَّاز الى عشيقته رقعة حشاها بالشعر . فكتبت اليه على ظهرها :
لا تجتمع شعرتان بشعر .

زحمت مدينة رجلا ، فقال لها : المستعان بالله منكن ، ما أكثركن ! فقالت :

نحن فى هذه الكثرة وأنتم تلوطون وتبادلون ، فلو كان فينا قلة لنكتم الحمير .
قال أبو نواس يوما لقينية وأشار إلى أيره : فى أى سورة ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سُوْقِهِ ﴾ . فكشفت وقالت : فى سورة ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

وكان يوما عند بعض إخوانه ، فخرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب
خضر . فلما رآها مسح عينيه وقال : خيرا رأيت إن شاء الله تعالى . فقالت :

(١) القلب (بالضم) : سوار المرأة .

(٧)

وما رأيت ؟ قال : ألك معرفة بعلم التعبير ؟ قالت : ولا أعرف غيره . قال : رأيت كأنى راكب دابة شهباء ، وعليها جُلُّ أخضر وهي تمرح تحتى . فقالت : إن صدقت رؤياك فستدخل فجلة . وقد روى أن هذه الحكاية آتفت له مع عنان جارية الناطفى .

ومرت امرأة حبلى برجل ، فتعجب من عظم بطنها ، فقال ما كان أحذق هذا الحشاء ! فقالت المرأة : إذا شئت فأبعث أمك حتى أمره بأن يحشوها لك خيرا من هذا الحشو .

وقال بعضهم : مرت بى امرأة وأنا أصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتقيتها بيدي ، ف وقعت على فرجها ، فقالت : يا فتى ، ما أتيت أشد مما آتيت .

ومرّ الفرزدق بنسوة وهو على بغلته ، فلما حاذاهنّ ضرطت البغلة ، فضحك . فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن ، فما حملتني أنثى إلا ضرطت . فقالت إحداهن : ما حملك أكثر من أمك ، فأراها قد قاست منك ضراطا كثيرا . فترك بغلته وهرب منهن .

وكان رجل يُدلىّ بآلته وعظيمها . فقال يوما لامرأة وقد واقعها : أراه لم يخرج من حلقك بعد ، فقالت : أو قد أدخلته بعد ! .

وكان بعضهم جالسا مع امرأته فى منظره ، فمرّ غلام حسن الوجه ، فقالت : أعيد هذا بالله ، ما أحسنه وأحسن وجهه وقده ! فقال الزوج : نعم ، لولا أنه خصى . فقالت : لعنه الله ولعن من خصاه ! .

ولما زفت عائشة بنت طلحة الى مصعب ، قال : والله لأقتلنها الليلة جماعا . فواقعها مرة ونام فلم ينتبه الى السحر ، فخرّكته وقالت : آنتبه يا قتال .

وقيل لامرأة : ما تقولين في السَّحْق ؟ فقالت : هو التيمم ، لا يجوز إلا عند
عدم الماء .

كان لرجل عَيْنٍ امرأةً ، فَرَأَاهَا يَوْمًا تُسَاحِقُ امرأةً أخرى ، فقال لها : ويلك ،
نحرق على خرق ؟ قالت : نعم حتى يرزق الله رقعة .

وقالت امرأة لأخرى : ليس شيء أطيب من الموز (تكنى عن الجماع)
فقالت : صدقت ، ولكنه ينفخ البطن (تشير الى الحبل) .

وخطب رجلُ امرأةً ، فاشتطت عليه في المهر وغيره ، فقال : نعم إن دخلتِ
على عيوبي ، قالت : وما هي ؟ قال : إن أيرى كبير ، وأنا مشتهر بالجماع لا أريحك
منه ، وأنا بطيء الإنزال ! فقالت : يا جارية أحضري شيوخ المحلة يشهدوا على بركة
الله تعالى وسامحيه ، فالرجل ساذج لا يعرف الخير من الشر .

قال رجل لابنة له : أريد أن أزوجه من فلان . فقالت : الله الله يا أبت !
فإني لا أصبر عنك ولا حاجة لي بزواج . قال : فإنني أتركه لعل الله تعالى يسهل خيرا
منه ، فإنه بلغني عنه خصلة لا أرضاها لك . قالت : ما هي ؟ قال : بلغني أن أيره
مثل أير البغل ، وأنه يكثر الجماع . فمكثت طويلا ، ثم قالت : يا أبت ، زوجني
في حال حياتك ، فإن الحوادث لا تؤمن ، ولا حاجة لي في الانتظار .

قال أبو العيناء : خطبتُ امرأةً فاستقبحتني . فكتبت اليها :
فإن تنفري من قبح وجهي فإني * أريب أديب لا غي ولا فُدم
فأجابتنى : ليس لديوان الرسائل أريدك .

وخطب ثُمَامَةُ العوفي امرأة . فسألت عن حرفته ، فكتب اليها يقول :
وسائلة عن حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الأبطال في كل مَازِقٍ
وضربي طلى الأبطال بالسيف معلماً * إذا زحف الصفان تحت الخوافيق

فلما قرأت الشعر، قالت للرسول : قل له : فديتك ! أنت أسد، فاطلب لك
لبؤة، فإنى ظيية أحتاج الى غزال .

خرجت حُبِّي المدنية في جوف الليل، فلقبها إنسان فقال لها : تخرجين في هذا
الوقت ! قالت : ما أبالي، إن لقيني شيطان فأنا في طاعته، وإن لقيني رجل فأنا

في طلبه . وجاءت الى شيخ يبيع اللبن، ففتحت ظرفا فذاقته ودفعته إليه .
وقالت : لا تعجل بشده، ثم فتحت آخر فذاقته ودفعته إليه . فلما أشغلت يديه
جميعا، كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت ^(١) تصفق بظاهر قدميها آسته وخصييه،
وتقول : يا ثارات ذات النخيين، والشيخ يستغيث، فلم يخلص منها إلا بعد جهد.
لاعب الأمين جارية بالرد على إمرة طاعة، فغلبته، فقال : آحتكى؛

فقالت : قم فافعل ففعل . وعاود اللعب فغلبته، فاحتكت عليه مثل الأول . ثم
لاعبها الثالثة فغلبته، فقالت : قم أيضا فافعل؛ فقال : والله لا أقدر . قالت :
فأكتب عليك به كتابا، فتناولت الدواة والقِـرطاس وكتبت : حق فلانة على
أمير المؤمنين فردا تأخذه منه متى شاءت من ليل أو نهار . وكان على رأسها جارية
بمذبة في يدها، فقالت ، ياسيدتي، وآكتبي في الكتاب : ومتى قام بالمطالبة بما
في هذا الكتاب أحد فهو ولي قبض ما فيه . فضحك الأمين وأمر لها بجائزة .

غاب رجل عن امرأته فبلغها أنه آشترى جارية، فاشتريت غلامين . فبلغه
ذلك بخاء مبادرا، وقال لها : ما هذا؟ فقالت : أما علمت أن الرحي الى بغلين أحوج
من البغل الى رحين ! ولكن بع الجارية حتى نبيع الغلامين؛ ففعل ذلك ففعلت .
ومثل ذلك ما حكى عن الأحنف : أنه اعتم ونظر في المرأة؛ فقالت له
آمرأته : كأنك قد هممت بـخطبة امرأة! قال : قد كان ذلك . قالت : فإذا فعلت

(١) تصفق : تضرب . والصفق : الضرب يسمع له صوت .

فاعلم أن المرأة الى رجلين أحوج من الرجل الى امرأتين . فنقض عتمته وترك ما كان قد هم به .

نظر المتوكل الى جارية له متكئة فلم يرض عجيزتها ؛ فقال لها : إنك لرثاء .
فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما نقصناه من الطستِ زدناه في المنسف .^(١)

ذكر شيء من نوادر المخنثين

قال جحظة . فآخرني بعض المخنثين ، فقال لي : يا أبا الحسن ، من في الدنيا مثل المخنثين ! قلت : كيف ذلك ؟ قال : إن حدثوا ضحكتم ، وإن غنوا طربتم ، وإن ناموا نكتم .

وقيل لمخنث : أما تستحي من أن تناك ؟ قال : ذوقوا ثم لوموا .
نظر مخنث إلى رجل طويل الخصيين قصير الأير ، فقال : سحتت عينك ، الغلالة أقصر من القميص .

مر عيسى بن موسى بعد أن خلعه المنصور من ولاية العهد بعده وقدم المهدي عليه بمخنث ؛ فقال إنسان : من هذا ؟ فقال المخنث : هذا الذي كان غدا فصار بعد غد .

قال شيخ لقرقر المخنث : أبو من أنت ؟ فقال : أم عمر فديتك .
سمع شاهيك المخنث رجلا يصف الكرفس وأنه جيد لفتح السدد ، فقال : أنا إلى سدّ الفتح أحوج .

عريض على عبادة المخنث خادم ، فقال : أنا لا أركب سفينة بغير دقل .

(١) في الأصل : « المنشفة » وهو تحريف والكناية فيه واضحة .

قال المتوكل يوما لجلسائه : أتعلمون أقول ما عتب المسلمون على عثمان بن عفان رضى الله عنه ؟ فقال أحدهم : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه لما قبض رسول الله صلى عليه وسلم ، قام أبو بكر رضى الله عنه على المنبر دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمِرْقَاة ، فلما ولى عمر قام دون مقام أبي بكر رضى الله عنهما بمِرْقَاة ، فلما ولى عثمان قام على المنبر في موضع النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنكر المسلمون ذلك عليه ، وكانوا أرادوا منه أن ينزل عن مقام عمر بمِرْقَاة ، فقال عبادة : يا أمير المؤمنين ، ما أجد أعظم مِنة عليك ، ولا أسبغ معروفًا من عثمان . قال : وكيف ؟ ويلك ! قال : لأنه صعد ذروة المنبر ، ولو أنه كلما قام خليفة نزل عن مقام من تقدمه مِرْقَاة ، كنت أنت تخطب لنا في بئر جُلُولَاء .

١٠ . وقيل لمخنث : من يرغب فيك مع قبحك ؟ فقال الحمار : إذا جاع أكل المكنسة .
نظر رجل إلى أيرأبنه وهو كبير فضربه ، وقال له : ما طال أيرك إلا من كثرة ما تُتَاك . فقال له مخنث كان في الحمام : لا تفعل ، فلو كان حقا لكان أيرى قد بلغ مكة طولا .

١٥ . قيل لمخنث : كم سنوك ؟ قال خمس وتسعون سنة . قيل له : فلم لا تتزوج ؟ فقال : ليس في رجال هذا الزمان خير .

دخل عبادة يوما إلى الحمام فرأى غلاما كبيرا الأير ، فبادر وقبض عليه بيده . فقال له الغلام : ما هذا عفاك الله ؟ قال : أما سمعت قول الشاعر :

إذا ما رايةً رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمن

وكان عبادة يقول : ما أشبه الدنيا إلا بأير قام ثم نام .

٢٠ . طلب رجل منزلا يكثر فيه ، فجاء إلى باب دار فدفعه ، وقال : ألكم منزل للكراء ؟

وإذا في الدار مخنث وفوقه رجل ، فقال المخنث : ألسـت ترانا بعضنا فوق بعض من ضيق المكان ! من أين يكون لنا منزل نـكريه ! .

نظر رجل الى مخنث والمخنث ينتفـ لحيته ، فقال له الرجل : ويلك ! لأى شىء تنتفـ لحيتك وفيها جمال وجهك ؟ فقال : أيسرّك أن مثلها في أـستك ؟ قال لا . قال : فشىء تأنف لأـستك منه ، فكيف لا آنف لوجهى منه ! .

وقيل : مرّ الطائف بالمدينة بمخنثين ، فأراد أن يقول : خذوهما فقال : نيكوهما ، ثم قال : أضربوهما . فقال أحدهما : قد سبقت رحمتك عذابك فلا ترجع .

وحكى أبو الفرج الأصفهاني في كتابه المترجم بالأغاني بسنده حكاية عن الدّلال المخنث المدنيّ جاء منها : أنه أخذ مع غلام وهما سكرانان ، فأتى بهما الوالى ، فقال للدلال : يا فاسق ! فقال : من فـك الى السماء . فقال : يا عدوّ الله ، ما وسـعك بيتك حتى خرجت بهذا الغلام الى الصحراء تفسق به ! قال : لو علمت أنك تغار علينا ، وتشتهى أن نفسق سرّا ما خرجت من بيتى . قال : جرّوه وأضربوه حدّا . قال :

وأى شىء ينفعك من ذلك ؟ وأنا والله أضرب في كل يوم حدودا . قال : ومن يتولّى ذلك منك ؟ قال : أيورّ الناس . قال : أبطحوه على وجهه [وأجاسوا على^(١)

ظهره] ؛ قال : أحسب أن الأمير قد آشتهى أن يرى كيف يُفعل بى ! قال : أقيموه لعنه الله وآشـهروه مع الغلام . فأخرجـا يُدار بهما فى السّكك . فقيل له : ما هذا يادّلال ؟ قال : الأمير قد آشتهى أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بينى وبين هذا ونادى علينا ، ولو قيل له : إنه قواد لغضب . فبلغ قوله الوالى ، فقال : خلوا سبيلهما ، لعنة الله عليهما ! .

(١) زيادة عن الأغاني .

- قيل لبعضهم : أى الألوان أحب إليك؟ قال : القضيبي . قيل : فمن الفواكه؟
 قال : القثاء . قيل : فمن الثياب؟ قال : التكة . قيل : فمن السلاح؟ قال : العود .
 قيل : فمن العلوم؟ قال : الشرط ، لأن فيه ذكر الحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه .
 قيل : فمن الآداب؟ قال : العروض ، لأن فيه الطويل والمديد والبسيط والكامل
 والوافر . قيل : فمن المنازل؟ قال : ذات عرق . قيل : فمن القبائل؟ قال : بنو نهد .
 ٥

ذكر شيء من نوادر البغائين

- قيل لرجل من ولد بئر وكان مأبونا : أما تستحي وأبوك كان سيف السلطان؟
 قال : فأنا جعبتة . وقال له آخر : إن أباك كان ينيك وأنت تناك ! قال : أقضى دينه .
 قيل لأبي سوار وقد رأى غلامه فوقه : لقد آمتهتك غلامك هذا الأسود ؛ قال :
 ما آمتهني ، وإكنى آمتهته ، عمدت إلى أكرم علق فيه فآستعملته في أقذر
 مدخل في .
 ١٠

- أشرفت امرأة من منظرة لها ، فرأت صبيا جميلا أعجبها ، فقالت لجاريتهما :
 أدخليه ، فأدخلته فقدمت المرأة طعاما وآنسته ، فأكلا ، وأحضرت الشراب
 فشربا ، فلم تجد عنده شيئا ، فقالت : ما أحوجنا إلى من كان ينيكما جميعا ! فقال :
 أخذتهما من فمي والله .
 ١٥

- ونظير هذه الحكاية ما حكى عن الأحوص الشاعر ، وكان جسيما وسيما حسن
 اللباس ، فنظرت إليه امرأة وهو يتبختر ، فقالت : ليتنا جميعا في فراش واحد إلى
 الغداة ؛ فقال الأحوص : ومعنا من ينيكما .

- قال : وجلس بعضهم على باب داره وعنده جماعة ، فوقف عليه رجل على
 بغل فخذته فأدلى البغل ذكره ؛ فقال بعض جلسائه : أير هذا البغل في آست فلان ؛
 فقال صاحب الدار : ما أنصفتمنا ! تجلس عندنا وتشتي الخير لغيرنا !
 ٢٠

ذكر شيء من نوادر اللاطة والغلمان

قيل : رأى بعض اللاطة مع غلام أسود ، فقبل له : لم رغبت في الأسود ؟ فقال : الأسود طيب النكهة ، كنز الأنفاز ، ملتهب الجوف ، رخيص الحذر ، سريع الإجابة ، لأنك تدعوه لتنيكه ، فيظن أنك دعوته لينيكك .

وقيل لآخر : لم فضلت الغلام على الجارية ؟ قال : لأنه في الطريق صاحب ، ومع الإخوان نديم ، وفي الخلوة أهل .

كتب رجل إلى غلام كان يعشقه :

* وضعت على الثرى خدى لترضى *

فكتب إليه الغلام : زن عشرة دراهم ، وضع خذك على خدى .

ووجد شيخ مع صبي ، فقبل له : يا شيخ ، أما تستحي وأنت رجل كبير عاقل ! لم لا تحصن نفسك ؟ فأخرج الشيخ قطعة من فمه فيها قيراط ، وقال : والله ما أملك غيرها ، وقد رضى بها هذا الصبي ، فهل فيكم من يزوجني بها أبنته حتى أتحصن !

وصف غلام عند بعض اللاطة ، فقيل : هو فاسد ، فقال : في فساد صلاحى . قيل للوطى : ويحك ! إن من الناس من يسرق ويزنى ويعمل العظائم سنين كثيرة وأمره مستور ، فأنت إنما لطت مدة شهور وقد شُهرت وأفتضحت ، فقال : من يكون سره عند الصبيان كذا يكون حاله .

نظر بعض اللاطة إلى غلام وأدمن النظر إليه ، فقال له الغلام : لم هذا النظر ؟ فقال : يا سيدى ، أين منزلكم ؟ قال في النار ، تطلب أثرا بعد عين ! إن من عظم جهلك أن تؤخر اليوم لغد أو تتبع من لا تأمن العوائق عليه .

غضب سعيد بن وهب يوما على غلام له ، فأمر به فبطح ، وكشف الثوب عنه ليضربه ، وقال له : يابن الفاءلة ، إنما غمرتك هذه حتى آجترأت على هذه

المرأة، وسأريك هوانها على. فقال الغلام : طالما غرتك هذه الآست حتى
اجترأت على الله تعالى، وسترى هوانك عليه . قال سعيد : فورد على من جوابه
ما حيرنى وسقط السوط من يدي .

استنقع رجل في الماء بغير سترة عليه ؛ فمتر به غلام فأنكر ذلك عليه . فلما نظر
الرجل إلى الغلام أنتشر ذكره ؛ فقال للغلام : بأبي أنت ! أردت إماتة منكراً فأحييت
أنكر منه ، وأوماً إلى متاعه .

قال الجاحظ : كان عبد العزيز ذا مالٍ ، وكان إذا جاء وقت الزكاة أتاه القواد
بغلام ، فيقول له عبد العزيز : يا بني ، ألك أخوات ؟ ألك خالات ؟ ألك عمات ؟
فيقول الغلام نعم . فيقول : هذه العشرة الدراهم ، أو هذا الدينار من زكاة مالي ، فأدفعه
إليهم ؛ ثم إن شئت أن تنزل لي على سبيل المكارمة فافعل ؛ فلا يمنعك الغلام نفسه
بعد أخذ الدراهم . فغبر عليه ثلاثون سنة ، ليست زكاة ماله إلا عند أمهات المؤاجرين
وأخواتهم وخالاتهم وعماتهم .

قيل : وأجر لوطي غلاماً وأعطاه درهمين . فلما أراد أن يدخل متاعه أمتنع
الغلام عليه ، وقال : أجعله بين الفخذين . فقال الرجل : هو بين نخذي منذ
خمس سنين ، فما معنى الدرهمين !

ذكر شيء من نوادر العميان

قال إبراهيم بن سيابة لبشار الأعمى : ما سلب الله من مؤمن كريمته إلا عوضه
عنهما : إما الحفظ والذكاء ، وإما حسن الصوت . فما الذي عوضك الله عن
عينيك ؟ قال : فقد النظر لبغيض ثقل مثلك ! ثم قال له : ويحك ! من أنت ؟ قال

(١) في إحدى النسخ : « الراحة من النظر ... »

إبراهيم بن سيابة . قال : لو نُكِّح الأسد في آسته لذل ! وكان إبراهيم يُرمي بذلك .
ثم تمثل بشار فقال :

لو نُكِّح الليث في آسته خضعا * ومات جوعا ولم ينل شـبعـا
كذلك السيف عند هـزـتـه * لو بصق الناس فيه ما لمعا

ونظير هذه الحكاية ما حكي عن بعضهم ، قال : خرجت ليلة من قرية لبعض
شأني ، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرة وبيده سراج ، فلم يزل حتى انتهى إلى النهر ،
وملأ جرتـه وعاد . قال : فقلت له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ،
فما تصنع بالسراج ؟ قال : يا كثير الفضول ، حملته لأعمى القلب مثلك ، يستضيء به
ثلا يعثر في الظلمة ، فيقع على ويكسر جرتي .

قالوا : بلغ أبا العيـناء^(٢) أن المتوكل يقول : لولا عمي أبي العيـناء لاستكثرت منه ،
فقال : قولوا لأمير المؤمنين : إن كان يريدني لرؤية الأهلـة ونظم اللائـي واليوافيت
وقراءة نقوش الخواتيم ، فأنا لا أصـلح لذلك ؛ وإن كان يريدني للحاضرة والمندمة
والمذاكرة والمسامرة ، فناهيك بي . فاتتهى ذلك إلى المتوكل فضحك منه ، وأمر
بإحضاره ، فحضر ونادمه .

تزوج بعض العميان بسوداء ، فقالت له : لو نظرت إلى حسني وجمالي
وبياضي لأزددت في حباً . فقال لها : لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء .
حكى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي العباس السائب بن فروخ الأعمى مولى
بني ليث ، أو عن بشار الأعمى : أنه هوى امرأة ذات بعل فراسلها ، فأعلمت
زوجها ، فقال : أطمعـيه ففعلت ؛ ثم قال : أرسلـي إليه فليأتك ، فأرسلت إليه ،

(٢) في الأصول : « أبا العنـاهية » والتصويب عن وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٧٢٠
طبع بولاق) .

فأتاها، فجلس زوجها الى جانبها؛ فقال لها الأعمى ^(١) : إنك قد وصفت لنا، وما نراك فإلمسينا، وقيل : إنه أنشدها :

مَلِيكَةٌ قَدْ وُصِفَتْ لَنَا بِحَسَنٍ * وَإِنَّا لَا بَرَاكَ فإلمسينا

فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، فنفر وعلم أنه قد كيد، ونهض قائماً فقال :

عَلَى أَلِيَّةٍ مَا دُمْتُ حَيًّا * أَمْسِكِ طَائِعًا إِلَّا بِعُودٍ
وَلَا أَهْدِي لِأَرْضٍ أَنْتِ فِيهَا * سَلَامَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ بَعِيدٍ
رَجَوْتُ غَنِيمَةً فَوَضَعْتُ كَفِّي * عَلَى أَيْرَ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ
نَخِيرُ مَنْكَ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ * وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكُمْ قُعُودِي

ذكر شيء من نوادر السؤال

١٠

سأل أبو عوين رجلاً فمنعه، فألح عليه فأعطاه؛ فقال : اللهم آجرنا وإياهم، نسألكم الخافا ويعطوننا كرها، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يؤجرهم عليها .
وقف أعرابي سائل على باب وسأل؛ فأجابه رجل وقال : ليس هاهنا أحد .
فقال : إنك أحد لو جعل الله فيك بركة .

١٥

ووقف سائل على باب، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة؛ فسمع السائل صوت بولتها فظنه نشيش المقل، فقال : أطعمونا من هذا الذي تقلونه؛ فصرطت المرأة وقالت : حَطْبُنَا رَطْبٌ لَيْسَ يُشْعَلُ .

ووقف سائل على باب وقال : تصدقوا على فإني جائع . قالوا : إلى الآن لم نخبز .
قال : فكف سويق . قالوا : ليس عندنا سويق . قال : فشربة من ماء فإني عطشان .



٢٠

(١) في الأغاني (ج ٣ ص ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية) : فدخل وزوجها جالس وهو لا يعلم، فجعل يتحدثها ساعة وقال لها : ما أسمك بأبي أنت ؟ فقالت أمانة؛ فقال : أمانة قد وصفت ... الخ
(٢) رواية الأغاني : * ولا أهدى لقوم أنت فيهم *

قالوا : ما أنا السقاء . قال : فيسير دهن أجعله في رأسي . قالوا : من أين لنا دهن .
فقال : يا أولاد الزنا ، فما قعودكم هنا ! قوموا وأشحتوا^(١) معي !

ذكر شيء من نوادر من أشتهر بالمجون

كان مُزَبَّدٌ ممن أشتهر بالمجون والنوادر ، وله نوادر . فمنها ما قيل : إنه أخذه
بعض الولاة وقد آتاهم بالشرب ، فاستنكهه ، فلم يجد منه رائحة ، فقال : قيئوه .
فقال مزبد : ومن يضمن عشائي أصلحك الله ؟ فضحك منه وأطلقه . وهبت ريح
شديد فصاح الناس : القيامة ، القيامة ! فقال مزبد : هذه قيامة على الريق بلا دابة ،
ولا دجال ، ولا القائم ، ولا عيسى بن مريم ، ولا ياجوج ومأجوج . وقيل له :
لم لا تكون كفلاً ؟ (يعنون رجلاً موسراً) فقال : بأبي أتم ! كيف أشبه بمن يضطرب^(٢)
فيُشمت^(٢) وأعطس فألطم ! . وقيل له : ما بال حمارك يتبلد إذا توجه نحو المنزل
وحير الناس إلى منازلها أسرع ؟ قال : لأنه يعرف سوء المنقلب . ونظرت امرأته
وهي حبل إلى قبح وجهه ، فقالت : الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك .
فقال لها : الويل لك إن لم يكن يشبهني . وسمع رجلاً يقول عن ابن عباس :
من نوى حجة وعاقه عائق ، كتبت له . فقال مزبد : ما نخرج العام كراء أرخص من
هذا . وحكى عنه : أنه جمع بين رجل وعشيقة في منزله ، فعاتبها ساعة ومد يده إليها ،
فقالت : ليس هذا موضعه . فسمع مزبد قولها فقال : يا زانية ! فأين موضعه !
بين الركن والمقام ! هذه الدار ما بنيت إلا للقحاب والقيادة ، ولا آخذ ثمن أخشابها
إلا من القمار ، ولا موضع أحق منها بهذا .

وممن أشتهر بالمجون أشعب .

(١) هذه الكلمة عامية . والفصيح في هذا المعنى « شخذ » أو « سأل » .

(٢) التشتت (بالشين المعجمة والسين المهملة) : الدعاء للعاطس .

ذكر شيء من نوادر أشعب وأخباره

- هو أشعب بن جبيرة. وأسمه شُعَيْب، وكنيته أبو العلاء. وأمه أم الجلندج، وقيل: ^(١) أم حميد حميدة. وهى مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها. وكان أبوه قد خرج مع المختار بن أبي عبيد، فأسره مُصْعَب بن الزبير، فقال له: ويلك! تخرج على وأنت مولاي! وقتله صبرا. وقد قيل فى ولائه: إن أباه مولى عثمان ابن عفان رضى الله عنه، وإن أمه كانت مولاة أبي سفيان بن حرب، وإن ميمونة أم المؤمنين أخذتها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت تدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فيستظرفنها، ثم صارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض، وتُغْرِى بينهن. فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت. وقد حُكي عن أشعب: أنه جلس يوما فى مجلس فيه جماعة، فتفانحوا وذكر كل واحد منهم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك مما يتمدح به الناس ويتفانحون؛ فوثب أشعب وقال: أنا ابن أم الجلندج، أنا ابن المحترشة بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. فقل له: ويلك! أو بهذا يفتخر الناس! قال: وأى آفتخار أعظم من هذا! لو لم تكن أُمى عندهن ثقة لما قبلن روايتها فى بعضهن بعضا. وقد حُكي: أنها زنت، فخلقت، وطيف بها على جمل، فكانت تنادى على نفسها: من رآنى فلا يزني. فقالت لها امرأة: نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه، ونطيعك وأنت مجلودة مخلوقة، راكبة على جمل! ونشأ أشعب بالمدينة فى دور آل أبي طالب، وكفلته وتولت تربيته عائشة بنت عثمان. وعمر أشعب عمرا طويلا. وحكى عنه أنه قال: كنت مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار لما حُصر، فلما جرد مما ليكه السيوف ليقاتلوا كنت فيهم؛ فقال عثمان: من أغمد سيفه فهو حر. فلما

(١) فى الأغاني: «كان يقال لأمه أم "الجلندج" وقيل أم جميل وأسمها حميدة».

وقعت في أذنى كنت والله أول من أغمد سيفه فعتقت . وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة . وهذا القول يدل على أنه كان مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(١٢)

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناد رفعه الى إبراهيم بن المهدي عن عبيد ابن أشعب عن أبيه : أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة ، وأن أباه كان من مماليك عثمان بن عفان . وعمر أشعب حتى هلك في أيام المهدي . قال : وكانت في أشعب خلال ، منها : أنه كان أطيب أهل زمانه عشرة ، وأكثرهم نادرة ، وكان أقوم أهل دهره للجمع المعتزلة ، وكان أمراً منهم . وقال مصعب بن عبد الله : كان أشعب من القراء حسن الصوت بالقراءة ، وكان قد نسك وغزاه ، وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر . وقال الأصمعي : قال أشعب : نشأت أنا وأبي الزناد في حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . وقال إسحاق ابن إبراهيم كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغنى أصواتا فيجيدها . وفيه يقول عبد الله ابن مصعب الزيري عفا الله عنه :

إذا تمززت صراحية^(١) * كمثل ريح المسك أو أطيّب

ثم تغنى لي بأهزاجه * زيد أخوال أنصار أو أشعب

حسبت أني ملك جالس^(٢) * حفت به الأملاك والموكب

وما أبالي وإله العلا * أشترق العالم أم غربوا

ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة ، وقد آن أن نذكرها . فمنها ما حكي أنه كان يقول : كلبى كلب سوء ، يبصبص للأضياف ، وينبح على أصحاب الهدايا . وقيل له : قد لقيت رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو حفظت

(١) الصراحية : آنية للخمر . (٢) في الأغاني : « وإله الورى » .

أحاديث نتحدث بها! فقال : أنا أعلم الناس بالحديث . قيل : فحدثنا . قال : حدثني عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة ، ثم سكت . ففيل له : هات ، ما الخلتان؟ قال : نسي عكرمة إحداهما ونسيت أنا الأخرى . وكان أشعب يحدث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول : حدثني عبد الله ، وكان يبغضني في الله . وكان أشعب يلزم طعام سالم بن عبد الله . ابن عمر رضي الله عنهم . فأشبهى سالم أن يأكل مع بناته فخرج إلى البستان ، فجاء أشعب إلى منزل سالم على عادته ، فأخبر بالقصة ، فأكترى جملاً بدرهم وجاء إلى البستان . فلما حاذى الحائط وثب فصار عليه ، فغطى سالم بناته بثوبه وقال : بناتي بناتي ! فقال أشعب : (لَقَدْ عَلِمْتِ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَرِيدُ) .

١٠

قال أشعب : جاءتني جارية بدينار وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلته بين ثني الفراش . فجاءت بعد أيام وقالت : بأبي أنت ! الدينار ، فقلت أرفعي فراشي وخذي ولده فإنه قد ولد ، وكنت قد تركت إلى جنبه درهماً ، فأخذت الدرهم وتركت الدينار . وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر فأخذته ، وفي الثالثة كذلك . وجاءت في الرابعة ، فلما رأيتهما بكيت ، فقالت : ما يبكيك ؟ قلت : مات دينارك في النفاس . فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ قلت : يا فاسقة ! تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس !

١٥

ومن أخباره المستظرفة ما حكاه المدائني ، قال : قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة فقلت : اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس ، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحداً شيئاً . فجئت إلى أمي ، فقالت : مالك قد جئت خائباً ؟ فأخبرتها بذلك ، فقالت : والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك . فرجعت

٢٠

بفعلت أقول : يا ربّ أقلني ، ثم رجعت ، فما مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم
إلا أعطوني ، ووهب لي غلام ؛ فجئت الى أمي بجمال موقرة من كل شيء . فقالت :
ما هذا الغلام ؟ نخفت أن أخبرها فتموت فرحا إن قلت : وهبوه لي . فقالت :
أى شيء هذا ؟ فقلت : غين . قالت : أى شيء [غين^(١)] ؟ قلت : لام . قالت :
أى شيء [لام^(١)] ؟ [قلت : ألف . قالت : وأى شيء ألف^(١)] ؟ قلت : ميم .
قالت : وأى ميم ؟ قلت : غلام ؛ فغشي عليها . واو لم أقطع الحروف لماتت
الفاسقة فرحا . قال : وجلس أشعب يوما الى جانب مروان بن أبان بن عثمان ؛
فانفلتت من مروان ريح لها صوت ؛ فانصرف أشعب يوهم الناس أنه هو الذي
خرجت منه الريح . فلما آنصرف مروان الى منزله جاءه أشعب فقال له : الدية ،
قال : دية ماذا ؟ قال : دية الضرطة التي تحملتها عنك ، وإلا شهرتك ؛ فلم يدعه
حتى أخذ منه شيئا صالحه عليه .

(١٣)

وقال محمد بن أبي قبيلة : غذى أشعب جدّيا بلبن أُمّه وغيرها حتى بلغ غاية ،
ثم قال لزوجته أُمّ آبنه وردان : إني أحبّ أن ترضعيه بلبنك ففعلت . ثم جاء به
الى إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فقال : تالله إنه لأبني ، رضع بلبن زوجتي ، قد
حبوتك به ، ولم أر أحدا يستأهله سواك . فنظر إسماعيل إليه وأمر به فذبح
وسُوط . فأقبل عليه أشعب وقال : المكافأة ؛ فقال : ما عندي والله اليوم شيء ،
ونحن من تعرف ، وذلك غير فائت لك . فلما يئس أشعب منه قام من عنده
فدخل على أبيه جعفر ، ثم أندفع فشهِق حتى التقت أضلّاعه ، ثم قال : أخلني .
قال : ما معنا أحد يسمع ، ولا عليك عين . قال : وثب آبنك إسماعيل على آبنى
فذبجه وأنا أنظر اليه . فارتاع جعفر وصاح : ويلك ! وفيم ؟ وتريد ماذا ؟ قال :

(١) الكلمة عن الأغاني (ج ١٧ ص ٨٥ طبع بولاق) .

أما ما أريد فوالله مالى فى إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبدا بعدك . فجراه خيرا وأدخله منزله وأخرج إليه مائى دينار فقال : خذ هذه ، ولك عندنا ما تحب . قال : ونخرج الى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطأ عليه ، فإذا به مسترسل فى مجلسه . فلما رأى وجه أبيه أنكره وقام إليه ؛ فقال : يا إسماعيل ، فعلتها بأشعب ! قتلت ولده ؟ قال : فاستضحك وقال : جاءنى ، وأخبره الخبر . فأخبره أبوه بما كان منه وما صار إليه . قال : فكان جعفر يقول لأشعب : رُعْنى راءك الله ! فيقول : روعة أبْنك بنا فى الجدى أكثر من روعتك بالمائى الدينار .

قال المدائنى : دخل أشعب على الحسين بن على رضى الله عنهما ، وعنده أعرابى قبيح المنظر ، مختلف الحلقة ؛ فسبح أشعب حين رآه وقال للحسين : بأبى أنت وأمى ، أتأذن لى أن أسلح عليه ؟ فقال : إن شئت . ومع الأعرابى قوس وكثانة ، ففوق نحوه سهمما ، وقال : والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها . فقال أشعب للحسين : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أخذنى القَوْلُجُ^(١) . وعنه قال : تَوْضاً أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى . فقليل له : لم تركت غسل اليمنى ؟ فقال : لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمتى غُرَّ محجلون من آثار الوضوء » وأنا أحب أن أكون أغرَّ محجلاً مطلق اليمنى . وقال : سمع أشعب حُبَّيْ المدينة تقول : اللهم لا تمنى حتى تغفر لى ذنوبى ؛ فقال لها : يا فاسقة ! أنت لم تسألى الله تعالى المغفرة ، وإنما سألته عمر الأبد ! (يريد : أن الله لا يغفر لها أبدا) .

وقال الزبير بن بكار : كان أشعب يوما فى المسجد يدعو ، وقد قبض وجهه

(١) القولنج (بضم القاف وقد تفتح ، وفتح اللام وقد تكسر) : مرض معوى مؤلم يعسر معه خروج

(٢) الذى فى الجامع الصغير : « أمتى يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء » .

فصَّيَّرَهُ كَالصَّبْرَةِ^(١) الْمَجْمُوعَةِ . فَرَأَاهُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ فَخَصَّبَهُ وَنَادَاهُ :
يَا أَشْعَبُ ، إِنَّمَا أَنْتَ تَنَاجِي رَبَّكَ فَنَاجِهِ بِوَجْهِ طَلِيقٍ . قَالَ : فَأَرْخِي لِحْيَيْهِ حَتَّى وَقَعَا
عَلَى زَوْرِهِ^(٢) . قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، وَقَالَ : وَلَا كُلَّ ذَا .

وَقَالَ مَصْعَبٌ : بَلَغَ أَشْعَبُ أَنَّ الْغَاضِرِيَّ قَدْ أَخَذَ فِي مِثْلِ مَذْهَبِهِ وَنَوَادِرِهِ ،
وَأَنَّ جَمَاعَةَ أَسْتَطَابُوهُ ؛ فَرَقَّبَهُمْ حَتَّى عَلِمَ أَنَّهُ فِي مَجْلَسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَرِيْشٍ يَحَادِثُهُمْ
وَيُضْحِكُهُمْ ، فَصَارَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ قَدْ نَحَوْتَ نَحْوِي ، وَشَغَلْتَ عَنِّي
مَنْ كَانَ يَأْلَفَنِي ؛ فَإِنْ كُنْتُ مِثْلِي فَاذْهَبْ كَمَا أَفْعَلُ . ثُمَّ غَضَّ وَجْهَهُ وَعَرَّضَهُ وَشَتَّجَهُ ،
حَتَّى صَارَ عَرَضُهُ أَكْثَرَ مِنْ طَوْلِهِ ، وَصَارَ فِي هَيْئَةٍ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ بِهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ
وَجْهَهُ حَتَّى كَادَ ذَقْنُهُ يَجُوزُ صَدْرَهُ ، وَصَارَ كَأَنَّهُ وَجْهَ النَّاطِرِ فِي سَيْفٍ ؛ ثُمَّ نَزَعَ ثِيَابَهُ
وَتَحَادَبَ ، فَصَارَ فِي ظَهْرِهِ حَدْبَةٌ كَسَنَامِ الْبَعِيرِ ، وَصَارَ طَوْلُهُ مَقْدَارَ شِبْرٍ ، ثُمَّ نَزَعَ
سِرَاوِيلَهُ ، وَجَعَلَ يَمْدُ جِلْدِ خَصْيَيْهِ حَتَّى حَكَ بِهِمَا الْأَرْضَ ، ثُمَّ خَلَّاهُمَا مِنْ يَدِهِ ،
وَجَعَلَ يَمِيسُ ، وَهُمَا يَنْخَطَانِ الْأَرْضَ ، ثُمَّ قَامَ فَتَطَاوَلَ وَتَمَدَّدَ وَطَلَى ، حَتَّى صَارَ كَأَطْوَلَ
مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ . فَضَحِكَ الْقَوْمُ حَتَّى أَغْمَى عَلَيْهِمْ ، وَقُطِعَ بِالْغَاضِرِيَّ فَمَا تَكَلَّمَ
بِنَادِرَةٍ وَلَا زَادَ عَلَى أَنْ يَقُولَ : يَا أَبَا الْعَلَاءِ ، لَا أَعَاوِدُ مَا تَكْرَهُ أَبَدًا ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ
وَتَخْرِيجُكَ ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ أَشْعَبُ وَتَرَكَهُ . ١٥

وَقَالَ الزَّيْبِرِيُّ بِنَّكَارٍ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، قَالَ : لَقِيَ أَشْعَبَ صَدِيقًا لِأَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ :
وَيْلَكَ يَا أَشْعَبُ ! كَانَ أَبُوكَ الْحَيُّ وَأَنْتَ أَقْطَ^(٣) ، فَإِلَى مَنْ خَرَجْتَ تَشْبَهُ ؟ قَالَ :
إِلَى أُمِّي .

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَالصَّبْرَةُ : الْمُنَاسِبُ مِنْ مَعَانِيهَا هُنَا أَنْ تَكُونَ بِالضَّمِّ بِمَعْنَى الْكُومَةِ الْمَجْتَمِعَةِ
مِنَ الطَّعَامِ وَغَيْرِهِ . وَفِي الْأَصُولِ : « كَالشَّعْرَةِ » . وَلَمْ نَجِدْ لَهَا مَعْنَى مُنَاسِبًا . ٢٠
(٢) الزَّوْرُ : وَسْطُ الصَّدْرِ . (٣) الْأَقْطُ : الْقَصِيرُ الشَّعْرُ .

- وقال الهيثم بن عدي : لقيت أشعبَ فقلت له : كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال : يسألونني عن أحاديث الملوك ، ويعطونني عطاء العبيد .
- وقال مصعب بن عثمان : لقي أشعبَ سالمُ بنُ عبد الله بن عمر ، فقال له : يا أشعب ، هل لك في هريس أُعِدَّ لنا ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأمي . فمضى أشعب إلى منزله ، فقالت له امرأته : قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك ، قال : ويحك ! إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها ، وعبد الله بن عمرو في يدي متى شئت ، وسالم إنما دعوته للناس فلتة ، وليس لي بدٌّ من المضى إليه . قالت : إذا يغضب عبد الله . قال : آكل عنده ثم أصير إلى عبد الله . بجاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالي . فقال له : كل يا أشعب ، وأبعث ما فضل عنك إلى منزلك . قال : ذلك أردت ، بأبي أنت وأمي . قال : فقال : يا غلام ، أحمل هذا إلى منزله ، فحملة ومشى أشعب معه . فقالت امرأته : ثكلتك أمك ، قد حلف عبد الله لا يكلمك شهرا ، قال : دعيني وإياه ، هاتي شيئا من زعفران ، فأعطته ، فأخذه ودخل الحمام ، فمسحه على وجهه وبدنه ، وجلس في الحمام حتى صفّره ، وخرج متوكأ على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان . فلما رآه حاجبه قال : ويحك ! بلغت بك العلة ما أرى . ودخل فأعلم صاحبه ، فأذن له . فلما دخل عليه ، إذا سالم بن عبد الله عنده ، فجعل يزيد في الرعدة ، ويقارب الخطو ، وجلس وما كاد أن يستقل . فقال عبد الله : ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك . فقال له سالم : ويلك ! مالك ؟ ألم تكن عندى أنفا وأكلت هريسة ! قال : لقد شُبّه لك ، لاحول ولا قوة إلا بالله . قال : لعل الشيطان يتشبه بك . قال أشعب : على وعلى - إن كنت رأيته منذ شهر . فقال له عبد الله : أعزب ويلك عن خالي ! أتبهته لا أتم لك ! قال : ما قلت إلا حقا . قال : بحياتي أصدقني وأنت آمن

من غضبي . قال : وحياتك لقد صدق ؛ وحديثه بالقصة ؛ فضحك حتى استلقى على قفاه .

وقال المدائني والهيثم بن عدي : بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أشعب بعد ما طلق امرأته سعدة ، فقال له : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلي رسالتى سعدة . فقال له : أحضر المال حتى أنظر اليه ، فأحضر الوليد بذرة ، فوضعها أشعب على عنقه ، وقال : هات رسالتك . قال : قل لها يقول لك :

أسعدة هل اليك لنا سبيل * وهل حتى القيامة من تلاق
بلى ! ولعل دهرًا أن يؤاتى * بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتًا وتقر عيني * ويجمع شملنا بعد افتراق

قال : فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه ، فأمرت ففرش لها فرش وجلست وأذنت له ؛ فدخل فأنشدها . فلما أنشد البيت الأول :

أسعدة هل اليك لنا سبيل * وهل حتى القيامة من تلاق
قالت : لا والله ، لا يكون ذلك أبدا . فلما أنشد البيت الثانى :

بلى ! ولعل دهرًا أن يؤاتى * بموت من حليلك أو طلاق

قالت : كلاً إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به . فلما أنشد البيت الثالث :

فأصبح شامتًا وتقر عيني * ويجمع شملنا بعد افتراق

قالت : بل تكون الشماتة به . ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال :

ياسيدي ، إنها عشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلك أو تبغكه كما بلغتنى . قال :

وما تهين لي ؟ قالت : بساطى الذى تحتى . قال : قومى عنه ؛ فقامت ، فطواه ،

ثم قال : هاتى رسالتك ، جعلت فداك ! قالت : قل له :

أَتَبِيكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا * فَقَدْ ذَهَبْتُ لَبْنَى فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟

فَأَقْبَلَ أَشْعَبُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ . فَقَالَ : أَقُوهُ قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ !
فَمَا تَرَانِي صَانِعًا بِكَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ ! إِيخْتَرْتُ إِمَّا أَنْ أُدْلِكَ مُنْكَسًّا فِي بَرٍّ ، أَوْ أُرْمِيكَ مِنْ
فَوْقِ الْقَصْرِ مُنْكَسًّا ، أَوْ أَضْرِبَ رَأْسَكَ بِعَمُودِي هَذَا ضَرْبَةً . قَالَ لَهُ : مَا كُنْتُ
فَاعِلًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لَتُعَذِّبَ عَيْنَيْنِ قَدْ نَظَرْنَا
إِلَى سَعْدَةَ ! قَالَ : صَدَقْتَ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ !

وَقَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدَى : كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ فِي إِشْخَاصِ أَشْعَبٍ مِنَ الْحِجَازِ
إِلَيْهِ ، فَحَمَلَ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، أَمَرَ أَنْ يُلْبَسَ ثِيَابًا ^(١) وَيُجْعَلَ لَهُ فِيهِ ذَنْبٌ قَرْدٌ ،
وَتَشَدَّ فِي رِجْلَيْهِ أَجْرَاسٌ ، وَفِي عُنُقِهِ جَلَاجِلٌ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ
عَجَبٌ مِنَ الْعَجَبِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ ضَحِكَ مِنْهُ ، وَكَشَفَ عَنْ ذِكْرِهِ ، قَالَ أَشْعَبُ : فَرَأَيْتَهُ
كَأَنَّهُ نَائٍ مَدْهُوونٌ ، فَقَالَ : أَسْجِدْ لِلْأَصَمِّ وَيْلَكَ ! يَعْنِي : أَيُّرَهُ ، فَسَجَدَتْ ، ثُمَّ رَفَعَتْ
رَأْسَی فَسَجَدَتْ أُخْرَى ، فَقَالَ لِي : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : الْأَوَّلَى لِلْأَصَمِّ وَالثَّانِيَةَ
لِخَصِيَّتِكَ ، فَأَمَرَ بِتَرْعٍ مَا كَانَ أَلْبَسْنِيهِ وَوَصَلَنِي وَلَمْ أَزَلْ مِنْ نَدَمَائِهِ حَتَّى قُتِلَ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ عَنْ ابْنِ أَشْعَبٍ
عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دُعِيَ ذَاتَ يَوْمٍ بِالْمَغْنِيِّينَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَكُنْتُ نَازِلًا مَعَهُمْ ،
فَقُلْتُ لِلرَّسُولِ : خُذْنِي فِيهِمْ ، قَالَ : لَمْ أَوْصِرْ بِكَ ، إِنَّمَا أَمَرْتُ بِإِحْضَارِ الْمَغْنِيِّينَ ،
وَأَنْتَ بَطَّالٌ لَا تَدْخُلُ فِي جَمْلَتِهِمْ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا وَاللَّهِ أَحْسَنُ غِنَاءً مِنْهُمْ ، ثُمَّ أَنْدَفَعْتُ
فَغَنَيْتُ . فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ حَسَنًا ، وَلَكِنْ أَخَافُ . قُلْتُ : لَا خَوْفَ عَلَيْكَ ، وَلَكِ
مَعَ ذَلِكَ شَرٌّ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ : كُلُّ مَا أَصَبْتُ فَلَكَ شَطْرُهُ ، فَأَشْهَدُ عَلَى

(١) الثِّبَانُ (بُوزْنُ رِمَانٍ) : سِرَاوِيلُ قَصِيرِ السَّوَرِ .

- الجماعة، ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقيس النفس، فغناه المغنون في كل فن فلم يتحرك ولم ينشط . فقام الأبحر إلى الخلاء، وكان خبيثا داهيا، فسأل الخادم عن خبره، فقال: بينه وبين امرأته شر، لأنه عشيّق أختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف ألا يذكها أبداً بمراسلة أو مخاطبة، فخرج على هذه الحال من عندها . فعاد الأبحر إلينا، وجلس ثم أندفع يغنى :
- فبينى فإنى لا أبالى وأيقينى * أصعد باقى حبكم أم تصوبا
ألم تعلمى أنى عزوف عن الهوى * إذا صاحبى من غير شىء تغضبا
- فطرب الوليد وأرتاح، وقال للأبحر: أصبت والله يا عبيد ما فى نفسى، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشىء سوى الأبحر. فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبتت فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربنى مائة سوط الساعة بخضرتك! فضحك. ثم قال: قبّحك الله! وما السبب فى ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له: إنه بدأنى بالذكروه فى أوّل يومه فاتصل على^(١) إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدى مثلها . فقال: لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين دينارا من مالنا عوض الخمسين التى أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وأنصرفت .
- وقال عبدة بن أشعب: غضبت سكينه على أبى فى شىء خالفها فيه، فخلفت لتحلقن لحيته . فقال له الحجام: أنفخ أشداقك حتى أتمكن منك، فقال له أشعب: يابن البظراء، أمرتك أن تحلق لحيتى أو تعلمنى أزمى! أخبرنى عن أمرأتك إذا أردت أن تحلق حرها تنفخ أشداقه! فغضب الحجام وحلف ألا يحلق لحيته وأنصرف . فبلغ سكينه الخبر، فضحكت وعفت عنه .

(١) فى الأغاني: « بما اتصل » .

- قال ابن زَبَّج^(١) : كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم^(٢) ، فبينما نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب ، إذ أقبل أعرابي معه جمل ، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفعى ، والشريرين^(٣) في وجهه ، مايدنو منه أحد إلا شتمه ونهره ؛ فقال أبان : هذا والله من البادية ، ادعوه لي ، فدعوه له وقيل : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك ؛ فأتاه فسلم عليه ، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه ، فانتسب له . فقال له أبان : حيّاك الله يا خال ، اجلس ، فجلس . فقال له : إني أطلب جملاً مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف ، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه ، أتبعني ؟ فقال : نعم أيها الأمير . قال : إني قد بذلت لك به مائة دينار ، فطمع الأعرابي وسرّ بذلك وانتفخ ، وبان الطمع في وجهه . فأقبل أبان على أشعب ثم قال له : ويلك يا أشعب ! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك (يعني : في الطمع) فأوسع له مما عندك ؛ قال : نعم ، بأبي أنت وزيادة . فقال له أبان : يا خال ، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجمل يساوي ستين ديناراً ، ولكنني بذلت لك مائة دينار لقلّة النقد عندنا ، وإني أعطيك عروضا تساوي مائة دينار ، فزاد طمع الأعرابي وقال : قد قبلت ذلك أيها الأمير . وأسّر أبان إلى أشعب ، فأخرج شيئاً مغطى ، فقال له : أخرج ما جئت به ؛ فأخرج ١٥ جرد عمامة تساوي أربعة دراهم . فقال له : قومها يا أشعب . فقال : عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقى فيها الخلفاء ! خمسون ديناراً . قال : ضعها بين يديه ، وقال لابن زَبَّج : أثبت قيمتها ، فكتب ذلك ، ووضع العمامة بين يدي الأعرابي ؛

(١) كذا في الأغاني (ج ١٧ ص ١٠٢ طبع بولاق) . وزبنج بفتح الزاي والباء وفتح النون مشددة ،

٢٠ راوية ابن هرمة . وفي الأصول « ربيع » وهو تصحيف .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « وأولعهم » وهو تحريف .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « البابة » .

فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام . قال : هات قلنسوتي ،
 فأخرج قلنسوة طويلة خلقةً^(١) قد علاها الوسخ والدُّهن وتخرقت تساوى نصف درهم .
 قال : قوم ، فقال : قلنسوة الأمير تعلوها مته ، ويصلي فيها الصلوات الخمس ،
 ويجلس فيها للحكم ! ثلاثون ديناراً . قال : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووُضعت القلنسوة
 بين يدي الأعرابي فاربّد وجهه وحفظت عيناه وهم بالوثوب ، ثم تماسك وهو
 مقلقل . ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خُفَيْن خُلَقَيْن قد نُقبا وتَقَشَّرا
 وتفتّتا ، فقال : قوم ، فقال : خُفّا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلوهما منبر النبي
 صلى الله عليه وسلم ! أربعون ديناراً ، فقال : ضعهما بين يديه . ثم قال للأعرابي :
 أضمم إليك متاعك ، وقال لبعض الأعوان : آمض مع الأعرابي وأقبض ما بقي لنا
 عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً . فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب
 به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي ، ثم قال له : أتدرى في أي شيء أموت ؟ قال
 لا ، قال : لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك ! ثم نهض كالمجنون
 حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان حتى سقط ، وضحك من كان معه . فكان
 الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له : هلم إلى يابن الحبيشة ، حتى أكافئك^(٢)
 على تقويمك المتاع يوم قومت ، فيهرب منه أشعب .

(١٦)

ونقل الزبير بن بكار عن عمه : تظلمت امرأة أشعب منه إلى أبي بكر بن محمد
 ابن عمرو بن حزم ، فقالت : لا يدعني هذا من كثرة الجماع ، فقال له أشعب : أتراني
 أعلف ولا أركب ؟ فلتكفف ضررَها لا كيف أرى .

(١) في الأصل «خلقة» وهو خطأ ، يقال : ثوب خلق وجبة خلق بغيرها .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : «كيف لا أدركت» .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصول : «قيمةك» ، وهو تحريف .

وقال المدائني : حدثني شيخ من أهل المدينة قال : كانت امرأة شديدة العين ، لا تنظر الى شيء فتستحسنه إلا عاتته ؛ فدخلت على أشعب وهو في الموت ، وهو يقول لأبنته : يا بنية ، إذا أنا مت فلا تنديني ، والناس يسمعونك ، وتقولين : واأبتاه ، أندبك للصوم والصلاة ، للفقهاء والقرآن ، فيكذب الناس ويلعنوني . ثم آلتفت فرأى المرأة ، فغطى وجهه بكفه وقال لها : يا فلانة ، بالله إن كنت أستحسنت شيئا مما أنا فيه ، فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تُهاكيني ؛ فغضبت المرأة وقالت : سخنت عينك ! وفي أي شيء أنت مما يستحسن ؟ أنت في آخر رمق ! قال : قد علمت ، ولكن قلت لئلا تكوني قد أستحسنيت خفة الموت على سهولة النزع ، فيشتد ما أنا فيه . فخرجت من عنده وهي تسبه ، وضحك من كان حوله من كلامه ومات .

١٠ ذكر شيء من نوادر أبي دُلّامة

هو أبو دُلّامة زَند بن الجَوْن . وزند بالنون . وهو كوفي ، أسود ، مولى لبني أسد ؛ كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له قصاص قص ، فأعتقه . وأدرك آخر زمن بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم ، ونبغ في أيام بني العباس ، فانقطع الى أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور والمهدي ، وكانوا يقدّمونه ويفضّلونه ويستطيّبون مجالسته ونوادره .

١٥

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو دُلّامة رديء المذهب ، مرتبكا للخطأ ، مضيقا للفروض ، متجاهرا بذلك ؛ وكان يُعلم هذا منه ويُعرف به ، فَيَتَجافى عنه للطف محله . وله أخبار وأشعار ليس هذا موضع ذكرها ، وإنما ثبت في هذا الموضع ما له من نادرة أو حكاية مستظرفة . فمن ذلك أنه دخل على أبي جعفر المنصور ،

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « ولكن قد لا تكونين » وهو تحريف .

٢٠

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد والقلائس الطوال، ^(١) تدغم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ). فلما دخل عليه أبو دلامة في هذا الزي قال له المنصور: ما حالك؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهي في نصفي، وسيفي في آستي، وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبذت كتاب الله وراء ظهري؛ ثم أنشد:

وكنا نرجى منحةً من إمامنا * بجاءت بطول زاده في القلائس
تراها على هام الرجال كأنها * دنانير ^(٢) يهود جلت بالبرانس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلك، وقال: إياك أن يسمع هذا منك أحد.

وحدثني عنه: أنه كان واقفا بين يدي السفاح أو المنصور، فقال له: سئني حاجتك؛ فقال أبو دلامة: كلب صيد؛ قال: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلام يقود الكلب ويتصيد به؛ قال: أعطوه غلاما. قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه؛ قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد لهم من دار يسكنونها؛ قال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: فإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال: قد أقطعتك مائة جريب عامرة ^(٣) ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: مالا نبات فيه. قال: قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد. فضحك وقال:

(١) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ١ طبع بولاق). وفي الأصول: «وتدغم».

(٢) كذا في الأغاني. وفي الأصول: «ديار» وهو تجريف.

(٣) في الأغاني: «عبيدك».

(٤) الجريب: مقدار معين من مساحة الأرض.

آجعلوا المائتين كلها عامرة . قال : فأذن لي أن أقبل يدك ؛ قال : أما هذه فدعها ، فإنني لا أفعل . قال : والله ما منعت عيالي شيئا أقلّ عليهم ضررا منها .

وروي : أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

- إن الخليط أجتدوا البين فانتجعوا * وزودوك خبالاً بئس ما صنعوا
والله يعلم أن كادت ، لبيّنهم * يوم الفراق ، حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتي يوماً وأمهم * أم الدّلامة لما حاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة * هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان ، أوجهنا * سود قباح ، وفي أسمائنا شنع
إذا تشككت إلى الجوع ، قلت لها * ما حاج جوعك إلا الرى والشبع^(١)
أذا بك الجوع مذ صارت عيالتنا * على الخليفة منه الرى والشبع
لاوالدى يا أمير المؤمنين قضى * لك الخلافة في أسبابها الرفع
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله * دوني ودون عيالي ثم تضطجع^(٢)
شوهاء مشناة في بطنها ثجل^(٣) * وفي المفاصيل من أوصافها فدع^(٤)
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله ترتجع
فأخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة^(٥) * أنت تتلو كتاب الله يا لكع^(٦)!

(١٧)

(١) ورد هذا البيت في الأصول : « قالت أذا بك قد صارت الخ ... » . وهو تحريف . وقد أورد صاحب الأغاني هذا البيت على أنه رواية أخرى في البيت قبله وهي الرواية الجيدة . ولذلك كانا منحدي القافية .

(٢) مشناة : قبيحة . (٣) الثجل : عظم البطن وأسترخاؤه .

(٤) الفدع : اعوجاج الرسغ في اليد أو الرجل .

(٥) أخرنطمت : رفعت أنفها استكباراً أو غضباً .

(٦) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « مصغية » وهو تحريف .

أُخْرِجْ تَبَغُّ لَنَا مَالًا وَمَزْرَعَةً * كَمَا لَجِيرَانَتَا مَالٌ وَمُزْدَرَعٌ
وَأَخَذَعُ خَلِيفَتَنَا عَنَّا بِمَسْأَلَةٍ * إِنَّ الْخَلِيفَةَ لِلسُّؤَالِ يَنْخَدَعُ

قال : فضحك أبو جعفر وقال : أرضوها عنه بمائتي جريب عامرة — ويروى ستمائة جريب عامرة وغامرة — فقال : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : أجعلوها كلها عامرة .
قال : ولما توفي السفاح دخل أبو دُلَامة على المنصور والناس عنده يعزّونه ، فقال :

أَمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا تَحْوِيلًا
وَيْلٌ عَلَيْكَ وَوَيْلٌ أَهْلِي كُلَّهُمْ * وَيْلًا وَعَوْلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بَعْبْرَةً * وَلْتَبْكِينَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا
مَاتَ النَّدَى إِذْ مَتَّ يَا بَنَ مُحَمَّدٍ * فَجَعَلْتَهُ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلًا
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بَعْدَكَ كُلَّهُمْ * فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مِنْ سَأَلْتُ بِخِيَلًا
أَلِشَّقَوَتِي أُخَرْتُ بَعْدَكَ لِلَّتِي * تَدْعُ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلًا ؟
فَلَا حَلِفَ يَمِينٍ حَقٌّ بَرَّةً * تَاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بَعْدَكَ سَوِيلًا

قال : فأبكى الناس قوله . فغضب المنصور غضبًا شديدًا وقال : إن سمعتك تُنشد

هذه القصيدة لأقطعن لسانك . قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين

كان لي مكرما ، وهو الذي جاء بي من البدو ، كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ . فسرى عن

المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دُلَامة ، فسل حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان

أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها . فقال

المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء (وأشار إلى جماعة ممن حضر) فوثب سليمان

ابن جُبالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دُلَامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي

(١) أيوب الخازن [وهو مغيظ] : ياسليمان أدفعها إليه وسيره الى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن عليّ ، وكان قد خرج بالشام وأظهر الخلاف) فوثب أبو دلامة وقال : يا أمير المؤمنين ، أعيدك بالله أن أخرج معهم ، والله إني مشئوم . قال المنصور : إمض فإن يميني يغلب شؤمك . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أحب أن يجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر ، فإني لا أدري أيهما يغلب : يمينك أو شؤمي ؛ إلا أني بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربة . فقال : دعني وهذا ، فمالك من الخروج بد . قال : فإني أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكراً كلها هُزمت ، وكنت سببها ، فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك تمام العشرين فافعل . فضحك المنصور وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

١٠ وعن جعفر بن حسين اللّهيّ قال : حدثني أبو دلامة قال : أتني بي المنصور أو المهديّ وأنا سكران ، فحلف ليُخرجني في بعث حرب ؛ فأخرجني مع رُوح بن حاتم المهلبيّ لقتال الشّراة (٢) . فلما ألتقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتی فرسك ومعى سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه ! فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن اليك ذلك ولأخذتك بالوفاء بشرطك ؛ فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إليّ ، ودعا بغيره فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي قلت : أيها الأمير،

١٥ هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت أبياتا فاسمعها . قال : هات ، فأنشدته :

إني أستجرتك أن أقدم في الوغى * لتطاعين وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة * وتركتها ومضيت في الهُراب
ماذا تقول لما يحى ولا يرى * من بادرات الموت بالنشّاب

(١٨)

فقال : دع هذا عنك ، وبرز رجل من الخوارج يدعو الى المبارزة فقال :
 اخرج اليه يا أبا دُلَامة . فقال : أَنَسُودُكَ اللهُ أَيُّهَا الأمير في دمي . فقال : والله
 لَتَخْرُجَنَّ ! فقلت : أَيُّهَا الأمير ، فإنه أقول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا
 والله جائع ما تَبِعْتُ مِنِّي جَارِحَةً مِنَ الْجُوعِ ، فَمُرْ لِي بِشَيْءٍ آكَلُهُ ثُمَّ أَخْرُجْ ، فَأَمَرَ لِي
 بِرَغِيفَيْنِ وَدَجَاجَةٍ ، فَأَخَذْتُ ذَلِكَ وَبَرَزْتُ عَنْ الصَّفِّ . فلما رَأَى الشَّارِي أَقْبَلَ
 نَحْوِي وَعَالِيهِ فَرَوْهُ قَدْ أَصَابَهُ الْمَطَرُ فَابْتَلَّ ، وَأَصَابَتْهُ الشَّمْسُ فَأَقْفَعَلَّ^(١) وَعَيْنَاهُ تَقْدَانُ ،
 فَاسْرِعْ إِلَيَّ ، فقلت : عَلَى رِسْلِكَ يَا هَذَا ! فوقف ، فقلت : أَتَقْتُلُ مِنْ لَا يِقَاتِلُكَ ؟
 قَالَ لَا . قلت : أَتَسْتَحِلُّ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا عَلَى دِينِكَ ؟ قَالَ لَا . قلت : أَفَتَسْتَحِلُّ
 ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ مِنْ تَقَاتِلَهُ إِلَى دِينِكَ ؟ قَالَ : لَا ، فَازْهَبْ عَنِّي إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ،
 فقلت : لَا أَفْعَلُ أَوْ تَسْمَعُ مِنِّي . قَالَ : قُل . فقلت : هَلْ كَانَتْ بَيْنَنَا عِدَاوَةٌ أَوْ تَرَةً
 أَوْ تَعْرِفُنِي بِحَالٍ تُحْفِظُكَ عَلَيَّ أَوْ تَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِكَ وَتَرَا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قلت :
 وَلَا أَنَا وَاللَّهِ لَكَ إِلَّا عَلَى جَمِيلٍ [الرَأْيُ] ، فَإِنِّي لِأَهْوَاكَ وَأَتَحِلُّ مَذْهَبَكَ وَأَدِينُ دِينَكَ^(٢)
 وَأُرِيدُ السُّوءَ لِمَنْ أَرَادَكَ . فقال : يَا هَذَا ، جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَانصِرْف . قلت : إِنْ مَعِيَ
 زَادًا أُرِيدُ أَنْ آكَلَهُ وَأُرِيدُ مَوَاكِلَتَكَ لِتَتَوَكَّدَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا وَيَرَى أَهْلُ الْعَسْكَرِينَ هَوَانَهُمْ
 عَلَيْنَا ، قَالَ : فَافْعَلْ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ حَتَّى اخْتَلَفْتُ أَعْنَاقَ دَوَابِّنَا وَجَمَعْنَا أَرْجُلَنَا عَلَى
 مَعَارِفِهَا وَجَعَلْنَا نَأْكُلُ وَالنَّاسُ قَدْ غُلِبُوا ضَحْكَاً . فلما آسْتَوْفِينَا وَدَعْنِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ :
 إِنْ هَذَا الْجَاهِلُ ، إِنْ أَقَمْتَ عَلَى طَلَبِ الْمُبَارَاةِ نَدَبْنِي إِلَيْكَ فَتَتَعَبُ وَتُتْعِبُنِي ، فَإِنْ
 رَأَيْتَ إِلَّا تَبْرَزُ الْيَوْمَ فَافْعَلْ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَانصِرْفْ وَانصِرْفَتْ . فقلت لروح :
 أَمَا أَنَا فَقَدْ كَفَيْتُكَ قِرْنِي ، فَقُلْ لَغَيْرِي يَكْفِيكَ قِرْنَهُ كَمَا كَفَيْتَكَ . وَخَرَجَ آخِرُ يَدْعُو
 إِلَى الْبِرَازِ ، فَقَالَ لِي : اخْرُجْ إِلَيْهِ ، فقلت :

(١) افعل : تقبض . (٢) زيادة عن الأغاني .

إني أعوذ بروح أن يُقَدِّمَنِي * إلى القتال فتخزي بي بنو أسد
 إن البراز إلى الأقران أعلمه * مما يُفَرِّق بين الروح والجسد
 قد حالفتك المنايا إذ رُصِدَتْ لها * وأصبحت لجميع الخلق كالرَّصَدِ
 إن المهلب حب الموت أورثكم * فما ورثت اختيار الموت عن أحد
 لو أن لي مهجة أخرى لجُدْتُ بها * لـمـكنها خلقت فرداً فلم أجِدْ

٥

قال : فضحك روح وأعفاني .

قال : وشرب أبو دلامة في بعض الحانات وسكر ، فشئى وهو يميل ، فلقبه
 العسس فأخذه ، فقيل له : من أنت ؟ وما دينك ؟ فقال :

ديني على دين بنى العباس * ما خُتِمَ الطين على القرطاس
 إذا اصطحبت أربعا بالكاس * فقد أدار شربها براسي

١٠

* فهل بما قلت لكم من باس *

فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه ، وأتى به إلى أبي جعفر ، فأمر بحبسه مع الدجاج
 في بيت . فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد ، وهو
 مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزُفَاء^(٢) الديك . فلما أكثر قال له السجنان :
 ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت في الحبس ، وأنا فلان
 السجنان . قال : ومن حبسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ومن خرق طيلساني ؟
 قال : الحرس . فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس ، ففعل فأتاه ، فكتب إلى
 أبي جعفر المنصور يقول :

أمير المؤمنين فدتك نفسي * علام حبستني وخرقت ساجي

٢٠

(١) الساج : الطيلسان .

(٢) الزفء : الصياح .

أَمِنْ صُهْبَاءَ صَافِيَةِ الْمِزَاجِ * كَأَنَّ شِعَاعَهَا لَهَبُ السَّرَاجِ
وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ حَتَّى * لَقَدْ صَارَتْ مِنَ النَّطْفِ النَّضَاجِ
تَهَشُّ لَهَا الْقُلُوبُ وَتَشْتَهِيهَا * إِذَا بَرَزَتْ تَرَقُّقٌ فِي الزُّجَاجِ
أُقَادُ إِلَى السَّجُونِ بِغَيْرِ جُرْمٍ * كَأَنِّي بَعْضُ عَمَّالِ الْخِرَاجِ!
فَلَوْ مَعَهُمْ حُبِسْتُ لَكَانَ سَهْلًا * وَلَكِنِّي حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ
وَقَدْ كَانَتْ تُخَبِّرُنِي ذُنُوبِي * بِأَنِّي مِنْ عِقَابِكَ غَيْرُ نَاجِ
عَلَى أَنِّي وَإِنْ لَاقَيْتُ شَرًّا * لِحَيْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ رَاجِي

فاستدعاه المنصور وقال : أين حبست يا أبا دُلَامة ؟ قال : مع الدجاج . قال :
فما كنت تصنع ؟ قال : أقوق^(١) معهم إلى الصباح ، فضحك وخلق سبيله وأمر له
بجائزة . فلما خرج قال الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله :
وَقَدْ طُبِخَتْ بِنَارِ اللَّهِ ؟ (يعني الشمس) قال : لا والله ، ما عَنَيْتُ إِلَّا نَارَ اللَّهِ
الموقدة التي تَطْلُعُ عَلَى فُؤَادِ الرَّبِيعِ . فضحك المنصور وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود
التعرض له .

وَرُوي عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : دَخَلَ أَبُو دُلَامة عَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ
وَعِيسَى بْنُ مُوسَى وَالْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ
لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَنَا أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا إِنْ لَمْ تَهْجُ وَاحِدًا مِمَّنْ فِي الْبَيْتِ ، لَا تُقَطِّعَنَّ لِسَانَكَ
أَوْ لِأُضْرِبَنَّ عُنُقَكَ . فنظر إليه القوم ، وكلما نظر إلى أحد منهم غمزه بأن على
رضاك . قال أبو دُلَامة : فعلمت أني قد وقعت وأنها عزيمة من عزماته لا بد
منها ، فلم أر أحدًا أحق بالهجاء مني ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت :
أَلَا أبلغُ لَدَيْكَ أبا دُلَامة * فلست من الكرام ولا كرامه

(١) أقوق : أصبح .

(١) إذا لبس العمامة كان قِرْدًا * وخنزيراً إذا نزع العمامة
 جمعت دمامةً وجمعت لؤماً * كذاك اللؤم تتبعه الدمامة
 فإن تك قد أصبت نعيم دنيا * فلا تفرح فقد دنت القيامة
 فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه .

- ٥ قال : وخرج المهديّ وعليّ بن سليمان الى الصيد ، فسنح لهما قطع من ظباء ،
 فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل ، ورمى المهديّ سهماً فأصاب ظبياً ، ورمى
 عليّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله ، فقال أبو دلّامة :
 قد رمى المهديّ ظبياً * شكّ بالسهم فؤاده
 وعليّ بن سليما * ن رمى كلباً فصاده
 ١٠ فهنيئاً لهما ككلّ أمرئ يا كل زاده

- فضحك المهديّ حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق والله أبو دلّامة ، وأمر
 له بجائزة سنّية ، فلقّب عليّ بن سليمان بعد ذلك صائد الكلب ، فغلب عليه .
 قال : وتوفيت حمادة بنت عيسى ، وحضر المنصور جنازتها ، فلما وقف على حُفرتها
 قال لأبي دلّامة : ما أعددت لهذه الحُفرة ؟ قال : آبنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت
 عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها . فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه .
 ١٥ قال الهيثم بن عديّ رحمة الله عليه : حجّت الخيزران ، فلما خرجت ، صاح
 أبو دلّامة : جعلني الله فداك ، الله الله في أمرى ! فقالت : من هذا ؟ قالوا : أبو دلّامة .
 فقالت : سلوه ما أمره ، قالوا له : ما أمرك ؟ قال : أدنوني من مَجلها ، قالت
 أدنوه ، فأدنى ، فقال لها : أيتها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرك فيّ عظيم . قالت :

فمه ! قال : تَهَيَّيْنِي جَارِيَةً مِنْ جَوَارِيكَ تُؤْنِسْنِي ، وَتَرْفُقُ بِي وَتُرِيحُنِي مِنْ عَجْوزٍ عِنْدِي ؛
 قَدْ أَكَلْتُ رِفْدِي ، وَأَطَالَتُ كَدِّي ؛ فَقَدْ عَافَ جِلْدِي جِلْدَهَا ، وَتَشَوَّقْتُ فَقْدَهَا .
 فَضَحَكَتِ الْخِيزْرَانُ وَقَالَتْ : سَوْفَ أَمْرُكَ بِمَا سَأَلْتَ . فَلَمَّا رَجَعَتْ تَلَقَّاهَا وَأَذْكَرَهَا
 وَخَرَجَ مَعَهَا إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَقَامَ حَتَّى غَرَضُ^(١) . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمِّ عَيْيِدَةَ حَاضِنَةِ مُوسَى
 وَهَارُونَ فَدَفَعَ إِلَيْهَا رُقْعَةً قَدْ كَتَبَ بِهَا إِلَى الْخِيزْرَانِ ، فِيهَا :

أَبْلَغْنِي سَيِّدَتِي بِاللَّهِ يَا أُمُّ عَيْيِدَةَ
 أَنَّهَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ وَإِنْ كَانَتْ رَشِيدَةً
 وَعَدْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ لِلْحَجِّ وَلِيَدِهِ
 فَتَأْتِيْتُ وَأَرْسَلْتُ بَعْشَرِينَ قَصِيدَةً
 كُلَّمَا أَخْلَقْنَ أَخْلَفْتُ لَهَا أُخْرَى جَدِيدَةً
 لَيْسَ فِي بَيْتِي لَتْمٌ لِيَدِ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَةٍ
 غَيْرِ عَجْفَاءٍ عَجْوزَ * سَاقَهَا مِثْلَ الْقَدِيدَةِ
 وَجْهَهَا أَقْبَحَ مِنْ حَوْ * تَطَرَّى فِي عَصِيدَةٍ
 مَا حَيَاةٍ مَعَ أَتْنِي * مِثْلَ عَرْسِي بِسَعِيدَةٍ

فَلَمَّا قُرِئَتْ عَلَيْهَا ، ضَحَكَتْ وَدَعَتْ بِجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا فَائِقَةَ الْجَمَالِ ، فَقَالَتْ لَهَا :
 خُذِي كُلَّ مَالِكَ فِي قَصْرِي ، فَفَعَلْتُ ؛ ثُمَّ دَعَتْ بَعْضَ الْخُدَمِ وَقَالَتْ لَهُ : سَلِّمِهَا
 إِلَى أَبِي دُلَامَةِ . فَاذْهَبِي إِلَى الْخَادِمِ بِهَا فَلَمْ يَصَادَفْهُ فِي مَنْزِلِهِ ؛ فَقَالَ لِأَمْرَأَتِهِ : إِذَا رَجَعْتَ
 أَبْذِلْ لَهَا دُلَامَةَ فَادْفَعِيهَا إِلَيْهِ وَقُولِي لَهُ : تَقُولُ لَكَ السَّيِّدَةُ : أَحْسِنُ صُحْبَةَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ فَقَدْ
 أَمَرْتُكَ بِهَا . فَقَالَتْ لَهُ نَعَمْ . فَلَمَّا خَرَجَ الْخَادِمُ دَخَلَ أَبْنَاهُ دُلَامَةَ فَوَجَدَ أُمَّهُ
 تَبْكِي ؛ فَسَأَلَهَا عَنْ خَبَرِهَا فَأَخْبَرَتْهُ وَقَالَتْ : إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَبْرِّئَنِي يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَالْيَوْمَ .

- قال : قولى ما شئت فإنى أفعله . قالت : تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها وتطؤها
تتحرّمها عليه وإلا ذهبت بعقله بخفاني وجفأك ، ففعل ودخل الى الجارية فوطئها
ووافقها ذلك منه ، وخرج . فدخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية؟ قالت :
فى ذلك البيت ، فدخل اليها شيخ محطّم ذاهب ، فمّد يده اليها وذهب ليقبلها ، فقالت :
مالك ويحك ! تتحّ وإلا لطمتك لطمهً دققت منها أنفك . فقال لها : أبهذا أوصتك
السيدة ؟ قالت : إنها بعثت بى الى فتى من هيئته وحاله كيت وكيت ، وقد كان
عندى آنفا ونال منى حاجته . فعلم أنه قد دهي من أمّ دُلامة وأبناها . فخرج أبو دلامة
الى دُلامة فلطمه وليبه^(١) وحلف ألا يفارقه إلا الى المهديّ . فمضى به مُلبيا^(٢) حتى
وقف بباب المهديّ ، فعرف خبره ، وأنه جاء بابنه على تلك الحال . فأمر بإدخاله
فلما دخل قال : مالك ؟ قال : فعل بى هذا ابن الخبيثة ما لم يفعله ولد بأبيه ، ولا يرضينى
إلا أن تقتله . قال : ويحك ! وما فعل بك ؟ فأخبره الخبر ، فضحك حتى استاقى
ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعله فتضحك منه ؟ ! فقال : على بالسيف
والنّطع . فقال له دُلامة : قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين ، فاسمع حجّتى . قال :
هات ! قال : هذا الشيخ أصفق الناس وجها ، هو يفعل بأمرى منذ أربعين سنة
ما غَضِبْتُ ، وفعلتُ أنا يجاريته مرةً واحدة غَضِبَ وصنع بى ما ترى . فضحك
المهديّ أشدّ من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعها له يا أبا دُلامة ، وأنا أعطيك خيرا
منها ، قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض وإلا فعل بها والله كما فعل بهذه ،
فتقدّم الى دُلامة ألا يعاود مثل فعله ، وحلف أنه إن عاود قتله ، ثم وهب له جارية .

(١) كذا فى الأغانى . وليبه : جمع ثيابه عند صدره ونحره وجره . وفى الأصول : « وتلب به »

٢٠ وتلب بالشيء : تحزم به وهى غير لائقة .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول . « متلبيا به » .

قال عبد الله بن صالح رحمه الله : جاء ابن أبي دُلّامة يوما الى أبيه وهو في محفل من جيرانه وعشيرته يجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخى كما ترون قد كبر سنّه ورقّ جلده ودقّ عظمه ، وبنا الى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أُشير عليه بالشئ يُمسك رُمقه ويبقى قوّته فيخالفنى فيه ، وإنى أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لى أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته ، فأسعفونى بمسألته معى .

فقالوا : نفعل حبا وكرامة ، ثم أقبلوا على أبي دُلّامة بالسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضى ابنه وهو ساكت ، قال : قولوا للخبث فليقل ما يريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية . فقالوا له : قل ؛ فقال : إن أبى إنما قتله كثرة الجماع ، فتعاونونى حتى أخصيه ، فإن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون أصحّ لجسمه وأطول لعمره . فعجبوا بما أتى به وضحكوا . ثم قالوا لأبى دُلّامة : قد سمعتَ فأجب . قال : قد سمعتم أنتم فعزفتكم أنه لم يأت بخير . قالوا : فما عندك فى هذا ؟ قال : قد جعلتُ أمه حكما فيما بينى وبينه ، فقوموا بنا اليها . فقاموا بأجمعهم ودخلوا اليها ، وقصّ أبو دُلّامة القصة عليها وقال : قد حَكَمْتُكَ . فأقبلت على الجماعة فقالت : إن أبى هذا أبقاد الله قد نصح أباه ولم يأل جهدا ، وما أنا إلى بقاء أبيه أحوج منى الى بقاءه ، وهذا أمر لم يقع به تجربة منّا ولا جرى بمثله عادة لنا ؛ وما أشك فى معرفته بذلك ، فليبدأ بنفسه فليخصمها ، فاذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا آستعمله أبوه . فضحك أبوه والقوم وأنصرفوا يعجبون من خبثهم جميعا .

ومنهم أبو صدقة .

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « ما أنا إلا الى » .

ذكر شيء من نوادر أبي صدقة

- هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش . قال أبو الفرج :
- وكان مليح الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة ، من أكثر الناس نادرة وأخفهم رُوحاً وأشدّهم طمعا وألحهم مسألة ، وهو من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز في أيامه . قيل : إنه عوتب على كثرة إلحاحه في المسألة ، فقال : وما يمنعني من ذلك ، وأسمى مسكين وكنيتي أبو صدقة وأبنتي فاقة وأبني صدقة ، فمن أحقُّ بهذا مني ؟ وكان الرشيد يعبت به كثيرا ، فقال ذات يوم لمسرور : قل لأبن جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلز و برصوما وابن أبي مريم المديني : إذا رأيتموني قد طابت نفسي ، فليسأل كل واحد منكم حاجة ، مقدارها مقدار صلته ، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك ، وأمرهم أن يكتبوا أمرهم عن أبي صدقة ، فقال لهم مسرور ما أمر به الرشيد . ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه لهم . فلما جلس قال له :
- يا أبا صدقة ، لقد أضجرتني بكثرة مسألتك وأنا في هذا اليوم ضجر وأحببت أن أتفرج وأفرح ، ولست آمن أن تنغص عليّ مجلسي بمسألتك ، فإما أن تعفيني أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف . فقال له : لست من يومى هذا الى شهر أسألك حاجة . فقال له الرشيد : أما إذ شَرطت لى هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك بخمسمائة دينار وهاهى ذه نخذها طيبة معجلة ، فإن سألتني شيئا بعدها من هذا اليوم فلا لوم عليّ إن لم أصلك سنة بشيء . فقال : نعم وسنتين . فقال له الرشيد : زدنى في الوثيقة . فقال : قد جعلت أمر أم صدقة في يدك فطلّقها متى شئت ، إن شئت واحدة وإن شئت ألفا إن سألتك في يومى هذا حاجة ، وأشهدتُ الله ومن حضر على ذلك . فدفع اليه المال ، ثم أذن للجلساء والمغنين فدخلوا وشرب القوم . فلما طابت نفس الرشيد ، قال له ابن جامع : يا أمير المؤمنين ، قد نلت منك ما لم تبلغه أمنيّتي ،

وكثر إحسانك إلىّ حتى كَبَتَّ أعدائي وقتلتهم، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به دارا وأفرشها بباقيه لأفقاً عيون أعدائي وأزهِق نفوسهم فعل . فقال له : وكم قَدَّرت لذلك؟ قال : أربعة آلاف دينار، فأمر له بها . وقام إبراهيم الموصليّ فقال : يا أمير المؤمنين، قد ظهرت نعمتك على وعلى الكبار من ولدي؛ وفي أصاغرهم من أحتاج [إلى] خِتانِه، وفيهم صغار أحتاج أن أتخذ لهم خدماً؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل . فأمر له بمثل ما أمر به لأبن جامع . وجعل كل واحد منهم يقول في الشاء ما يحضره ويسأل حاجته على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تُفرَّق يمينا وشمالا، فوثب قائماً ورمى بالدنانير من كُمه وقال للرشيّد : أَقْلَنِي أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَكَ . فقال الرشيّد : لا أفعل . فجعل يستحلفه ويضطرب ويلجّ والرشيّد يضحك ويقول : مالي إلى ذلك سبيل، الشرط أملك . فلما عِيل صَبْرُهُ أخذ الدنانير ورمى بها بين يدي الرشيّد وقال : ها كها قد رددتها عليك وزدتك أُمّ صدقة فطلّقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفاً . وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد عمرو الغزال — وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار — فضحك حتى استلقى ثم رد عليه الخمسمائة دينار وأمر له بألف أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه إلى أن مات، رحمة الله عليهم .

وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق قال : مُطِرْنَا ونَحْنُ مع الرشيّد بالرقّة مع الفجر فاتّصل إلى غد ذلك اليوم ، وعرفنا خبر الرشيّد أنه مقيم عند أُمّ ولده المسماة سحر، فتشاغلنا عنه في منازلنا . فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيّد فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل كلّ واحد منا عن يومه الماضي وما صنع فيه ؛ فيخبره إلى أن انتهى

(١) زيادة عن الأغاني (ج ٢١ ص ١٥٨ طبع أوربا) . وقد جاء الكلام فيه هكذا : « وفي أصاغرهم

من قد بلغ وأريد تزويجه ، ومن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أطهره ... الخ » .

إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره فقال له : كان عندى أبو زكار الأعمى وأبو صدقة، وكان أبو زكار كلما غنى صوتا، لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة ؛ فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته وشمائله ، ويفطن أبو زكار لذلك فيجئ ويموت غيظا ويشتم أبا صدقة كل الشتم حتى يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العيب به وأنا أضحك من ذلك، إلى أن توسطنا الشرب وسمنا من عبثه به ؛ فقلت له : دع هذا عنك وغن غناءك . فغنى رملا ذكر أنه من صنيعته ، فطربت له والله

(٢٢)

يا أمير المؤمنين طربا ما أذكر أنى طربت مثله منذ حين وهو :

فتنتنى بفاحم اللون جعد * وبثغر كأنه نظم در

وبوجه كأنه طلعة البد * روعين في طرفها نفت سحر

- فقلت له : أحسنت والله يا أبا صدقة ! فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال :
- ياسيدى إنى قد بنيت دارا أنفقت عليها جميع مالى وما أعددت لها فرشا فأفرشها لى .
- فتغافات عنه . وعاولد الغناء فتعمدت أن قلت^(٢) : أحسنت ، فسألنى فتغافلت ؛ فقال :
- يا سيدى ، هذا التغافل متى حدث لك ؟ سألتك بالله وبحق أبىك عليك إلا أجبتنى عن كلامى وأوبشتم . فأقبلت عليه وقلت له : أنت والله بغىض ، اسكت يا بغىض ، وأكفف عن هذه المسألة الملحة . فوثب من بين يدى ، فقلت : إنه قد خرج لحاجة ، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفا من أن تبتل ووقف تحت السماء لا يواريه شىء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال : يا رب أنت تعلم أنى مله ولست نأحما ، وعبدك الذى قد رفعته وأحوجتنى الى خدمته يقول لى : أحسنت لا يقول لى : أسأت ، وأنا مذ جلست أقول له : بنيت ولا أقول له : هدمت ، فيحلف

(١) فى الأصول : « منذ حين وزمان » ولا معنى لذكر كلمة « زمان » وهى غير موجودة فى الأغانى .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : « لأن قلت » .

بك جرأة عليك أنى بغيض ، فاحكم بينى وبينه فأنت خير الحاكمين . فغلبنى الضحك وأمرت به فتنحى ، وجهدت به أن يغنى فأمتنع ، حتى حلفت له بحياتك أنى أفرش له داره يا أمير المؤمنين ، وخدعته فلم أسم له بما أفرشها . فقال له الرشيد : طيب والله ! الآن تم لنا به اللهو ، أدعه فإنه اذا رآك سوف يتجزك الفرش لأنك حلفت له بحياتى فهو يقتضيك ذاك بحضرتى ليكون أوفق له ، فقل له : أنا أفرشها لك بالبواري^(١) وحايك^٥ الى . ثم دعا به فحضر ، فلما استقر فى المجلس قال لجعفر : الفرش الذى حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به دارى ، تقدم به . فقال له جعفر : اختر ، إن شئت فرشتها لك بالبواري وإن شئت فبالبردى من الحصر ، فصاح وأضطرب . فقال له الرشيد : وكيف كانت القصة ؟ فأخبره ، فقال له : أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة ، فاذا فرشها لك بالبردى أو بما دون ذلك فقد بر فى يمينه ، وإنما خدعك ولم تظن أنت ولا توثقت وضيعت حقك . فسكت ثم قال : نوقرأ أيضا البردى والبواري عليه أعزّه الله . وغنى المغنون حتى انتهى الدور اليه ، فأخذ يغنى غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما يجرى مجراه من الغناء . فقال له الرشيد : أى شئ هذا الغناء ؟ قال : من فرش داره بالبواري والبردى فهذا الغناء كثير منه ، [وكثير] أيضا لمن هذه صلاته . فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار من ماله ، وقال له : أفرش دارك بهذه . فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها أو تحكم لى على جعفر بما وعدنى وإلا مت والله أسفا لفوات ما حصل فى طمعى ووعدت به ، فحكم له على جعفر بخمسةائة دينار أخرى ، فأمر له جعفر بها .

(١) البواري جمع بارى وهو الحصر المنسوج .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « وتحد » .

(٣) زيادة عن الأغاني .

ذكر شيء من نوادر الأقيشر^(١)

هو أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه أقيشر . قال أبو الفرج الأصفهاني : وعُمر الأقيشر عمرا طويلا ، ولعله ولد في الجاهلية ونشأ في الإسلام ، وكان أبعد بني أسد نسبا . قال : وكان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا للخمير . وهو الذي يقول لنفسه :

فإن أبا معرضٍ إذ حسا * من التراح كأسا على المنبرِ
خطيبٌ لبیبٌ أبو معرضٍ * فإن ليم في الخمر لم يصبرِ
أحل الحرام أبو معرضٍ * فصار خليعا على المكبرِ
يحب اللئام ويلجى الكرام * وإن أقصروا عنه لم يقصرِ

قال : وكان الأقيشر عينا لا يأتي النساء ، وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه .
فجلس إليه يوما رجل من قيس ، فأنشده الأقيشر :

ولقد أروح بمشرف ذي منعة * عسر المكرة ماؤه يتقصّد
مرج ، يطير من المراح لعبه * ويكاد جلد إهابه يتقدّد^(٢)

ثم قال الرجل : أتبصر الشعر؟ قال نعم . قال : فماذا وصفت . قال : فرسا .
قال : أفكنت لو رأيته تركبه؟ قال : إى والله ، وثني عطفه فكشف عن أيره وقال :
هذا وصفت ، فقم فاركبه . فوثب الرجل عن مجلسه وجعل يقول : قبحك الله من
جليس سائر اليوم .

(١) الأقيشر هو تصغير أقشر وهو الشديد الحمرة .

(٢) رواية الأغاني : « وتكاد جلده به تنقدد » .

قال : وشرب الأقيشر في بيت خمار بالحيرة ، فجاءه الشرط ليأخذوه ، فتحتز منهم وأغلق الباب وقال : لست أشرب فما سبيلكم عليّ ؟ قالوا : قد رأينا العس في كفك وأنت تشرب . فقال : إنما شربت من لبن لقة لصاحب هذه الدار ، فما برحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال :

إنما لقمحتنا باطية^(١) * فاذا ما نرجت كانت عجب

لبن أصفر صاف لونه^(٢) * ينزع الباسور من عجب الذنب

إنما نشرب من أموالنا * فسلوا الشرطي ما هذا الغضب ؟

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني وغيره قال : كان الأقيشر لا يسأل أحدا أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين للشراب ودرهما للطعام ودرهمين في كراء بغل إلى الحيرة . وكان له جار يكنى أبا المضاء ، له بغل يكره ، فكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة حتى يأتي به بيت الخمار فينزل عنه ويربطه ، ثم يجلس للشرب حتى يمسي ثم يركبه . وله في ذلك أشعار كثيرة .

قال : فأتى يوما من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يجده فجعل ينتظره . ودخلت الدار امرأة عبادية ، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى في حاجته وأنا أمرأته ، فما تريد ؟ وقيل بل قالت له : إنها أم حنين الخمار الذي كان يعامله وقالت : ما تريد ؟ قال : نبذا . قالت : بكم ؟ قال : بدرهمين . قالت : هلم درهميك وانتظرنى . قال : لا بل أكون معك . قالت : أنت وذاك . فأخذت الدرهمين وتبعها ، فأدخلته دارا لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وتركته . فلما طال جلوسه ، خرج إليه بعض أهل الدار وقال : ما الذي يحبسك ؟ فأخبرهم ،

(١) الباطية : إناء من الزجاج للخمربوضع بين الشرب يغترفون منه .

(٢) العجب : أصل الذنب .

فقالوا له : تلك امرأة محتالة ، فعلم أنه خدع وأنصرف الى نحره فأخبره بالقصة وقال : أنسني اليوم وأسقني ، ففعل . وأنشأ الأفيشر يقول :

(١)
لا تفرّز ذوات خُفّ سوانا * بعد أخت العباد أم حنين
وعدتنا بدرهمين نبذا * أو طلاءً معجلاً غير دين
ثم ألوت بالدرهمين جميعاً * يا لقومى لضبيعة الدرهمين
عاهدت زوجها وقد قال : إني * سوف أغدو لحاجتي ولديني
فدعت كالحصان أبيض جلدًا * وافر الأير مرسل الحصيتين
قال : ما أجرذا؟ هديت ، فقالت : * سوف أعطيك أجره مرتين
فابدأ الآن بالسفاح فلما * ساخته أرضته بالأجرتين
تلها للجبين ثم امتطاهما * عارم الأير أفج الحالبين (٢)
بينما ذاك منهما وهى تحوى * ظهره بالبنان والمعصمين
جاءها زوجها ، وقد شام فيها * ذا انتصاب موثق الأخدعين
فتأسى وقال : ويل طويل * لحنين من عار أم حنين

قال : بخاءه حنين الخمار ، فقال : ما هذا ؟ ما أردت إلا هجائي وهجاء أمي .
قال : أخذت مني درهمين ولم تعطني شرابا . قال : لا والله ، ما تعرفك أمي ،
ولا أخذت منك شيئا قط ، فأنظر الى أمي ، فإن كانت هى صاحبتك غرمت لك
الدرهمين . قال : لا والله ، ما أعرف غير أم حنين وآبنها ، فإن كانت أهلك فإياها

(١) وردت هذه الأبيات فى النسختين الأصليتين والأغانى وبها تحريف فى النسختين والأغانى وقد رجحنا ما هو أقرب الى الصواب من كلتا النسختين والأغانى .

(٢) تلها : ألقاها .

(٣) العارم : القوى الشديد .

أعنى، وإن كانت أم حنين أخرى فإياها أعنى . فقال : إذا لا يفرق الناس بينهما؟ !
قال : ما على إذا، أترى درهمي يضيعان؟ فقال له : هلم إذا أغرمهما لك وأقيم
ما تحتاج اليه، لا بارك الله لك، وفعل .

قال وتزوج الأقيشر ابنة عم له يقال لها الرّباب ، على أربعة آلاف درهم —
ويقال : على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً، فأتى ابن رأس
البغل وهو دهقان الصين ، وكان مجوسياً ، فسأله فأعطاه الصّدّاق كاملاً ، فقال :
كفاني المجوسى ^(١) «هم» الرّباب * فدّى للمجوسى خال وعم
شهدت بأنك ^(٢) «رطب اللسان» * «وأنتك بحر» جواد خضم
وأنتك سيد أهل الجحيم * إذا ما تردّيت فيمن ظلم
تجاور هامان ^(٣) في قعرها * وفرعون والمكتنى بالحكم ^(٤)

فقال له المجوسى : ويحك ! سألت قومك فما أعطوك شيئاً ، وجئتني فأعطيتك
بخزيتي هذا القول ولم أفلت من شرك ! قال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك
وقرين أبى جهل ؟ . قال : ثم جاء الى عكرمة بن ربيع التيمى ، فسأله فلم يعطه؟
شيئاً، فقال فيه :

سألت ربيعة من شرها * أباً ثم أمّاً فقالوا لمه
فقلت لأعلم من شركم * وأجعل للسب فيه سمه

(١) كذا في الأغاني (ج ١٠ ص ٩٢ طبع بولاق) . وفي الأصول : « الى » وهو تحريف .

(٢) الدهقان (بالكسر والضم) : رئيس الإقليم .

(٣) في الأغاني : « مهر » .

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « بظر اللسان » .

(٥) في الأغاني : « قارون » .

فقالوا لعكرمة المخزيات * وما ذا يرى الناس في عكرمة
فإن يك عبدا زكا ماله * فما غير ذا فيه من مكرمة

قال ابن الكلبي : وشرب الأقيشر فسقط وبدت عورته ، وأمراة تنظر إليه
فضحكت منه وأقبلت عليه تلومه وتقول له : ألا تستحي يا شيخ أن تبلغ بنفسك
هذه الحال ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول :

تقول : يا شيخ أما تستحي * من شربك الخمر على المكبر
فقلت : لو باكرت مشمولة * صهبا مثل الفرس الأشقر
رحت وفي رجلك عقالة * وقد بدا هنك^(١) من المتزر

قال الأصمعي : قال عبد الملك بن مروان للأقيشر : أنشدني أبياتك في الخمر ،
فأنشده قوله :

ترك القذى من دونها وهي دونه * لوجه أخيها في الإناء قطوب
كبت إذا شجبت^(٢) وفي الكأس وردة * لها في عظام الشاربين ديب

فقال له : أحسنت والله يا أبا معرض ! لقد أجدت في وصفها ، وأظنك قد
شربتها . فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنه ليريدني معرفتك بها . قال : وكان الأقيشر
يأتي إخوانا له فيسألهم فيعطونه ، فأتى رجلا منهم فأمر له بخمسة درهم فأخذها
ومضى إلى الحانة فدفعها إلى صاحبها ، وقال له : أقم لي ما أحتاج إليه ، ففعل .
فانضم إليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها فاحتملوه
يوما ويوما . فلما أتاهم في اليوم الثالث نظروا إليه من بعيد ، فقالوا لصاحب
الحانة : أصعد بنا إلى الغرفة ، وأعلم الأقيشر أننا لم نأت اليوم ، ففعل . فلما جاء

(١) الهن : الفرج .

(٢) في الأغاني : "فضت" .

الأقيشر أعلمه بما قالوا، فعلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهين، فطرح إليه بعض ثيابه وقال له : أقم لي ما أحتاج إليه، ففعل . فلما أخذ منه الشراب أخذ يقول :

يا خليلي أسقياني كأسا * ثم كأسا حتى أنحر نعاسا
إن في الغرفة التي فوق رأسي * لأناسا يُخادعون أناسا
يشربون المعتقد الراح صرفا * ثم لا يرفعون للزور راسا^(١)

قال : فلما سمع أصحابه هذا الشعر، فدّوه بأبائهم وأمهاتهم، ثم قالوا له : إما أن تصعد إلينا وإما أن تنزل إليك، فصعد إليهم .

ومر الأقيشر بخمارة بالحيرة يقال لها دومة، فنزل عندها واشترى منها نبيذا،

ثم قال : جودى الشراب حتى أجود لك المدح ففعلت؛ فأنشأ يقول :

ألا يا دوم دام ك النعيم * وأسمر^(٢) ملء كفك مستقيم
شديد الأسر ينبض حالباه * يحم كانه رجل سقيم
يرويه الشراب فيزدهيه * وينفخ فيه شيطان رجيم

قال : فسرت به الخمارة وقالت : ما قال في أحد أحسن من هذا ولا أسر إلى منه .

قال : وكان يختلف إلى رجل من بني تميم وكان يجري عليه في كل شهر عشرة دراهم،

بجاءه مرة فوجده قد أصيب بابنه، فردته أمراة عنه، ثم عاد بعد ذلك بيومين

فردته عنه أيضا، فكتب إليه بتي شعر ودفع الرقعة إليها وقال : أوصليها إليه،

فقرأها، فاذا فيها :

ألا أبلغ لديك أبا هشام * فإن الريح أبردها الشمال

(١) الزور : جمع زائر، كراكب وركب .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « مثل » وهو محريف .

عِدَاتُكَ فِي الْهَلَالِ عِدَاتُ صَدِيقٍ * فَهَلْ سَمَنْتُ كَمَا سَمَنَ الْهَلَالُ
فلما قرأ الرقعة أمر برده وقال : لقد سمنت وما بقي إلا الهزال إن تأخرت ، فأمر له بها
وزادها خمسة دراهم .

- وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه اليسير ويسخطه . وأخباره كثيرة ونوادره
مشهورة ، وفيما أوردناه منها كفاية . ومات الأقيشر قتيلا . وقيل : إنه مدح
عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله فلم يعطه شيئا فهجاه ؛ فزعموا أن غلمانا
لعبد الله بن إسحاق قتلوه ؛ فاجتمع بنو أسد وادّعوا عليه قتل الأقيشر ؛ فأفتدى منهم
بديته . وقال ابن الكلبي : كان الأقيشر مولعا بهجاء عبد الله بن إسحاق ومدح
أخيه زكريا . فقال لغلمانه : ألا تريخونني منه ! فانطلقوا بجمعوا بعرا وقصبا
بظهر الكوفة وجعلوه في وسط إِرَّة^(١) ، وأقبل الأقيشر سكرانا من الحيرة على بغل
أبي المضاء المكارى ، فأنزلوه عن البغل وشدوه رباطا ثم وضعوه في تلك الإِرَّة وألهبوا
النار في القصب والبرفمات ، ولم يعلم من قتله . والله أعلم .

ذكر شيء من نوادر ابن سيابة

- هو إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم . كان يقال : إن جدّه حجام أعتقه بعض
الهاشمين . قدمه إبراهيم الموصلي وأبناه إسحاق لأنه مدحهما فرفعا من قدره وغنّيا
بشعره ونوّها بذكره . وكان خليعا ماجنا حسن النادرة ، وكان يُرمى بالأُبنة . وله
نوادر نذكر منها نُبذًا فيما رواه أبو الفرج الأصفهاني . منها ما رواه عن إسحاق الموصلي
قال : أتى إبراهيم ابن سيابة وهو سكران أبنا لسوار بن عبد الله القاضي أمرد ،
فعانقه وقبله ، وكانت معه داية يُقال لها رَحَاص ، فقيل لها : إنه لم يقبله تقبيل

التسليم ، وإنما قبله شهوة ؛ فليحقة الداية فشتمته وأسمعته كل ما يكره ، وهجره الغلام بعد ذلك ؛ فقال :

لئن لثمتك سراً * فأبصرتني رَحَاصُ
وقال في ذاك قومٌ * على أنتقاصي حِراصُ
هَجَرَتْنِي وَأَتَتْنِي * شَتِيمَةٌ وَأَنْتِقَاصُ
فَهَاكَ فَاقْتَصَّ مِنِّي * إِنَّ الْجُرُوحَ قِصَاصُ

٥

وقد قيل : إن رَحَاص هذه كانت مغنية كان الغلام يهواها ، وإنه سكر ونام ، فقبله ابن سيابة . فلما آنتبه قال للمغنية : ليت شعري ! ما كان خبرك مع ابن سيابة ؟ فقالت له : سل عن خبرك أنت معه ، وحدثته بالقصة ؛ فهجره الغلام ، فقال هذا الشعر .

١٠

وقال إسحاق بن إبراهيم : كان ابن سيابة عندنا يوماً مع جماعة نتحدث ونتناشد وهو يُنشد شيئاً من شعره ، فتحرك فضرط فضرب بيده على آسته غير مكترث وقال : إما أن تسكتي حتى أتكلم ، وإما أن نتكلمي حتى أسكت .

وقال أبو هفان : غمز ابن سيابة يوماً غلاماً أمرداً ، فأجابه ومضى به الى منزله فأكلا وجلسا يشربان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابة الزنديق ؟ قال نعم . قال : أحب أن تعلمني الزندقة ؛ قال : أفعل وكرامة ؛ ثم بطحه على بطنه فلما تمكن منه أوج فيه بشدة ؛ فصاح الغلام : أوه ! أى شىء هذا ؟ ويحك ! قال : سألتني أن أعلمك الزندقة ، وهذا أول باب من شرائعها .

١٥

وقال جعفر الكاتب : قال لى إبراهيم بن سيابة الشاعر : اذا كان عند جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة ، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم من بيتهم . وقال سليمان بن يحيى بن معاذ :

٢٠

٢٦

قدم عليّ إبراهيم بن سيّابة بنيسابور فأنزله عليّ، فجاء ليلة من الليالي فجعل يصيح :

يا أبا أيوب، نخشيت أن يكون قد غشيه شيء، فقلت : ما تشاء ؟ فقال :

* أعياني الشادن الربيب *

قلت بماذا ؟ فقال :

* أكتب أشكو فلا يجيب *

٥

فقلت : دأره ودأوه، فقال :

من أين أبغى شفاء قلبي * وإنما دأى الطبيب

فقلت : لا دواء إذاً إلا أن يفرج الله عزّ وجلّ عنك . فقال :

يا رب فرج إذاً وعجل * فإنك السامع المجيب

ثم أنصرف . وقد تقدّمت هذه الحكاية . والسلام .

١٠

ذكر شيء من نوادر مطيع بن إلياس الكفائي وأخباره

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية

والعباسية . كان ظريفاً خليعاً ماجناً حلوا العشرة مليح النادرة قال : وكان متهما

في دينه بالزندقة . وكان مولده ومنشؤه بالكوفة، وكان منقطعاً الى الوليد بن

عبد الملك، ثم اتصل بخدمة الوليد بن يزيد . وكان سبب ذلك ما حكى عن حكم

١٥

الواديّ المغني، قال : غنيت الوليد بن يزيد وهو غلام حديث السنّ . شعر مطيع بن

إلياس وهو :

إكليلها ألوان * ووجهها فتان

وخالها فريد * ليس له جيران

إذا مشت تثنت * كأنها ثعبان

٢٠

قد جدلت بجاءت * كأنها عنان

فطرب حتى زحف عن مجلسه الى ، واستعادنى الصوت حتى صَحِلَ صَوْتِي^(١)؛
ثم قال : ويحك ! من يقول هذا ؟ فقلت : عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك .
قال : ومن هو ؟ قلت : مطيع بن إياس . قال : وأين هو ؟ قلت : بالكوفة ؛ فأمر
أن يُجْمَلَ اليه مع البريد ، فُجِمَلَ اليه ؛ فسأله عن الشعر فقال : من يقول هذا ؟ فقال :
عبدك أنا يا أمير المؤمنين . فقال له : أدن منى ، فدنا منه فضممه الوليد اليه وقبَّل فاه
وبين عينيه ، وقبل مطيعٌ رجله والأرض بين يديه ؛ ثم أدناه حتى جلس فى أقرب
المجالس اليه ، وأصطحب معه أسبوعاً متوالى الأيام على هذا الصوت . وكان فى خلال
الدولة الأموية ينقطع الى أوليائها وعلمائها ، ثم أنقطع فى الدولة العباسية الى جعفر
أبن أبى جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر . ومات مطيع فى خلافة الهادى
بعد ثلاثة أشهر مضت منها . وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع ذكرها ،
فلنقتصر هاهنا من أخباره عليها دون غيرها .

فمن ذلك ما حكاه النوفلى قال : كان مطيعٌ فيما بلغنى مأبونا ، فدخل عليه قومه
فلاموه على فعله وقالوا له : أنت فى أدبك وسؤددك وشعرك وشرفك وترمى بهذه
الفاحشة القذرة ! فلو أقصرت عنها ! فقال : جربوه أنتم ودعوه إن كنتم صادقين .
فأنصرفوا عنه وقالوا : قبح الله فعلك وعذرک ، وتركوه .

قال : ووقف مطيعٌ على أبى العمير وهو رجل من أصحاب المعلّى الخادم ،
بفعل يعيث به ويمارحه ، وكان كثير العبث الى أن قال :

ألا أبلغ لديك أبا العمير * أرانى الله فى آستك نصف أيرى

فقال له أبو العمير : يا أبا سلمى ، لو جُذت بالأيركّه لأحْدِ لُجْدَتَ به لى لما بيننا
من الصداقة ، ولحُكَّ لحَبْكُك له لا تريده كّه إلا لك . فأخمه ، ولم يعاود العبث به .

قال : سقط لمطيع حائطاً ، فقال له بعض أصحابه : أحمد الله على السلامة .
قال : أحمد الله أنت إذ لم ترعك هدته ، ولم يصبك غباره ، ولم تغرم أجرة بنائه .

ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى عبد الملك المرواني عن مطيع بن إلياس ، قال : قال لي حماد عجرد يوماً : هل لك أن أريك "خُشَّة" صديقتي وهي المعروفة بظبية الوادي ! قلت نعم . قال : إنك إن قعدت عندها وخبثت عينك في النظر أفسدتها علي . فقلت : لا والله لا أتكلم بكلمة تسوءك ولأسرّتك . فمضى بي وقال : والله لئن خالفت ما قلت لأخرجنك . قال : قلت : إن خالفت إلى ما تكره فاصنع بي ما أحببت . قال : أمض بنا فمضينا ، فأدخلني على أحسن خلق الله وأظرفهم وأحسنهم وجهاً . فلما رأيته أخذني الزمع^(٢) ، وفطن لي فقال : آسكت يابن الزانية ، فسكت قليلاً ، فلحظتني ولحظتها لحظة أخرى فغضب ووضع قلنسوته عن رأسه ، وكانت صلته حمراء كأنها آست قرد ، فلما وضعها وجدت للكلام موضعاً ، فقلت :

وإن السوءة السوءا * يا حماد عن خُشَّة
عن الأثرجة الغضمة * والنقاحة الهشمة

(٢٧)

فالتفت إلى وقال : فعلتها يابن الزانية ! فقالت له : أحسن ، فوالله ما بلغ صفتك بعد ، فما تريد منه ! فقال لها : يا زانية ! فسبته وتثاورا ، فشقت قميصه وبصقت في وجهه وقالت له : ما يصادقك ويدع مثل هذا إلا زانية ، وخرجنا وقد لقي كلّ بلاء ، وقال لي : ألم أقل لك يابن الزانية : إنك ستفسد على مجلسي ! فأمسكت عن جوابه ، وجعل يهجونني ويسبني ويشكونني إلى أصحابنا ، فقالوا لي : آهجه ودعنا وإياه ، فقلت :

(١) كذا في الأغاني (ج ١٢ ص ٨٢ طبع بولاق) . وفي الأصول : « إنك إن بعدت عنها
وحققت عينك في النظر ... الخ » . (٢) الزمع : الدهش .

ألا يا ظبية الوادى * وذات الجسد الرادى
وزين المصير والدار * وزين الحى والنادى
وذات الميسم العذب * وذات الميسم البادى
أما بالله تستحي * بين من خلّة حمّاد
فحمّاد فقى ليس * بذى عن فتقادى
ولا مال ولا طرف * ولا حظ^(١) لمرتاد
فتوبى وآتى الله * وبئى حبل عجراد
فقد ميّزت بالحسين * عن الخلق بلفراد
وهذا البين قد حمّ * بخودى لى بالزاد

١٠ قال : فأخذ أصحابنا رقاعا فكتبوا الأبيات فيها وألقوها فى الطريق ، وخرجت

أنا فلم أدخل عليهم ذلك اليوم ، فلما رأها وقراها قال لهم : يا أولاد الزنا فعلها ابن
الزانية وساعدتموه ؟ قال : وأخذها حكم الوادى فغنى بها ، فلم يبق بالكوفة سقاء
ولا طحان ولا مكار إلا غنى فيها ثم غبت مدة وقدمت فأتانى فما سلم على حتى قال لى :

أما بالله تستحي * بين من خلّة حمّاد

١٥ قتلنى قتلك الله ! والله ما كلمتنى حتى الساعة . قال : قلت : اللهم أدم هجرها له

وسوء رأيها فيه وأسفه عليها وأغوه بها ، فشتمنى ساعة . قال مطيع : ثم قلت له : قم
أمض بنا حتى أريك أختى — وكانت لمطيع صديقةً يسميها أختى وتسميه أختى ، وكانت
مغنية — فلما خرجت إلينا ، دعوت قيمةً لها فأسررت إليها فى أن تصلح لنا طعاما
وشرابا ، وعرفت أن الذى معى حمّاد فضحكت . ثم أخذت صاحبتى فى الغناء وقد

٢٠ علمت بموضعه وعرفت ، فكان أول ما غنت :

أما بالله تستحي * بين من خلّة حمّاد

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « خلط » وهو تحريف .

فقال لها : يا زانية ! وأقبل على وقال : وأنت يا زانية ! أسررت هذا الى قيمتها ! فقلت : لا والله كذبت . وشاتمته صاحبتى ساعة ثم قامت فدخلت ، وجعل يتغيظ على . فقلت : أنت ترى أنى أمرتها أن تغنى بما غنت ؟ فقال : أرى ذلك وأظنه ظنا لا والله ولكنى أتيقنه . فخلفت له بالطلاق على بطلان ظنه وأنصرفنا .

وحتى قال يحيى بن زياد المحاربى لمطيع وكان صديقا له : أنطلق بنا الى فلانة صديقتى ، فإن بينى وبينها مغاضبة لتصلح بيننا وبئس المصلح والله أنت . قال :
(١) فدخلنا عليها ، فأقبلا يتعاتبان ومطيع ساكت ، حتى اذا أكثر قال يحيى : ما يسكتك ؟
(٢) أسكت الله نامتك ! قال مطيع :

أنت معتلة عليه وما زل * ل مهيئا لنفسه فى رضاك

فأعجب يحيى وهش له . فقال مطيع :

فدعيه وواصل ابن إياس * جعلت نفسه الغداة فداك

فقام يحيى اليه بوسادة فى البيت فما زال يجلد بها رأسه ويقول : ألهذا جئت بك يا ابن الزانية ! ومطيع يغوث حتى ملّ يحيى ، والجارية تضحك منهما ، ثم تركه .

وروى عن محمد بن الفضل السكونى قال : رفع صاحب الخبر الى المنصور أن

مطيع بن إياس زنديق وأنه يلزم ابنه جعفر وجماعة من أهل بيته ، ويوشك أن يفسد أديانهم أو ينسبوا الى مذهبه . فقال له المهدي : أنا به عارف ، أما الزندقة فليس من أهلها ، ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم ، قال : فأحضره وأنه عن صحبة جعفر وسائر أهله ، فأحضره المهدي وقال له : يا خبيث يا فاسق ! لقد

(١) فى الأصول : « فدخلنا » ، والتصويب عن الأغاني .

(٢) النامة : الصوت . وأسكت الله تعالى نامته أى أماته .

(٣) غوث الرجل : قال واغوثاه .

(٤) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « ونهاه » وهو لا يستقيم مع السياق .

أفسدت أخى ومن تصحبه من أهلى ، والله لقد بلغنى أنهم يتقارعون عليك ، ولا يتم لهم سرور إلا بك ، وقد غررتهم وشهرتهم فى الناس ، ولولا أنى شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت اليه من الزندقة ، لقد كان أمر بضرب عنقك !
 ياربيع أضربه مائة سوط وأحبسه . قال : ولم يا سيدى ؟ قال : لآنك سكير نحير

(٢٨)

قد أفسدت أهلى كلهم بصحبتك . فقال له : إن أذنت لى وسمعت احتجاجت .
 فقال له : قل ؛ فقال : أنا أمرؤ شاعر ، وسوقى إنما تنفق مع الملوك وقد كسدت
 عندهم ، وأنا فى أيامكم مطرّح^(٢) ، وقد رضيتُ منها مع سعتها للناس جميعا بالأكل على
 مائدة أخيك ، لا يتبع ذلك غيره ، وأصفيته على ذلك شكرى وشعرى ؛ فإن كان
 ذلك غاليا عندك تبّت منه . فاطرق المهديّ ثم رفع رأسه فقال : قد رفع إلى
 صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال ، وتضحك منهم . قال : لا والله ما ذاك من

٥

١٠

فعلى ولا شأنى ولا جرى منى قط إلا مرة واحدة ؛ فإن سائلا أعمى أعترضنى وقد
 عبرت الجسر على بغلتى ، فظننى من الجند فرفع عصاه فى وجهى ، ثم صاح : اللهم
 سخر الخليفة لأن يعطى للجند أرزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة وتربح التجار عليهم
 فتدّر أموالهم فتجب فيها الزكاة عليهم فيتصدقوا على منها . فنفرت بغلتى من صياحه
 ورفع عصاه فى وجهى حتى كدت أسقط فى الماء . فقلت : يا هذا ، ما رأيت أكثر
 فضولا منك ، سأل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه الحوالات والوسائط
 التى لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول . فضحك الناس منه ورفع على فى الخبر
 [قولى له هذا] . فضحك المهديّ وقال : خلّوه ولا يضرب ولا يُحبس . فقال له :
 أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضا وتبرأ ساحتى وأنصرف بلا جائزة ! قال :

١٥

٢٠

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « على » .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصول : « مطوح » بالواو وهو تصحيف .

(٣) زيادة عن الأغاني (ج ١٢ ص ١١ طبع بولاق) .

لا يجوز هذا، اعطوه مائتي دينار، ولا يعلم أمير المؤمنين فتجدد عنده ذنوبه، وقال له : أخرج عن بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينسأك أمير المؤمنين، ثم عد إلى . فقال له : فأين أقصد ؟ قال : أكتب إلى سليمان بن علي فيوليك عملاً ويحسن إليك . قال : قد رضيت . فوفد إلى سليمان بكتاب المهدي فولاه الصدقة بالبصرة، وكان عليها داود بن أبي هند فعزله به .

- وقال السكوني عفا الله عنه : كان بالكوفة رجل يقال له أبو الإصبع، له قيان، وكان له ابن وضىء الوجه حسن الصورة يقال له إصبع ، لم يكن بالكوفة أحسن منه وجهاً . وكان يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحماة مجرد وضرباؤهم يالفونه ويعشقونه ويستظرفونه ، وكلهم كان يعشق ابنه إصبع . حتى كان يوم نيروز، وعزم أبو الإصبع على أن يصطحب مع يحيى بن زياد، وكان يحيى قد أهدى له من الليل جداء ودجاجاً وفاكهة وشراباً، فقال أبو الإصبع لحواريه : إن يحيى بن زياد يزورنا اليوم فأعدن له ما يصلح لمثله . ووجه بغلمان له ثلاثة في حوائجه، وبعث ابنه إصبع إلى يحيى يدعوه ويسأله التعجيل . فلما جاءه استأذن له الغلام فقال له يحيى : قل له يدخل، فإذا دخل تنح أنت وأغلق الباب، ولا تدعه يخرج إلا بإذني، ففعل الغلام ودخل إصبع فأدّى رسالة أبيه . فلما فرغ راوده يحيى عن نفسه فامتنع، فبادره يحيى وعاركه حتى صرعه، ثم رام حلّ تكتيه فلم يقدر عليها فقطعها ثم فعل به . فلما فرغ أخرج من تحت مصلاه أربعين ديناراً فأعطاه إياها فأخذها، وقال له يحيى : أمض فإني بالأثر، فخرج إصبع . ووافى مطيع يحيى فرآه يتبخّر ويتطيب ويتزين . فقال له مطيع : كيف أصبحت ؟ فشمخ بأنفه ولم يجبه وقطب حاجبيه وتفخّم . فقال له : ويحك مالك ! أنزل عليك الوحي ، أم كلمتك الملائكة ، أم بويع لك بالخلافة ؟ وهو يومئ برأسه : لا لا ! في كلّ كلامه . فقال له : كأنك والله فعلت

بإصبع ! فقال : إى والله ، الساعة فعلت به وأنا اليوم فى دعوة أبيه . فقال مطيع :
 أمراته طالق إن فارقتك حتى أقبل متاعك ، فأبداه له يحيى فقبله . ثم قال له : كيف
 قدرت عليه ؟ فحدثه يحيى بما جرى وقص عليه القصة . وقام يمضى الى منزل
 أبى الإصبع ، فتبعه مطيع ، فقال : ماتصنع معى والرجل لم يدعك ، وإنما يريد الخلوة
 معى ؟ فقال : أشيعك الى بابى ونتحدث . فمضى معه حتى دخل يحيى وأغلق الباب
 فى وجه مطيع ، فصبر ساعة ثم دق الباب وأستأذن ، فخرج اليه رسول قال له : يقول
 لك : أنا اليوم على شغل ولم أتفرغ معه لك فأعذرني . قال : فأبعث الى بدواة
 وقرطاس ففعل ؛ فكتب مطيع الى أبى إصبع :

(٢٩)

يا أبا الإصبع لا زلت على * كل حال ناعما متبعا
 لا تصيرنى فى الودكمن * قطع التكة قطعاً شنعاً
 وأتى ما يشتهى لم يثنه * خيفة أو حفظ حق ضيعاً
 لو ترى الإصبع ملق تحت * مستكينا نجلاً قد خضعاً
 وله دفع عليه عجل * شيق ، ساءك ما قد صنعاً
 فادع بالإصبع وأعلم حاله * سترى أمرا قبيحا شنعاً

١٥ فلما قرأها أبو الإصبع قال ليحيى : فعلتها يابن الزانية ! قال : لا والله ! فضرب
 بيده الى تكة أبنه فرأها مقطوعة وأيقن يحيى بالفضيحة ، فتلكأ الغلام . فقال يحيى :
 قد كان الذى كان ، وسعى اليك مطيع ابن الزانية ! وهذا والله أبى وهو أفره من
 أبئك ، وأنا عربى ابن عربية وأنت نبطى ابن نبطية ، فافعل بابنى عشر مرات
 مكان المرة الواحدة التى فعلت بابنك ، فتكون قد رجحت الدنانير وللواحدة عشر
 مرات . فضحك وضحكت الجوارى وسكن غضب أبى الإصبع ، وقال لأبنه :
 ٢٠ هات الدنانير يابن الفاعلة ، فرمى بها اليه وقام . وقال يحيى : والله لا يدخل مطيع

الساعي ابن الزانية . فقال أبو الإصبع وجواريه : والله ليدخلن فقد نصحننا وغششتنا ،
فادخل فدخل وجلس يشرب معهم ويحيي يشتمه بكل لسان وهو يضحك .
وأخباره في هذا الباب كثيرة أغضينا عن كثير منها .

ذكر شيء من نوادر أبي الشبل

هو عاصم بن وهب بن البراجم . مولده الكوفة . نشأ وتأدب بالبصرة . وفد
الى سامراء أيام المتوكل ومدحه . وكان طيباً كثير الغزل والنوادر والمجون . فنفق
عند المتوكل وخدمه واختص به وأمتدحه بقوله :

أقبل فالحير مُقبل * وأتركي قول المعلل
وثقي بالنجح إن * أبصرت وجه المتوكل
ملك يُنصف يا ظا * لمتي فينا ويعيدل
فهو الغاية والمأ * مول يرجوه المؤمل

فأمر له بثلاثين ألف درهم . وله أخبار مستظرفة تتضمن شعرا ونوادر تدل على
ظرفه سنذكر منها طرفا . فمن ذلك ما حكى عنه : أنه مدح مالك بن طوق ، وقدر
أن يعطيه ألف درهم . فبعث اليه بصرة مختومة فيها مائة دينار ، فظن أنها دراهم
فردّها اليه وكتب معها :

فليت الذي جادت به كفّ مالك * ومالك مدسوسان في آسيت أم مالك
وكان الى يوم القيامة في آستها * فأيسر مفقود وأيسر هالك
وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز . فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره فأحضر وقال :
ما هذا ؟ ظلمتنا وأعتديت علينا . فقال : قدرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة

(١) سامراء : لغة في سرمن رأى ، وهي مدينة كانت بين بغداد وتكريت .

درهم . فقال : آفتحها ؛ ففتحتها فإذا فيها مائة دينار؛ فقال : أقلني أيها الأمير . فقال :
قد أقلتك ولك كل ماتحب أبدا ما بقيت وقصدتني .

قال : وكان له جار طبيب أحرق ، فمات فرثاه فقال :

قد بكاه بولُ المريض بدمع * واكف فوق مقلتيه ذروف
ثم شقت جيوهَ القواريد * مرُ عليه ونُحْنَن نوح اللهيف
يا كساد الخيار شبر والأقد * راص طراً ويا كساد السفوف
كنت تمشي مع القوى فان جا * ء ضعيف لم تكثر بالضعيف
لهف نفسي على صنوف رقاعا * يت تولت منه وعقل سخيف

وقال أبو الشبل : كان خالد بن يزيد بن هبيرة يشرب النبيذ ، وكان يغشانا ،
وكانت له جارية صفراء مغنية يقال لها هب ، كانت تغشانا معه ، وكنت أعبت بها
كثيرا . فقام مولاهما يوما الى الخابية يستقي نبذا ، فاذا قميصه قد آنسق ؛ فقلت فيه :

قالت له هب يوما وجاد لها * بالشعر في باب فعلاين ومفعول
أما القميص فقد أزرى الزمان به * فليت شعري ما حال السراويل

قال أبو الشبل : وكانت أم خالد هذا ضراطة تضط على صوت العيدان وغيرها
في الإيقاع . فقلت فيه :

في الحى من لاعدمت خلته * فتى إذا ما قطعته وصلا
له عجوز بالحبق أبصر من * أبصرته ضاربا ومرتبلا
نادمته مرة وكنت فتى * مازلت أهوى وأشتهى الغزلا
حتى إذا ما أمالها سكر * يبعث في قلبها لها مثلا

- ٢٠ (١) كذا في الأغاني (ج ١٣ ص ٢٣ طبع بولاق) . وفي الأصول : « الجابية » وهو تحريف .
(٢) في الأغاني : « أودى » .
(٣) الحبق : الضراط . (٤) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « شعث » .

اتَّكَأَتْ يَسْرَةً وَقَدْ خَرَفَتْ ^(١) * أَشْرَاجُهَا كِي تَقْوَمَ الرَّمَلَا

فَلَمْ تَزَلْ إِسْتَهَا تَطَارِحُنِي * اِسْمَعُ إِلَى مَنْ يَسُومُنِي الْعِلَلَا

- وقال محمد بن المرزبان : كنت أرى أبا الشبل كثيرا عند أبي ، وكان إذا حضر أضحك الشكلي بنوادره . فقال له أبي يوما : حدثنا ببعض نوادرِكَ وطرائفِكَ . قال نعم . من طرائفِ أموري أن ابني زني بجارية سندية لبعض جيرانى ، فخلت وولدت ، وكانت قيمة الجارية عشرين دينارا . فقال : يا أبت ، الصبيُّ والله أبني ، فساومتُ فيه فقبل لى : خمسون دينارا . فقلت له : ويلك ! كنت تخبني وهى حبلى فاشتريها بعشرين دينارا ونربح الفضل بين الثمنين ! وأمسكت عن المساومة بالصبي حتى اشتريته من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانيا فولدت ابنا آخر ، فجاء يسألنى أن أبتاعه ، فقلت : عليك لعنة الله ، أى شئ حملك على أن تُحبل هذه ، هلا عزلت عنها ! فقال : إني لا أستحلّ العزل . ثم أقبل على جماعة عندي بفعل يقول : شيخ كبير يأمرنى بالعزل ويستحلّه . فقلت له : يا بن الزانية ! تستحلّ الزنا وتخرج من العزل ! فضحكنا منه . وقلنا له : وأى شئ أيضا ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الوراق إلى جاره يهودى نَحْمَار ، فقلت : أريد نحما بنت عشر قد أنضجها الهجير . فأخرج لنا شيئا عجيبا ، فأبتعناه منه وشربنا . فقلت أشرب معنا ، فقال : لا أستحلّ شرب الخمر . فقال لى محمود : ويحك ! هل رأيت أعجب من هذا ! يهودى يتخرج من شرب الخمر ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت : أجل ! والله لا نُفْلَح أبدا ولا يعبا الله بنا . ثم شربنا حتى سكرنا وقمنا بالليل ففعلنا بآبنته وآمراته وأخته ، وسرقنا ثيابه ، ونحرّنا فى تِيفَارَات ^(٢) النبيذ وأنصرفنا .

- قال : وكان أبو الشبل يعبث بقينة كانت لهشام النحوى الضريرى قال لها

(١) خرفت : أمالت وصرفت . (٢) التيفارات : جمع تيفار وهو الحوض .

خنساء ، وكانت تقول الشعر . فعبث بها يوما فأفرط حتى أغضبها فقالت له :
ليت شعري ! بأي شيء تدلّ ؟ أنا والله أشعر منك ، ولئن شئت لأهجونك حتى
أفضحك ، فأقبل عليها وقال :

خنساء قد أفرطت علينا * وليس منها لنا مجير

تاقت بأشعارها علينا * كأنما ناكها جرير

قال : فحجبت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه .

ذكر شيء من نوادر حمزة بن بيض الحنفي

كان شاعرا من شعراء الدولة الأموية ، وهو كوفي خلع ماجن . وكان منقطعاً
إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة ،
وآكثب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما . يقال : إنه أخذ بالشعر من مال وشاء
ورقيق وحملان وغير ذلك ألف ألف درهم . وله نوادر ، منها ما حكاه أبو الفرج
الأصفهاني عنه :

أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً
شديداً . فوجه إليه ليلة برسول وقال : خذه على أيّ حالة وجدته ، وأحلفه وغلظ عليه
الأيمان على ذلك . فمضى الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء ، فقال له :
أجب الأمير . فقال : ويحك ! إني أكلت طعاماً كثيراً وشربت نبيذاً حلواً وأخذني
بطني . فقال : والله ما تفارقني أو أمضي بك إليه ولو سلحت في ثيابك . بفهمه
في الخلاص فلم يقدر عليه . ومضى به ، فوجده قاعداً في طارمة^(١) له وجارية جميلة

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

- جالسة بين يديه ، وكان يتحفظها ، تسجّر الندّ^(١) . بفلس حمزة يحادثه وهو يعالج ما هو فيه . قال حمزة : فعرضت لى ريح فقلت : أسرحها وأستريح لعل ريحها لا يظهر مع هذا الندّ ، فأطلقتها ، فغلبت والله ريح البخور وغمرته . فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : على عهد الله وميثاقه وعلى المشى والهدى إن كنت فعلتها ! وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة . فغضب ، ونجحت الجارية فما قدرت على الكلام . ثم جاءنى أخرى فسرحتها ، فسطمع والله ريحها . فقال : ما هذا ؟ ويلك ! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتى طالق ثلاثا إن كنت فعلتها . فقال : وهذه اليمين لازمة إن كنت فعلتها ، وما هو إلا عمل هذه الجارية ؛ وقال لها : ما قصتك ؟ ويلك ! قومي إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئا . فزاد تحجبها ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطمع من ريحها ما لم يكن فى الحساب . فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ؛ ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد الزانية فقد وهبتها لك وأمض ، فقد نغصت على ليلتى . فأخذت بيدها وخرجت . فلقيني خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت له : أمضى بهذه الجارية . فقال : لا تفعل ، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضا لا تنتفع به بعده أبدا ، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه يتحفظها ، وسيندم على هبته إياها لك . فأبيت إلا بخمسمائة دينار . فقال : ليس غير ما ذكرت لك . فأخذتها وتركت الجارية . فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك . فلما قربت من داره لقيني الخادم وقال لى : هل لك فى مائة أخرى وتقول مالا يضرك ولعله ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت فادع الفسّوات الثلاث وأنسبها إلى نفسك وأنضح^(٢) عن الجارية ما قرقتها به . فأخذتها ودخلت على عبد الملك . فلما وقفت بين يديه قلت له : الأمان حتى

٢٠ (١) تسجّر : تحرق . (٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « وماذا » .

(٣) انضح ، أى أدفع عنها .

أخبرك بنخبريسرك ويضحكك . قال : لك الأمان . فقلت : أرأيت ليلة كذا وكذا
وما جرى ؟ قال نعم . قلت : فعلى وعلى إن كان فسا تلك الفسوات غيرى .
فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويلك ! فلم لم تخبرنى ؟ قال فقلت : أردت
بذلك خصالاً ، منها أنى قتت فقضيت حاجتى وقد كان رسولك بمنعنى من ذلك .
ومنها أنى أخذت جاريتك . ومنها أنى كافأتك على أذاك لى بمثله . قال :
وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجت حتى سلمتها الى فلان
الخادم وأخذت مائتى دينار . فسر بذلك وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال :
هذه لجميل فعلك فى وتركتك أخذ الجارية . قال حمزة : ودخلت اليه يوماً وكان
له غلام لم ير الناس أتن إبطاً منه . فقال لى : يا حمزة ، سابق غلامى هذا حتى
يفوح صنانك ، فأيكما كان صنانه أتن فله مائة دينار . فطمعت فى المائة ويئست
منها لما أعلمه من تن إبط الغلام ، فقلت : أفعل . وتعادينا ساعة فسبقنى ،
فسلحت فى يدى ثم طليت إبطى بالسلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكماً ، فلما
دنا الغلام منه وشمه وثب وقال : هذا والله لا يشاكله شىء . فصحت به : لا تعجل
على بالحكم ، مكانك ! ثم دنوت منه فألقت أنفه إبطى حتى علمت أنه قد خالط
دماغه وأنا ممسك رأسه تحت يدى ، فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنف أشبه
منه بالإبط . فضحك عبد الملك ثم قال : أضحكت له ؟ قال نعم . فأخذت الدنانير .
قال : ودخلت يوماً على سليمان بن عبد الملك . فلما مثلت بين يديه قلت :

رأيتك فى المنام شتنت^(١) خراً * على بنفسجاً وقضيت دينى

فصدق يافدتك النفس رؤيا * رأتها فى المنام لديك عيني

قال سليمان : يا غلام ، أدخِله خزانة الكسوة وأشتن عليه كل ثوب خز بنفسي ،
 فخرجت كَأَنِّي ^(١) مشجب . ثم قال : كم دينك ؟ قلت : عشرة آلاف ، فأمر لي بها
 وما أعلم والله أتى رأيت من ذلك شيئاً .

ذكر شيء من نوادر أبي العيناء عفا الله عنه

هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، من بني حنيفة أهل اليمامة .
 وأسرى يأسر في سباء في خلافة المنصور . فلما صار في يد المنصور أعتقه ، فهم موالى
 بنى هاشم . وكان أبو العيناء ضرير البصر ، يقال : إن جده الأكبر لقي على بن
 أبي طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى
 منهم فهو صحيح النسب . وهو ممن أشتهر بالمجون ، وله نوادر وحكايات مستظرفة ،
 ومراسلات عجيبة ، سأورد منها طرفاً ، وأسطر طرفاً . فمن ذلك : أن بعض الرؤساء
 قال له : يا أبا العيناء ، لو مِتَّ لرقص الناس طرباً وسروراً . فقال بديهة :

أردت مَدَمَتِي فأجدت مَدَحِي * بحمد الله ذلك لا بجحدك

فلا تك واثقاً أبداً بعمد * فقد يأتى القضاء بغير عمدك

ثم قال : أجل ! الناس قد ذهبوا ، فلورآنى الموتى لطربوا لدخول مثلى عليهم ،
 وحلول عقلى لديهم ، ووصول فضلى اليهم ؛ فما زال الموتى يغبطونكم ويرحموننى بكم .

وقال : وأتصلت أشغال أبي الصَّقر الوزير ، فتأخر توقيعه عن أبي العيناء
 برسومه . فكتب إليه : رقعتى ، أطل الله بقاء الوزير ، رقعة من علم شغلك
 فأطرح عدلك ؛ وحقق أمرك فبسط عذرك . أما والليل إذا عسعس ، فالبنان
 لبنات الدنان ، وملامسات الحسان ؛ وأما والصبح إذا تنفس ، فالبنان للعنان ،

(١) المشجب : خشبات تنصب لتوضع عليها الثياب .

(١)

ومؤامرات السلطان؛ فمن أبو العيناء القرنان ! . فوق أبو الصقر تحت سطوره :
لكل طعام مكان، ولكل معوز إماكن؛ وقد وقعنا لك بالرسوم، وجعلنا لك حظًا
من المقسوم؛ وكفينا أنفسنا عذرك الذي هو تعزير، ولسانك الذي هو تحذير .
والسلام .

٥ ثم لقيه أبو العيناء في صدر موكبته فقال : طاعة شيمك لسلطان كرمك، ألزمتك
الصبر على ذنوبي إليك، وتجنني خلقك عليك . فقال أبو الصقر : كبير حسناتك ،
يستغرق يسير سيئاتك . فدعا له وأنصرف شاكرًا . قال : وبسط أبو العيناء لسانه
على أهله في بعض الدواوين . فقال له فتى من أبناء الكتاب كانت فيه جراءة : كل
الناس لك يا أبا العيناء زوجة، وأنت زوجة أبي علي البصير . فقال له أبو العيناء :
١٠ قد ملكنا عصمتك بيقين فخّواك، ثم ننظر في شكوك دعواك، وقد طلقت الناس
كلهم سواك؛ ذلك أدنى ألا نعول، وفيك ما يروى الفحول، ويتجاوز السول .
قال : ففضحه بهذا الكلام، فلم يجبه . قال : وكان في بني الجراح فتى خليع ماجن
فأراد العبث بأبي العيناء؛ فنهاه نصحاءه فأبى؛ فقالوا : شأنك . فقال له :
يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ فقال : حين آمن أهلوك وأبوك الذين لم يؤدّبوك . فقال
١٥ له الفتى : إذا قد علمت أنك ما أسلمت . فقال أبو العيناء : شهادتك لأهلك
دعوى، وشهادتي عليهم بلوى، وسترى أيّ السلطانين أقوى، وأيّ الشيطانين
أغوى؛ وسيعلم أهلوك، ما جنى عليهم جهلك . قال : فأتاه أبوه فتبرأ من ذمته،
ودفعه إليه برمته . فقال له أبو العيناء : قد وهبت جورَه لعدلك، وتصدقتُ بحمقه
على عقلك .

٢٠ ومن أخبار أبي العيناء أيضا : أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون

- زعم أنه غير فاره، فكتب الى أبيه : أعلم الوزير أعزّه الله تعالى أن أبا عليّ محمداً أراد أن يبرّني فعنّني ، وأن يُركبني فأرجاني ! أمر لي بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيبي اليابس عجفاً ، وكالعاشق المجهود دنفاً ، يساعداً أعلاه لأسفله ، حباقه^(١) مقرون بسعاله ، فلو أمسك لترجيت ، أو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ، كأنه خطيب مُرشد ، أو شاعر مُنشد ، تضحك من فعله .
- النسوان ، ويتناغى من فعله الصبيان ، فمن صائح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن قائل يقول : نقّ له من الشعر . قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في الأمصار ، فلو أعين بنطق ، لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر الشّعبي . وإنما أُتيْتُ من كاتبه الأعور ، الذي اذا آختار لنفسه أطاب وأكثر ، وإذا آختار لغيره أخبث وأنزر . فإن رأى الوزير أن يُبدلني ويرمحنى بمركوب^(٢) يضحكني كما يضحك مني ، يحو بحسنه وفراسته ، ما سطره العيب بقبحه ودمايته .
- ولست أردّ كرامته ، سرجه وبلامة ، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يمضيه . فوجه اليه عبيد الله برذوناً من براذينه بسرجه وبلامه . ثم اجتمع محمد ابن عبيد الله عند أبيه . فقال عبيد الله لأبي العيناء : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار ، وما هذا ثمنه فلا يُشتكى . فقال : أعزّ الله الوزير لو لم أكذب مستريداً ، لم أنصرف مستفيداً . وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) . فضحك عبيد الله وقال : حجتك الداحضة ، بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة . ودخل أبو العيناء على أبي الصّقر وكان قد تأخر عنه ، فقال : ما أترك عنا؟ قال : سرق حمارى . قال : وكيف سرق؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك . قال : فلم تأت على غيره؟

(١) كذا بالأصل . (٢) الحباق : الضراط .

قال : أبعدنى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت ذلة المكارى ، ومنّة العوارى . قال :
وصار يوما الى باب صاعد بن مخلد ، فقيل له : هو مشغول يصلى ، فقال : لكل جديد
لذة . وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة . وقال له صاعد يوما : ما الذى أتحرك عنا ؟
قال : بنتى . قال : وكيف ؟ قالت لى : يا أبت ، قد كنت تغدو من عندنا فتأتى
بالحلعة السريّة ، والجائزة السنية ، ثم أنت الآن تغدو مُسَدِّفًا ، وترجع مُعْتِمًا ، فإلى من ؟
قلت : إلى أبى العلاء ذى الدرايتين . قالت : أيعطيك ؟ قلت : لا . قالت : أفيسفّعك ؟
قلت : لا . قالت : أيرفع مجلسك ؟ قلت : لا . قالت : يا أبت لم تعبُدْ ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ! .

ولأبى العيناء مع المتوكل أخبار وحكايات ، فمنها أن المتوكل على الله قال
له يوما : يا أبا العيناء ، هل رأيت طالبيّا حسن الوجه قط ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
أرأيت أحدا يسأل ضريرا عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريرا فيما تقدم ، وإنما سألتك
عما سأل . قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى مارأيت أجمل منه !
قال المتوكل : تجده كان مؤاجرا ويمجدك قوادا عليه . فقال أبو العيناء : أو فرغت
لهذا يا أمير المؤمنين ! أترانى أدع موالى على كثرتهم وأقود على الغرباء ! قال :
أسكت يا مابون . قال : مولى القوم منهم . فقال المتوكل : أردت أن أشتفى به منهم
فاشتفى لهم منى . وقال له رجل من بنى هاشم : بلغنى أنك بغاء . قال : ولم أنكرت ذلك
مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مولى القوم منهم" ؟ قال : إنك دعيت فينا .
قال : بغائى صحح نسبي فيكم . وسأل أبو العيناء الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك
فى شفاعته لصاحب له ، فكتب الكتاب وناول الرجل ، فعاد به الى أبى العيناء وقال :
قد أسعف . قال : فهل قرأته ؟ قال : لا ، لأنه مختوم . قال : ويحك ! فضّه لا يكون
صحيفة المتلمس . ففضّه فاذا فيه : موصّل كتابى سألنى فيه أبو العيناء ، وقد عرفت

- سفهه وبذاء لسانه ، وما أراه لمعروفك أهلاً . فإن أحسنت إليه فلا تحسبه على يدا ، وإن لم تحسن إليه لم أعدّه عليك ذنباً ، والسلام . فركب أبو العيناء الى الجاحظ وقال له : قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان . نخجل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء ، هذه علامتى فيمن أعتنى به . قال : فإذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فأعلم أنها علامته فيمن شكر معروفه . وقال أبو العيناء : مررت يوماً بدرب بسامراء ، فقال لى غلامى : يا مولاي ، فى الدرب حمل سمين والدرب خال . فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلسانى وصرت به الى منزلى . فلما كان من الغد جاءتنى رُقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها : جعلت فداك ، ضاع لنا بالأمس حمل ، فأخبرنى صبيان دربننا أنك أنت سرقتّه ، فأمر برده متفضلاً . قال أبو العيناء : فكتبت اليه : أى سبحان الله ! ما أعجب هذا الأمر ! مشايخ دربننا يزعمون أنك بغاء وأكذبهم ولا أصدقهم ، وتصدق أنت صبيان دربك أنى سرقت الحمل ! . قال فسكت وما عاودنى . ولأبى العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد أوردنا منها ما يدخل فى هذا الباب وتركنا ما سواه .

ذكر ما ورد فى كراهة المزح

- رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "مَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ" . وقال حكيم : خير المزاح لا يُنال ، وشره لا يُقال ؛ سكرات الموت به مُحْدَقَة ، وعيون الآجال اليه مُحْدَقَة . وقال آخر : تجنب شؤم الهزل ونكد المزاح ؛ فإنهما بابان إذا فُتِحَا لم يُغْلَقَا إلا بعد عسر ، وفُحِلَا إذا لَقِحَا لم ينتجا غيرَ ضَرٍّ . وقالوا : المزاح يضع قدر الشريف ، ويذهب هيبة الجليل . وقالوا : لا تقل ما يسوءك عاجله ، ويضرّك آجله . وقالوا : إياك وما يُسْتَقْبَح من الكلام ، فإنه يُنْفَر عنك الكرام ، ويُجَسَّر عليك اللئام . وقال عمر بن عبد العزيز : اتقوا المزاح ، فإنها حمقة

تورث ضغينة . وقال حكيم لأبنه : يا بني ، إياك والمزاح ؛ فإنه يذهب ببهاء الوجه ويحط من المروءة . قال شاعر :

(٣٤)

إِكْرَهُ لِنَفْسِكَ مَا لِبَغِيرِكَ تَكْرَهُ * وَأَفْعَلْ لِنَفْسِكَ فَعَلَ مِنْ يَتَنَزَّهُ
وَأَرْفَعْ بِصِمَّتِكَ عَنْكَ سُبَاتِ الْوَرَى * خَوْفَ الْجَوَابِ فَإِنَّهُ بِكَ أَشْبَهُ
وَدَعَ الْفُكَاهَةَ بِالْمَزَاحِ فَإِنَّهَا * تُودَى وَتُسْقَطُ مِنْ بَهَا يَتَفَكَّهُ
وقيل :

أَلَا رَبِّ قَوْلٍ قَدْ جَرَى مِنْ مِمَّازِجِ * فَسَاقَ إِلَيْهِ الْمَوْتَ فِي طَرْفِ الْحَبْلِ
فَإِنَّ مَزَاحَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ حِينِهِ * دَائِلٌ عَلَى فِرطِ الْحِمَاقَةِ وَالْجَهْلِ
وقيل :

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمَزَاحَ فَإِنَّهُ * يُجَرِّى عَلَيْكَ الطِّفْلَ وَالرَّجُلَ النَّذْلَا
وَيُذْهِبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ بَهَائِهِ * وَيُورِثُ بَعْدَ الْعِزِّ صَاحِبَهُ ذُلًّا

وقال بعض البلغاء : المزاح نحرف ، والاقتصاد فيه ظرف ، والإفراط فيه ندامة .

وقالوا : من أكثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه . ويقال : أكثر أسباب القطيعة المزاح . وإن كان لا غنى للنفس عنه للجَمَامِ^(١) ، فليكن بمقدار الملح

في الطعام . قال أبو الفتح البستي رحمه الله :

أَفِذْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً * تَرَاخُ وَعَلَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْجِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَته الْمَزْجَ فَلْيَكُنْ * بِمَقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ
وقيل :

إِمْرَاحُ بِمَقْدَارِ الطَّلَاقَةِ وَأَجْتَنِبْ * مَزْحًا تَضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
لَا تُغْضِبَنَّ أَخَا إِذَا مَازَحْتَهُ * إِنَّ الْمَزَاحَ عَلَى مَقْدَمَةِ الْغَضَبِ

وقيل :

مَازِحُ صَدِيقِكَ مَا أَحَبُّ مَزَاحَا * وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جِمَاحَا

(١) الجمام (بالفتح) : الراحة .

فلربما مَرَحَ الصديقُ بمزحةٍ * وكانت لبدءِ عداوةٍ مِفْتَاحَا
وقال سعيد بن العاص لولده : يا بني ، اِقتصد في مزحك ، فإن الإفراط فيه يذهب
البهاء ، ويُجَرِّئُ السفهاء . ويقال : المزاح أقوله فَرَحَ ، وآخره تَرَحَ . قال أبو العتاهية :
وترى الفتى يَلْقَى أخاه وَخِذْنَهُ * في بعض مَنَاطِقِهِ بما لا يُغْفَرُ
ويقول كنتُ مَلَاعِبًا وَمَمَازِحًا * هيهات ! نَارُكَ في الحشا تَتَسَعَّرُ
أَلْقَيْتَهَا وَطَفِيقَتَ تَضْحَكُ لَاهِيًا * وفؤادُه مما به يَتَفَطَّرُ
أوما علمت ومثلُ جهلك غَالِبٌ * أنَّ المزاح هو السَّبَابُ الأَكْبَرُ
فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون ، يفرح لها قلب المحزون ، وتزول عنه
الشيخون . فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب من أشعار المَزَاحِين .

١٠ ذكر شيء من الشعر المناسب لهذا الباب والداخل فيه
وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن ، ما رَفَلَتْ معانيه في حُلَلِ أنفاسها
على صفحات أطراسها ، وأَهْلَتْ مغانيه بما أودعه لسانُ القلم صدرَ قرطاسها من
بديع إيناسها . يُضْحِكُ سامعَه وإن كان ثَكِلًا . ويستوفيه وإن كان عَجَلًا . هذا مع
ما فيه من فُحْشِ القول الذي إذا تأملته في موضعه كان أزين من عقود اللآلى ،
وإن محتته في غيره كان أقفر من ظِلِّمِ الليالى . نسأل الله المسامحة لكتابه وقائله ،
ومستمعه وناقله . فمن ذلك ما كتب به ابن حجاج لمن شرب دواء :

يا أبا أحمد بنفسي أفبديك * وأهلى من سائر الأسواءِ
كيف كان أنخطأ ^(١) طَجَعْتُكَ في طاء * عِ شَرِبَ الدواء يوم الدواءِ
كيف أمسى سِبَالُ مَبْعَرِكَ ^(٢) النَّدُّ * ل غريقًا في المِزَّةِ الصَّفراءِ

وقال الحسن بن هانئ يصف نفسه بمعرفة صناعة الدب :

إذا هجع النيامُ نخلّ غنى * وعمّن كان يصلح للدبيب
فإني عالمٌ فطرٌ أريب * ولم يُخبرك مثلُ فتى أريب
ألدُّ النَّيك تأخذه سِرارًا * بمنع الحبّ أو منع الرقيب
بليتُ بشادينِ أحوى ربيب * بعيد في مودته قريب
كأنَّ تَعَطُّفَ الأعطاف منه * قضيبٌ مال في أعلى كتيب
ظفرتُ بمعقد الزنار منه * وما آرتابت ظنونُ المستريب
بخلتُ بخفة في الردف أجرى * على ما شئتُ من لينٍ وطيب
فلما آشتد للشبق اضطرابي * ودفع من دلادله قضيب
تنبه حين أمطره سحابي * وأنكر حالي ورأى وثوبي
وقام يسبني ويحطّ قدرى * فقلت له ترفّق يا حبيبي

وقال :

يا حبذا ليلة نَعِمْتُ بها * أشربُ فضل الحبيب في القدح
سألته قُبلةً بخاد بها * فلم أصدق بها من الفرج
ثم تَرَقَّيْتُ فوق منبره * بأحرَمِ الأنف بين الجَلجَل^(١)

وقال :

ومُنَّبِه من نومه بعد هَجْعَةٍ * وقد دبَّ رب البيت شوقاً إلى الساق
فأدب فيه مثل أسود سائح * أصمّ من الحيات ليس له راق
أشقّ لرتق الإست من حد شفرة * وأنفذ في الخُصَّيْن من زجٍ مِرْزاق^(٢)

(١) الجَلجَل : انحسار الشعر عن جانبي الرأس .

(٢) الزج : الحديدة في أسفل الرمح .

فقلت له لما تورك فوقه * وأطرق عند الرهن أية إطراق
نشدتك ألا تلقين مقصرا * ولا مشفقا لي غير موضع إشفاق
وقال :

للطمة يلطمني أمرد * تأخذ مني العين والفكا
أطيب من تفاحة من يدي * ذى لحية ممشوة مسكا
وقال أيضا :

أرفض أخوة من نسك * وألزم سجيّة من فتك
وأضرب بأيرك خصمه * وبه فحكم في السكك
وإذا لقيت مهفها * فأسلك به أنى سلك
وأهيب عليه منعظا * وأبرك عليه إن برك
وأصهل عليه محججا * فعل العتاق على الرمك^(١)
وأسق الملاح بكأسه * وأنصب لشاردهم شرك
واشقق سراويلاتهم * لا تنتظر حل التّكك

وقال أيضا :

ومشترك فيه إذا الوهم ناله * تخنث أنثى وأعتدال غلام
تمطّيته والليل مريح سدوله * وأكتافه محفوفة بظلام
وخالسته كأسين ريقاوقهوة * معتقة شجّت^(٢) بماء غمام

وقال أيضا :

يا أبا القاسم قلبي * بك صبّ مستهام
بأبي مرّبك الصّعب الذي ليس يرام

(١) الرمك : جمع رمكة وهي الفرس أو البرذونة تتخذ للنسل . (٢) شجت : مزجت .

سَرَّجُهُ كَالدَّرْ لُونًا * نَاعِمُ اللَّسِّ رُكَّامٌ
(١)

وَبَدَادَانِ يَمِيلَا * نَ إِذَا أَشْتَدَّ الْحَزَامُ
(٢)

طَبَّتْ، وَالْعِفَّةُ عَنْ تَقْدِ * بِيَلِ خَدِّكَ حَرَامُ

أَبْدَا تُمَشِّقُ فِيهَا * ثُكُّكَ مِنْ جَسَمِي لَامُ

وقال أيضا :

يَا فِتْنَةً سَيَقْتِ إِلَى قَيْنَةٍ * لَقَتْلِ عُرَّابِ مَسَاكِينِ

إِذَا رَأَوْهُ صَهَلُوا نَحْوَهُ * يَحْكُونُ أَصْوَاتَ الْبَرَادِينِ

كَأَنَّ نَفْذِيهِ إِذَا أَضْطَمَّتَا * وَالْأَيْرُ فِيهَا عَقْدُ عَشْرِينَ

وقال أيضا :

وَعَزَّالٍ عَاطِيَّتُهُ الرَّاحَ حَتَّى * فَتَرْتُ مِنْهُ مُقْلَةً وَاسَانَا

قَالَ لَا تُسَكِّرْنِي بِحَيَاتِي * قُلْتُ لَا بَدَّ أَنْ تُرَى سَكْرَانَا

إِنْ لِي حَاجَةٌ إِلَيْكَ إِذَا نِمَ * مَتَّ وَإِنْ شِئْتَ فَأَقْضِهَا يَقْظَانَا

فَتَلَكَّا تَلَكُّوْا فِي آنْخَنَاتٍ * ثُمَّ أَصْغَى لَمَّا أَرَدْتُ فَكَانَا

وقال أيضا :

قَالُوا أَغْتَسِلْ وَجَبَ الطُّهْرُ * وَالْكُئُوسُ تَدُورُ

فَقُلْتُ سَوْفَ فَقَالُوا * تَرَكُ الصَّلَاةَ كَبِيرُ

فَقُلْتُ أَكْبَرُ مِنْهُ * ظَنِّي يَنَّاكَ غَرِيرُ

إِنْ قَمْتُ لَمْ يَنْتَظِرْنِي * وَغَابَ عَنِّي السَّرُورُ

وَمَا لَمْثَلِي صَلَاةٌ * لِأَنْتَ فِسْقِي شَهِيرُ

(١) البدادان : مثني بداد، وهو ذلك المحشوت تحت السرج والقنب؛ أو هما الخرجان .

(٢) كذا في مجون أبي نواس (طبع مصر سنة ١٣١٦) وفي الأصول :

طبت بالعفة عن تقييل خديك لزام*

وقد وردت هذه الأبيات في مجونه بزادات واختلاف كثير عما هنا .

فأقصرُوا عن ملامى * فإننى معذورٌ
إن الحنابة ممن * جنبْتُ منه طهورٌ

قال ابن سكرة الهاشمي شاعر اليتيمة :

قد قلتُ لما مرَّ بي معرضاً * كالبدرت تحت الغسق الداجي
يهتر في مشيئته متعباً * من كفيل كاللوج رَجراج
ويلى على حلِّ سراويله * فإنه شُدَّ على عاج

وقال ابن الرومي :

يا طيبَ الثغر والمُجاجة * اقض لنا حاجةً بحاجة
خذ من دنائيرنا وبعنا * نيكاً ودعنا من اللجاجة
عرج علينا تُصبُ غداً * ونعمل العود والزجاجة
يا حسنَ الوجه لا تسمج * فيفسد الحسنُ بالسماجة

وقال ابن سكرة :

أيا من كلِّ قمر * وكلِّ لحاظه حور
لقد طالتِ عدائُكَ لى * وأيامى بها قصر
متى في البرج تحصل كي * تزيّف ويهدر الذكر
وتنشأ بيننا قبل * يطير لنارها شرر

وقال أيضا :

أحببتُ بدماءٍ ماله مُشبهٌ * في الحسن إلا أنه جافى
أحور في مقتلته حجةٌ * للعين والشين مع القاف^(١)
وفي آرتجاج الردف دايع إلى * نونٍ ويا قیل ما كاف
سألتَه الوصول فلم يحتشم * وقال قدّم نقدك الوافى

(١) كذا في اليتيمة وفي الأصل «بعدها كاف» وهو تحريف .

وقال أيضا :

أيها التركي ما عند * مدك للصبّ النحيل
هل الى ما يستر القُرُّ * طَقُّ غنى من سبيل^(١)
أشتهى ذاك وأخشى * صولة الليث الثقيل

وقال أيضا :

إني بليتُ بشادين غنج * حسن الشائل وافر الكفل
يبغى الدراهم وهي معوزة * عندي فحلي غير متصل
مُسْتَعْجَم الألفاظ أجهل ما * يُبدى ويجهل فهمه غزلى

وقال أيضا :

ياليلة ليس فيها * الى الفقاح سبيل^(٢)
طالت على ذى أحتاج * له قُدُّ طويل^(٣)
مسكرجٌ نتوالى * دموعه وتسيل
رقاده فى الدياجى * حتى ينك قليل
مُوتَرٌ مستقيم * عليه رأسٌ ثقیل
أنزلته خان سوء * يطيب عنه الرحيل

وقال ابن سكرة أيضا فى أعرج :

قالوا بليتَ بأعرج فأجبتهم * العيبُ يحدث فى غصون البان
ماذا على إذا آتخذتُ شمائلًا * وروادفًا تُغنى عن الكُشبان
إني أحبّ جلوسه وأريده * للنك لا للجري فى الميدان

(٢) الفقاح : جمع فقحة وهى حلقة الدبر .

(١) القرطق : قباء ذو طاق واحد .

(٣) القمّة : الذكر الشديد الإنعاط .

في كل عضوٍ منه حُسنٌ كاملٌ * ما ضرني إن زلتِ القدمانِ

وقال أيضا :

سألته في صحوةٍ قُبلةً * فردّني والموتُ في ردّه
حتى إذا السكر لوى جيده * قبلته ألفا بلا حمده

وقال :

إذا لم يكن للأيرُ بختٌ تعذرتُ * عليه جهاتُ النيك من كل ناحية
حُرمتُ الغزالَ الواسطى بحرفتي * فدمعةُ أيرى فوق خُصّيته جاريه

وقال أيضا :

عَشِقْتُ لِلْحَيْنِ قِينَةً عَطَفْتُ * قلبي بالحسن كلَّ مُنْعَطِفٍ

ورُمْتُ نيكًا لها وكيف به * لولا سفاهى والبُدع من حِرْفِي

قلت أرفق بالشريف فأبتسمتُ * عن أولو ما أعتري إلى صَدَفِ

مُحِبًّا وأبدت كالقعب عضَّ له * أيرى على بيضه من الأسفِ

وصفقتُ حوله تحسّرنى * وهو كثيف المحسّ كالهَدَفِ

حتى إذا ما ربا له ذَكَرِي * وطال حتى علا على كَتْفِي

قالت بحقّ عليك تطمع أن * تُوج في ذا بالشّعِرِ والشَّرَفِ

تالله لا نِكْتَنِي بقافيةٍ * ولا بِشِعْرِ فأنسلّ أو فَقِفِ

وأسبلتُ ثوبها عليه فلم * أملك سلواً وُلجَّ بي كَلْفِي

فُعِجْتُ عنها والأيرُ يُنشدني * بيتا ويبيكي بأدمع ذُرْفِ

”قال لي الشوق قِف لِثَلْثِمِهِ * فمن حذارِ الرقيب لم أقِفِ“

وقال أيضا :

لنجمَةٍ عندي حديثٌ يطولُ * رأيتني أبول فكادت تبولُ

فلما نهضتُ أتاني المكتبُ * وجاء الهدايا وجاء الرسولُ
وقالت تقول بنا يافتي * فقلت وأنعظتُ لم لا أقول
وقال أحمد بن محمد الأنطاكي :

كل يوم أنا من أيد * يرى في أمرٍ مُجَابِ
ليس يُجَلِّينِي من همٍّ * وحزنٍ وأكتئاب
لم يدع لي ذهباً إلا * رماه بالذهبِ
وآبتداء الشؤم أن يع * حل في أمر الشبابِ
هل مجير لي منه * أهل ودى وصحابي

وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجاج :

صمدتُ لها وجنح الليل داج * بأخطف للطريدة من عقاب
والصق في المباعر من قراد * وأوقع في المقاذر من ذباب
[وقال أيضاً :^(٢)

ضرطت ونحن بعكبرا * ءفشمرت سفن الغروب
وفست على ريح الشما * ل فالحقتها بالجنوب
ومسحت مبقلة آستها * فوجدتها ألفى جريب
جاءت إلى وجوفها * يغلى ولا قدر الزبيب
فسلقت بيضى في آستها * وشويت في حرها قضبي

وقال :

ذات رَحْم يُسْقَى الفراغاتِ صرفاً * من عصير الخصى بغير مزاج

(١) في بعض الأصول : « أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحجاج » . وفي التبعة : « أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج » . وفي ترجمته بتاريخ أبي هلال الصابي الملحق بتاريخه الوزراء ص ٤٣٠ : « أبو عبد الله الحسين بن أحمد » .

(٢) الزيادة التي بين هاتين العلامتين [ناقصة من الأصل وموجودة باحدى النسخ .

بات دكشاب فيشتى في خراها * يَخِيطُ الدوغباج بالزيرباج
وقال أيضا :

لما أُنْتِنِي بالليل مقبلةً * وثوبها بالحرأ قد آتتِرا
تركض مثل الحصان نافرةً * ومن يرد الحصان إن نفرا
مد ذراعى في صدرها كلباً * وشد أيرى في سُرْمها ثفراً

وقال أيضا :

وافرة الردف فهو يُثْقِلُهَا * لطيفة الكشج نضوة الخضر^(١)
طعمُ خراها وطعم فيشتى لتي * يُشَبِّه طعم اللب^(٢) مع التمر
لوم أشبب بشعر عانتها * ما طاب للناس كلهم شعري
قيل لا يرى وقد رأوه ولا ال * بهارب بعد الحصول في الأسر
يشتد بعد العشا إلى حرها * عذوا بلا حشمة ولا فكر
مالك هوذا يطيرقات لهم * أطيروا مستعجلا إلى وكرى

وقال وكتب بها عن بعض الرؤساء وقد عرضت عليه جارية وصف حسنها
ليقلبها فامرته بالجواب ، فكتب :

يا ذا الذي جاء بحيرله * في السر يهديه إلى أيرى
على شغل بالمهم الذي * تراه فاطلب نائكا غيرى

وقال :

خميّة السورم ولكنها ال * بظراء شيرازية المفرق
قالت لأيرى بعد ما صب في * نواتها أكثر من دورق

(١) النضوة : المهزولة .

(٢) اللب (وسهلت همزته ها هنا للشعر) : أول اللبن .

أوحشت عين آستى فقل لى متى * تؤنسه ياعنق اللقلق^(١)
فقال هيهات وهل يرجع اللص^(٢) إذا فتر من المطبق^(٣)
وقال أيضا :

قومي تنحى فليست من شانى * قومي أذهبي لا يراك شيطانى
لا كان دهر^(٤) عليك حصننى * ولا زمان^(٥) اليك ألبانى
قعدت تفسين فوق طنفتى * ما بين راحى وبين ريحانى
فما عدمننا من الكنيف وقد * حضرت^(٦) إلا بنات وردان^(٧)
وقال :

ياسادنى ما أسترق دينى * شئ كمثل الحر السمين
كما أراه يزول عقلى * عنى ويعتادنى جنونى
وأشهى أن أغوص فيه * من مشط رجلى إلى جبينى
وكلما شلت منه رأسى * رزقت^(٨) قومًا يغوصونى
وقال ابن سكرة الهاشمى :

رب عجز مستعينة * سلقية اللون سلقية
عاجية، إذا استضحكت * أبدت ثنايا ابنوسية
ذات حر^(٩) عنبله^(١٠) بارز * كمرقب فى وسط برية
وشعرة بالقمل منظومة * كالودع فى عقصة كردية
يفتر ذاك الصدغ عن بظرها * كقنفذ عض على رية
مسننة تصبو الى أمرد * فهى على العاهة لوطية

(١) اللقلق : طائر طويل العنق . (٢) المطبق : السجن تحت الأرض .
(٣) بنات وردان : دواب حمراء اللون وأكثر ما تكون فى الحمامات وفى الكنف .
(٤) العنبل : البظر .

وقال ابن حجاج :

فلم أزلْ وهى إلى جانبي * كظبية عفراء وحشية
أنب مثل التيس فوق آستها * وفى عند النيك تيسية
وقال أيضا :

فتاة كالمهاة تروق عيني * مشاهدُها وتفتن من رآها
تكاد ترد للمحبوب أيراً^(١) * وتحدث للفتى العنين باها

وقال :

يا عيني السفلى لحي سادتي * قد شهدت بالزور فاستعبرى
وأبكي عليها كلما سرحت * فى آستى بدمع سلس أصفر

وقال أيضا :

إياك والعفة إياكا * إياك أن تُفسد مغناكا
أنت بخير يا أبا جعفر * مادمت صلب الأير نياكا
فإنك ولو أتمك وأصفع ولو * أباك إن لامك فى ذاك

وقال أبو بكر محمد الخوارزمي :

فسا الشيخ سهواً وفى كفه * شراب فُلمناه لوماً قبيحا
فقال لي الدخل والخرج لي * فأدخلت راحا وأخرجت ريحا

وقال أبو القاسم التنيسى :

لنا شيخٌ بفقحته موسى * ويحلق شاربيه بالمواسى^(٢)
إذا بايئه فى جنح ليل * فسايفسو فساء فهو فاسى

(١) المحبوب : الذى استوصل ذكره وخصيناه .

(٢) المواسى : جمع موسى وهى الآلة يخلق بها .

وقال ابن سكرة :

وبات في السطح معي صاحب * من أكرم الناس ذوى الفضل
أفسو فيفسو فهو لي مسعد * وإنما أملي ويسملي

وقال أبو نواس :

نكنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا
فكان خبراً بملح * قبل الطعام أكلنا

وقال علي بن حصين الإشبيلي :

قمتُ نشواناً وقامت * في تهادٍ وثنتي
ونضتُ عنها قيصاً * ثم لما ضاجعتني
قلبتُ بطناً لبطن * قلت لا ظهرا لبطن
فأنشنت في نجلى قا * ثلةً عند الثنتي
أنا حانوتٌ بوجهي * من فلتُ إن شئت وآزني

وقال أبو العلاء بدیع الزمان عفا الله عنه :

لا زلتُ أجلِدُ أو أنيك مُشوّها * ووجوهُ ولدان الجنان تُجَاهي
لا أستطيع إذا تخرج رِدْفُهُم * إلا الأسى وتنفّس الأَفواه
إني رأيتُ التُّرك يوماً كلّهم * خُصّوا بطيبٍ مثاغرٍ وشفاه
لم أدر أيّ خصالهم أحلى هوى * وبأيّهم يلهو فؤادُ اللّاهي
بفخامة الأرداف أم برشاقة الأعطاف أم بحلاوة الأفواه
تاهوا على من ناكهم وتعزّزوا * ويعزّز نيك الأمرد التّياه

الباب الرابع

من القسم الثالث من الفن الثاني

- في الخمر وتحريمها وآفات وجنایاتها وأسمائها ، وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية ،
ومن حُدِّ فيها من الأشراف ، ومن أشتهر بها ، ولبس ثوب الخلاعة بسببها ،
وما قيل فيها من جيد الشعر ، وما قيل في وصف آلاتها وآنيتها ، وما قيل
في مبادرة اللذات ، وما وُصِفَتْ به المجالس وما يجري هذا المجرى .

ذكر ما قيل في الخمر وتحريمها

- أجمع الناس على أن الخمر المحرمة في كتاب الله عز وجل هي المتخذة من عصير
العنب بعد أن يغلي ويقذف بالزبد من غير أن يمسها نار . وإذا آنقبت بنفسها وتخللت
طهرت من غير أن يتسبب في ذلك شيء يُلْقَى فيها . وطهارتها إذا غلبت عليها
المحوضة وفارقتها النشوة . والخمر المتخذة أيضا من التمر ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم
فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : « الخمر من هاتين الشجرتين
النخلة والعنب » . وفي حديث آخر : « من هاتين الشجرتين الكرمة والنخلة » . وعن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « أما بعد ، أيها الناس ، إنه نزل تحريم الخمر وهي من
نحسية ، من التمر والعنب والعسل والحنطة والشعير » . والخمر ما خامر العقل .
ولا خلاف بين أحد من الأئمة في أن الخمر حرام ، لما ورد في ذلك من الكتاب
والسنة . أما ما ورد في كتاب الله عز وجل فأربع آيات ، منها ما يقتضي الإباحة ،
ومنها ما يقتضي الكراهة والتحريم . فأول ما نزل فيها بمكة قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ

٣٨

ثُمَّ رَاتِ النَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا. فكان المسلمون يشربونها يومئذٍ وهي حلالٌ لهم . ثم أنزل الله عز وجل بالمدينة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفيهم من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، أفيتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبٌ للعقل مسلبةٌ للمال ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربكم تقدم في تحريم الخمر » . فتركها قوم للإثم الكبير وقالوا : لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه إثم كبير ، وشربها قوم لقوله تعالى : ﴿ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ . وكانوا يستمتعون بمنافعها ويتجنبون مآثمها ؛ إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا بعضهم ليصلي بهم ؛ فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون إلى آخر السورة بحذف "لا" ، فأنزل الله عز وجل . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ فحرم السكر في أوقات الصلاة . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن الله عز وجل تقارب في النهي عن شرب الخمر وما أراه إلا سيحترمها . فلما نزلت هذه الآية تركها قوم ، وقالوا : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة . وقال قوم : نشربها ونجلس في بيوتنا ؛ فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة ؛ إلى أن شربها رجلٌ من المسلمين ، فجعل ينوح على قتلى بدر ويقول :

تُحْيَا بِالسَّلَامَةِ أَمْ بِكُرٍ * وهل لي بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبح بكراً فإني * رأيت الموت كفت عن هشام
وود بنو المغيرة لو فدوه * بألف من رجال أو سوام

في أبيات أخر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بجاء فزعاً يجتز رداه حتى انتهى إليه ، ورفع شئاً كان في يده ليضربه ، فلما عاينه الرجل قال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ، والله لا أطعمها أبداً ، ثم نزلت آية التحريم وهي قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ . وروى أن هذه الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب ، وكان نزولها وتحريم الخمر في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة .

وكان من خبر حمزة بن عبد المطلب ما رواه مسلم بن الحجاج بن مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : أصبتُ شارفاً^(١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مغنم يوم بدر ، وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفاً أخرى من الخمس . قال علي : فلما أردت أن أبتي بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع^(٢) يرتحل معي فنأتى بإذخر^(٣) أردت أن أبيع به من الصواغين فاستعين به علي وليمة عرسى . فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والغرائر والابال ، وشارفاي مُناختان إلى جنب حُجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعت ما جمعت ، فاذا شارفاي قد آجبتت^(٤) أسنمتها وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك نفسي حين رأيت ذلك المنظر منهما [أن] قلت : مَنْ فعل هذا؟ قالوا : فعلة حمزة بن عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار ، غنته قينة وأصحابه ، فقالت في غنائها :

* ألا يا حمز للشرف النواء *

٢٠

(١) الشارف : المسنة الهرمة من النوق .

(٢) بنو قينقاع (بفتح القاف وتثنية النون) : شعب من اليهود الذين كانوا بالمدينة .

(٣) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة يسقف بها البيوت فوق الخشب . (٤) زيادة يقتضها السياق .

— لم يذكّر مسلم في صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه . والأبيات التي غنت بها :

ألا يا حمز للشرف^(١) النواء * وهنّ معقّلات بالفناء
ضع السكّين في اللّبات منها * فصرّجهنّ حمزة بالدماء
وعجّل من شرائحها كباباً * ملهوجة^(٢) على وهج الصّلاء
وأصلح من أطايبها طبيخاً * لشربك من قديد أو شواء
فأنت أبا عمارة المُرَجّى * لكشف الضرّ عنها والبلاء

— فقام حمزة بالسيف فاجتَبَ أسنمتها وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما .

فقال عليّ : فَأَنْطَلَعَتْ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ . قَالَ : فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ الَّذِي لَقِيتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَا لَكَ ؟ “ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، عَدَا حَمْزَةٌ عَلَى نَاقَتِي فَأَجْتَبَ اسْنَمَتَهُمَا وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا وَهِيَ هُوَذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرِبْتُ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَائِهِ فَأَرْتَدَاهُ ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَابَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةٌ ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنُوا لَهُ ، فَإِذَا هُمْ شَرِبُوا ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ وَإِذَا حَمْزَةُ مُحْمَرَّةٌ عَيْنَاهُ ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ إِلَى سِرَّتِهِ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ حَمْزَةُ : وَهَلْ أَتَمُّ إِلَّا عَبِيدُ لَأَبِي ! فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ تَمَلَّ ، فَانْكَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَقْبِيهِ الْقَهْقَرَى وَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ : ” إِنْ عَمَلْتَ قَدْ تَمَلَّ وَهَمَّا لَكَ عَلَيَّ “ فَغَرِمَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الشرف : جمع شارف وهي الناقة المسنة كما تقدّم قريباً .

(٢) ملهوجة : غير ناضجة .

- لعلى . فلما أصبح حمزة غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر . فقال : "مه يا عم فقد سألت الله فعفا عنك" . قالوا : وآتخذ عتبان بن مالك صنيعاً ودعا رجلاً من المسلمين ، منهم سعد بن أبي وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم إنهم آفتخروا عند ذلك وأنتسبوا وتناشدوا الأشعار ، وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار ونفخ لقومه ، فقام رجل من الأنصار فأخذ لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجّه شجّةً مؤصحةً . فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصار . فقال عمر رضى الله عنه : اللهم بين لنا رأيك في الخمر بيانا شافياً ، فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة المائدة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ ﴾ الآية إلى ﴿ مُنْتَهُونَ ﴾ . فقال عمر : انتهينا يا رب . وقيل : إنها حرمت بعد غزوة الأحزاب بأيام في ذى القعدة سنة خمس من الهجرة . والله أعلم .
- قال أنس رضى الله عنه : حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر . قال : فأخرجنا الحجاب إلى الطريق فصببنا ما فيها ، فمنا من كسر حبه ، ومنا من غسله بالماء والطين ، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً ، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها .
- وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة ، وماشراهم إلا فضيخ البسر والتمر ، فاذا مناد ينادى ، فقال القوم : أخرج فأنظر ، فاذا مناد ينادى : ألا إن الخمر قد حرمت ، قال : فخرت في سكك المدينة . فقال لى أبو طلحة : أخرج فأهريقها فهرقها . فقالوا أوقال بعضهم : قتل فلان ! قتل فلان ! وهى فى بطونهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .

(١) فى الأصل : «فمنهم» . (٢) الفضیخ : نبيذ يعمل من البسر والتمر .

* *

- وأما ماورد في تحريمها في كتاب الله وبيئته السنّة، فالأحاديث متضافرة في تحريمها . فمن ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات وهو مدمنٌ خمرٍ لقي الله وهو كعابدٍ وثن » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مدمنٌ خمرٍ » . وأما من زعم أنها تباح للتداوى بها فيردّ عليه ذلك ما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفيّ سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو كرهه أن يصنعها ، وقال : إنما أصنعها للدواء ؛ فقال : « إنها ليست بدواء ولكنه داء » . وعنه صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قدم من جيشان (وجيشان من اليمن) فسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزرب ؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « أو مسكر هو » قال نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّ مسكر حرام إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال » . فقالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار » . وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلّ مسكرٍ خمرٌ وكلّ مسكرٍ حرامٌ ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة » وفي لفظ : « حرّمها في الآخرة فلم يُسَقَّها » وفي لفظ : « إلا أن يتوب » . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حرّمت الخمر قليلاً وكثيرها وما أسكر من كلّ شراب . وعنه رضي الله عنه : من سره أن يُحرّم ما حرّم الله ورسوله فليحرّم النبيذ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » أخرجه البخاريّ في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .



ذكر ما قيل في إباحة المطبوخ

- والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذى طُبِخَ حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه . سَمِيَ بذلك لأنه شبيه بطلاء الإبل في ثَنِّهِ وسواده . وقد اختلف العلماء في المطبوخ ، فقال بعضهم : كلَّ عَصِيرٍ طُبِخَ حتى ذهب نصفه فهو حلالٌ إلا أنه يُكْرَهُ ، وإن طُبِخَ حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه فهو حلالٌ مباحٌ شربه وبيعه إلا أن السكر منه حرام . وحجتهم في ذلك ما روى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى بعض عماله : أن أرزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه . وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : كتب إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أما بعد ، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود الكرم ، فإن له اثنين ولكم واحد . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن نوحا عليه السلام لما نازعه الشيطان في عود الكرم فقال هذا : لى ، وقال هذا : لى ؛ فاصطلحا على أن لنوح ثلثها وللشيطان ثلثيها . وسئل سعيد بن المسيب : ما الشراب الذى أحله عمر رضى الله عنه ؟ فقال : الذى يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه . وحكى أن أبا موسى الأشعري وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقى ثلثه . وعلى الجملة فمجموع هذه الأخبار في مُثَلَّثٍ لم يسكر البتة . ودليل ذلك ما حكى عن عبد الله بن عبد الملك ابن الطفيل الخزرجي قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : ألا تشربوا من الطلاء حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ، وكل مسكرٍ حرامٌ . هذا الذى عليه أكثر العلماء . وقال قوم : إذا طُبِخَ العَصِيرُ أدنى الطبخ صار حلالا ، وهو قول إسماعيل بن عُلَيَّة

(١) الثخن : الغلظ .

(٢) المثلث من الشراب : الذى طبخ حتى ذهب ثلثاه .

وبشر الميريسى وجماعة من أهل العراق . وذهب بعضهم الى أن الطلاء الذى رخص فيه إنما هو الرب^(١) والدبس . والله عز وجل أعلم .

ذكر آفات الخمر وجنباياتها

وآفات الخمر وجنباياتها كثيرة، لأنها أم الكبائر . وأول آفاتنا أنها تذهب العقل، وأفضل ما فى الإنسان عقله ، وتحسن القبيح وتقبح الحسن . قال أبو نؤاس الحسن ابن هانى عفا الله عنه ورحمه وغفر له ما أسلف :

اسقنى حتى ترانى * حسنا عندى القبيح

وقال أيضا :

اسقنى صرفاً حمياً * ترك الشيخ صبياً

وتريه الغى رشداً * وتريه الرشداً غياً

وقال أبو الطيب :

رأيت المدامة غلابة * تهيج للمرء أشواقه

تسيء من المرء تأديبه * ولكن تحسن أخلاقه

وأنفس ما للفتى لبه * وذو اللب يكره إنفاقه

وقد مت أمس بها ميتة * وما يشتهى الموت من ذاقه

قالوا : وإنما قيل لمشارب الرجل نديم، من الندامة ؛ لأن الرجل معاقر الكأس اذا سكر تكلم بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه ، فقيل لمن شارب «نادمه» لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له ، كما يقال : جالسه فهو جليس له . والمعاقر : المدمن ، كأنه لزم عُقر الشيء أى بناءه . وقد شرب أصحاب الشراب بسوء العهد وقلة الحفظ ،

(١) الرب : ما يطبخ من التمر ، أو سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها . والدبس : عسل التمر .

وقالوا : صاحب الشراب صديقك ما استغنيت عنه حتى تفتقر، وما عوفيت حتى تُنكَب، وما غات دنانك حتى تُتَزَف، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك. قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم * وليس لأصحاب النبذ حريم
إذا جثتهم حيوك ألفا ورحبوا * وإن غبت عنهم ساعة فذمهم
إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم * وكلهم رث الوصال سئوم
فهذا بياني لم أقل بجهالة * وإكني بالفاسقين عليم

- قيل : سقى قوم أعرابية مسكرا، فقالت : أيشرب نساؤكم هذا الشراب ؟ قالوا نعم . قالت : فما يدرى أحدكم من أبوه . وقال قصى بن كلاب لبذيه : اجتنبوا الخمر فإنه يصلح الأبدان ويفسد الأذهان . وقيل لعدى بن حاتم : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : معاذ الله ! أصبح حليم قوم وأمسى سفيهم . وقيل لأعرابي : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقيل لعثمان بن عفان : ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك ؟ قال : إني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا يذهب جملة ويعود جملة . وقال عبد العزيز بن مروان لنصيب ابن رباح : هل لك فيما يُثمر المحادثة ؟ يريد المنادمة، فقال : أصلح الله الأمير ! الشعر مفلقل واللون مُرمد ، ولم أقعد اليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر ، وإنما هو عقلي ولساني ؛ فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل . ودخل نصيب هذا على عبد الملك ابن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله ؛ ثم دعا بالطعام فطعم معه . فقال له عبد الملك : هل لك [أن] تُنادم عليه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تأملني . قال : قد أراك . قال : يا أمير المؤمنين ، جلدي أسود وخلق مشوه ووجهي قبيح ولست

(١) زيادة يقتضها السياق .

في منصب ، وإنما بلغ بي مجالستك ومؤاكتك عقلي ، وأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه . فأعجبه كلامه وأعفاه .

وقال الحسن : لو كان العقل عَرَضاً لتغالى الناس في ثمنه ، فالعجب لمن يشتري بماله شيئاً يشربه فيذهب عقله ! .

وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف في وفدة وفدها عليه وقد أكلا : هل لك في الشراب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس بحرام ما أحللت ، ولكن أمتنع أهل عملي ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ .

وقالوا : للنبيذ حدان ، حد لا همّ معه ، وحد لا عقل معه ، فعليك بالأول وآتق الثاني .

ومن آفات الخمر أفتضاح شاربيها بريحتها عند من يحتشم منه ويتقيه ويخافه فلا يستطيع مع وجود ريحها إنكار شربها . والولاية تحدد بالاستينكاه ، لأن نحرها يثبت في الفم اليوم واليومين بعد تركها . فمن شربها ساعة وهو يحتشم من الناس أن يظهر ذلك عليه آحتاج الى الانقطاع في بيته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة . وقد تحايل الذين يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد شربها . فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المتر والبسباسة والسعد^(٢) والجنّاح^(٣) والقرنفل^(٤) أجزاء متساوية وجزءان من الصمغ ، ويدق

(١) هو شعيب عليه السلام . (٢) البسباسة : قشر جوزة الهند .

(٣) السعد : نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة .

(٤) الجنّاح : نبات طيب الرائحة ، ويقال له : " الراسن " .

ذلك ويَجِبُ^(١) بماء الورد ويستعمل منه فإنه يقطع رائحة الخمر من الفم ، كما زعموا .
وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات في أربعة أبيات فقال :

مُرَّ وبَسْبَاسَةٌ وَسُوءٌ * الى جَنَاحٍ وماءٍ وَرِدٍ
ينظمها الصمغُ إن تَلاه * قَرْنُفُلٍ الهندِ نظمِ عَقْدِ
أجزاءها كُلُّها سَواءٌ * والصمغِ جَزَانٍ ، لا تَعْدِي
فيه لَدَى مِرَّةٍ شَفَاءٌ * وِصُونُ عَرِيضٍ وحَفْظُ وَدِّ

ذكر أسماء الخمر من حين تُعَصَّر الى أن تُشْرَبَ

الخمر اذا عَصِرَ فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل : السَّلَافُ ؛ وأصله من
السَّلَف وهو المتقدم من كل شيء ، وهو في مثل ذلك الخُرطوم أيضا . ويقال للذي
يعصر بالأقدام : العصير ، والموضع الذي يُعَصَر فيه : المَعصرة . والنَّطْل : ما عَصِرَ
فيه السلاف ؛ ويقال للعاصر : الناطل ، ثم يُتْرَكُ العصيرُ حتى يغلي فاذا غلا فهو نحر ،
وقيل : سميت نحرًا لأنها تنحصر العقول فتخالطها . وقالوا : لأنها تُحْمَرُ في الإناء ،
أى تُغَطَّى وهي مؤنثة . ويقال لها : القهوة ، لأنها تُقَهَّى عن الطعام والشراب ، يقال :
أقَهَى عن الطعام وأقهم عنه اذا لم يشتهه . ومن أسمائها : الشَّمول ، سميت بذلك
لأن لها عَصْفَةً كعَصْفَةِ الشَّمال ، وقيل : لأنها تشتمل القوم بريحتها . ومنها : السَّلَافُ
والسَّلَافَةُ والخُرطوم وقد تقدم معناها . ومنها : القَرَقَفُ لأن شاربها يُقَرِّفُ اذا
شربها ، أى يرعد ، يقال : قَرَقَفَ وَقَفَقَفَ . وقال أبو عمرو : القرقف اسم للخمر غير
صفة وأنكر قولهم سميت بها لأنها تُرْعَد . ومنها : الراح لأنها تكسب صاحبها الأريحية
أى خفة العطاء . ومنها : العَقَارُ لأنها عاقرت الدن ، وقيل : لأنها تعقر شاربها

(١) يجب : يرش .

من قول العرب : كلاً بنى فلان عقاراً، أى يعقر الماشية . ومن أسمائها : المدامة
والمدام لأنها داومت الظرف الذى آتت فيه . والرحيق ومعناه الخالص من
الغش . وقيل : الصافى . وقيل : العتيق . والكميت سُميت بذلك لونها اذ كانت
تضرب الى السواد . والجريال وهو صبغ أحمر سُميت بذلك لونها أيضاً . والسيئة
والسباء وهى المشتراة وأصلها مسبوءة، يقال : سبأت الخمر اذا اشتريتها . والمشعشة
وهى الممزوجة . والصهباء وهى التى عُصرت من العنب الأبيض . والشموس
شبهت بالدابة التى تجمع براكبها . والحنديس وهى القديمة . والحانية : منسوبة
الى الحانة . والماذية : اللينة يقال : عسل ماذى اذا كان ليّناً . والعانية : منسوبة
الى عانة . والسخامية : اللينة من قولهم : قطن سخام أى لين وثوب سخام . قال الراجز :
كأنه بالصحصحان الأنجل^(١) * قطن سخامى بأيدى غزل

والمزة والمزأ لطعمها . والإسفنط، قال الأصمعى : هو بالرومية . والغرب ومعناه
الحدة، وغرب كل شىء حده . ولعلها سُميت بذلك لحدةها . والحميا، وحمياً كل شىء
سورته وحدته . والمضطار : الخلة ويقال : المضطار بالضاد أيضاً . والخمطة :
المتغيرة الطعم . والمعتقة : التى قد طال مكثها . والإثم : اسم لها لعله وقع عليها لما
فى شربها من الإثم . والحق كذلك . قال الشاعر :

شربت الإثم حتى ضلّ عقلى * كذاك الإثم يفعل بالعقول

والمعرق : الممزوج قليلاً، يقال : عرق من ماء أى ليس بكثير . ومن أسمائها :
القنديد والفيهج وأم زنبق والمقطب والطوس والسلسال والسلسل والزرجون
والكفاء والجرباء والعانسة والطابة والنأجود والكأس والطلاء ، قال عبيد بن
الأبرص :

(١) الصحصحان : ما استوى من الأرض . والأنجل : الواسع .

(٤٢)

هي الخمر صرفا تكنى الطلاء * ^(١) كالدُّب يُسمى أباجعدة

والبادق والبُخُّج : فارسيان . والجَهْوَرِيّ . والمَقْدِيّ منسوبة الى قرية من قُرَى
الشام . والمزاء من قولك : هذا أَمْرِي من هذا أى أفضل . والنبيذ . والبُشْع : نبيذ العسل
والسُّكَّرَكَةُ من الذرة . والجِعة من الشعير . والفَضِيخ من البسر . والمِزْر من الحبوب

ذكر أخبار من تنزه عنها في الجاهلية وتركها ترفعا عنها .

كان ممن تركها في الجاهلية عثمان بن عفان رضى الله عنه وعبد المطلب بن هاشم
وعبد الله بن جُدعان التيمي . وكان سيّدا جوادا من سادات قريش ، وسبب تركها
أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فأصبحت عين أمية مخضرة نخاف عليها
الذهاب ، فسأله عبد الله : ما بال عينك ؟ فقال : أنت صاحبها أصبتها بالراحة ،
قال : وبلغ مني الشراب ما أبلغ معه من جليسي هذا المبلغ ، فأعطاه عشرة آلاف درهم
وقال : الخمر على حرام ، لا أذوقها أبدا ، وقال فيها :

شربت الخمر حتى قال صحبي * ألسنت عن السُّقاة بمستفيقي ؟

وحتي ما أوسد في مبيت * أنام به سوى التُّرب السحيق

وممن حرّمها في الجاهلية : قيس بن عاصم المنقري ، والسبب في ذلك أنه سكر
فغمز عكنة أخته أو أخته فهربت منه ، فلما صحا أخبروه فخرم الخمر على نفسه ،
وقال في ذلك :

وجدت الخمرَ جامحةً وفيها * خصالٌ تفضح الرجلَ الكريما

فلا والله أشربها حياتي * ولا أدعو لها أبدا نديما

(١) في اللسان : وقالوا هي الخمر تكنى الطلاء * كما الدُّب ... الخ .

ولا أعطى لها ثمنا حياتي * ولا أشفى بها أبدا سقيا
فإن الخمر تفضح شاربها * وتجشمهم بها أمرا عظيا
إذا دارت حياها تعلت * طوالع تسفه الرجل الحلما

ومنهم : عامر بن الظرب العدواني ، قال :

سأله للفتى مالىس فى يده * ذهابة بعقول القوم والمال
أقسمت بالله أسقيها وأشربها * حتى يفرق ترب القبر أوصالى

ومنهم : صفوان بن أمية بن مُحَرَّث الكّامى وعُفَيف بن معديكرب الكندى
والأسلوم بن نامى من همدان ومقيس بن عدى السهمى وكان سكر بجعل يخط ببوله :
أنعاماً أوبعيراً ، فلما أفاق وأخبر بذلك حرّمها .

ومنهم : العباس بن مرداس السلمى قيل له : لم تركت الشراب وهو يزيد
فى جرأتك وسماحتك ؟ فقال : أكره أن أصبح سيد قومى وأمسى سفيهم .

ومنهم : سعيد بن ربيعة بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة .
وقال زيد بن ظبيان :

بئس الشراب شراب حين تشربه * يوهى العظام وطورا يوهى العصب^(١)
إنى أخاف ملكى أن يعذبنى * وفى العشيرة أن يزرى على حسبى

وقال رجل لسعيد بن سلم : ألا تشرب النبيذ ؟ فقال : تركت كثيره لله تعالى
وقليله للناس .

(١) كذا بالأصل ، ولعل صوابه "وطورا موهن العصب" .

ذكر من حَدَّ فيها من الأشراف ومن شربها منهم ومن أشتهر

بها ولبس فيها ثوب الخلاعة ومن أفتخر بشربها

فأما من حَدَّ فيها من الأشراف فالوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط وهو أخو

عثمان بن عفان لأمه ، شهد عليه أهل الكوفة أنه صَلَّى بهم الصبح ثلاث ركعات

وهو سكران ثم أَلْتَفَت اليهم فقال : وإن شئتم زدكم ، بجلده عبد الله بن جعفر بن

يدى عثمان رضى الله عنه ، وسند ذكر الواقعة إن شاء الله تعالى بمجلتها في الباب الثاني

من القسم الخامس من الفن الخامس في التاريخ في خلافة عثمان رضى الله عنه .

ومنهم : عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحذه بها عمرو بن العاص

سراً ، فلما قدم على أبيه جلده حدًا آخر علانية .

ومنهم : عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبي شَحْمَةَ^(١) ، حدّه أبوه

في الشراب فمات تحت حدّه .

ومنهم : عاصم بن عمر بن الخطاب ، حدّه بعض ولاية المدينة .

ومنهم : قدامة بن مظعون ، حدّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشهادة

علقة الحصى وغيره .

ومنهم : عبد الله بن عروة بن الزبير ، حدّه هشام بن إسماعيل المخزومي .

(٤٣)

ومنهم : عبد العزيز بن مروان ، حدّه عمرو بن سعيد الأشدق .

ومنهم : أبو مُحَجَّجٍ الثقفى وأسمه عمرو بن حبيب ، وكان مغرباً بالشراب ،

حدّه عمر مرارا في الخمر ، وحدّه سعيد بن أبي وقاص مرارا وشهد القادسية وأبلى

(١) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة والقاموس . وفي الأصول : « شحمة » بالسين المهملة

وهو تحريف .

بلاء حسنا، ثم حلف بعد القادسية ألا يذوق الخمر أبدا ومات تائبا عنها، وأنشد
رجل عند عبد الله بن مسلم بن قتيبة قوله :

إذا مِتُّ فادفني إلى جنب كرمة * تُروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفلاة فإنني * أخاف إذا ما مِتُّ أن لا أذوقها

فقال عبد الله : حدثني من رأى قبره بأرمينية بين شجرات كرم يخرج إليه
الفتيان ويشربون عنده ويتناشدون شعره فإذا جاءت كأسه صبوها على قبره .

ومنهم : إبراهيم بن هرمة وكان مغرما بالشراب ، حذره جماعة من عمال المدينة
فلما طال ذلك عليه رحل إلى أبي جعفر المنصور، وقيل : إنما رحل إلى المهدي
وآمنده بقصيدته التي يقول فيها :

له لحظات في حفاقي سريره * إذا كرها فيها عقابٌ ونائلٌ
له تربة بيضاء من آل هاشم * إذا أسودَّ من لؤم التراب القبائلُ

فأستحسن شعره وقال له : سل حاجتك ، فقال : تأمر لي بكتاب إلى عامل
المدينة ألا يتحدثني على شراب ، فقال له : ويلك ! لو سألتني عزل عامل المدينة
وتوليتك مكانه لفعلت ، قال : يا أمير المؤمنين ، ولو عزلته ووليتني مكانه أما كنت
تعزلي أيضا وتولي غيري ! قال : بلى ، قال : فكنت أرجع إلى سيرتي الأولى فأخذ ، فقال
المهدي لوزرائه : ما تقولون في حاجة ابن هرمة وما عندكم فيها من التلطف ؟
قالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه سأل مالا سبيل إليه ، إسقاط حد من حدود الله
عز وجل ، فقال المهدي : له حيلة إذا أعيكم الحيل فيه ، اكتبوا إلى عامل المدينة :
مَنْ أتاك بأبن هرمة سكرانا فأضربه مائة سوط وأجلد ابن هرمة ثمانين ، فكان إذا
شرب ومشى في أزقة المدينة يقول : مَنْ يشتري مائة بثمانين ؟



وأما من شربها منهم وأشتهر بها ، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء .

منهم : يزيد بن معاوية شُهر بشربها ، وكان يقال له : يزيد الخمر ، روى هشام ابن الكلبي عن أبيه قال : وجه معاوية جيشا الى أرض الروم فأصابهم الجُدري ، وعند يزيد امرأته أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر فسكروا وأنشأ يقول :

إذا ارتَفَقْتُ على الأنماطِ في غُرِفٍ * بديرٍ مُرَّانٍ عندى أم كلثوم
فما أبالي الذي لاقت جيوشهم * بالغَذَقْدُونَةِ من حمى ومن موم^(٢)

فبلغ الخبر معاوية ، فقال : أنت هاهنا ! إلحق بهم ، وسيّره الى قتال الروم .

ومنهم : عبد الملك بن مروان ، وكان يسمّى : حمامة المسجد ، لأجتهاده في العبادة ، هذا قبل أن يلى الخلافة ، فلما أفضت الخلافةُ اليه شرب ، فقال له سعيد بن المسيّب : بلغني يا أمير المؤمنين ، أنك شربت الطلاء ، قال : إى والله والدماء .

ومنهم : يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حَبَابَةِ وَسَلَّامَةِ^(٣) ، وأخباره مشهورة .

ومنهم : آبنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كلّ مذهب حتى خُلع وقُتل ، وله في ذلك حكايات وأشعار . منها : أنه سمع بُشْرَاعَةَ بن الزَّندَبُودِ الكوفي ، وكان من أهل البطالة المشهورين باللعب واللهو وإدمان الشراب ، فاستدعاه

(١) الغَذَقْدُونَةُ : اسم جامع للنغر الذي منه المصيصة وطرسوس وغيرها .

(٢) الموم : البرسام وأشد الجُدري .

(٣) حَبَابَةُ وَسَلَّامَةُ : قينتان مشهورتان كانتا له .

بالكوفة الى دمشق فحمل اليه فلما دخل عليه قال له : يا شرّاعة ، ما أرسلت اليك
لأسألك عن كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال : لو سألتني عنهما لوجدتني فيهما حمارا ،
قال : وإنما أرسلت اليك لأسألك عن القهوة ، قال : أنا دهقانها الخبير ، ولقمانها
الحكيم ، وطبيبها الماهر ، قال : فأخبرني عن الشراب قال : سل عما بدالك
قال : ما تقول في الماء قال : لا بد منه ، والحمار شريكى فيه . قال : فاللبن ؟
قال : مارأيتـه إلا آستحييت من طول ما أرضعتنى أمى به ، قال : فالسويق ؟
قال : شراب الحزين والمستعجل والمريض . قال : فشراب التمر ؟ قال : سريع
الامتلاء ، سريع الأنفشاش . قال : فنبذ الزبيب ؟ قال : حاموا به على الشراب ،
قال : فالخمر ؟ قال : تلك والله صديقة روحى ، قال : وأنت والله صديق روحى ،
قال : فأى المجالس أحسن ؟ قال : ما شرب فيه على وجه السماء ، ومن شعر الوليد :

(٤٤)

خذوا ملككم لا تثبت الله ملككم * ثباتا يساوى ماحيت عقلا
دعوا لى سلمى والنبذ وقينة * وكأسا ، ألا حسبي بذلك مالا
أبأملك أرجو أن أخلد فيكم * ألا ربّ ملك قد أزيل فزالا

ومنهم : المأمون بن الرشيد وشهر بالشراب وله فيه أخبار ، منها : أنه شرب هو
ويحيى بن أكرم القاضى وعبد الله بن طاهر ، فتعامل المأمون وآبن طاهر على سكر^(١)
يحيى ، فأشار الى الساقى فأسكره ، وكان بين أيديهم رزم من الورد والرياحين ، فأمر
المأمون فشق ليحيى لحد من الورد والرياحين وصيروه فيه ، وعمل بيتى شعر ودعا
قينة فجلست عند رأس يحيى وغنت بالشعر :

دعوته وهو حى لأحياة به * مكفنا فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى * فقلت خذ قال كفى لا تواتينى

(١) كذا بالأصول ، ولعلها « فتعامل » .

فانتبه يحى لرنّة العود وصوت الجارية فقال :

ياسيدى وأمير الناس كلهم * قد جارفى حكمه من كان يسقيني
إنى غفلتُ عن الساقى فصـيرنى * كما ترانى سليبَ العقلِ والدينِ
فأنظر لنفسك قاضٍ إننى رجل * أراحُ يقتلنى والروحُ يُحيينى

- ومنهم : العباس بن على بن عبد الله بن العباس وهو عم المنصور، كان يأخذ الكأس بيده ويقول : أما العقل فتتلفين ، وأما المروءة فتمحقين ، وأما الدين فتفسدين ، ويسكت ساعة ثم يقول : وأما النفس فتسخين ، وأما القلب فتشجعين ، وأما الهم فتطردين ، أفتراك منى تفلتين ! ثم يشربها .

- ومنهم : بلال بن أبى بردة فُضح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميرى :
وأما بلالٌ فـذاك الذى * يميل الشرابُ به حيثُ مالا
بيت يـمضُ عتيقَ الشراب * كمصّ الوليد يخاف الفصلا
ويصبح مضطربا ناعسا * تخال من السكر فيه آحولا
ويمشى ضعيفا كمشى الزيف^(١) * تخالُ به حين يمشى شكالا

- ومنهم : عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى قاضى الكوفة وفُضح بمنادمة سعد بن هبار وفيه يقول حارثة بن بدر :

نهاره فى قضايا غير عادلة * وليله فى هوى سعد بن هبار

- ومنهم : آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذى يقول :

هاك فآشرب يا خليلى * فى مدى الليل الطويل
قهوة فى ظلّ كريم * سبيت من نهر نيل

في لسان المرء منها * مثلُ لَذْعِ الزنجبيل
 إنما أَذْهَبَ مالى * طولُ إِدْمَانِ الشَّمولِ^(١)
 وحنينُ العُودِ شدي * به يدا ظبي كحيل
 فأطويلُ العنقِ الأ * هيفُ كالسيفِ الصقيل
 يا خليليَّ أسقياني * وأهتفا بالشمس زولي
 قل لمن لامك فيها * من نصيح أو عذول
 يَبْقُ بين الباب والدا * ر على نَعْبِ الطلول

- وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر : إن بنيك يشربون الخمر، فقال : صفوهم لي، فقالوا : أما فلان إذا شرب نرق ثيابه وثياب نديمه ، فقال : سوف يدع هذا شربها ، قالوا : وأما فلان فإذا شربها تقياً في ثيابه ، قال : وهذا سوف يدعها ، قالوا : وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما يكون لا ينال أحداً بسوء ، قال : هذا لا يدعها أبداً .
- ومنهم : حارثة بن زيد العدواني — رجل من تميم — دخل يوماً على زياد بن أبيه ووجهه أثر ، فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ركبت فرسي الأشقر^(٢) فجمح بي حتى صدمني الحائط ، فقال : أما إنك لو ركبت فرسك الأشهب^(٢) لم يصبك مكروه . ولحارثة فيها أشعار كثيرة وأخبار مع الأحنف ابن قيس ، وكان الأحنف ينهأ عنها وهو لا ينتهي ويحجبه بشعر في مدحها وقيل : إن حارثة هذا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بالسن في حال صباه وحداثته .
- ومنهم : والبة بن الحُبَابِ الأَسَدِيّ وهو الذي رتب أبا نُوَاس وأدبه وعلمه الفتوة وقول الشعر . حكى أن المنصور قال له يوماً : ادخل إلى محمد — يعني المهدي — وحدته ، فدخل عليه ، فأول ما أنشده قوله :

(١) الشمول : من أسماء الخمر . (٢) يريد الأول بالأشقر : الخمر ، ويريد الثاني بالأشهب : الماء .

قولا لعمرؤ لا تكن ناسيا * وسقني لا تحبس كاسيا
 وأردد على الهيثم مثل الذي * هجت به ويحك وسواسيا
 وقل لساقينا على خلوة * أدن كذا رأسك من راسيا
 ونم على وجهك لى ساعة * إني أمرؤ أنكح جلاسيا

٥ فبلغ ذلك المنصور، فقال: لا تعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده.

٤٥

ومنهم: أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبة بن ربيعة
 اليربوعي، حج به نصر بن سيار فلما ورد الحرم قال له نصر: إنك بفناء بيت الله
 الحرام ومحل حرمة فدع الشراب، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب
 ويبيكي ويقول:

١٠ رضيع مدام فارق الراح روعه * فظل عليها مستهل المدامع
 أديرا على الكأس إني فقدتها * كما فقد المفظوم در المراضع

ومر به نصر بن سيار وهو يميل سكرًا، فقال له: أفسدت شرفك، فقال:
 لو لم أفسد شرفي لم تكن أنت اليوم والى خراسان.

ومنهم: سعيد بن وهب وكان شاعرا بصريا.

١٥ ومنهم: الحسين بن الضحاك النديم صاحب الحسن بن هاني وكان خليعا ماجنا
 مليح الشعر وهو الذي يقول:

ألا إنما الدنيا وصال حبيب * وأخذك من مشمولة بنصيب
 وعيشك بين المسمعات ممتعا * بفنن من عزف وشد ومصيب
 وأنس وإنسان تلذ بقربه * وبذلة معشوق ونوم رقيب
 وعدى ساعات النهار ورقبتي * إلى الشمس لما آذنت بمغيب

٢٠

ومنهم : يحيى بن زياد وهو الذى يقول :

أعاذل ليت البحرَ نحرٌ وليتنى * مدى الدهر حوتٌ ساكنَ لجة البحرِ
فأضحى وأمسى لا أفارق لجة * أروى بها عظمى وأشفى بها صدرى
طوال الليالى، ليس عني بناضب * ولا ناقص حتى أصيرَ الى الحشير

ومنهم: أبو نؤاس الحسن بن هانىء ممن اشتهر بالشراب واللهو والطرب ومنادمة
القيان، وله فى الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة، نذكر هاهنا من أخباره
طرفا :

حكى أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال : يا أبا نؤاس، قد خلعت عذارك وأطلت
الإكباب على المجون حتى غلب على لبك وما كذلك يفعل الأدباء ! فأطرق ثم قال :

فأقولُ شربك طرحُ الرداء * وآخرُ شربك طرحُ الإزارِ
وما هنأتك الملاهى بمثل * إماتةٍ مجيدٍ وإحياءٍ عارِ
وما جاد دهرٌ بلذاته * على من يَضَنُّ بنخلع العذارِ

فأنصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول : جوابٌ حاضر، من كهيل
فاجر . ومما يحفظ من أخباره، ويروى من أشعاره فى ذلك : أنه بلغ إخوانه عنه
أنه ترك الشراب واللذات وأخذ فى الزهد والصلاة فى أوقاتها فأجتمعوا إليه وأقبلوا
يهتئون به، فوضع بين يديه باطيةً وجعل لا يدخل إليه أحد يهتئ به إلا شرب بين يديه
رطلا وأنشد :

قالوا نزعَتَ ولمّا يعلموا وطرى * فى كلِّ أغيدٍ ساجى الطرف مياسِ
كيف النزوع وقلبي قد تقسّمه * لحظُ العيون وقرع السنّ بالكاسِ
لا خير فى العيش إلا فى المجون مع الـ * أ كفاء والراح والريحان والآسِ

ومسمع يتغنى والكئوس لها * جث علينا بأخماس وأسداس
 يا موري الزند قد أكتب قوادحه * إقبس اذا شئت من قلبي بمقباس
 ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم * إذا نظرت فلم أبصرك في الناس
 ويحكى أنه غاب غيبة متصلة نحوًا من سنة حتى ظن أنه قتل . فقال الرشيد :
 لئن صح عندى أنه قتل لأقتل قاتله ولو كان المأمون ، انظروا من كان هجا من الناس
 فما كتبوا اسمه وأرفعوه إلى ، فأرتجت لذلك بغداد . فلما كان على رأس الحول اذا نحن
 به قد وافى ، فقلنا له : يا أبا علي غبت عنا هذه الغيبة فغممتنا . قال : كنت في موضع
 أرتضيه وأشتهيه . فقلنا : ألم تسمع بافتقادنا لك وقول الرشيد فيك ؟ ولم يبق أحد
 من إخوانه إلا عدله ولامه . فقال :

١٠ إلى لفي شغل عن العاذلين * بالراح والريحان والياسمين
 عند غلام حسن وجهه * قلبي حبس بهواه رهين
 قولي إذا صرت على ظهره * كقول قوم رحلوا ظاعنين
 سبحان من سخر هذا لنا * يوما وما كنا له مقرنين

فلما أنشدها قال : بحياتي ! من يساعدني منكم ، حتى أريه إياه فتعذروني
 أو تحسدوني ! فمضى بنا إلى الموضع ، فإذا بغلام من أحسن الناس وجهها . فقال
 ١٥ له : بحياتك غن ، فغنى ، فإذا هو من أحسن الناس غناء . فقال : من يلومني أن
 أنقطع عن أهل الدنيا وأعتكف على هذا الوجه وقد جمع لي فيه كل معنى أشتهيه
 وأرتضيه ! انتهى .

وحدث الفضل بن سلامة عن الثوري ، قال : خرج الحسن بن هاني ومعه
 ٢٠ مطيط صاحبه ، حتى أتيا دار نمار . فقال الحسن لمطيط : ادخل بنا نمزح بهذا

الخمّار . فدخلا فسلّما فردّ عليهما . فقال له الحسن : أَعِنْدَكَ خَمْرٌ عَتِيقَةٌ يَا خَمَّارٌ؟

فقال : عِنْدِي مِنْهَا أَجْنَسٌ ، فَأَيُّهَا تَرِيدُ؟ قال : الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ :

مُحِبَّتْ خَيْفَةً وَصِيذَتْ بَجَاءَتْ * بِكَلَاءِ الْعُرُوسِ بَعْدَ الصِّيَانِ
وَكَأَنَّ الْأَكْفَ تَصْبِغُ مِنْ ضَوْءِ * سَنَاها بِالْوَرَسِ وَالزَّعْفَرَانِ

٥ فملاً له الخمّار قدحاً من خمر صفراء ، كأنها ذهبٌ محلولٌ ؛ فشربه الحسن وقال : أحسن من هذا أريد . فقال له الخمّار : أَيْ جَنْسٍ تَرِيدُ؟ قال : الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ :

دَفَعْتُهَا أَيْدَى الْهَوَاجِرِ حَتَّى * صَيَّرَتْ جِسْمَهَا بِجِسْمِ الْهَوَاءِ
فَهِيَ كَالنُّورِ فِي الْإِنَاءِ وَكَالْنَارِ * إِذَا مَا تَصَيَّرُ فِي الْأَحْشَاءِ

١٠ فملاً له الخمّار قدحاً من خمر كأنها العقيق . فشربه وقال : أرفع من هذا أريد . فقال : أَيْ جَنْسٍ؟ قال : الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الشَّاعِرُ :

وَإِذَا حَسَا مِنْهَا الْوَضِيعُ ثَلَاثَةً * سَمَحَ الْوَضِيعُ كَفْعِلِ ذِي الْقَدْرِ
فِي لَوْنٍ مَاءِ الْغَيْثِ إِلَّا أَنَّهَا * بَيْنَ الضُّلُوعِ كَوَاقِدِ الْجَمْرِ

١٥ فملاً له قدحاً من خمر بيضاء ، كأنها ماء المزن . فشرب الحسن وقال للخمّار : أتعرفني؟ قال : إِي وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي ، أَنَا أَعْرِفُ النَّاسَ بِكَ . قال : مَنْ أَنَا؟ قال : أَنْتَ الَّذِي يَشْكُرُ مِنْ غَيْرِ وَزَنَ . فضحك الحسن وقال لمطيط : ادفع إليّ ما بقي عندك من النفقة ، فأعطاه مائة درهم وأنصرف .

٢٠ وقال الحسين بن الضحاك : كُنْتُ مَعَ أَبِي نُؤَاسٍ بِمَكَّةَ عَامَ حُجٍّ ، فَسَمِعْتُ صَبِيًّا يَقْرَأُ (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطُفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) . فقال أبو نؤاس : فِي مِثْلِ هَذَا يَجِيءُ لِلْخَمْرِ صِفَةٌ حَسَنَةٌ ؛ فَفَكَّرْتُ سَاعَةً ثُمَّ أَنْشَدَنِي :

وسيارة ضلّت عن القصد بعد ما * ترادفهم أفق من الليل مظلم
فأصغوا الى صوت ونحن عصابة * وفيما قتي من سكره يترنم
فلاحت لهم منا على الناي قهوة * كأن سناها ضوء نار تضرم
إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم * وإن مزجت حثوا الركاب ويمموا

قال : فحدث بهذا الحديث محمد بن الحسين فقال : لا ولا كرامة ، ما سرقه
من القرآن ولكن من قول الشاعر :

وليل بهيم كلما قلت غورت * كواكبها عادت لنا لتذيل
به الركب إما أومض البرق يمموا * وإن لم يلح فالقوم بالسير جهل
وقال أبو نواس فيها :

١٠ ألا دارها بالماء حتى تلينها * فما تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالي بها حتى اذا ما ملئتها * أهنت لإكرام النديم مصونها

وقال أيضا :

١٥ نبتته والليل ملتبس به * وأزحت عنه حشائه فانزاحا
قال أبغني المصباح ، قلت له أنشد * حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها في الزجاج شربة * كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فالبسها المزاج وشاحا
شكّ البزال^(٢) فؤادها فكأنها * أبدت اليك بريحتها تفاحا
وقال أيضا :

ردّا على الكأس ، إنكما * لا تدريان الكأس ما تجدى

خوفتاني الله جهداً * وكيفتيه رجاءه عندي
لا تعذلاً في الراح إنكما * في غفلةٍ عن كنه ما تُسدى
لو نلتما ما نلت ما مُزجت * إلا بدمعكما من الوجد
ما مثل نعمها اذا آشمت * إلا آشمتاً فيم على خدّ
إن كنتما لا تشربان معي * خوف الإله شربتها وحدي

٥

وأخبار الحسن بن هانئ فيها كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية .

ومنهم : الثَّروانيّ، كان شاعراً مطبوعاً بليغاً، من أهل الخلاعة المشهورين .
وكان آخر أمره أن أصيب في حانة خمار بين زقّي خمرٍ وهو ميت . وهو القائل
فيها :

٤٧

كّر الشرابُ على نشوانٍ مضطجع * قد هبّ يشربها والدّيكُ لم يَصِح
والليلُ في عسكرٍ حُمِرٍ بوارقه * من النجوم، وضوء الصبح لم يَضِح
والعيش لا عيش إلا أن تُباكرها * نشوانٌ تقتُلُ همَّ النفس بالفرح
حتى يظلّ الذي قد بات يشربها * ولا مراح به يختال كالمَرَج

١٠

ومنهم : مُطيع بن إياس . وكان شاعراً أديباً ظريفاً مشتهراً بالخلاعة

واللعب . وكان أصحابه على ذلك، وهم يحيى بن زياد، ووالبة بن الحُبَاب ، وحمّاد
عجرد، اجتمعوا يوماً يشربون وأقاموا على ذلك أياماً، فقال لهم يحيى بن زياد :
ويحكم ! ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصلي ، فقالوا : نعم ، وقام مطيع
فاذن وقال للغنيّة : تقدّمي فصلّي بنا، فتقدّمت وكانت بغير سراويل وعليها غلالة
رقيقة، فلما سجدت انكشف فرجها فوثب اليه مطيع وقبله وقال :

١٥

ولما بدا ههنا جائما * كرأس حليق ولم يعتمد
سجدت عليه فقبلته * كما يفعل العابد المجتهد
فقطعوا صلاتهم بالضحك وعادوا الى ما كانوا عليه .

ومنهم : أبو عبد الرحمن العطوي . كان شاعرا فصيحاً ، لا يكاد يتقدمه أحد
لجزالة ألفاظه وحلاوة معانيه . وكان مولعا بالخمر مشتهراً بها مدمناً عليها ، أكثر
أشعاره فيها . فمن شعره :

أخطب لكأسك ندمانا نُسْرَبه * أولاً فنأدِم عليها حكمة الكتب
أخطبه حراً كريماً ذا مُحَافَظَةٍ * ترى مودته من أقرب النسب
وقال أيضاً :

وكم قالوا تَمَنَّيْ ، فقلتُ كأساً * يطوف بها قضيبٌ في كئيب
وندمانا يُسَاقِطُنِي حديثاً * كصدق الوعد أو غض الرقيب

ومنهم : أبو هفان . وكان شاعراً محسناً ، وخليعاً ماجناً . حكى أنه شرب مع
أحمد بن أبي طاهر حتى فنى ما عندهما ، وكانا بجوار العلاء بن أيوب . فقال ابن
أبي طاهر لأبي هفان : تماوت حتى نحتال على أبي العلاء في أن ينيلنا شيئاً .
فمضى إليه ابن أبي طاهر فقال : أصلحك الله ! نزلنا جوارك فوجب حقنا عليك ،
وقد مات أبو هفان وليس له كفن . فقال لوكيله : امض معه وشاهد أمره
وآدفع إليه كفناً . فاتاه فوجده ملقاً عليه ثوبٌ فنقر أنفه فضرط . فقال : ما هذا؟
فقال : أصلحك الله عَجَّأت له صمعة القبر فإنه مات وعليه دين ، فضحك وأمر له
بدنانير .

ومنهم : الأقيشر . وكان مغرماً بالشراب مدمناً عليه . وهو القائل :
ومُقَعَدِ قَوْمٍ قد مشى من شرابنا * وأعمى سيقيناه ثلاثاً فأبصرا

كَيْتُ كَأَنَّ الْعَنْبَرَ الْوَرْدَ رِيحُهُ * وَمَسْجُوقٌ هِنْدِيٌّ مِنَ الْمَسْكِ أَذْفَرَا
ومِنْهُمْ : النِّعْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ نَضْلَةَ . وَكَانَ عَامِلًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
عَلَى مَيْسَانَ ، وَكَانَ مَدْمَنَ الشَّرَابِ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

أَلَا أَبْلُغُ الْحَسَنَاءُ أَنَّ خَلِيلَهَا * بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنَمٍ ^(١)
فَإِنْ كُنْتَ نَدَمَانِي فَبَالَا كِبَرِ اسْقِيَنِي * وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ * تَتَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِ ^(٢) الْمُتَهَدِّمِ
فَبَلَغَ الشَّعْرَ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ
الْمَصِيرُ) أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغْنِي قَوْلُكَ :

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوءُهُ * تَتَادُمْنَا بِالْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

وَأَيُّمَ اللَّهِ لَقَدْ سَاءَنِي ! وَعَزَلَهُ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَأَلَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَانَ
مِنْ هَذَا شَيْءٌ ، وَمَا كَانَ إِلَّا فَضْلُ شَعْرٍ وَجَدْتَهُ وَمَا شَرِبْتُهَا قَطُّ . فَقَالَ عُمَرُ : أَظُنُّ
ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُ لِي عَمَلًا أَبَدًا . فَتَزَلُ الْبَصْرَةُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَغْزُو مَعَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى
مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ومِنْهُمْ : عِمْرَانُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ . خَطَبَ أَمْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَتْ :
لَا أَتَزَوَّجُكَ حَتَّى تَدَعَ الْخَمْرَ وَالزَّانَا . فَقَالَ : أَمَّا الزَّانَا فَمَا أَدْعُهُ ، وَأَمَّا الْخَمْرُ فَوَجَدْتِي
بِهَا شَدِيدًا . ثُمَّ أَشْتَدَّ وَجْدُهُ بِالْمَرْأَةِ فَعَاوَدَ طَلِبَهَا ، فَقَالَتْ : حَتَّى يَحْلِفَ بِطَلَاقِي يَوْمَ

٤٨

(١) الْحَنَمُ : الْجُرْزَةُ الْخَضْرَاءُ .

(٢) الْجَوْسَقُ : الْقَصْرُ .

يزنى أو يشرب نحرًا، فحلف لها وتزوجها . ومكث حينًا لا يشرب، الى أن مر
بجمار وعنده قوم يشربون وقينة تغنيهم وهو على ناقه، فطرب اليهم وأرتاح ورمى
بثيابه الى الجمار، وقال : أسقهم بها، ونحر لهم ناقته، ومكث أيامًا يطعمهم ويسقيهم
حتى أنفد مامعه . ثم رجع الى امرأته، فلامته، فأنشأ يقول :

أَقْلَى عَلَى اللّوْمِ يَا أُمَّ سَالِمَ * وَكُنْفَى فَإِنِّ الْعَيْشَ لَيْسَ بِدَائِمِ
أَسْرِكْ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمَ نَشْوَةً * خُرُوجِي مِنْهُمْ سَالِمًا غَيْرَ غَارِمِ
سَلِيمًا كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ كُنْتُ مِنْهُمْ * وَلَيْسَ الْخِدَاعُ مِنْ تَصَافَى التَّنَادِمِ
ثم قال لها : الحقّ بأهلك، وعاد الى ما كان عليه .



وأما من آفتخر بشربها وسبائها^(١)، فقد كانت العرب تفتخر بسبائها،
وتضيفه الى عظيم غنائها، وتقرنه بمذكور بلائها . وشاهد ذلك قول امرئ القيس :
كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّدَةِ * وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ
وَلَمْ أَسْبَأِ الزَّقَّ الرُّوَّى وَلَمْ أَقْلِ * نَحْلِي كُرَّى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ
فقرن جوده في سبأ الزق بسالته في كراخليل . ولما أنشد أبو الطيب المتنبي
سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي يقول فيها :

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ * كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمُ
تَمَرُّبُكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى هَزِيمَةً * وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكُ بِاسْمُ
فقال له سيف الدولة : انتقدنا عليك يا أبا الطيب هذين البيتين كما انتقد على
امرئ القيس بيتاه، وذكرهما، قال : وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما لا يلتئم شطرا
هذين البيتين : كان ينبغي لأمرئ القيس أن يقول :

(١) السبأ : شراء الخمر .

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل * نخليلى كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
وأن تقول أنت :

وقفت وما فى الموت شك لواقف * ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمزبك الأبطال كلمى هزيمة * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن كان صح أن الذى أستدرك على أمرى القيس أعلم منه
بالشعر فقد أخطأ أمرؤ القيس وأخطأت أنا ، والثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك
لأن البراز يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفاريقه ، لأنه هو الذى أخرجه من
الغزلية الى الثوبية . وإنما قرن أمرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن
السباحة فى سبأ الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت
الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه . ولما كان الجريح
المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه باكية قلت :

* ووجهك وضاح وثغرك باسم *

لأجمع بين الأضداد فى المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة
بقوله ووصله .

وقال لقيط بن زُرارة :

شربت الخمر حتى خلت أنى * أبو قابوس أو عبد المدان

وقال حسان بن ثابت الأنصارى عفا الله عنه ورحمه :

إذا ما الأشربات دُكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء

ونشربها فتركنا ملوكا * وأشدًا ما ينهنها اللقاء

حكى أن حسّان بن ثابت عثّف جماعةً من الفتيان على شرب الخمر وسوء
تتادهمم عليها وأنهم يُضربون عليها ضربَ الإبل ولا يرجعون عنها ؛ فقالوا : إنا اذا
هممنا بالإقلاع عنها ذكرنا قولك :

ونشربها فتركنا ملوكا * وأسدّا ما ينهها اللقاءُ

فعاودناها .

٥

وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان :

إذا ما نديمى علّنى ثم علّنى * ثلاث زجاجات لهنّ هديرُ
نخرجتُ أجر الذيل حتى كأننى * عليك أمير المؤمنين أميرُ

وقال آخر :

إذا صدمتنى الكأس أبدت محاسنى * ولم ينخش ندمانى أذى ولا بنحلى
واست بفحّاش عليه وإن أسا * وما شكل من آذى نداماه من شكلى
وقال آخر :

١٠

شربنا من الداذى^(١) حتى كأننا * ملوكُ لهم برّ العراقين والبحرُ
فلما آنجلت شمسُ النهار رأيتنا * تولى الغنى عنا وعاودنا الفقرُ

٤٩

ومثله للنّخل اليشكرى :

١٥

فإذا سكّرتُ فإننى * ربُّ الخورنق والسدير
وإذا صحوتُ فإننى * ربُّ الشّويهة والبعير

وقال عنتره :

وإذا سكّرتُ فإننى مستهلك * مالى، وعِرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوتُ فما أقصّر عن ندى * وكما علمت شمائلى وتكرمى

٢٠

(١) الداذى : شراب معروف بجودة إسكاره .

أخذه البحتريّ وزاد عليه في قوله :

وما زلتَ خلًّا للندامى إذا أنتشوا * وراحوا بدورا يستحثُّون أنجبا

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم * فما أسطعن أن يُحدثن فيك تكرّما

والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحتري ذكر أن ممدوحه

يتكرم قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكؤوس أن تزيد تكرّما .

وكان الأعشى ميمون بن قيس مشهورا بتعاطي الخمر مشغوقا بها كثير الذكرها

في شعره . ومن أشتهاره بها قال المفضل بين قدماء الشعراء : أشعرهم أمرؤ القيس

إذا ركب ، والنايعة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب . وقصد

الأعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسلم وأمتدحه بقصيدته التي أولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما بات السليم مسهدا

فاعترضه في طريقه من أراد منعه ، فقالوا له : إنه يحترم عليك الزنا والخمر .

فقال : أما الزنا فقد كبرت فلا حاجة لي فيه ، وأما الخمر فلا أستطيع تركها . وعاد

لينظر في أمره ، وقيل : إنه قال : أعود فأشربها سنة وأرجع ، فمات قبل الحول .

قالوا : ونظر الحسن بن وهب الى رجل يعيس في كأسه ، فقال : ما أنصفتها ،

تضحك في وجهك وتعيس في وجهها . ومن ذلك قول الشريف الرضى :

كالخمر يعيس حاسيها على مقّة * والكأس تجلو عليه ثغر مبتسم

وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز حيث يقول :

ما أنصف النّدمان كأس مدامة * ضحكك اليه فشتمها بتعيس

ذكر شيء مما قيل فيها من جيد الشعر

قد أوسع الشعراء في هذا المعنى وأطنبوا فيه وتنوعوا . فمنهم من مدحها
ومنهم من وصفها وشبهها ، ومنهم من ذكر أفعالها وتغزل فيها . وسنورد في هذا
الموضع نبذة مما طالعناه في ذلك ، إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطلال ، ولآتسعت
فيه دائرة المقال .



فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها ، فمن ذلك قول ابن الرومي
حيث يقول :

تالله ما أدرى بأية علة * يدعون هذا الراح بأسم الراح؟
الريحها ولروحها تحت الحشا * أم لأرتياح نديمها المرتاح؟
إن حُرمت فبحقها من نحرية * ما كان مثل حريمها بمباح
أو حُللت فبحقها من نشوة * تشفى سقام قلوبنا بصحاح
وقال أيضا :

نحر إذا ما نديمي ظل يكرعها * أخشى عليه من اللائء يحترق
لورام يحلف أن الشمس ما غربت * في فيه كذبه في وجهه الشفق
ومثله قول الطليق المرواني :

فإذا ما غربت في فمه * أطلعت في الخد منه شفقا

وقال الناجم :

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب ترى من رقة شبحا
إذا تعاطيتها لم تدر من فرج * راحا بلا قدح أعطيت أم قدحا؟

وقال الناشي :

يا ربّما كأس تناولتها * تسحب ذيلا من تلالها
كأنها النار وليكنها * منعّم والله صالحها

ومما قيل في وصفها وتشبيهها ؛ فمن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية :

ومدامة حمراء في قارورة * زرقاء تحملها يد بيضاء
فالخمر شمس والحباب كواكب * والكف قطب والإناء سماء

وقال السروي :

عنيت بالمدامة الشعراء * وصفوها وذاك عندي عناء
كيف تحصيل علمها وهي موت * وحياة وعلة وشفاء
فهي في باطن الجوانح نار * وهي في ظاهر المحاجر ماء
حلوة مرة فما أحد يد * رى أداء خصوصها أم دواء

وقال البحتري :

اشرب على زهر الرياض يشوبه * زهر الخدود وزهرة الصبباء
من قهوة تنسي الهموم وتبعث الـ * شوق الذي قد ضلّ في الأحشاء
يخفي الزجاجة لونها فكأنها * في الكف قائمة بغير إناء
ولها نسيم كالرياض تنفست * في أوجه الأرواح والأنداء
وفواق مثل الدموع ترددت * في صحن خد الكاعب الحسناء
يسقيكها رشاً يكاد يردها * سكرى بفترة مقلّة حوراء
يسعى بها وبمثلها من طرفه * عوداً وإبداء على الندماء

وقال الوأواء الدمشقي :

فأمرج بمائك نار كأسك وأسقني * فلقد مزجت مدامي بدماء

وأشرب على زهر الرياض مُدَامَةً * تَتَفَنَّى الهمومَ بعاجل السَّراءِ
 لَطَفَتْ فصارت من لطيف محَلَّها * تجرى بجرى الروح في الأعضاءِ
 وكأَنَّ مَحْنَقَةً عليها جوهراً * ما بين نارٍ أذِكَيْتَ وهواءِ
 وكأنها وكأَنَّ حاملَ كأسها * إذ قام يجلسوها على الندماءِ
 شمس الضحى رَقَصَتْ فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاءِ
 وقال أبو نَواس :

أقول لما تحاكي شبا * أيهما للتشابه الذهبُ
 هما سواءٌ وفرقٌ بينهما * أنهما جامدٌ ومُنسكبُ

وله أيضا :

إذا عَبَّ^(١) فيها شاربُ القوم خَلَّتْ * يقبَّل في داجٍ من الليل كوكبا
 ترى حيثما كانت من البيت مَشْرِقًا * وما لم تكن فيه من البيت مَغْرِبًا
 يدور بها ساقٍ أغْرَبَتْ ترى له * على مستدار الأذن صُدْغًا مُعْقَرًا
 سَقَاهم ومَنَانِي بعينه مُنِيَّةً * فكانت الى نفسى أَلَذَّ وأَطْيَبَا
 ومثل البيت الأول قول ابن المعتز :

كأنه قائم والكأس في يده * هلال أول شهر غاب في شفق

وقال ابن الرومي :

ومَهْفَهْفٍ تَمَّتْ محاسنُه * حتى تجاوز منتهى النفسِ
 أبصرته والكأس بين فم * منه وبين أناملِ خميسِ
 فكأنه والكأس في فمه * قمرٌ يقبَّل عارضَ الشمسِ

وقال الحسين بن الضحّاك :

كأَنَّمَا نُضَبَّ كَأْسُهُ قَمَرٌ * يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجَمِ الْفَلَكَ

وقال آخر :

وَأَكْتَسَتْ مِنْ فَضَّةٍ دُرَّرًا * خَلَّتْهَا مِنْ تَحْتِهَا ذَهَبًا

كَكَمِيتِ اللَّوْنِ قَلْدَهَا * فَارَسٌ مِنْ لَوْلُو حَبِيبًا

وقال آخر :

تَغْشَى ^(١) بَيَاضَ شَارِبِهَا * فَتَخَالُهَا بَيْنَ مَخْتَضِبِ

دَارَتْ وَعَيْنَ الشَّمْسِ غَائِبَةً * فَحَسِبْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ لَمْ تَغِبْ

وقال آخر :

حَمْرَاءُ وَرَدِيَّةٍ مَشْعَشَعَةٍ * كَأَنَّهَا فِي إِنْائِهَا لَهْبُ

صَهْبَاءٍ صَرَفًا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ * مِنْ جَامِدِ الصَّخْرِ مَسَّهُ طَرَبُ

وقال آخر :

قَلْتُ وَالرَّاحَ فِي أَكْفِ النَّدَامَى * كَنَجْوِمِ تَلَوُّحٍ فِي أَبْرَاجِ

أُمْدَامًا خَرَطْتُمْ لِمُدَامٍ * أَمْ زَجَاجًا سَبَكْتُمْ لَزَجَاجِ

وقال الحسن بن وهب :

وَقَهْوَةٍ صَافِيَةٍ * كَالْمَسْكِ لَمَّا نَفَحَا

شَرِبْتُ مِنْ دِنَانِهَا * مِنْ كُلِّ دَنٍّ قَدَحَا

فَعَدْتُ لَا تَحْمِلْنِي * أَعْوَادُ سَرْجِي مَرَحَا

مِنْ شِدَّةِ السَّكَرِ الَّذِي * عَلَى فَوَادِي طَفَحَا

(١) هذا الشطر مختلف الوزن وورد هكذا بكل الأصول . ولعله : « تغشى الكؤوس » أو تغشى

المدام » مما يستقيم به المعنى والوزن .

وقال ابن المعتز :

خَلِيلِيْ قَدْ طَابَ الشَّرَابُ الْمُبَرَّدُ * وَقَدْ عَدْتُ بَعْدَ النَّسِكِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
فَهَاتِ عُقَارًا مِنْ قَمِيصِ زَجَاجَةٍ * كَيَا قُوْتِيْ فِيْ دُرَّةٍ تَتَوَقَّدُ
يَصُوغُ عَلَيْهَا الْمَاءُ شُبَّاكَ فُضِيَّةٍ * لَهُ حَلَقٌ بَيْضٌ يُحَلُّ وَتَعْقَدُ

وقال التنوخي :

وَرَا حَ مِنْ الشَّمْسِ مَخْلُوقَةٍ * بَدَتْ لَكَ فِي قَدَحٍ مِنْ نَهَارِ
هَوَاءٌ وَلَكِنَّهُ سَاكِنٌ * وَمَاءٌ وَلَكِنَّهُ غَيْرُ جَارِي
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَهُ وَهِيَ فِيهِ * تَأَمَّلْتَ مَاءً مُحِيطًا بِنَارِ
فَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْإِبْيَاضِ * وَهَذَا النِّهَايَةُ فِي الْإِحْمَرِ
وَمَا كَانَ فِي الْحَكْمِ أَنْ يُوجَدَا * لَفَرِطٍ تَنَافِيهِمَا وَالنَّفَارِ
وَلَكِنْ تَجَاوَرَ سَطْحَاهُمَا أَلْ * بِسَيْطَانٍ فَاتْلَفَا بِالْجَوَارِ
كَأَنَّ الْمَدِيرَ لَهَا بِالْيَمِينِ * إِذَا مَالَ بِالسَّقَى أَوْ بِالْيَسَارِ
تَدَرَّعَ ثَوْبًا مِنَ الْيَاسَمِينِ * لَهُ فَرْدٌ كُتْمٌ مِنَ الْجُلُنَّارِ

وقال ابن وكيع التنيسي :

حَمَلْتُ كَفَّهُ إِلَى شَفْطِيهِ * كَأْسُهُ وَالظَّلَامُ مُرْنِي الْإِزَارِ
فَأَلْتَقَى لَوْلَا حَبَابٍ وَثَغِيرٍ * وَعَقِيقَانِ مِنْ فَمِ وَعُقَارِ

وقال آخر :

قُمْ فَاسْقِنِي قَدْ تَبَلَّجَ الْغَسَقُ * مِنْ قَهْوَةٍ فِي الزَّجَاجِ تَأْتَلِقُ
كَأَنَّنَا وَالْكُؤُوسَ نَأْخُذُهَا * نَشْرَبُ نَارًا وَلَيْسَ نَحْتَرِقُ

وقال أبو نواس :

غَنَّا بالطول كيف بَلينا * وأسَقِنَا نُعْطُكَ ^(١)الجزء الثمينا
من سلاف كأنها كل شيء * يتمنى ^(٢)مخير أن يكونا
أكل الدهر ما تجسم منها * وتبقى لنا بها المكنونا
فإذا ما أجلتيتها فهباء * تمنع الكف ما تُبيح العيونا
ثم شُجَّتْ فاستضحكت عن لآل * لو تجمعن في يد لآقتيننا
في كؤوس كأنهن نجوم * جاريات ، بروجها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا * فإذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد * قلت قوم من قرّة يصطلونا

وقال ابن المعتز :

ونخارة من بنات المجوس * ترى الدد في بيتها سائلا
وزنا لها ذهباً جامداً * فكالت لنا ذهباً سائلا



وأما ما قيل في أفعالها ، فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

وكأس كمعسول الأمانى شربتها * ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها * لهما كوقع النار في الخطب الجزل
إذا اليد نالتها بوثر توفرت * على ^(٣)ضغنها ثم استقادت من الرجل

(١) في الأصل : « نقطة الجزء ... » وهو تحريف . وفي ديوان أبي نواس

* وأسقنا نعطك الثناء الثمينا *

(٢) كذا بالأصل ، وفي الديوان : * وتبقى لبابها المكنونا *

(٣) كذا في الديوان . وفي الأصل : « صنعها » وهو تحريف .

ومثله قول ديك الجن وأسمه عبد السلام :

فقام تكاد الكأس تخضب كفه * وتحسبه من وجنتيه أستعارها
مشعشة من كف ظبي كأنما * ناولها من خذه فأدارها
فظلنا بأيدينا نتعتع روحها * وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وقريب من المعنى الأول قول أبي بكر الخالدي :

كانت لها أرجل الأعلاج^(١) واثرة * بالدوس فانتصفت من رأس العرب
[أخذ هذا المعنى أبو غالب الإصباغي الكاتب فقال :

عقرتهم معقورة لو سالت * شراها ما سئمت بعقار
لانت لهم حتى أنتشوا وتمكنت * منهم فصاحت فيهم بالشار
ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت * صرعى تداس بأرجل العصا]

وقال آخر :

أسروها وجه النهار من الدن * فأمسوا وهم لها أسراء

وقال عبد الصمد بن بابك عفا الله عنه :

عقار عليها من دم الصب نفضة * ومن عبرات المستهام فواقع
معوذة غصب العقول كأنما * لها عند ألباب الرجال ودائع



وأما ما وصفت به غير ما قدمناه، فمن ذلك قول أبي الفضل يحيى بن سلامة

الحصكفي [والحصكفي نسبة الى حصن كيفا] :

وخليع بت أعيبه * ويرى عتي من العبيث

(١) الأعلاج : جمع عالج وهو الرجل من كفار العجم .

(٢) الزيادة التي بين هاتين العلامتين [] منقولة عن إحدى النسخ .

قُلْتُ إِنَّ الْخَمْرَ مَحَبَّةٌ * قَالَ حَاشَاها مِنْ الْحَبِثِ
قُلْتُ مِنْهَا الْقِيءُ، قَالَ أَجَلٌ * طَهَّرْتُ عَنْ مَخْرَجِ الْحَدِيثِ
قُلْتُ فَلَا أَرْفَاقَ نَتَبِعُهَا * قَالَ طَيْبُ الْعَيْشِ فِي الرِّفَاقِ
وَسَأَسْأَلُوهَا فَقُلْتُ مَتَى * قَالَ عِنْدَ الْكُونِ فِي الْجَدِثِ

وقال آخر:

ثَقُلْتُ زَجَاجَاتُ أُنْتِنَا فُرْعًا * حَتَّى إِذَا مُلِئْتُ بِصِرْفِ الرَّاحِ
خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَاحُوتِ * وَكَذَا الْجَسُومُ تَخِفُّ بِالْأَرْوَاحِ
[وقريب من المعنى قول الآخر:

وَزَنَا الْكَأْسَ فَارِغَةً وَمَلَأَى * فَكَانَ الْوِزْنُ بَيْنَهُمَا سَوَاءً ^(١)]

وقال أبو نواس:

قَهْوَةٌ أُغْمِيَ عَنْهَا * نَاطِرًا رَيْبِ الْمَنُونِ
عُتِّقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى * هِيَ فِي رَقَّةٍ دِينِي
ثُمَّ شُجِّتْ فَأَدَارَتْ * فَوْقَهَا مِثْلَ الْعَيُونِ
حَدَقًا تَرْنُو الْبِنَا * لَمْ تُحَجَّرْ بِجَفُونِ
ذَهَبًا يُثْمَرُ دُرًّا * كُلُّ إِبَّانٍ وَحِينِ
مِنْ يَدَيَّ سَاقٍ عَلَيْهِ * حَلَّةٌ مِنْ يَاسَمِينِ
غَايَةً فِي الظَّرْفِ وَالشَّكْلِ وَفَرْدٍ فِي الْمَجُونِ

وقال:

ذُذُّ بَمَاءِ الْكَرِّمِ وَالْعَنْبِ * خَطَرَاتِ الْهَمِّ وَالنُّوبِ
قَهْوَةٌ لَوْ أَنَّهَا نَطَقَتْ * ذَكَرْتُ سَامًا أَبَا الْعَرَبِ

(١) الزيادة التي بين هاتين العلامتين [] منقولة عن بعض النسخ.

(١) وهي تكسو كَفَّ شاربها * دستبانات من الذهب

وقال تاج الملوك بن أيوب :

وكم ليلة فيها وصلنا غَبوقنا * وكم من صباح كان فيه صَبوح
تُدار علينا من أ كَفَّ سُقَاتنا * عُقَارٌ من الهم الطويل تُرِيحُ
تلوح لنا كالشمس في كفِّ أغيد * يلوح لعيني البدر حين يلوح
مدام تُحاكي خدّه ورُضابه * ونكهته في الطيب حين تفوح
ولكن لها أفعال عينية في الحشا * فكلُّ حشا فيها عليه جريحُ

وقال أيضا :

(٢) والكأس أعطاه عقيقا أحمرًا * قائم ، فأعطىها لجينا يققا
من قهوة ما العيش إلا أن أرى * مصطبحا في شربها مغتبقا
أشربها شربًا هنيئًا من يدى * غصني رشيق وغزالٍ أرشقا

ومما قيل فيها إذا مُرِجت بالماء ، فمن ذلك قول أبي نواس :

وصفراء قبل المزج بيضاء بعده * كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
تري العين تستعفيك من لمعانها * وتحسّر حتى ما تُقلّ جفونها

ومنه أخذ ديك الجن فقال :

وحمرء قبل المزج صفراء بعده * بدت بين ثوبَي نرجس وشقائق
حكّت وجنة المعشوق صرفًا فسَلَطُوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال أبو هلال العسكري :

راح إذا ما الليل مدّ رواقه * لاحت تُطرز حلة الظلماء

(١) الدستبانات : كلمة فارسية ومعناها الأساور . (٢) اليقق : الأبيض .

حتى اذا مزجت أراك حبابها * زهرات أرض أو نجوم سماء

وقال أيضا :

وكأس تمتطى أطراف كف * كأن بنانها من أرجوان

أنازعها على العلات شرباً * لهن مضاحك من أحنوان

يلوح على مفارقها حباب * كأنصاف الفرائد والجمان

وطالعي الغلام بها سحيراً * فزاد على الكواكب كوكبان

ووافقها بنجد أرجوان * وخالفها بفرع أدجوان

قوله :

* كأنصاف الفرائد والجمان

مأخوذ من قول ابن الرومي :

لها صريح كأنه ذهب * ورغوة كاللآلئ الفلق

وقال أبو نواس :

فإذا علاها الماء ألبسها * حياء شبيهة جلاجل الجبل^(١)

حتى اذا سكنت جوانحها^(٢) * كتبت بمثل أكارع النمل

وهو مأخوذ من قول الأقرع، ويقال : إنه ليزيد بن معاوية :

وكأس سبها التجر من أرض بابل * كرقعة ماء الحزن في الأعين النجل

اذا شجها الساق حسبت حبابها * عيون الدبا^(٣) من تحت أجنحة النمل

وقال أبو نواس أيضا :

قامت تريني وأمر الليل مجتمع * صبحا تولد بين الماء واللهب

٢٠ (١) كذا في ديوانه . وفي الأصول : « نمشا » . (٢) كذا بالأصل . وفي الديوان :

« جوانحها » . (٣) الدبا : الجراد .

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فِقَاقِعِهَا * حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
وقال ابن المعتز :

لِلْمَاءِ فِيهَا كِتَابَةٌ عَجَبٌ * كَمَثَلِ نَقِيشٍ فِي فَصٍّ يَاقُوتٍ
وقال العسكري :

ذَابَ فِي الْكَأْسِ عَقِيقٌ بَحْرِي * وَطَفَا الدُّرُّ عَلَيْهِ فَسَبَّحَ
نَصَبَ السَّاقِي عَلَى أَقْدَاحِهَا * شَبَكَ الْفِضَّةَ تَصْطَادُ الْفَرْحُ
وقال ابن الساعاتي :

وَلَيْلَةٌ بَاتَ بِدُرِّ التَّمِّ سَاقِيْنَا * يُدِيرُ فِي فَلَكٍ مِنْ شَرِبِهَا شُهْبَا
بَكَرَ إِذَا فُرِعَتْ بِالْمَاءِ كَانَتْ بِنَا * جِدًّا وَإِنْ كَانَ فِي كَاسَاتِهَا لَعِبَا
حَمْرَاءُ مِنْ نَجْلِ حَتَّى إِذَا مُرِجَتْ * لَمْ تَدْرِ مَا نَحْجَلَا تَحْمُرُّ أَمْ غَضِبَا
تَزِيدُ بِالْبَارِدِ السَّلْسَالِ جَذْوَتُهَا * وَمَا سَمِعْتَ بِمَاءٍ مُحَدِّثٍ لَهَا
تَكْسُو النَّدِيمَ إِذَا مَا ذَاقَهَا وَضَحًّا * حَتَّى كَأَنَّ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَدْ شَرِبَا
وقال آخر :

فَنَبِّهْتَنِي وَسَاقِي الْقَوْمِ يَمْزُجُهَا * فَصَارَ فِي الْبَيْتِ لِلْمَصْبَاحِ مَصْبَاحُ
قَلْنَا عَلَى عَلَمِنَا وَالشُّكُّ يَغْلِبُنَا * أَرَاخُنَا نَارُنَا أَمْ نَارُنَا الرَّاحُ
وقال ابن وكيع التنيسي :

وَصَفْرَاءُ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ كَأَنَّهَا * فَرَأَى عَدُوًّا أَوْ لِقَاءَ صَدِيقٍ
كَأَنَّ الْحَبَابَ الْمُسْتَدِيرَ بِطَوْقِهَا * كَوَا كَبُّ دُرٍّ فِي سَمَاءٍ عَقِيقٍ
صَبَبَتْ عَلَيْهَا الْمَاءَ حَتَّى تَعَوَّضَتْ * قَمِيصَ بَهَارٍ مِنْ قَمِيصِ شَقِيقٍ

٥٣

وقال آخر :

حَمْرَاءُ مَا أَعْتَصَمُوا بِالْمَاءِ حِينَ طَفَتْ * إِلَّا وَقَدْ حَسِبُوهَا أَنَّهَا لَهْبُ

وقال الخالديان :

فمهايتها كالعروس محمّرة ال * يخذّين في معجّر^(١) من الحبّ
كادت تكون الهواء في أرج ال * منبر لو لم تكن من العنب
من كف راض عن الصدود وقد * غَضِبْتُ في حبّه على الغضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها * رأيت شيئاً من أعجب العجب
نار حواها المِزاج يُلْهبها الماءُ ودُرّ يدور في لهب

ذكر ما قيل في مبادرة اللذات ومجالس الشراب وطيّها

قال أحمد بن أبي فتن :

جدّد اللذات فاليومُ جديدٌ * وأمض فيما تشتهي كيف تريدُ
وآله ما أمكنَ يومٌ صالحٌ * إن يومَ الشرِّ لا كان - عتيدُ

وقال ديك الجن :

تمتّع من الدنيا فإنك فاني * وإليك في أيدي الحوادث عاني
ولا تُتظنّ اليومَ لهواً إلى غدٍ * ومن لغدٍ من حادثٍ بأمانٍ^(٢)
فإني رأيتُ الدهرَ يُسرّعُ بالفتى * وينقله حالين مختلفان
فأما الذي يمضي فأحلامُ نائمٍ * وأما الذي يبقى له فأمانى

وقال ابن المعتز من أبيات :

وبادرُ بأيام السرور فإنها * سراعٌ وأيامُ الهمومِ بطاءُ
وخلّ عتاب الحادثات لوجهها * فإن عتاب الحادثات عناءُ
تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها * ليأتى ما يأتى وهنَّ رواءُ

(١) المعجّر: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها . (٢) كذا بالأصل .. ولعلها "تختلفان" .

وقال أحمد المارداني :

عاقِرِ الرَّاحَ وَدَعْ نَعْتَ الطَّلَلِ * وَأَعِصْ مِنْ لَامِكْ فِيهَا وَعَذَلِ
غَادِهَا وَأَسْعَ لَهَا وَأَغْرَ بِهَا * وَإِذَا قِيلَ : تَصَابِي ، قُلْ أَجَلُ
إِنَّمَا دُنْيَاكَ - فَأَعْلَمْ - سَاعَةً * أَنْتَ فِيهَا وَسَوَى ذَاكَ أَمَلُ

وقال ابن بسّام :

وَاصِلُ خَلِيلِكَ إِنَّمَا أَلْ * مَدْنِيَا مُوَاصِلَةُ الْخَلِيلِ
وَأَنَعَمْ وَلَا تُتَعَجَّلْ أَلْ * حَمَكْرُوهُ مِنْ قَبْلِ التَّزْوِلِ
بَادِرْ بِمَا تَهْوَى فَمَا * تَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ
وَأَرْفُضْ مَقَالَةَ لَائِمِ * إِنْ الْمَلَامَ مِنَ الْفُضُولِ

ومما وصفت به مجالس الشرب ؛ فمن ذلك قول أبي نواس :
فِي مَجْلِسِ ضَحْكَ السَّرُورِ بِهِ * عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخُمُرُ
وقال ديك الجن :

كَأَنَّمَا الْبَيْتُ بِرِيحَانَةٍ * ثَوْبٌ مِنَ السَّنَدَسِ مَشْقُوقُ

وقال السري :

أَلَسْتَ تَرَى رَكَبَ الْغَمَامِ يُسَاقُ * وَأَدْمَعُهُ بَيْنَ الرِّيَاضِ تُرَاقُ
وَقَدَرَقَ جِلْبَابُ النَّسِيمِ عَلَى الثَّرَى * وَلَكِنْ جَلَايِبُ الْغَيُومِ صَفَاقُ
وَعِنْدِي مِنَ الرِّيحَانِ نَوْعٌ تَجَسَّهَ * وَكَأَنَّ كَرَقَرَاكَ الْخَلُوقِ دِهَاقُ^(١)
وَذُو أَدَبٍ جَلَّتْ صَنَائِعُ كَفِّهِ * وَلَكِنْ مَعَانِي الشَّعْرِ مِنْهُ دِقَاقُ
لَهُ أَبَدًا مِنْ ثَرِهِ وَنَظَامِهِ * بِدَائِعِ حَلِيٍّ مَا لَهْنٌ حِقَاقُ

وأغيد مهترًا على صحن خذه * غلائل من صبغ الحياء رفاق
أحاطت عيونُ العاشقين بنصره * فهن له دون النطاق نطاق
وقد نظم المنشور فهو قلائد * علينا، وعقد مذهب وخناق
وغرفتنا بين السحاب تلتقي * لهن علينا كلة ورواق
تقسم زوار من الهند سقفاها * خفاف على قلب الكريم رشاق
أعاجم تلتد الخصام كأنها * كواعب زنج راعهن طلاق
أنسن بنا أنس الإمام تحببت * وشمتها غدر بنا وإباق
مواصلة والورد في شجراته * مفارقة إن حان منه فراق
فزرتية، برد الشراب لديهم * حميم إذا فارقتهم وغساق^(١)

قوله :

أحاطت عيون العاشقين بنصره * فهن له دون النطاق نطاق
ماخوذ من قول المتنبي :

وخصير تثبت الأحداق فيه * كأن عليه من حدق نطاقا
وقال أبو هلال العسكري :

وليل آبتعت به لذة * وبعث فيه العقل والدين
أصاب فيه الوصل قلب الجوى * وبات فيه الهم مسكينا
وقد خلطنا بنسيم الصبا * نسيم راج ورياحينا
وأكؤس الراح نجوم اذا * لاحت بأيدينا هوت فينا
تضحك في الكأس أباريقنا * وحسبا تضحك تبكينا



(١) الغساق : المتن الشديد البرد الذي يحرق من برده كل حراق الجيم .

ومما قيل في طيِّ مجالس الشراب ؛ فمن ذلك قول بعض الشعراء :
 حُكِّمَ الْعُقَارِ إِذَا قَصِدَتْ لَشْرِبِهَا * فِي لَذَّةٍ مِنْ مُسْمِعٍ ^(١) وَقِيَانٍ
 أَلَّا تَعُودَ لَذَكَرَ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ * أَحْدُوثةٍ مِنْ شَارِبٍ سَكَرَانٍ
 وقال آخر :

إِذَا ذُكِرَ النَّبِيذُ فَلَيْسَ حَقًّا * إِعَادَةُ مَا يَكُونُ عَلَى النَّبِيذِ
 إِعَادَةُ مَا يَكُونُ مِنَ السَّكَارَى * يَكْدُرُ صَفْوَةُ الْعِيشِ اللَّذِيذِ
 وقال آخر :

تَنَازَعُوا لَذَّةَ الصُّهْبَاءِ بَيْنَهُمْ * وَأَوْجَبُوا لِرُضِيعِ الْكَأْسِ مَا يَجِبُ
 لَا يَحْفَظُونَ عَلَى السَّكَرَانِ زَلَّتَهُ * وَلَا يُرِيْبُكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رِيْبُ

١٠ ذكر ما قيل في وصف آلات الشراب وأوانيها
 من ذلك ما قيل في وصف معصرة الخمر :
 قال أبو الفرج البغّاء :

وَمَعْصَرَةٌ أَنْخَتُ بِهَا * وَقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَغِبْ
 نَخِلْتُ قَرَارَهَا بِالرَّا * حَ بَعْضَ مَعَادِنِ الذَّهَبِ
 وَقَدْ ذَرَفَتْ لِفَقْدِ الْكَرِّ * مَ فِيهَا أَعْيُنُ الْعَنْبِ
 وَجَاشَ عُبابُ وَادِيهَا * بِمَنْهَلٍ وَمُنْسَكِبِ
 وَيَاقُوتُ الْعَصِيرِ بِهَا * يَلَاْعِبُ لَوْ لَوُ الثَّوْلُ الْحَبِيبِ
 فَيَا عَجِبَا لِعَاصِرِهَا * وَمَا يَفْنَى بِهِ عَجْبِي
 وَكَيْفَ يَعِيشُ وَهُوَ يَنْخُو * ضَ فِي بَحْرِ مِنَ اللَّهَبِ

(١) المسمع : المفعى .

وقال ابن المعتز يصف الدنان :

ودنان كمثل صف رجال * قد أقيموا ليرقصوا ^(١) دستبندا

وقال القطامي يصف حرار الخمر :

وأستودعها رواقيد ^(٢) مقيرة ^(٣) * دكن ^(٤) الظواهر قد برنس بالطين

مكافيات ^(٥) لحر الشمس قائمة * كأنهن ^(٤) نبيط في تباين

وقال العلوي الأصفهاني :

مخدرة مكنونة قد تقشفت * كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبس بيض غلائل * هي العرى مغرور بها كل لابس

مشعته ^(٥) مرهاء ماخلت أنى * أرى مثلها عذراء في زى عانس

ومما قيل في الراوق ؛ قال بعض الشعراء :

كأنما الراوق وانتصابه * خرطوم فيل سقطت أنيابه

والبيت منه عطر ترابه * كأن مسكا فتقت عيابه

وقال آخر :

سما لاذ ^(٦) ، قطرها رحيق * ربح الذرى ينحط فيه الضيق

ماء عقيق لو جرى العقيق * حتى اذا ألهبها التصفيق

* صحننا الى جيراننا : الحريق *

(١) الدسبند : نوع من أنواع رقص المجوس : يأخذ بعضهم بيد بعض و يدورون ويرقصون .

(٢) رواقيد : جمع راقود وهو الدن الكبير .

(٣) مقيرة : أى مسبعة بالقار وهو "الزفت" .

(٤) التباين : جمع تباين وهو سراويل صغير يستر العورة .

(٥) المرهاء : التى أبيضت حاليقها من تركها الكحل .

(٦) اللاذ : جمع لاذة وهى ثوب حرير أحمر صينى .

ومما وُصفت به زقاق الحمر، فمن ذلك قول الأخطل :
 أناخوا بجثروا شاصيات^(١) كأنها * رجالٌ من السودان لم يتسربلوا
 وقال أبو الهندي وأجاد في شعره :

أتلف المال وما جمعتُه * طلبُ اللذاتِ من ماء العنب
 وأستبأ الزق من حانوتها * شائل الرجلين معضوب^(٢) الذنب
 كلما كب لشرب خلتُه * حبشياً قُطعت منه الركب
 وقال ابن المعتز :

وتراها وهي صرعى * فرغاً بين الندامى
 مثل أبطال حروب * قتلوا فيها كراماً

وقال العلوي الأصفهاني :

عجبت من حبشي لا حراك به * لا يدرك النار إلا وهو مذبوح
 طوراً يرى وهو بين الشرب مضطجع * رخو الصفاق^(٣) وطوراً وهو مشبوح

ومما وُصفت به الأباريق ؛ فمن ذلك قول شبرمة بن الطفيل :
 كأن أباريق الشمول عشيّة * إوزاً بأعلى الطف عوج الحناجر

وقال آخر :

يأرب مجلس فتية نادمتهم * من عبد شمس في ذرى العليا
 وكأنما إبريقهم من حسنه * ظبي على شرف أمّام ظباء

وقال ابن المعتز :

وكان إبريق المدام لديهم * ظبي على شرف أناف مدلهما

(١) الشاصيات : القرب اذا كانت مملوءة أو نفخ فيها فارتفعت قوامها .

(٢) المعضوب : المقطوع . (٣) الصفاق : جلد البطن .

لما استحثته السقاة جثي لها * فبكي على قدح النديم وقهقهها
وقال إسحاق الموصلي :

كأن أباريق المدام لديهم * طباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم * من اللين لم يُخلَقْ لهنّ عظام
وكلّهم نظروا الى قول علقمة بن عبدة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف * مُقدّم بسبب الكائن ملثوم^(١)
وقال محمد بن هاني من أبيات :

والأباريق كالطبّاء العواطي * أوجست نبأة الخيول العتاق
مُصغيات إلى الغناء مطالا * ت عليه كثيرة الإطراق
وهي شم الأنوف يشمخن كبرا * ثم يرعفن بالدم المهرق
وقال أبو نواس عفا الله عنه :

والكوب يضحك كالغزال مسبحا * عند الركوع بلثغة الفأفأ
وكأن أقداح الرحيق إذا جرت * وسط الظلام كواكب الجوزاء
وقال بشار بن برد :

كأن إبريقنا والقطر من فمه * طيرتناول ياقوتا بمنقار
ومما وصفت به الكاسات والأقداح ؛ فمن ذلك قول ابن المعتز :
غدا بها صفراء كرخية * تخالها في كأسها تتقد
وتحسب الماء زجاجا لها * وتحسب الأقداح ماء جمد
وقال ابن المعتز أيضا عفا الله عنه :

وكأس تُحجب الأبصار عنها * فليس لناظر فيها طريق

(١) السب والسيبة : الشقة ، وخص بعضهم به الشقة البيضاء . كذا في اللسان ، وقد استشهد بهذا البيت وعقب عليه قائلا : « إنما أراد بسباب فحذف » .

كَأَنَّ غَمَامَةً بَيْضَاءَ بَيْنِي * وَبَيْنَ الْكَأْسِ تَخْرِقُهَا الْبُرُوقُ
وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْغَاءُ :

مَنْ كُلَّ جَسْمٍ كَأَنَّهُ عَرَضٌ * يَكَادُ لُطْفًا بِاللَّحْظِ يُنْتَهَبُ
كَأَنَّمَا صَاغَهُ النِّفَاقُ فَمَا * يَخْلُصُ مِنْهُ صَدَقٌ وَلَا كَذِبُ
وَقَالَ الرَّقَاءُ :

كَأَنَّ الْكُؤُسَ بِفَضْلَاتِهَا * مَتَوَجَّةً بِأَكَالِيلِ نَوْرِ
جِيُوبٍ مِنَ الْوَشْيِ مَرْزُورَةٍ * يَلُوحُ عَلَيْهَا بَيَاضُ النُّجُورِ
وَقَالَ آخَرُ :

وَكأَنَّمَا الْأَقْدَاحُ مِزْعَةُ الْحَشَا * بَيْنَ الشُّرُوبِ كَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ
وَكأَنَّمَا يَاقُوتَةٌ فَضْلَاتِهَا * مَخْرُوطَةٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءِ
وَقَالَ الْمَعُوجُ :

يَعَاطِيكَ كَأَسًا غَيْرَ مَلَأَى كَأَنَّمَا * إِذَا مُزِجْتَ أَحْدَاقُ دَرِجٍ مُزْرِدٍ
كَأَنَّ أَعَالِيهَا بَيَاضُ سَوَافٍ * يَلُوحُ عَلَى تَوْرِيدٍ خَدِّ مُورِدٍ
وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

وَكأَنَّمَا الرُّوضُ السَّمَاءُ وَنَهْرُهُ * فِيهِ الْمَجَرَّةُ وَالْكَؤُوسُ الْأَنْجُمُ
وَقَالَ الثَّعَالِيُّ :

يَا وَاصِفَ الْكَأْسِ بِتَشْبِيهِهَا * دُونَكَ وَصْفًا عَالِي الْقَدْرِ
كَأَنَّ عَيْنَ الشَّمْسِ قَدْ أُفْرِغَتْ * فِي قَالِبٍ صَبِغَ مِنَ الْبَدْرِ
وَقَالَ آخَرُ :

أَقُولُ لِلْكَأْسِ إِذَا تَبَدَّتْ * بِكَفِّ أَخْوَى أَغْنَى أَحْوَرُ
أَخْرَبَتْ بَيْتِي وَبَيْتَ غَيْرِي * وَأَصْلُ ذَا كَعْبِكَ الْمَدُورُ



الباب الخامس

من القسم الثالث من الفن الثاني في الندمان والسقاة

قال سهل بن هارون : ينبغي للنديم أن يكون كأنما خلق من قلب الملك
يتصرف بشهوته ويتقلب بإرادته ، لا يميل المعاشرة ، ولا يسام المسامرة ؛ إذا أنتشى
يحفظ ، وإذا صحا يهبط ، ويكون كأنما لسره ، ناشرا لبره . قالوا :

فأحر كاتبٌ ندِيمًا ، فقال الكاتب : أنا معونة ، وأنت مؤونة ؛ وأنا للجد ، وأنت
للهمز ؛ وأنا للشدة ، وأنت للرخاء ؛ وأنا للحرب ، وأنت للسلام . فقال النديم :
أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ؛ وأنا للخطوة ، وأنت للمهنة ؛ تقوم وأنا قاعد ، وتحشم وأنا
مؤانس ؛ تدأب لراحتي ، وتشقى لما فيه سعادتي ؛ فأنا شريك وأنت معين ، كما أنك
تابع وأنا قرين . فلم يحجر الكاتب جوابا . والله أعلم .

وسئل إسحاق بن إبراهيم الموصلي رحمه الله عن الندماء ، فقال :
واحد غم ، واثنان هم ، وثلاثة قوام ، وأربعة تمام ، وخمسة مجلس ، وستة
زحام ، وسبعة جيش ، وثمانية عسكر ، وتسعة أضرب طبلك ، وعشرة ألق بهم
من شئت .

وقال الجمار : النبيذ حرام على آثني عشر نفسا ، من غنى الخطأ ، وأتكأ على
اليمين ، وأكثر من أكل البقل ، وكسر الزجاج ، وسرق الريحان ، وبل ما بين يديه ،
وطلب العشاء ، وقطع ^(١) البم ، وحبس أول قدح ، وأكثر الحديث ، وأمتخط في منديل
الشراب ، وبات في موضع لا يحتمل المبيت فيه .

٢٠ (١) البم : الوتر الغليظ من أوتار العود .

قال أبو هلال العسكري :

ما أعاف النبذ خيفة إثم * إنما عفته لفقد النديم
ليس في اللهو والمدامة حظ * لكريم دون النديم الكريم
فتخير قبل النبذ نديماً * ذا خلل معطرات النسيم
وجمال إذا نظرت بديع * وضمير إذا آخبرت سليم

وقال آخر :

أرى للكأس حقاً لا أراه * لغير الكأس إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه * رحي اللذات في الزمن القديم

وقال آخر :

وندمان أخى ثقة * كأن حديثه حبرة^(١)
يسرك حسن ظاهره * وتمجد منه محبرة
ويستر عيب صاحبه * ويستر أنه ستره

وقال آخر :

ونديم حلو الحديث يجاري * بك بما تشتهي في ميدانك
ألمعى كأن قلبك في أض * ملاعه أو كلامه في لسانك

وقال يحيى بن زياد :

ولست له في فضلة الكأس قائلًا * لأصرفه عنها : تحس وقد أبى^(٢)
ولكن أحييه وأكرم وجهه * وأشرب ما أبقي وأسقيه ما أشتى
ولست إذا مانام عندي بموقيظ * ولا أسمع يقظان شيئاً من الأذى

وقال آخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأ * س فازرى إدمانها بالحلوم

(١) الحبرة : ضرب من برود اليمن منمر . (٢) هذه رواية الأصل وهي غير مستقيمة
ويمحتمل أن تكون محرفة عن « لأصرفها عنى » أو « لأصرعه سكرًا » أو نحو ذلك .

قَوْلُ مَا يُسَخِّطُ النَّدِيمَ وَإِنْ أَسَ * يَخْطَهُ عِنْدَ ذَاكَ قَوْلُ النَّدِيمِ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَخْطُبُ لِكَأْسِكَ نَدْمَانًا تُسَرُّ بِهِ * أَوْ لَا فَنَادِمٌ عَلَيْهَا حِكْمَةُ الْكُتُبِ

أَخْطُبُهُ حُرًّا كَرِيمًا ذَا مَحَافِظَةٍ * تَرَى مُوَدَّتَهُ مِنْ أَقْرَبِ النَّسَبِ

وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

وَنَدْمَانٍ يَرَى عَيْبًا عَلَيْهِ * بَأْنَ يَمْشِي وَلَيْسَ بِهِ أَنْتِشَاءُ

إِذَا نَبَّهْتَهُ مِنْ نَوْمٍ سَكْرٍ * كَفَاهُ مَرَّةً مِنْكَ النَّدَاءُ

فَلَيْسَ بِقَائِلٍ لَكَ : إِيَّاهِ دَعْنِي * وَلَا مُسْتَخْبِرًا لَكَ مَا تَشَاءُ

وَلَكِنْ سَقَّنِي وَيَقُولُ أَيْضًا * عَلَيْكَ الصَّرْفُ إِنْ أَعْيَاكَ مَاءُ

إِذَا مَا أَدْرَكَتَهُ الظُّهْرُ صَلَّى * وَلَا عَصْرٌ عَلَيْهِ وَلَا عِشَاءُ

يُصَلِّي هَذِهِ فِي وَقْتِ هَذِي * وَكُلَّ صَلَاتِهِ أَبَدًا قَضَاءُ

وَقَالَ آخَرُ :

نَبَّهْتُ نَدْمَانِي فَهَبَّوْا * بَعْدَ الْمَنَامِ لِمَا اسْتَحَبُّوا

هَذَا أَجَابَ وَذَا أَنَا * بَ وَذَا يَسِيرُ وَذَاكَ يَجْبُو

أَنْشَدْتَهُمْ بَيْتًا يَعْلَمُ ذَا الصَّبَابَةِ كَيْفَ يَصْبُو

« مَا الْعِيشُ إِلَّا أَنْ تُحِبَّ وَأَنْ يُحِبَّكَ مِنْ تَحِبَّ »

فَتَطَرَّبُوا وَالْأَرْيَحِيَّةُ شَأْنَهَا طَرَبٌ وَشَرَبٌ

وَقَالَ أَبُو عُبَادَةَ الْبَحْتَرِيُّ عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

وَنَدِيمٍ نَبَّهْتُهُ وَدَجَى اللَّيْلِ * لَوْ وَضُوءُ الصَّبَاحِ يَعْتَلِجَانِ

قُمْ نَبَادِرْ بِهَا الصِّيَامَ فَقَدْ أَقْدَ * حُرْ ذَاكَ الْهَلَالُ مِنْ شَعْبَانِ

وقال أيضا :

بات نديماً ليَ حتى الصباح * أغيدُ مجدولُ مكانِ الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ * منضدٍ أو بردٍ أو أقاح
يساقط الوردَ علينا وقد * تبلج الصبحُ، نسيمُ الرياح
إن لانب عطفاه قسا قلبه * أو تبت الخللُ جال الوشاح
أمرج كأسى يجنى ريقه * وإنما أمرج راحاً براح

ومنه من كره النديم وآثر الأفراد . قال إبراهيم الموصلي عفا الله تعالى عنه

ورحمه :

دخلت يوماً على الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وعنده كلب ، فقلت له :
ننادم كلباً ! قال : نعم ، يمنعني أذاه ، ويكف عني أذى سواه ، ويشكر قلي ،
ويحفظ مبيتى ومقيلي . وأنشد :

وأشرب وحدي من كراحتي الأذى * مخافة شرٍّ أو سبابٍ لئيم
انتهى وأستغفر الله العظيم .

ومما قيل في السُّقاة ، فمن ذلك قول الصنوبري عفا الله عنه :

ومورّد الخدين يخ * يطرحين يخطر في مورّد
يسقيك من جفن اللجى * من إذا سقاك دموع عسجد
حتى تظنّ النجم ين * زلّ أو تظنّ الأرض تصعد
فإذا سقاك بعينه * وبفيه ثم سقاك باليد
حيّاك بالياقوت ثم الدرّ من تحت الزبرجد

(١) هذا البيت ساقط من أبيات هذه القصيدة في ديوان البحرى .

وقال ديك الجن :

وَمُرَّرَ بِالْقَضِيبِ إِذَا تَنَنَّى * وَمَزْهَأَةٌ عَلَى الْقَمَرِ التَّامِ
سَقَانِي ثُمَّ قَبَّلَنِي وَأَوْمَأَ * بِطَرْفِ سُقْمِهِ يَشْفِي سَقَامِي
فَبِتَّ لَهُ عَلَى النَّدَمَانِ أُسْقَى * مُدَامًا فِي مُدَامٍ فِي مُدَامِ

وقال ابن المعتز :

تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ مِنْ كَفِّ شَادِنٍ * لَهُ لِحْظُ عَيْنٍ يَشْتَكِي السَّقَمَ مُدَنِّفُ
كَأَنَّ سَلَافَ الْخَمْرِ مِنْ مَاءِ خَذِهِ * وَعَنْقُودُهَا مِنْ شَعْرَةِ الْجَعْدِ يَقْطِفُ

وقال أيضا :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ * هُوَ سِحْرٌ وَمَا سِوَاهُ الْكَلَامُ
فَكَأَنَّ السُّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى * أَلِفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامُ

وقال أحمد بن أبي فتن :

بَكَفِّ مُقَرَّطِي خَنْثٍ * تَطِيبُ بِطَيْبِهِ الرَّيْبُ
تَرَاهَا وَهِيَ فِي كَفِّهِ * مِنْ خَذِيهِ تَلْتَهَبُ

وقال الصنوبري :

وَسَاقٍ إِذَا هُمْ نَدَمَانَا * بَأَنْ يُزَجِّيَ الْكَأْسَ لَمْ يُزَجِّهِ
كَلْعَبَةٌ عَاجٌ عَلَى فَرْشِهِ * وَلَيْثٌ عَرِينٌ عَلَى سَرَجِهِ
لَطِيفُ الْمَنْطِقِ مَهْمَزُهُ * ثَقِيلُ الْمُؤَزَّرِ مَرْتَجُهُ
سَقَانِي بِعَيْنِيهِ أَضْعَافَ مَا * سَقَانِي بِكَفِّهِ مِنْ غُنْجِهِ

وقال آخر :

يَاسَاقِي الْقَوْمِ إِنْ دَارَتْ إِلَى فَلَا * تَمُزْجُ فَإِنِّي بَدْمَعِي مَازِجُ كَاسِي
وَيَا قَتِي الْحَيَّ إِنْ غَنِيَتْ مِنْ طَرَبٍ * فَعَنِّ : وَاحْرَبَا مِنْ قَلْبِهِ الْقَاسِي

وقال ابن المعتز :

وعاقِدُ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْآسِ * دَقِيقُ الْمَعَانِي مُحْطَفُ الْخَصْرِ مَيَّاسِ
سَقَانِي عُقَّارًا صَبَّ فِيهَا مِرَاجَهَا * فَأُضْحِكُ عَنْ ثَغْرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَاسِ
وقال أيضا :

قام كالغصن في النقا * يَمْزِجُ الشَّمْسُ بِالْقَمَرِ
وسَقَانِي الْمَدَامَ وَاللَّيْلُ بِالصَّبْحِ مُؤْتَزِرُ
وَالثَّرِيَّا كَنُورِ غُصْنٍ * عَلَى الْغَرْبِ قَدْ نَثِرُ
وقال البحتري :

وفي القهوة أشكأل * من الساقى وألوانُ
حَبَابٍ مِثْلُ مَا يَضَحُّ * لَكَ عَنْهُ وَهُوَ جَذْلَانُ
وَيُسْكِرُ مِثْلَ مَا يُسْكِرُ * رُطْفٌ مِنْهُ وَسَنَانُ
وِطْعَمُ الرِّيقِ إِنْ جَادَ * بِهِ وَالصَّبِّ هَيَّانُ
لَنَا مِنْ كَفِّهِ رَاحٌ * وَمِنْ رِيَّاهُ رِيحَانُ

وقال أبو القاسم الهبيري الكاتب رحمة الله تعالى عليه :

سَقَانَا الرَّاحَ سَاقٍ، كُلُّ رَاحٍ * سَوَى الْخَاطِظِ عَيْنِيهِ سَرَابُ
يَدِيرُ الْكَأْسَ مَبْتَسِمًا عَلَيْنَا * فَمَا نَدْرِي أَثَغْرُ أَمْ حَبَابُ؟
وَقَدْ سَفَرَ الدَّجَى عَنْ ثَوْبِ بَجْرِ * مَنِيرٌ مِثْلُ مَا سَفَرَ النِّقَابُ
نَخَلْتُ الصَّبْحَ فِي أَثَرِ الثَّرِيَّا * بِشِيرًا جَاءَ فِي يَدِهِ كِتَابُ

وقال أبو الشَّيْص :

يَطُوفُ عَلَيْنَا بِهِ أَحْوَرُ * يَدَاهُ مِنَ الْكَأْسِ مَخْضُوبَتَانِ
غَزَالٌ تَمِيلُ بِأَعْطَافِهِ * قَنَآةٌ تَعْطِفُ كَالْحَيْزُرَانِ

وقال أبو بكر محمد بن عمار :

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يطوف بكوكب في حندس
متأرجح الحركات تتدلى ريحه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسعى بكأس في أنامل سوسن * ويدير أخرى في محاجر نرجس

وقال المعوج يصف ساقية :

لاعيش إلا من كف ساقية * ذات دلال في طرفها مرض
كأنما الكأس حين تمزجها * نجوم ليل تعلو وتخفض

وقال آخر يصف امرأة ساقية :

وساقية كأن بمفرقيها * أكاليلا على طبقات ورد
لها طيب المنى وصفاء لون * وحرمة وجنة ومذاق شهيد

وقال ديك الجن يصف ساقيا وساقية :

أفديكما من حاملي قدحين * قمرين في غصنين في دعصين
رود منعمة ومهضوم الحشا * للناظرين منى وقرة عين
قامت مؤتثة وقام مؤتثا * فتناها الألفاظ بالنظرين
صبا على الراح إن هلالنا * قد صب نعمته على الثقلين
وإلى كأسكما على ما خيلت * بالتبر معجونا بماء الجين

الباب السادس

من القسم الثالث من الفن الثاني

في الغناء والسماع، وما ورد في ذلك من الحظر والإباحة، وما استدلّ به من رأى ذلك، ومن سمع الغناء من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ومن التابعين ومن الأئمة والعباد والزهاد، ومن غنى من الخلفاء وأبنائهم والأشراف والقواد والأكابر، وأخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية، ومن أخذ عنهم، ومن اشتهر بالغناء وأخبار القيان .

ذكر ما ورد في الغناء من الحظر والإباحة

قد تكلم الناس في الغناء في التحريم والإباحة وأختلفت أقوالهم وتباينت مذاهبهم وتباينت استدلالاتهم، فمنهم من رأى كراهته وأنكر استماعه، واستدل على تحريمه، ومنهم من رأى خلاف ذلك مطلقاً وأباحه وصمّم على إباحته، ومنهم من فرق بين أن يكون الغناء مجزّداً أو أضيف إليه آلة كالعود والطنبور وغيرهما من الآلات ذوات الأوتار والدفوف والمعازف والقصب، فأباحه على أنفراده وكرهه إذا أنضاف إلى غيره وحرّم سماع الآلات مطلقاً . ولكل طائفة من أرباب هذه المقالات أدلة استدلت بها . وقد رأينا أن نثبت في هذا الموضع نبذة من أقوالهم على سبيل الاختصار وحذف النظائر المطوّلة فنقول وبالله التوفيق .



أما ما قيل في تحريم الغناء وما استدلّ به من رأى ذلك، فإنهم استدّلوا على التحريم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة من علماء

المسلمين . أما دليلهم من الكتاب العزيز فقول الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ ، وقوله : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ . قال ابن عباس : (سَامِدُونَ) هو الغناء بلغة حمير ، وقال مجاهد : هو الغناء بقول أهل اليمن ، سمّد فلان اذا غنى . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى هذه الآية ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ : إنه الغناء ، ومن طريق آخر : إنه الغناء وأشباهه . وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : هو — والذي لا إله إلا هو — الغناء . وعن مجاهد رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ قال : صوته الغناء والمزامير . وعنه فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ قال : الغناء .

١٠

وأما دليلهم من السنة ، فما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن الله عز وجل حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها ، ثم قرأت ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ الآية . وروى أبو أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما رفع أحدٌ صوته بغناء إلا بعث الله عز وجل إليه شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يُمسك » . وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى » . وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله

١٥

٢٠

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نُهِيتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ » .

- وأما أقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، فقد روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال : ما تَغَنَّيْتُ قَطُّ . فتَبَرَّأْتُ مِنَ الْغِنَاءِ وَتَجَبَّحْتُ بِتَرْكِهِ . وَرُوى عَنْ
- أَبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلَ . وَرُوى أَنَّ أَبْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرَّةً عَلَى قَوْمٍ مُحْرَمِينَ وَمَعَهُمْ قَوْمٌ وَرَجُلٌ يَغْنَى فَقَالَ : أَلَا لَا أَسْمَعُ وَاللَّهِ لَكُمْ ، أَلَا لَا أَسْمَعُ وَاللَّهِ لَكُمْ . وَرُوى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : مَرَّ أَبْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِجَارِيَةٍ صَغِيرَةٍ تَغْنَى ، فَقَالَ : لَوْ تَرَكَ الشَّيْطَانُ أَحَدًا تَرَكَ هَذِهِ . وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى قَالَ : سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمَّا تَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْغِنَاءِ فَقَالَ : مَا يَفْعَلُهُ عِنْدَنَا إِلَّا الْفُسَّاقُ . وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : لِعَيْنِ الْمَغْنَى وَالْمَغْنَى لَهُ . وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَتِيبَةَ : حُبُّ السَّمَاعِ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ . وَرُوى أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي الْغِنَاءِ ، أَحْرَامٌ هُوَ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ فِي الثَّلَاثَةِ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَأَتَى بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ أَيْنَ يَكُونُ الْغِنَاءُ ؟ قَالَ : مَعَ الْبَاطِلِ . قَالَ الْقَاسِمُ : فَأَفْتِ نَفْسَكَ . وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ : الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّانَا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْغِنَاءُ رَائِدٌ مِنْ رَوَادِ الْفُجُورِ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : الْغِنَاءُ مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ ، مَسْخَطَةٌ لِلرَّبِّ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعَ أَشْتَهَارِهِ بِمَا أَشْتَهَرَ بِهِ : يَا بَنِي أُمَيَّةَ ، إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءُ ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ الْحَيَاءَ وَيَزِيدُ فِي الشَّهْوَةِ وَيُهْدِمُ الْمَرْوَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَنْوِبُ عَنِ الْخَمْرِ وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ السَّكَرُ ، فَإِنْ كُنْتُمْ لَا شَكَّ فَاعْلَيْنَ بِخُتْبَوِهِ النَّسَاءَ ، فَإِنَّ الْغِنَاءَ رُقِيَّةُ الزَّانَا . وَإِنِّي لِأَقُولُ ذَلِكَ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ ، وَأَشْهَى إِلَيَّ نَفْسِي مِنَ الْمَاءِ إِلَى ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُقَالَ .

وأما أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في كتاب أدب القضاة : الغناء لهوٌ مكروه يشبه الباطل . وقال : من استكثر منه فهو سفيه تُردّ شهادته . قال القاضي حسين بن محمد : وأما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم ، فإن أصحاب الشافعي قالوا : لا يجوز بحال سواء كانت بارزة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة . وقال الشافعي : وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه تُردّ شهادته . ثم غاظ القول فيه وقال : هو ديانة . قال : وإنما جعل صاحبها سفيهاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ، ومن دعا إلى باطل كان سفيهاً فاسقاً . وقال مالك بن أنس : إذا أشتري جارية فوجدتها مغنية كان له ردّها بالعيب ، قال : وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده . وكره أبو حنيفة ذلك وجعل سماع الغناء من الذنوب . قال : وذلك مذهب سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري ، وحماد بن سلمة ، وإبراهيم النخعي ، والشعبي وغيرهم لا خلاف بينهم في ذلك . قال : ولا يُعرف أيضاً بين أهل البصرة خلاف في كراهة ذلك والمنع منه . وقال بعض الزهاد : والغناء يورث العناد في قوم ، ويورث التكذيب في قوم ، ويورث القساوة في قوم .

وقال بعضهم عن حاله عند السماع : ١٥

أتذكرُ وقتنا وقد آجتمعنا * على طيبِ الغناءِ إلى الصباح
ودارت بيننا كأسُ الأغاني * فأسكرتِ النفوسَ بغير راح
فلم ترفيهمُ إلا نساوى * سروراً والسرور هناك صاحي
إذا لبي أخو اللذاتِ فيه * منادى اللهو حتى على السباح
ولم يملك سوى المهجاتِ شيئاً * أرقناها لألحاظِ ملاح

هذا ملخص ما ذكره في تحريم الغناء . وقد استدل من أباحه بما يناقض ما تقدم على ما نذكر ذلك إن شاء الله في إباحة الغناء .

ذكر ما ورد في إباحة الغناء والسمع والضرب بالآلة

وقد تكلم الناس في إباحة الغناء وسماع الأصوات والنغمات والآلات ، وهي الدف واليراع والقصب والأوتار على اختلافها من العود والطنبور وغيره ، وأباحوا ذلك وأستدلوا عليه وضعفوا الأحاديث الواردة في تحريمه ، وتكلموا على رجالها وجرحوهم وبسطوا في ذلك المصنفات ووسّعوا القول وشرحوا الأدلة . وطالعت من ذلك عدة تصانيف في هذا الفن مجردة له ومضافة الى غيره من العلوم . وكان ممن تكلم في ذلك وجرّد له تصنيفا الشيخ الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي رحمه الله تعالى ، فقال في ذلك ما نذكر مختصره ومعناه :

اعلم أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة الى الكافة . قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وسنّ وشرع ، وأمر ونهى ، كما أمر صلى الله عليه وسلم . فليس لأحد بعده وبعد الخلفاء الراشدين الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآقتداء بهم والاتباع لستهم أن يحترم ما أحل الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم إلا بدليل ناطق من آية محكمة ، أو سنة ماضية صحيحة ، أو إجماع من الأمة على مقالته .

وأما الاستدلال بالموضوعات والغرائب والأفراد من رواية المكذّبين والمجرحين الذين لا تقوم بروايتهم حجة ، وبأقاويل من فسر القرآن على حسب مراده ورأيه ، فلا يرجع إلى قولهم ولا يسلك طريقهم ؛ إذ لو جاز ذلك لم يكن قول أحد من الناس أولى من قول غيره ، وإنما يلزم بقول من أئد بالوحى والتنزيل ، وعصم من التغيير والتبديل . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ . فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر ولم ينه عن أمر إلا بوحي من الله تعالى . وكذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن أمر لم ينزل فيه وحى توقف حتى يأتيه الوحى ، وليست هذه المنزلة لغيره فيلزم قبول قوله .

ذكر ما استدّلوا به على إباحة الغناء من الأحاديث النبوية

- ١٠ قد استدّلوا على إباحة الغناء بأحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . منها ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندى جاريّتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعث وليستا بمغنيتين ؛ فقال أبو بكر : أمرُ مارُ الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وذلك يوم عيد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا " . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريّتان تغنيان بغناء بُعث ؛ فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فأتتهرنى وقال : مِرْمَارَةُ الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "دعهما" . فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما قال : "تستبين تنظرين" فقلت نعم .

- فأقامني وراءه، خدني على خدّه وهو يقول : ”دونكم يا بني أرْفَدَةً“^(١) حتى اذا ملّيت قال . ”حسبك؟“ قلت نعم . قال : ”فأذهبي“ . ومن طريق آخر عنها رضى الله عنها : أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفّقان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متغشّ بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : ”دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد“ .
- وتلك الأيام أيام منى . وقالت عائشة : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وأنا أنظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ”دعهم أمناً بنى أرْفَدَةً“ (يعنى من الأمن) . قال أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم رحمه الله عند ذكر هذه الأحاديث : أين يقع إنكار من أنكر من إنكار سيّدنى هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم : أبى بكر وعمر رضى الله عنهما !
- وقد أنكر عليه الصلاة والسلام عليهما إنكارهما ، فرجعا عن رأيهما الى قوله صلى الله عليه وسلم . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت جارية من الأنصار فى حجرى فزففتها ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمع غناء ، فقال : ”يا عائشة ألا تبعثين معها من يغنى فإن هذا الحى من الأنصار يحبون الغناء“ . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : نكح بعض الأنصار بعض أهل عائشة فأهدتها إلى قُبَاء ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أهديت عروسك؟“ قالت نعم . قال : ”فأرسلت معها بغناء فإن الأنصار يُحبّونه“ ؟ قالت لا . قال : ”فادركيها يا زينب“ (امراة كانت تغنى بالمدينة) رواه أبو الزبير محمد بن الزبير بن مسلم المكي عن جابر . وعنه أيضا قال : أنكحت عائشة رضى الله عنها ذات قرابة لها رجلا من الأنصار ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ”أهديتم الفتاة؟“

(١) بنو أرْفَدَة : جنس من الحبشة يرقصون .

قالوا نعم . قال : "أرسلتم معها" ؟ . — قال أبو طلحة راوى الحديث : ذهب عنى — فقالت لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الأنصار قوم فيهم غَزَلٌ فلو بعثتم معها من يقول :

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ * خِيَانَا وَحِيَاكُمْ^(١)"

وَرَوَى عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَلَّهِ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ" . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ فِي كِتَابِهِ الْمُسْتَدْرَكِ : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، وَقَدْ خَرَّجَهُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَاجَةَ الْقَزْوِينِيُّ فِي سَنَنِهِ . قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمُقَدِّسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَوَجْهُ الْإِحْتِجَاجِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَمِعُ إِلَى حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ كَمَا يَسْتَمِعُ صَاحِبُ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ ، فَأُثْبِتَ دَلِيلَ السَّمَاعِ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَيَّسَ عَلَى اسْتِمَاعٍ^(٢) مُحَرَّمٍ . قَالَ : وَلِهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي الصَّحِيحِينَ أَخْرَجَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ^(٣) يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ" . هَذَا مَا وَرَدَ فِي السَّمَاعِ .

* *

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الضَّرْبِ بِالْأَلَةِ ، فَهَذَا مَا وَرَدَ فِي الدُّفِّ . رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "فَصَلِّ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ

(١) الذى فى العقد الفريد : "فخيوناً نخيبكم" و ترجمه القافية إذ روى البيت الثانى :

ولولا الحبة السمرا * لم نخال بواديكم

(٢) فى الأصل هكذا : «الاستماع محرم» وهو إما محرف عن «استماع محرم» أو «الاستماع المحرم» بتعريفهما معا أو تنكيرهما معا .

(٣) فى نهاية ابن الأثير : « ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن . أى ما أستمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن ، أى تلوه : يجهر به » .

- الدَّفِّ والصوت في النكاح". قال الحافظ أبو الفضل رحمه الله تعالى : هذا حديث صحيح ألزم أبو الحسن الدارقطني مسلماً إخرجه في الصحيح ، وقال : قد روى عنه (يعني محمد بن حاطب) أبو مالك الأشجعيّ وسماك بن حرب وأبن عون ويوسف بن سعد وغيرهم . قال : وأخرج هذا الحديث أبو عبد الرحمن النسائيّ وأبو عبد الله ابن ماجه في سننهما . وروى الحافظ أبو الفضل بسند رفعه إلى جابر رضي الله عنه ٥ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت دَفٍّ فقال : "ما هذا" ؟ ف قيل : فلان تزوج . فقال : "هذا نكاح ليس بالسَّفاح" . وقد ضعف أبو الفضل إسناده هذا الحديث ، وقال : إنما أخرجته على ضعف إسناده لأنه شاهد الحديث الصحيح المتقدم . وروى أبو الفضل أيضاً بسنده إلى خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على صبيحة^(١) بنتي عليّ ، فجلس على فراشي كمجلسك مني ، فجعلت جويريات يضربن بدفّ لهنّ ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إلى أن قالت إحداهن : وفيما نبيّ يعلم ما في غد ، فقال : "دعي هذا وقولي الذي كنت تقولين قبله" . وهذا حديث صحيح أخرجه البخاريّ قال : وقد رواه حماد بن سلمة عن خالد بن ذكوان أتم من هذا ، قال : كنّا بالمدينة يوم عاشوراء وكان الجوّاري يضربن بالدَّفِّ ويغنين ، فدخلنا على الربيع بنت معوذ ، فذكرنا لها ذلك ، فقالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة عُرسي وعندي جاريتان تغنيان وتتدبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر ، وتقولان فيما تقولان : وفيما نبيّ يعلم ما في غد ، فقال : "أمّا هذا فلا تقولوه لا يعلم ما في غدٍ إلا الله عزّ وجلّ" . وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفراً ، فنذرت

(١٣)

(١) الذي في البخاريّ : «فدخل حين بنى عليّ» .

(٢) الذي في البخاريّ : «دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين» .

جارية من قريش لئن رذه الله تعالى أن تضرب في بيت عائشة بَدْفٍ . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فلانة آبنة فلان نذرت لئن ردك الله تعالى أن تضرب في بيتي بَدْفٍ ؛ قال : "فَلتضرب" . قال أبو الفضل : وهذا إسناد مُتَّصِلٌ ورجاله ثِقَاتٌ ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا نذر في معصية الله" . فلو كان ضربُ الدفِّ معصيةً لأمر بالتكفير عن نذرها أو مَنَعَهَا من فعله . وروى عن الشعبي قال : مرَّ عياض الأشعريّ في يومٍ عيد فقال : مالي لا أراهم يُفَلِّسون فإنه من السنّة ! . والتفليس : الضرب بالدف . قاله هُشَيْمٌ .



- ١٠ وأما ماورد في اليراع، فقد احتج بعضهم بحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو ما خرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه قال : حدثنا أحمد بن عبد الله الغدانيّ، حدثنا مسلم، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع، قال : سمع ابن عمر رضي الله عنهما مزماراً، فوضع إصبعيه على أذنيه ونأى عن الطريق، وقال لي : يا نافع، هل تسمع شيئاً ؟ قلت لا . قال :
- ١٥ فرفع إصبعيه من أذنيه وقال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . قال أبو عبد الله اللؤلؤي : سمعت أبا داود يقول : هذا الحديث منكر . وقال الحافظ محمد بن طاهر : هذا حديث خرجه أبو داود في سننه هكذا وقد أنكره . وقد ورد من غير هذا الطريق أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع راعياً وذكره . وفساد هذا الحديث من وجهين : أحدهما فساد طريق الإسناد؛ فإن سليمان هذا هو الأشدق الدمشقيّ تكلم فيه أهل النقل وتفترد بهذا الحديث عن نافع ولم يروه عنه غيره . وقال البخاريّ : سليمان بن موسى عنده مناكير . والثاني
- ٢٠

قول عبد الله بن عمر لنافع رضى الله عنهم : أسمع؟ ولو كان ذلك منهيًا عنه لم يأمره بالاستماع . وقوله : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع مثل هذا فصنع مثل هذا . ولو كان حرامًا لنهاه عنه وصرح بتحريمه ؛ لأنه الشارع المأمور بالبيان . قالت عائشة رضى الله عنها : عَلَّقْتُ عَلَى سَهْوَةٍ^(١) لِي سِتْرًا فِيهِ تَصَاوِيرٌ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَوْنَ وَجْهَهُ وَهَتَكَه . وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحلف بأبائه فنهاه عن ذلك . ورأى يزيد بن طَخْفَةَ مضطجعاً على بطنه فنهاه وقال : ” هَذِهِ ضِجَّةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ “ . وسمع صلى الله عليه وسلم رجلاً يلعن ناقته ، فوقف فقال : ” لَا يَتَّبِعُنَا مَلْعُونٌ “ ، فنزل عنها وأرسلها . قال الحافظ المقدسى : وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال ، فثبت فساد هذا الحديث إسناداً ومثلاً .

١٠



وأما ما ورد في القصب والأوتار . ويقال له التغير ، ويقال له القطقطة أيضا . ولا فرق بينه وبين الأوتار ؛ إذ لم يوجد في إباحته وتحريمه أثر لا صحيح^(٢) ولا سقيم ؛ وإنما استباح المتقدمون استماعه لأنه مما لم يرد الشرع بتحريمه ، وكان أصله الإباحة .

١٥

وأما الأوتار ، فالقول فيها القول في القصب ، لم يرد الشرع بتحليلها ولا تحريمها . قال : وكل ما أوردوه في التحريم فغير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا خلاف بين أهل المدينة في إباحة سماعه . ومن الدليل على إباحته أن إبراهيم بن

(١) السهوة : سرة تكون قدام فناء البيت ربما أحاطت بالبيت شبه سور حول البيت . وقيل هو شبه

بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء . (عن لسان العرب) .

٢٠

(٢) في الأصل : « لا صحيحاً ولا سقيماً » .

سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مع جلالته وفقهه وثقته كان يُفتى بحلّه ،
وقد ضرب بالعود - وسند كرهه في ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى - ولم تسقط
عدالته بفعله عند أهل العلم ، فكيف تسقط عدالة المستمع ! وكان يبالغ في هذا
الأمر أتم مبالغة . وقد أجمعت الأئمة على عدالته وآتفق البخاري ومسلم على إخراج
حديثه في الصحيح ؛ وقد عَلِمَ من مذهبه إباحة سماع الأوتار . والأئمة الذين رَووا
عنه أهلُ الحلّ والعقد في الآفاق إنما سمعوا منه ورووا عنه بعد استماعهم غناءه
وعلمهم أنه يُبيحه ، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ، سمع منه ببغداد بعد حلفه أنه
لا يحدث حديثاً إلا بعد أن يُغنى على عود ، وذلك أنه لا شك سمع غناءه ثم سمع
حديثه . قال : وهذا أمر لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحليله ولا
تحريمه نصّ يُرجع إليه ، فكان حكمه كحكم الإباحة . وإنما تركه مَنْ تركه من
المتقدمين تورّعا كما تركوا لبس اللّين وأكل الطيب وشرب البارد والاجتماع بالنسوان
الحسان ؛ ومعلوم أن هذا كلّهُ حلالٌ . وقد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل
الضبّ وسئل عنه أحرام هو ؟ قال : ” لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني
أعافه “ وأكل على مائدته صلى الله عليه وسلم . وقد روى عن زيد بن ثابت
رضي الله عنه أنه قال : إذا رأيت أهل المدينة اجتمعوا على شيء فاعلم أنه سنة .
وقد روى عن محمد بن سيرين رحمه الله أن رجلا قدم المدينة بجوارٍ ، فنزل على
أبن عمر وفيهِنَّ جارية تضرب ؛ فجاء رجل فساومه فلم يهو منهِنَّ شيئا . فقال :
انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعا من هذا ؛ فأتى إلى عبد الله بن جعفر فعرضهِنَّ
عليه ؛ فأمر جارية قال : خذي ، فأخذت العود حتى ظنّ أبن عمر أنه قد نظر إلى
ذلك ؛ فقال أبن عمر : حسبك سائر اليوم من مزمر الشيطان ، قال : فبايعه . ثم
جاء الرجل إلى أبن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إني غُبت بسبعائة درهم . فأتى

أَبْنُ عَمْرٍو إِلَى أَبْنِ جَعْفَرٍ فَقَالَ : إِنَّهُ قَدْ غُبِنَ بِسَبْعِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فِيمَا أَنْ تُعْطِيَهَا إِيَّاهُ وَإِنَّمَا أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ بَيْعَهُ ؛ فَقَالَ : بَلْ نَعْطِيهَا إِيَّاهُ . وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ ذَكَرَهَا أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى إِبَاحَتِهِ فَقَالَ : فَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَدْ سَمِعَا الْغَنَاءَ بِالْعُودِ ، وَإِنْ كَانَ أَبْنُ عَمْرٍو كَرِهَ مَا لَيْسَ مِنَ الْجِدِّ فَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ ، وَقَدْ سَفَرَ فِي بَيْعٍ مَغْنِيَةً كَمَا تَرَى ، وَلَوْ كَانَ حَرَامًا مَا اسْتَجَازَ ذَلِكَ أَصْلًا .



وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الْمَزَامِيرِ وَالْمَلَاهِي ، قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمُقَدِّسِيُّ : وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْمَزَامِيرِ وَالْمَلَاهِي ، فَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِجَوَازِ اسْتِمَاعِهَا . فَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُونَهُ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ كُلِّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ فَإِنِّي قُلْتُ لَغُلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْلَةً وَكَانَ يَرْعَى مَعِيَ فِي أَعْلَى مَكَّةَ لَوْ أَنَّكَ أَبْصَرْتَ غَنَمِي حَتَّى أَدْخَلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرُ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ قَالَ أَفْعَلْ . فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دِيَارِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْدُفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ فَقُلْتُ مَا هَذَا فَقَالُوا فَلَانُ تَزُوجُ فَلَانَةَ بِنْتَ فَلَانٍ بَجَلَسْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُذُنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظُنِي إِلَّا مَسَّ الشَّمْسُ فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ مَاذَا فَعَلْتَ قُلْتُ مَا صَنَعْتُ شَيْئًا ثُمَّ خَبَّرْتَهُ الْخَبَرَ [فَقَالَ] ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ

(١) سفر : سعى وتوسط ، ومنه السفير وهو الرسول المصالح بين القوم . وفي باب البيوع من كتاب

المحلى لابن حزم : وسعى في بيع مغنية .

(٢) هذه الكلمة وردت هكذا بالأصل ، وسباق الكلام لا يقتضيها .

ذلك فقال أفعل فخرجت حتى دخلت مكة فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت تلك الليلة فسألت عنه فقالوا فلان نكح فلانة فجاست أنظر فضرب الله على أذني فما أيقظني إلا مسّ الشمس فخرجت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسالته . قال الحافظ أبو الفضل : وكان هذا قبل النبوة والرسالة ونزول الأحكام والفرق بين الحلال والحرام ؛ فإن الشرع لما ورد أمره الله تعالى بالإبلاغ والإنذار فأقرّه على ما كان عليه في الجاهلية ولم يحترمه كما حرّم غيره . قال : والدليل على أنه باقٍ على الإباحة قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . ثم بين الدليل على ذلك بما رواه بسنده إلى جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً ، ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً ، يخطب خطبتين . فكانت الجوارى إذا أنكحوهنّ يمترون فيضربون بالدق والمزامير فيتسلّل^(١) الناس ويدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ، فعاتبهم الله عز وجل بقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا ﴾ . وقال : هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في كتابه عن عبد الله بن حميد عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال . والله عز وجل عطف اللهو على التجارة وحكم المعطوف حكم ماعطف عليه ، والإجماع على تحليل التجارة ، فثبت أن هذا الحكم مما أقرّه الشرع على ما كان عليه في الجاهلية لأنه غير محتمل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّمه ، ثم يمتز به على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله عز وجل من ترك رسوله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم خرج ينظر إليه ويستمع . ولم ينزل في تحريمه آية ولا سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، فعلمنا بذلك بقاءه على حاله .

(١) أى ينطلقون في استخفاء .

قال: ويزيد ذلك بيانا ووضوحا حديث عائشة رضي الله عنها في المرأة التي زقتها وقد تقدم ذكر الحديث . وروى أيضا بسند رفعه عن زوج دُرّة بنت أبي لهب قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجت دُرّة فقال : "هل من لهو" .

- ذكر ما ورد في توهين ما استدّلوا به على تحريم الغناء والسماع
- قد ذكر الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله تعالى الأحاديث التي استدّلوا بها على تحريمه وفسروا بها الآيات والأحاديث التي استدّلوا بها على تحريمه مما قدمنا ذكر ذلك في حججهم ومما لم نذكره مما يُستدل به على تحريمه وكراهته وضعف رجالها . وتكلم الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أيضا في ذلك ووهن احتجاجهم إذا ثبت الحديث على ما نذكر ذلك .

١٠

قال الحافظ أبو الفضل :

- أما ما احتجّوا به من الآيات في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية . وما أوردوه في ذلك من الأسانيد إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فنظرت في جميعها فلم أرفها طريقا يثبت إلا واحدا منها رواه يوسف بن موسى القطان عن جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ قال : الغناء وأشباهه . وسائرهما لا يخلو من رواية ضعيف لا تقوم بروايته حجة .

١٥

- قال : ورأيت في بعضها رواية عطية العوفي عن ابن عباس من حديث غير ثابت أصلا ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ قال : باطل الحديث وهو الغناء

٢٠

ونحوه ، وهو أن رجلا من قريش اشترى جارية مغنية فنزلت فيه . قال : وهذا وإن لم يصحّ عندى الاحتجاج بسندهم فيلزمهم قبوله لأنهم احتجوا به فيكون في حقّ هذا الرجل بعينه .

وقد ورد في الآية تفسير ثالث يلزمهم قبوله على أصلهم ، وذكر حديثا رفعه إلى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ "اللعب والباطل وتشعّ نفسه أن يتصدق بدرهم" . قال : وهذا أيضا غير ثابت عندى وإنما أوردت هذين التفسيرين مناقضة لما أوردوه فيما تمسكوا به .

قال : ولن أركن إلى هذا أبدا ولا أقنع به ولا أحتجّ عليه ولا ألزمهم إياه ، بل أقول صحّ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إجماع أهل السنة على أن السنة تقضى على الكتاب ، وأن الكتاب لا يقضى على السنة ، وقد جاءت السنة الصحيحة : أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع للغناء وأمر بأستماعه ، وقد أوردنا في ذلك من الأحاديث ما تقدم إirاده . قال : وجواب ثانٍ يقال هؤلاء القوم المحتجّين بهذه التفاسير : هل علم هؤلاء الصحابة الذين أوردتم أقاويلهم من هذه الآية ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمه ؟ فإن قالوا : لم يعلمه وعلمه هؤلاء ، كان جهلا عظيما بل كفرا . وإن قالوا : علمه ، قلنا : نُقِلَ إلينا عنه في تفسير هذه الآية مثل ما نُقِلَ عن هؤلاء من الصحابة ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال . ومن المحال أن يكون تفسير قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ هو الغناء ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما كان معكّنّ لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو» .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : ثلاثة ليس لها أصل : المغازى ، والملاحم ، والتفسير .

وقال أبو حاتم محمد بن حسان في كتاب الضعفاء : الله عز وجل يؤتى رسوله صلى الله عليه وسلم تفسير كلامه وتأويل ما أنزل عليه حيث قال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

- ومن المخل المحال أن يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين خلقه مراده حيث جعله موضع الإبانة عن كلامه ومفسراً لهم حتى يفهموا مراد الله عز وجل فلا يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل أبان مراد الله عز وجل من الآي وفسر لأئمة ، ما تهتم الحاجة إليه ، وبين سنته صلى الله عليه وسلم . فمن تتبع السنن وحفظها وأحكمها فقد عرف تفسير كتاب الله عز وجل وأغناه الله تعالى عن الكلبي وذويه ، وما لم يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة في معاني الآي التي أنزلت عليه مع أمر الله عز وجل له بذلك وجاز ذلك كان لمن بعده من أئمة أجوز ، وترك التفسير لما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرى .

- قال : ومن أعظم الدلائل على أن الله تعالى لم يرد بقوله : ﴿ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ القرآن كله أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه من الكتاب متشابه من الآي .
- فالآيات التي ليس فيها أحكام لم يبين كيفيتها لأئمة . فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم دل ذلك على أن المراد من قوله تعالى : ﴿ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ كان بعض القرآن لا الكل .

- وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في هذه الآية : وأما شراء هو الحديث بالدين استبدالا به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم ، وليس النزاع فيه .

وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضللاً عن سبيل الله وهو المراد في الآية،
ولو قرأ القرآن : ليضل به عن سبيل الله لكان حراما .

حكى عن بعض المنافقين : أنه كان يؤتم الناس ولا يقرأ إلا سورة " عبس " لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمر بقتله [ورأى فعله حراما لما فيه من الإضلال^(١)] فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم .

وقال الثعلبي في أحد أقواله عن تفسير هذه الآية عن الكلبي ومقاتل : نزلت في النضير بن الحارث بن علقمة بن كلداء بن عبد الدار بن قصي ؛ كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول : إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون آستماع القرآن . ١٠

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ قال ابن عباس : هو الغناء بلغة حمير ، يعني — السود — قال الغزالي رحمه الله : فنقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا ، لأن الآية تشمل عليه ، فإن قيل : إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . ١٥

وأحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ . قال الثعلبي : قال الحسن ، عن المعاصي . وقال ابن عباس : الحلف الكاذب . وقال مقاتل :

(١) الزيادة عن كتاب الإحياء للغزالي .

الشم والأذى . وقال غيرهم : مالا يحل من القول والفعل . قال : وقيل اللغو الذى لا فائدة فيه .

وَأَحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ . قال الثعلبي :
 أى القبيح من القول . وبقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ . قال
 مقاتل : إذا سمعوا من الكفار الشم والأذى أعرضوا وصفحوا ، وبقوله :
 ﴿ وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : بدعائك
 إلى معصية الله تعالى . وكل داع إلى معصية الله تعالى فهو من جنود إبليس .

وأما ما احتجوا به من الحديث فإنهم احتجوا بحديث روى عن أبي أمامة
 الباهلي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل بيع المغنيات
 ولا شراؤهن ولا تحل التجارة فيهن وأثمانهن حرام والاستماع إليهن حرام » . قال
 الحافظ أبو الفضل المقدسي رحمه الله : هذا حديث رواه عبيد الله بن زحر عن علي
 ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ، قال : والصحابة كلهم عدول . وأما عبيد الله
 ابن زحر وعلي والقاسم فهم فى الرواية سواء لا يحتاج بحديث واحد منهم إذا انفرد
 بالرواية عن ثقة فكيف إذا روى عن مثله . أما عبيد الله بن زحرفيقال : إنه من
 أهل مصر . قال أبو مشير الغساني : عبيد الله بن زحر صاحب كل معضلة ليس
 على حديثه اعتماد . وقال عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معين : عبيد الله
 ابن زحر كيف حديثه ؟ قال : كل حديثه ضعيف ، قلت : عن علي بن يزيد وغيره ؟
 قال نعم . وقال عباس الدوري عن يحيى : عبيد الله بن زحر ليس بشيء . وقال
 أبو حاتم فى كتاب الضعفاء والمتروكين : عبيد الله بن زحر منكر الحديث جدًا ، روى
 الموضوعات عن الثقات وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالظلمات ، وإذا اجتمع

في إسناد عبيد الله بن زحرو علي بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لا يكون متن ذلك الحديث إلا مما عملت أيديهم فلا يحل الاحتجاج بهذه الصحيفة .

قال المقدسي : وهذا الحديث قد اجتمعوا في إسناده ، قال : وأما علي بن يزيد فهو من أهل دمشق يكنى بأبي عبد الملك روى عن القاسم قال النسائي في كتاب الضعفاء : علي بن يزيد متروك الحديث . وقال أبو عبد الرحمن بن حيّان : علي بن يزيد مطروح منكر الحديث جدا . وأما القاسم بن عبد الرحمن ويكنى بأبي عبد الرحمن فقال يحيى بن معين : القاسم بن عبد الرحمن لا يسوّى شيئا . وقال أحمد بن حنبل ، وذكر القاسم مولى يزيد بن معاوية فقال : منكر الحديث . وقال أبو حاتم بن حسان : القاسم يروى عنه أهل الشام ، كان يروى عن الصحابة المعضلات ويأتي عن الثقات بالأسانيد المقلوبات ، حتى كان يسبق إلى القلب أنه المعتمد لها .

قال المقدسي : فهذا شرح أحوال رواة الحديث الذي احتجوا به في التحريم ، هل تجوز روايته كما ذكره الأئمة حتى يستدلّ به في التحليل والتحريم .

واحتجوا بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أمرني ربي عز وجل بنفي الطنبور والمزمار» وهو حديث رواه إبراهيم بن اليسع بن الأشعث المكي وإسماعيل بن هشام بن عمرو عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها . وإبراهيم هذا — قال البخاري — : منكر الحديث . وقال النسائي : المكي ضعيف .

واحتجوا بما روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الدف ولعب الصنج وصوت الزقارة ، وهو حديث رواه عبد الله بن ميمون عن مطر بن سالم عن علي قال : وعبد الله هو القسّاح ذاهب الحديث ؛ ومطر هذا شبه المجهول .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَغْنِيَّاتِ وَالنَّوَاحَاتِ وَعَنْ شِرَائِهِنَّ وَبَيْعِهِنَّ وَالتَّجَارَةِ فِيهِنَّ وَقَالَ : "كَسِبَهُنَّ حَرَامٌ" . قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الصُّدَائِيُّ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ نَبْهَانَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيِّ عَنْ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَالْحَارِثُ بْنُ نَبْهَانَ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَلَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ قَالَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : الْحَارِثُ مِنْكَرُ الْحَدِيثِ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : الْحَارِثُ رَجُلٌ صَالِحٌ وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ الْحَدِيثَ وَلَا يَحْفَظُ ، مِنْكَرُ الْحَدِيثِ . وَقَالَ الذَّهَبِيُّ : الْحَارِثُ بْنُ نَبْهَانَ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ . لَمْ يَرَوْهُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبَّيْعِيِّ وَغَيْرِهِ وَلَا رَوَاهُ عَنْهُ غَيْرُ عَلِيٍّ بْنِ يَزِيدَ الصُّدَائِيِّ . وَعَلَى هَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَدَى : أَحَادِيثُهُ لَا تُشَبَّهُ أَحَادِيثَ الثَّقَاتِ .

وَالْحَارِثُ الَّذِي رَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو زَهْرٍ الْخَارِفِيُّ الْأَعُورُ ، أَجْمَعَ أَهْلُ النُّقْلِ عَلَى كَذِبِهِ ، وَالْحَمْلُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى الْحَارِثِ بْنِ نَبْهَانَ وَإِنْ كَانَ فِي الْإِسْنَادِ مِنَ الضَّعْفَاءِ غَيْرُهُ .

(٦٧)

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ صَوْتُ مِزْمَارٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ وَصَوْتُ نُدْبَةٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ" . وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ هَذَا هُوَ الطَّحَّانُ الْيَشْكُرِيُّ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : سَأَلْتُ أَبِي عَنْهُ فَقَالَ : أَعُورٌ كَذَّابٌ خَبِيثٌ يَضَعُ الْحَدِيثَ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ :

(١) كَذَا فِي أَنْسَابِ السَّمْعَانِيِّ وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ لِأَبْنِ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ . وَالْخَارِفِيُّ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَبَعْدَهَا فَاءٌ : نِسْبَةٌ إِلَى خَارِفٍ بَطْنٍ مِنْ هَمْدَانَ . وَفِي الْأَصْلِ : «الْخَارِجِيُّ» وَهُوَ خَطَأٌ .

(٢) فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ : «رَنَةٌ» .

أجمع الناس على طرح هؤلاء النفر لا يعتد بهم، منهم محمد بن زياد . وكان أبو يوسف الصَّيْدَلَانِي يقول : قدم محمد بن زياد الرِّقَّةَ بعد موت ميمون بن مهران .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ ذَكَرَ خُسْفًا وَمُسْخَا وَقَدْ فَاءَ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : ” نَعَمْ إِذَا أَظْهَرُوا النَّرْدَ وَالْمَعَارِيفَ وَشَرَبَ الْخَمْرَ وَلَبَسَ الْحَرِيرَ “ قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ عُمَانُ بْنُ مَطَرٍ عَنْ عَبْدِ الْغَفُورِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : وَعُمَانُ هُوَ الشَّيْبَانِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَكَانَ ضَرِيرًا . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : مَتْرُوكٌ الْحَدِيثُ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” بَعَثَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِمَحَقِّ الْمَظَامِيرِ وَالْمَعَارِيفِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْخَمْرِ وَأَقْسَمَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِعَزَّتِهِ أَلَّا يَشْرِبَهَا عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا “ الْحَدِيثُ . قَالَ : وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْفُرَاتِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبَّيْعِيِّ عَنْ الْحَارِثِ الْأَعْمُورِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْفُرَاتِ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : هَذَا شَيْخٌ كَذَّابٌ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ النَّسَائِيُّ : مَتْرُوكٌ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ السَّبَّيْعِيِّ وَالْحَارِثِ الْأَعْمُورِ ، وَمَضَى الْكَلَامُ عَلَيْهِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْنَدًا : ” إِنْ الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ “ وَهُوَ حَدِيثٌ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ ابْنُ أَخِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : لَيْسَ يَسْوَى حَدِيثِهِ شَيْئًا ،

سمعت منه ثم تركاه وكان ولي قضاء المدينة ، أحاديثه مناكير وكان كذاباً . قال النسائي : وهو متروك الحديث .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” مَنْ أَسْمَعَ إِلَى قِيَانٍ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكَ “^(١) وهو حديث رواه أبو نعيم الحلبي عن عبد الله بن المنذر عن مالك عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك . وأبو نعيم أسماه عبيد بن هشام^(٢) من أهل حلب ضعيف ولم يبلغ عن ابن المبارك . مرسل .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” لعن الله النائحة والمستمعة والمغني والمغني له “ وهو حديث رواه عمرو بن يزيد المدائني عن الحسن البصري عن أبي هريرة ، وعمرو هذا قال أبو أحمد بن عدي : منكر الحديث ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة شيئاً . وقال ابن عدي : هذا الحديث غير محفوظ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” النظر إلى المغنية حرام وغناؤها حرام وثمنها حرام “ وهو حديث يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل النوفلي المدني عن يزيد بن خُصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي

(١) الآنك : الرصاص ، ولم يجئ على أفعل مفرداً غير هذا .

(٢) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وتهذيب التهذيب . وفي الأصل : « عبيد بن محمد » .

(٣) في تهذيب التهذيب : أن أبا نعيم حدث عن ابن المبارك عن مالك بن أنس أحاديث لا يتابع عليها ثم قال بعد أن أورد الحديث المروي عنه بالأصل : قال الدارقطني : تفرد به أبو نعيم ولا يثبت هذا عن مالك ولا عن ابن المنكدر .

(٤) هو أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد المعروف بابن عدي الجرجاني الحافظ المتوفى

سنة ٣٦٥ هـ مؤلف كتاب « الكامل في معرفة ضعفاء محدثين وعلل الحديث » في ستين جزءاً وهو أكل كتب الجرح والتعديل وعليه اعتماد الأئمة . ويوجد منه أجزاء محفوظة بدار الكتب المصرية .

(٥) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر . وفي الأصل : « المديني » .

الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويزيد الأول قال النسائي : متروك الحديث . وقال أحمد بن حنبل : عنده مناكير . وقال يحيى بن معين : يزيد بن عبد الملك ليس بذلك .

وأحتجوا بما روى عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ فيها البلاء " وذكرها وقال في جملتها : " وأتخذت القيان والمعازف " ، وهو حديث رواه فرج بن فضالة الشيباني من أهل حمص عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال عبد الرحمن بن مهدي : أحاديث الفرّج عن يحيى بن سعيد منكّرة . وقال يحيى بن معين : فرج ضعيف . وقال أبو حاتم بن حسان : فرج بن فضالة كان يقاب الأحاديث الصحيحة ويلصق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة ، لا يحل الاحتجاج به .

وأحتجوا بحديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الرحمن فذكر حديثاً قال فيه : " نُهِيتُ عن صوتين أحققين فاجرين صوت عند مصيبة وصوت عند نعمة لعب ولهو ومزامير الشيطان " وهذا حديث رواه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء عن جابر ، وأنكر عليه هذا الحديث وضعّف لأجله . قال أبو حاتم بن حسان (١) : كان رديء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ يروى الشيء على وجه الوهم ويستحق الترك . وتركه أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين .

(١) هو أبو حاتم محمد بن حسان مؤلف كتاب الضعفاء والمتروكين وقد مرّ ذكره في ص ١٧٦

و ١٧٨ من هذا الجزء .

وَأَحْتَجَّجُوا بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: "انْظُرُوا مَنْ هَذَا" فَانْظَرْتُ
فَإِذَا مُعَاوِيَةُ وَعَمْرُو يَتَغَيَّيَانِ . الْحَدِيثُ ، وَفِيهِ : "اللَّهُمَّ أَرْكُسْهُمَا فِي الْفِتْنَةِ رَكْسًا"
وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ يُزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ
الْأَسْلَمِيِّ . وَيُزِيدُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ الْكَذْبَةُ يَلْقَنُونَهُ عَلَى وَفْقِ اعْتِقَادِهِمْ
فَيَتَلَقَّاهَا وَيُحَدِّثُ بِهَا ضَعْفَةَ أَهْلِ النُّقْلِ ، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ
لَيْسَ فِيهِ مُعَاوِيَةُ هَذَا ، وَأَنَّهُ آبِنُ التَّابُوتِ ^(١) .

قَالَ الْمُقَدِّسِيُّ : وَلَمْ يَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ
إِلَّا بِخَيْرٍ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَ الْحَدِيثَ ، أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ
فِي مُتَّخِذِي الْقِيَامِ وَشَارِبِي الْخَمْرِ وَلَابِسِي الْحَرِيرِ » وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ زِيَادُ بْنُ
أَبِي زِيَادٍ الْجَحْصَاصُ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَزِيَادُ
هَذَا مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثٍ رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ مَاتَ وَلَهُ قَيْنَةٌ فَلَا تَصَلُّوا عَلَيْهِ » وَهُوَ حَدِيثٌ رُوِيَ
بِإِسْنَادٍ مَجْهُولٍ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ مَصْعَبٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هَنْدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلِيٍّ .
وَخَارِجَةُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ سَرَّخْسٍ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « زِيَاد » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَالتَّصْوِيبُ عَنْ تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ .

(٢) كَذَا بِالْأَصْلِ وَلَمْ نَعثرْ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ كُتُبِ التَّرَاجِمِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْجَنْدِيِّ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَسْرٍ صَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بَنَ الْجَنْدِيِّ ، فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا أَبَا صَفْوَانَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَيُتَسَخَّنَ قَوْمٌ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَرْبِ الْخَمْرِ وَضَرْبِ الْمَعَارِيفِ حَتَّى يَكُونُوا قُرْدَةً أَوْ خَنَازِيرَ . وَالحديث موقوف وآبَنُ الْجَنْدِيُّ مَجْهُولٌ . وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ إِلَّا يَعَذَّبُ أَمَّتَهُ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَهَا فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُهُ ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ أُخْرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمَغْنِيَّاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ وَلَا الْجُلُوسُ إِلَيْهِنَّ» ثُمَّ قَالَ : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَارَفَعَ رَجُلٌ عَقِيرَتَهُ بَغْنَاءٍ إِلَّا آرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ شَيْطَانٌ^(٢) عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا وَشَيْطَانٌ عَلَى عَاتِقِهِ هَذَا حَتَّى يَسْكَتَ» وَهَذَا حَدِيثٌ قَدْ تَقَدَّمَ أَوَّلُهُ مِنْ حَدِيثِ عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ رِوَايَةِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَلِيٍّ الدِّمَشْقِيِّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ . وَمَسْلَمَةُ هَذَا ، قَالَ آبَنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : مَنْكَرُ الْحَدِيثِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثِ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ رِوَايَةِ سَلَامِ بْنِ مَسْكِينٍ قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ سَمِعَ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ آبَنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ» هَكَذَا رَوَاهُ سَلَامٌ عَنْ شَيْخٍ مَجْهُولٍ لَا يُعْرَفُ . وَرَوَاهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَقَوْلُهُ ، وَلَمْ يَذْكُرِ النَّبِيَّ صَلَّى

(١) كَذَا فِي أَسَدِ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ . وَفِي الْأَصْلِ : «بَشَرٌ» وَهُوَ خَطَأٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ اسْمِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشَرٍ بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ . (٢) كَذَا فِي شَرْحِ الْإِحْيَاءِ لِلْسَّيِّدِ مَرْتَضَى . وَفِي الْأَصُولِ : «إِلَّا آرْتَدَفَ عَلَى ذَلِكَ جُلُوسُ شَيْطَانٍ عَلَى عَاتِقِهِ» . (٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَلَعَلَّ الْأَصْلَ : «مِنْ قَوْلِهِ» .

- الله عليه وسلم . ورواه الثقات عن شعبة بن الحجاج عن مغيرة عن إبراهيم ، قوله^(١) ، ولم يذكر أحدا تقدمه فيه وهذا أصح الأقاويل فيه من قول إبراهيم . قال الغزالي رحمه الله تعالى : قول ابن مسعود : يُنْبِتُ النِّفَاقَ أراد به في حق المغنى فإنه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ، ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غنائه ، وذلك أيضا لا يوجب تحريما ، فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المَهْمَلَجَة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع يُنْبِتُ الرياء والنفاق في القلب ولا يُطْلَقُ القول بتحريم ذلك كله . فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط . بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا . ولذلك نزل ابن عمر رضي الله عنهما عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه آستشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته ، فهذا النفاق من المباحات .
- وَأَحْتَجَّجُوا بِحَدِيثِ رُوِيَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ قُرَّةَ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَيَّ الشَّقَوَةَ وَلَا أَرَانِي أَرْزُقُ إِلَّا مِنْ دُفَى بِكُنْيَ أَفْتَأْذَنْ لِي فِي الْغَنَاءِ مِنْ غَيْرِ فَاحِشَةٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا إِذْنَ وَلَا كَرَامَةً وَلَا نِعْمَةً » وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا ، وَهُوَ حَدِيثٌ رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْعَلَاءِ عَنْ بَشْرِ بْنِ نُمَيْرٍ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ . وَيَحْيَى بْنُ الْعَلَاءِ هَذَا مَدَنِي الْأَصْلُ رَازِي . قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ : يَكْنَى أَبُو عَمْرٍو لَيْسَ بِثِقَةٍ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الصَّيْرَفِيُّ : يَحْيَى بْنُ الْعَلَاءِ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) كذا في الأصول . ولعل الأصل : « من قوله » . (٢) في نسخة : « الأسانيد » .
 (٣) كذا بالأصول والمعروف أن عمر رضي الله عنه عند ما ذهب إلى الشام ركب برذونا فهملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال له : لعن الله من علمك ذلك .
 (٤) في الأصل : « إلا دفي » بدون من . والتصويب عن شرح الإحياء للسيد مرتضى .

وَأَحْتَجُّوا بِمَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ
وَكَسْبِ الزَّمَارَةِ ، وَهُوَ حَدِيثٌ نَقَلَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّائِدِيُّ الْبَصْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ
أَبْنِ بَشْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَسُلَيْمَانُ هَذَا مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ غَيْرُ ثِقَةٍ .

وَأَحْتَجُّوا بِقَوْلِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا تَغْنَيْتُ وَلَا تَمْنَيْتُ^(١) وَلَا مَسَسْتُ
ذَكَرَى بِيَمِينِي مِنْذُ بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ صَقْرُ بْنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي حَدِيثِ الْقَفِّ وَالصَّيْدِ .

٦٩

قَالَ الْمُقَدِّسِيُّ : هَذَا حَدِيثٌ لَمْ أَرِ فِيهِ تَحَامُلًا ، وَرَأَيْتُهُ ذَكَرَ مِنْ هَذَا أَشْيَاءَ لَمْ
يَأْتِ بِهَا غَيْرُهُ تُوجِبُ تَرْكَ حَدِيثِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَذَكَرَ
هَذَا الْحَدِيثَ : قُلْنَا فَلَيْكُنِ التَّمْنَى وَمَسَّ الذِّكْرِ بِالْيَمِينِ حَرَامًا إِنْ كَانَ هَذَا دَلِيلَ تَحْرِيمِ
الْغَنَاءِ ، فَمِنْ أَيْنَ ثَبَتَ أَنَّ عَثْمَانَ كَانَ لَا يَتْرَكَ إِلَّا الْحَرَامَ .

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفَضْلِ الْمُقَدِّسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَأَمْثَالُهَا
أَحْتَجُّ بِهَا مَنْ أَنْكَرَ السَّمَاعَ جَهْلًا مِنْهُمْ بِصِنَاعَةِ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَعْرِفَتِهِ ، فَتَرَى الْوَاحِدَ
مِنْهُمْ إِذَا رَأَى حَدِيثًا مَكْتُوبًا فِي كِتَابٍ جَعَلَهُ لِنَفْسِهِ مَذْهَبًا وَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى مُخَالَفِهِ ،
وَهَذَا غُلَطٌ عَظِيمٌ بَلْ جَهْلٌ جَسِيمٌ . هَذَا مَلَخَصٌ مَا أوردَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَفِيهِ مِنْ
الزِّيَادَاتِ مَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الثَّعْلَبِيِّ وَالْغَزَالِيِّ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فِي مَوَاضِعِهِ .

وَقَدْ تَكَلَّمَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ الطُّوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَى السَّمَاعِ فِي كِتَابِهِ الْمُرْجَمِ بِـ ”إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ“ وَبَيَّنَّ دَلِيلَ الْإِبَاحَةِ وَذَكَرَ بَعْدَ
ذَلِكَ آدَابَ السَّمَاعِ وَأَثَارَهُ فِي الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ فَقَالَ :

(١) أَيْ مَا كَذَبْتَ . وَالتَّمْنَى : الْكَذِبُ مِنْ مَنَى إِذَا قَدَّرَ لِأَنَّ الْكَاذِبَ يَقْدَرُ فِي نَفْسِهِ الْحَدِيثَ
ثُمَّ يَقُولُهُ (انْظُرِ اللِّسَانَ مَادَّةُ مَنَى) .

اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويُثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجدَ ويُثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص. ثم بدأ بحكم السماع وبين الدليل على إباحته ثم ذكر ما تمسك به القائلون بتحريمه وأجاب عن ذلك بما نذكره أو مختصره إن شاء الله تعالى.

- قال رحمه الله تعالى : نقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة وقال :
- سمِع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وآبن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية وغيرهم . وقد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي . قال : ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عز وجل عباده فيها بذكره كأيام التشريق . ولم يزل أهل المدينة ومكة مواظبين على السماع إلى زماننا هذا فأدرنكم أبا مروان القاضي وله جوارٍ يُسمِعُ^(١) [النَّاسَ] التلحين
- قد أعدهن للصوفية . قال : وكان لعطاء جاريَتان تُلحِّنانِ وكان إخوانه يستمعون إليهما . قال : وقيل لأبي الحسن بن سالم : كيف تُشكر السماع وقد كان الجُنيد وسرى السَّقَطِيّ وذو النون يسمعون ! فقال : كيف أنكر السماع وأجازه وسمعه مَنْ هو خير مني . وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع . وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع .

١٥

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال : فقدنا ثلاثة أشياء فلا نراها ولا أراها تزداد إلا قلة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الديانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

قال الغزالي : ورأيت في بعض الكتب هذا بعينه محكما عن المحاسبي وفيه

- ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره .

٢٠

(١) الزيادة عن الإحياء .

وحكى عن مُمَشَاد الدِّينَوْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ تَنْكَرُ مِنْ هَذَا السَّمَاعِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : ” مَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَكِنْ قُلْ لَهُمْ يَفْتَتِحُونَ قَبْلَهُ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَتِمُونَ بَعْدَهُ بِالْقُرْآنِ “ . قَالَ الْغَزَالِيُّ : وَعَنْ أَبِي جَرِيحٍ أَنَّهُ كَانَ يَرْخُصُ فِي السَّمَاعِ فَقِيلَ لَهُ : تَقَدَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَمَلَةٍ حَسَنَاتِكَ أَوْ سَيِّئَاتِكَ ؟ فَقَالَ : لَا فِي الْحَسَنَاتِ وَلَا فِي السَّيِّئَاتِ لِأَنَّهُ شَبِيهٌ بِاللَّغْوِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ ، ثُمَّ بَيَّنَّ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الدَّلِيلَ عَلَى إِبَاحَةِ السَّمَاعِ فَقَالَ : اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ : السَّمَاعُ حَرَامٌ ، مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْاقِبُ عَلَيْهِ وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُعْرَفُ بِمَجْزِدِ الْعَقْلِ بَلْ بِالسَّمْعِ ، وَمَعْرِفَةِ الشَّرْعِيَّاتِ مُحْصُورَةٌ فِي النَّصِّ أَوْ الْقِيَاسِ عَلَى الْمَنْصُوصِ . قَالَ : وَأَعْنَى بِالنَّصِّ مَا أَظْهَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ أَوْ فَعَلِهِ ، وَبِالْقِيَاسِ الْمَعْنَى الْمَفْهُومُ مِنْ أَلْفَاظِهِ وَأَفْعَالِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ نَصٌّ وَلَمْ يَسْتَقِمْ فِيهِ قِيَاسٌ عَلَى مَنْصُوصٍ بَطَلَ الْقَوْلُ بِتَحْرِيمِهِ وَيَبْقَى فَعَالًا لَا حَرَجَ فِيهِ كَسَائِرِ الْمُبَاحَاتِ ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ السَّمَاعِ نَصٌّ وَلَا قِيَاسٌ . قَالَ : وَقَدْ دَلَّ الْقِيَاسُ وَالنَّصُّ جَمِيعًا عَلَى إِبَاحَةِ السَّمَاعِ .

أَمَّا الْقِيَاسُ فَهُوَ أَنَّ الْغَنَاءَ أَجْتَمَعَ فِيهِ مَعَانٍ يَنْبَغِي أَنْ يُبْحَثَ عَنْ أَفْرَادِهَا ثُمَّ عَنْ مَجْمُوعِهَا فَإِنْ فِيهِ سَمَاعٌ صَوْتٌ طَيِّبٌ مُوزُونٌ مَفْهُومٌ الْمَعْنَى مُحَرَّكٌ لِلْقَلْبِ . فَالْوَصْفُ الْأَعْمُ أَنَّهُ صَوْتٌ طَيِّبٌ ، ثُمَّ الطَّيِّبُ يَنْقَسِمُ إِلَى الْمُوزُونِ وَغَيْرِهِ . وَالْمُوزُونُ يَنْقَسِمُ إِلَى الْمَفْهُومِ كَالْأَشْعَارِ ، وَإِلَى غَيْرِ الْمَفْهُومِ كَأَصْوَاتِ الْجُمَادَاتِ وَأَصْوَاتِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ . أَمَّا سَمَاعُ الصَّوْتِ الطَّيِّبِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ طَيِّبٌ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحَرَّمَ بَلْ هُوَ حَالِلٌ بِالنَّصِّ وَالْقِيَاسِ .

أَمَّا الْقِيَاسُ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى تَلَذُّذِ حَاسَّةِ السَّمْعِ بِإِدْرَاكِ مَا هُوَ مُخْصُوصٌ بِهِ . وَلِلْإِنْسَانِ عَقْلٌ وَخَمْسُ حَوَاسٍ وَلِكُلِّ حَاسَّةٍ إِدْرَاكٌ . وَفِي مُدْرَكَاتِ تِلْكَ الْحَاسَّةِ

ما يُستلذّ . فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن وسائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يُكره من الألوان الكدرية القبيحة . وللشمّ الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة . وللدّوق الطعوم اللذيذة كالذّسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة والمزازة المستبشعة . وللمسّ لذّة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضّراسة . وللعقل لذّة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة . فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير، ومستكرهة كنهيق الحُرّ وغيرها، فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها .

- وأما النصّ فيدلّ على إباحة سماع الصوت الحسن آمتنان الله على عباده به إذ قال تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ فقليل : هو حسن الصوت . وفي الحديث : ١٠ " ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت " . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أشدُّ أذنًا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته " وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام : " أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجنّ والوحش والطير لسماع صوته ، وكان يُجمل من مجلسه أربعائة جنازة وما يقرب من ذلك في الأوقات " . وقال رسول ١٥ الله صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري : " لقد أعطى مزمارة من مزامير آل داود " وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن . ولو جاز أن يقال : إنما أبيع ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزّمة أن يُحرّم سماع صوت العنديل لأنه ليس بقرآن . وإذا جاز سماع صوت غفيل لا معنى له ، فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة ! ٢٠ وإن من الشعر لحكمة . قال : فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن .

الدرجة الثانية : النظر في الصوت الطيب الموزون فإن الوزن وراء الحسن ،
فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون غير مستطاب .
والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة ، فإنها إما أن تكون من جماد كصوت
المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره . وإما أن تخرج من حنجرة حيوان
وذلك الحيوان إما إنسان وإما غيره . فصوت العنادل والقمارى وذوات السجج من
الطيور مع طيها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها . والأصل
في الأصوات حناجر الحيوانات . وإنما وضعت المزامير على صورة الحناجر وهى
تشبيه الصنعة بالحلقة . وما من شئ توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره
إلا وله مثال فى الحلقة التى آستأثر الله تعالى باختراعها ، منه تعلم الصناعات وبه قصدوا
الآقتداء . فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب
إلى تحريم صوت العنديل وسائر الطيور . ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين
جماد وحيوان . فينبغى أن يقاس على صوت العنديل الأصوات الخارجة من سائر
الأجسام بأختيار آدمى كالذى يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدّف
وغيره . ولا يستثنى من هذا إلا الملاحى والأوتار والمزامير ، إذ ورد الشرع بالمنع
منها لا لذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ولكن حرمت الخمر
وأقتضت ضراوة الناس بها المبالغة فى الفطام عنها حتى انتهى الأمر فى الابتداء الى
كسر الدنان ، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهى الأوتار والمزامير فقط . وكان
تحريمه من قبيل الإتياع كما حرمت الحلوة لأنها مقدمة الجماع . وحرّم النظر الى الفخذ

(١) فى نسخة من كتاب الإحياء : « على صوت » .

(٢) الضراوة : الاعتياد لها والاجترأ عليها .

(٣) كذا بالأصل . وفى الإحياء للغزالي : « الحلوة بالأجنبية » .

لأتصاله بالسواطين . وحرم قليل الخمر وإن كان لا يُسَكِرُ لأنه يدعو إلى المسكر .
وما من حرام إلا وله حرم يُطِيفُ به . وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون
حِمًى للحرام ووقاية له وحِظَارًا مانعًا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم : «إِنْ لِكُلِّ
مَلِكٍ حِمًى وَإِنْ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» فهي محترمة تبعاً لتحريم الخمر .

- الدرجة الثالثة : الموزون المفهوم وهو الشعر، وذلك لا يخرج إلا من حنجرة .
الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً . والكلام المفهوم غير
حرام . والصوت الطيب الموزون غير حرام . فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم
المجموع ؟ نعم يُنظر فيما يفهم منه ، فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم
التصويت به سواء كان بالحن أو لم يكن .

- والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال : الشعر كلامٌ فحسنه حسنٌ وقبيحه
قبيح . ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز مع الألحان . فإن أفراد
المباحات إذا اجتمعت كان مباحاً ، ومهما انضم مباحٌ إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن
المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد ، ولا محظور هاهنا . وكيف ينكر إنشاد الشعر
وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : «إِنْ
مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ» وساق رحمه الله في هذا الموضع الأحاديث الصحيحة التي تضمنت
إنشاد الشعر والحداء به وهي أشهر من أن يحتاج إلى سردها . ثم قال بعد سياق
الأحاديث : ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وزمان الصحابة ، وما هو إلا أشعار تُؤدى بأصوات طيبة وألحانٍ
موزونة . ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره . بل ربما كانوا يلتمسون ذلك

(٧١)

(١) الحظار : الحائط وكل ما حال بينك وبين شيء .

(٢) كذا بالأصل . وفي إحياء الغزالي : «النطق به» .

تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ، فلا يجوز أن يُحرَّم من حيث إنه كلام مفهوم مؤدَّى بأصوات طيبة وألحانٍ موزونة .

الدرجة الرابعة : النظر فيه من حيث إنه محرَّك للقلب ومُهَيِّج لما هو الغالب عليه، قال أبو حامد : فأقول : لله سبحانه وتعالى سرفى مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً . فمن الأصوات ما يُفرِّحُ ومنها ما يُحزِّنُ ومنها ما يُتَوَمِّمُ ومنها ما يُضْحِكُ ويُطْرِبُ ومنها ما يُسْتَخْرِجُ من الأعضاء حركاتٍ على وزنها باليد والرجل والرأس . ولا ينبغي أن يُظنَّ أن ذلك لفهم معانى الشعر بل هذا جارٍ فى الأوتار حتى قيل : من لم يُحرِّكه الربيعُ وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج . وكيف يكون ذلك بفهم المعنى، وتأثيره مشاهدٌ فى الصبيِّ فى مهده فإنه يُسكته الصوتُ الطيبُ عن بكائه، وتنصرف نفسه عما يُبكيه إلى الإصغاء إليه . والجملُ مع بلادة طبعه يتأثر بالحداءِ تأثيراً يُستخِفُّ معه الأحمالُ الثقيلةَ ويستقصِرُ لقوة نشاطه فى سماعه المسافاتِ الطويلةَ، وينبعث فيه من النشاط ما يُسكره ويُولِّه، فتراها إذا طالت عليها البوادي وأعترها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت مُنادى الحداءِ تمدُّ أعناقها وتُصْغِي إلى الحادى ناصبةً آذانها وتُسْرِعُ فى سيرها حتى تتزعزعَ عليها أحمالها ومحاملها، وربما تُتلفُ أنفسها فى شدة السير وثقل الحمل وهى لا تشعر به لنشاطها .

فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينورى المعروف بالرقى، قال : كنت فى البادية فوافيتُ قبيلةً من قبائل العرب فأضافنى رجل منهم وأدخلنى خباءً فرأيت فى الخباء عبداً أسوداً مقيداً بقيد، ورأيت جملاً قد ماتت بين يدي البيت وقد بقى منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه يتزعزعُ روحه . فقال لى الغلام :

(١) فى الرسالة القشيرية : « بفناء البيت » .

- أنت ضيفٌ ولك حقٌ فتشفعُ في حقِّ إلى مولاي فإنه مُكرِّمٌ لضيفه فلا يردُّ شفاعتك
ففساه يحلّ القيدَ عني . فلما أحضروا الطعامَ امتنعت وقلت : لا آكل ما لم أشفعُ
في هذا العبد ، فقال : إن هذا العبدَ قد أفقرني وأهلك جميع مالي ، فقلت : ماذا
فعل ؟ فقال : إن له صوتاً طيباً ، وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال فحملها
أحمالاً ثقالاً وكان يحدو بها حتى قطعتُ مسيرةَ ثلاثِ ليالٍ في ليلةٍ من طيبِ نغمته
فلما حطَّت أحمالها مَوَّتَتْ كُلُّهَا إلا هذا الجمل الواحد ، ولكن أنت ضيفي فلكرامتك
قد وهبته لك قال : فأحببت أن أسمعَ صوته ، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل
يَسْتَقِي الماء من بئر هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعتُ أنا
على وجهي ، فما أظن أني قط سمعتُ صوتاً أطيّب منه .
- قال : فإذا تأثيرُ السماع في القلب محسوسٌ . ومن لم يحتركه السماع فهو ناقص
مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية ، زائد في غِلَظِ الطبع وكثافته على الجمال
والطيور بل على سائر البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة . ومهما كان النظر
في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن يُحكَمَ فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم ، بل
يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات ، فحكمه حكم ما في القلب .
- قال أبو سليمان : السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ، ولكن يُحرك ما هو فيه .

معين التاريج لأهل التاريج

- ذكر أقسام السماع وبواعثه
- وأقسام السماع تختلف باختلاف الأحوال : فإن منه ما هو مستحب وما هو
مباح وما هو مكروه وما هو حرام . أما المستحب فهو لمن غلب عليه حبُّ الله تعالى
ولم يُحرك السماع منه إلا الصفات الحمودة . وأما المباح فهو لمن لاحظ له من
السماع إلا التلذذ بالصوت الحسن ، وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين

ولكن يتخذة عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو . وأما الحرام فهو لأكثر الناس من الشباب ومن غلبت عليه شهوة الدنيا فلا يُحرك السماعُ منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة . وقد تكلم على هذه الأقسام الإمام أبو حامد الغزالي فقال رحمه الله ما مختصره ومعناه :

(٧٢)

الكلمات المسجعة الموزونة تُعادُ في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبطُ بها آثارُ في القلب وهي سبعة مواضع :

الأول : غناء الحجيج فإنهم يدورون أقولا في البلاد بالطبل والغناء وذلك مباح لما فيه من التشويق إلى الحج وأداء الفريضة وشهود المشاعر .

الثاني : ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وهو مباح أيضا لما فيه من استثارة النفس وتحريكها على الغزو وإثارة الغضب على الكفار وتحسين الشجاعة وتقبيح الفرار .

الثالث : ما يرتجزه الشجعانُ عند اللقاء في الحرب وهو مباح ومندوب لما فيه من تشجيع النفس وتحريك النشاط للقتال والتمدح بالشجاعة والنجدة وقد فعله غير واحد من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وغيرهما .

الرابع : أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهيج البكاء وملازمة الحزن والكتابة وهذا قسمان : محمود ومذموم .

فأما المذموم فالحزن على ما فات . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ . والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه يُغضبُ الله جلَّ جلاله وتأسفُ على ما لا تدارك فيه .

(١) في الإحياء : « فإنه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف الخ » .

وأما المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياہ .
 والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك .
 ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودةً ، فقد كان يَحْزَنُ وَيُحْزَنُ وَيَبْكِي وَيُبْكِي
 حتى كانت الجنائز تُرْفَع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه ، وذلك
 محمود لأن المفضي إلى المحمود محمود . وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت
 أن يُنْشِدَ على المنبر بألحانه الأشعارَ المحزنةَ المرققة للقلب ولا أن يَبْكِي وَيَتَبَاكَى
 لِيَتَوَصَّلَ به الى بكاء غيره وإثارة حزنه .

الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهيجاً له إن كان ذلك
 السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب ووقت
 الوليمة والعقيقة وعند الولادة والختان وعند حفظ القرآن ، وكل ذلك معتاد لأجل
 إظهار السرور . قال : ووجه جوازه أن من الألحان ما يُثير الفرح والسرور والطرب
 وكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويدل على هذا إنشادهم بالدَفِّ
 والألحان عند مَقْدَمِ النبي صلى الله عليه وسلم يقولون :

طلع البدر علينا * من ثَنِيَّاتِ الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي

فإظهار هذا السرور بالنغمات والشعر والرقص والحركات محمود . فقد نُقِلَ عن
 جماعة من الصحابة أنهم حَجَلُوا في سرور أصابهم كما سيأتى في أحكام الرقص وهو
 جائز في قدوم كل غائب وكل ما يجوز الفرح به شرعاً . ويجوز الفرح بزيارة
 الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام .

السادس : سماع العُشَّاق تحريكا للشوق وتهيجاً للعشق وتسلياً للنفس ؛ فإن
 كان في حال مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة فالغرض

تهيج الشوق . والشوق وإن كان مؤلماً ففيه نوعٌ لذّة إذا أنضاف إليه رجاء الوصال ؛ فإن الرجاء لذيد واليأس مؤلم ، وقوّة لذّة الرجاء بحسب قوّة الشوق والحبّ للشئ المرجوّ ، ففي هذا السماع تهيج للعشق وتحريك للشوق وتحصيل للذّة الرجاء المقدّر في الوصال مع الإطناب في وصف حسن المحبوب . قال :

وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يُباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سرّيته
فَيُصْنِى إلى غنائها لتتضاعف لذّته في لقاءها ، فيحظى بالمشاهدة البصرُ والسماع
الأذنُ ويفهمُ لطائف معاني الوصال والفراق القلبُ ، فتترادف أسباب اللذّة .
فهذا نوعٌ تتمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، وما متاع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو
وهذا منه . وكذلك إن غُصبت منه جاريةٌ أو حِيلَ بينه وبينها بسبب من الأسباب
فله أن يُحرّك بالسماع شوقه وأن يَسْتَشِيرَ به لذّة رجاء الوصال . فإن باعها أو طلقها
حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء .
وأما من يتمثل في نفسه صورةً صبيٍّ أو امرأة لا يجوز له النظر إليها وكان يُنزل
ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهو حرام لأنه محرّك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيّج
للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه لا لأمر يرجع إلى نفس السماع . وقد سئل بعض
الحكماء عن العشق فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيّجه السماع .

السابع : سماع من أحبّ الله سبحانه وتعالى وعشقه وأشتاق إلى لقائه فلا ينظر
إلى شئٍ إلا رآه فيه ، ولا يقرعُ سمعه قارعٌ إلا سمعه منه أو فيه ؛ فالسماع في حقه
مهيّج لشوقه ، ومؤكّد لعشقه وحبّه ، ومؤرّز نادٍ قلبه ، ومُستخرجٌ منه أحوالاً من
المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كلّ
حسّه عن ذواقها ؛ وتسمّى تلك الأحوال بلسان الصوفيّة وجداً — مأخوذ من
الوجود — وللصوفيّة على هذا كلامٌ يطول شرحه ليس هذا موضع إيرادهِ . والله أعلم .

ذكر العوارض التي يحرم معها السماع

قال أبو حامد رحمه الله تعالى: والسماعُ يحرمُ بخمسة عوارض: عارض في المُسمِع وعارض في آلة السماع، وعارض في نظم الصوت، وعارض في نفس المُستمع أو في موطنه، لأن أركان السماع هي المُسمِع والمُستمِع وآلة السماع.

- العارض الأول: أن يكون المُسمِع امرأة لا يحلّ النظر إليها وتُخشى الفتنة من سماعها، وفي معناها الصبي الذي تُخشى فتنته، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة، وليس ذلك لأجل الغناء بل لو كانت المرأة بحيث تفتن بصوتها في المحاورة في غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا، وكذلك الصبي الذي تُخاف فتنته. فإن قلت: فهل تقول: إن ذلك حرام بكل حال حسبا للباب، أو لا يحرم إلا حيث تُخاف الفتنة. فأقول: هذه مسألة محتملة من حيث ١٠
- الفقه يتجاذبها أصلا: :

أحدهما: أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت منها الفتنة أو لم تُخَف لأنها مظنة الفتنة على الجملة. فقضى الشرع بحسم الباب من غير آلتفات إلى الصورة.

- والثاني: أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان ١٥ بالنساء في عموم الحسم بل ينبغي أن يُفصّل فيه الحال. وصوت المرأة دائريين هذين الأصلين، فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب، ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت. وليس تحريك النظر لشهوة المماسّة كتحرّيك السماع بل هو أشد. وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة، ٢٠

فقياسُ هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساءُ بستر الأصوات ، فينبغي أن يُتَّبَعَ مَثَارُ الفتن ويُقَصَّرَ التحريمُ عليه ، هذا هو الأقيس عندي . قال : ويتأيدُ بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها إذ يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعُ صوتَهما ولم يحترز عنه ولكن لم تكن الفتنةُ مخوفةً عليه فلذلك لم يحترز . فإذا اختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال . فإننا نقول : للشيخ أن يُقبلَ زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك . والقبلةُ تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محذور . والسمع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام ، فيختلفُ ذلك أيضا بالأشخاص .

١٠ العارض الثاني في الآلة — بأن تكون من شعائر أهل الشرب أو المخبثين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة ، فهذه ثلاثة أنواع وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدَّفِّ وإن كان فيه الجلاجلُ وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات .

١٥ العارض الثالث في نظم الصوت — وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجاء أو هو كذبٌ على الله عز وجل أو على رسوله أو على الصحابة كما رتبته الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم ، فسمع ذلك حرام بألحان وغير ألحان ، والمستمعُ شريكُ القائل وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال . وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز .

٢٠ فقد كان حسان بن ثابت يُنافحُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُهَاجِرُ الكفارَ ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .

فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الحدود والأصداغ وحسن القَدِّ والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر . والصحيح أنه لا يحرم نظمُه وإنشاده بلَحْنٍ وغير لَحْنٍ^(١) ، وعلى المستمع ألا يُنَزِّلَهُ على امرأة معينة إلا على من تحلَّ له من زوجة أو جارية ، فإن نَزَلَهُ على أجنبية فهو العاصي بالتنزيل وإجالة الفكر فيه . ومن هذا وَصْفُهُ فينبغي أن يَحْتَنِبَ السَّمْعَ رأساً فإن مَنْ غلب عليه عشقُ نَزَلٍ كُلِّ ما يسمعه عليه سواء كان اللفظ مناسباً أو لم يكن ، إذ ما مِنْ لَفْظٍ إلا ويمكن تنزيله على معانٍ بطريق الاستعارة فالذى غلب عليه عشقُ مخلوقٍ ينبغى أن يَحْتَرِزَ من السَّمْعِ بأى لفظ كان ، والذى غلب عليه حبُّ الله تعالى فلا تَضُرَّهُ الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة .

- ١٠ العارض الرابع فى المستمع — وهو أن تكون الشهوة غالباً عليه وكان فى غيرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب من غيرها عليه ، فالسمع حرامٌ عليه سواء غلب على قلبه حبُّ شخصٍ معينٍ أو لم يغلب . فإنه كيفما كان فلا يسمعُ وصفَ الصَّدغِ والحدِّ والوصال والفراق إلا ويحركُ ذلك شهوته ويُنزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها فى قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعثُ الشر . وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيُّل للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى . والقتال
- ١٥ فى القلب دائم بين جنود الشيطان وهى الشهوات ، وبين حزب الله وهو نور العقل إلا فى قلب قد فتحه أحد الجُنْدِين وأستولى عليه بالكلية . وغالبُ القلوب قد فتحها جندُ الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ الى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجه فكيف يجوز تكثير أسلحته وتشحيذ سيوفه وأسنته ، والسمع مُشَحِّذٌ

(١) كذا فى الإحياء . وفى الأصل : « بصوت وبغير صوت » .

لأسلحة جند الشيطان في حقّ مثل هذا الشخص . فليخرج مثل هذا عن جميع السماع فإنه يَسْتَضِرُّه والله أعلم .

العارض الخامس — أن يكون الشخص من عوالم الخلق ولم يغلب عليه حبّ الله فيكون السماع له محبوباً ولا غلبت عليه الشهوة فيكون في حقّه محظوراً، ولكنه أبيع في حقّه كسائر أنواع اللذات المباحة إلا أنه آتخذه ديدنه وهجّراه وقصر عليه أكثر أوقاته، فهذا هو السفیه الذي تُردّ شهادته فإن المواظبة على اللهو جنایة . وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصیر كبيرةً ، فبعض المباحات بالمداومة یصیر صغيرة وهو كالمواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم یكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا القبیل اللَّعِبُ بِالشَّطْرَنْجِ فإنه مباح ، ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الغرضُ اللَّعِبَ والتلذّذ باللهو فذلك إنما یباح لما فيه من ترویح القلب ، إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبعث دواعیه . هذا ملخص ما أورده في أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته ، ثم ذكر بعد ذلك آثار السماع وآدابه .

ذكر آثار السماع وآدابه

قال أبو حامد رحمه الله : اعلم أن أول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للاستماع ثم يثمر الفهم الوجد . ويثمر الوجد الحركة بالجوارح . فليُنظر إلى هذه المقامات الثلاثة :

المقام الأول — في الفهم ، وهو مختلف باختلاف أحوال المستمع . وللمستمع أربعة أحوال :

إحداها — أن يكون سماعه يجتد الطبع أى لاحظ له في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات فهذا مباح وهو أحسن رتب السماع؛ إذ الإبل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم . ولكل حيوان نوع تلتذ بالأصوات الطيبة .

الحالة الثانية — أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة إما معينة أو غير معينة وهو سماع الشباب وأرباب الشهوة ويكون تنزيلهم المسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم . وهذه الحالة أحسن من أن يتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها .

الحالة الثالثة — أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملة الله تعالى وتقلب أحواله في التمكن منه مرة وبُعده منه أخرى، وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين . فإن للمريد لا محالة مراداً هو مقصده، ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء؛ وله في مقصده طريق هو سالكه، ومعاملات هو مثابر عليها، وحالات تستقبله في معاملاته . فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصال أو هجر أو قرب أو بُعد أو تلطف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو همول العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأشعار؛ فلا بد أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه، فيجرى ذلك مجرى القداح الذي يورى زناد قلبه، فتشتعل به نيرانه، ويقوى به أنبعاث الشوق وهيجانه، وتمجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته،

(٧٥)

(١) في الإحياء: « وتعذره أخرى » .

(٢) كذا في الإحياء . وفي الأصل: « غرة الوصال » .

ويكون له مجالٌ رَحْبٌ في تنزيل الألفاظ على أحواله . وليس على المستمع مراعاةُ مراد الشاعر من كلامه ؛ بل إكلّ كلام وجوه ولكلّ ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظٌ . وضرب الإمام الغزاليّ لذلك أمثلة يطول شرحها .

الحالة الرابعة — سماعٌ من جاوز الأحوال والمقامات فعزّب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزّب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النّسوة اللاتي قَطَعْنَ أيديهنّ في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتت وسقط إحساسهنّ . وعن مثل هذه الحالة تُعبّر الصوفية بأنه فني عن نفسه . ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى ؛ فكأنه فني عن كلّ شيء إلا عن الواحد المشهود، وفني أيضا عن الشهود فإن القلب إن آلتفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مُشَاهِدٌ فقد غَفَلَ ^(١) عن المشهود . فالمستهتر بالمرئى لا آلتفات له في حال استغراقه إلى رؤيته و [لا] إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته . فالسكران لا خُبر له في سكره ، والمُلتدّ لا خُبر له في التذاه ^(٢) ، إنما خُبره من الملتدّ به فقط ، ولكن هذا في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تُطقه القوة البشرية فرّما يضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه كما روى عن أبي الحسن النوري أنه سمع هذا البيت :

مازلت أنزل من وداك منزلاً * نتحيرُ الألباب دون نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه ووقع في أجمة قصبٍ قد قُطعت وبقيت أصولها ^(٣) مثل السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يجري من رجليه حتى ورمّت قدماه وساقاه ومات بعد أيام رحمه الله .

(١) الزيادة عن كتاب الإحياء . (٢) في الإحياء « من » في الموضعين بدل « في » .

(٣) عبارة الإحياء : « فكان يغدو فيها ويروح » .

قال أبو حامد : وهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات ، لأن السماع على الأحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قُصُور ، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله . أعنى أنه ينساها فلا يبقى له آلتفاتٌ إليها كما لم يكن للنسوة آلتفاتٌ إلى اليد والسكين . فيسمع بالله ، ولله ، وفي الله ، ومن الله ، وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتّحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلاً ، بل نَحَدت بالكلية بشيريته وفني آلتفاته إلى صفات البشرية رأساً . قال : ولستُ أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ، ولستُ أعنى بالقلب اللحم والدم بل سرُّ لطيفٍ له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سرُّ الروح الذي هو من أمر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود . وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر . ومثاله المرأة المجلوة ، إذ ليس لها لَوْنٌ في نفسها بل لونها لَوْنُ الحاضر فيها . وكذلك الزجاجة فإنها تحكى لَوْنُ قرارها ولونها لَوْنُ الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان . قال : وهذه مغاصة من مغاصات علوم المكاشفة منها نشأ خيال من أدعى الحلول والاتحاد . هذا ملخص ما أورده في مقام الفهم والله سبحانه ١٥ وتعالى أعلم .

المقام الثاني — بعد الفهم والتزليل الوجد .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

وللناس كلامٌ طويلٌ في حقيقة الوجد أعنى الصوفيّة والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فلننقل من أقوالهم ألفاظاً ثم لنكشف عن الحقيقة فيه . ٢٠

أما الصوفيّة، فقد قال ذو النون المصريّ رحمه الله في السماع : إنه واردٌ حقٌّ جاء يُزجِ القلوبَ إلى الحقّ ، فمن أصغى إليه بحقٍّ تَحَقَّقَ ، ومن أصغى إليه بنفسٍ تَزَنَّدَقَ . فكأنه عبّر عن الوجد بأنزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود
(٧٦) وارد السماع ، إذ سمّي السماع وارد حقّ . وقال أبو الحسين الدراج مُحَبَّرًا عما وجدّه في السماع :

والوجدُ عبارةٌ عما يُوجد عند السماع ، وقال : جال بي السماع في ميادين البهاء ، فأوجدني وجود الحق عند العطاء ، فسقاني بكأس الصفاء ، فأدركت به منازل الرِّضاء ، وأخرجني إلى رياض الزهة والفضاء .

وقال الشَّيْبِيُّ : السماع ظاهره فِتْنَةٌ وباطنه عِبْرَةٌ ، فمن عَرَفَ الإشارة حلّ له
١٠ آسَماع العِبْرَةِ وإلا فقد آسَدَعَى الفِتْنَةُ وتعرّض للبلية . وأقوال الصوفيّة في هذا النوع كثيرة .

وأما الحكماء ، فقال بعضهم :
في القلب فِضِيلَةٌ شَرِيفَةٌ لم تقدر قوّة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظَهَرَت سُرَّتْ وطَرِبَت إليها ، فَاسْتَمَعُوا من النفس وناجوها
١٥ ودَعَوْا مُنَاجَاةَ الظواهر . وقال بعضهم :

نتائجُ السماع آسْتِنَاضُ العاجز من الرأى وآسْتِجْلَابُ العازب من الفكر وَحِدَّةُ الكال من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عَزَبَ وَيَنْهَضُ ما عَجَزَ وَيَصْفُو ما كَدَّرَ وَيَمْرَحُ في كل رأي ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتي ولا يبطئ . ثم ذكر المعنى الذي الوجد عبارة عنه فقال : هو عبارة عن حالة يُثمرها السماع وهو واردٌ [حقّ] ^(٢) جديد عَقِيب السماع

٢٠ (١) في بعض نسخ الإحياء : « ويخرج من » . (٢) الزيادة عن كتاب الإحياء ، وفسره الزبيدي شارح الإحياء بقوله : « أي وارد ورد من الحق تعالى وهو وارد قوى لا يشوبه الباطل » .

- يجده المستمع من نفسه . وتلك الحالة لا تخلو من قسمين : فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات ؛ وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم والتنبيهات بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض . وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها فإن ضعفت بحيث لم تؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يُسمَّ وجداً . وإن ظهر على الظاهر سُمِّيَ وجداً إما ضعيفاً وإما قوياً بحسب ظهوره وتغييره الظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على حفظ جوارحه ، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك .
- وإلى المعنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد : إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع منشأ لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله ؛ فإن الكشف يحصل بأسباب : منها التنبيه ، والسماع منه . ومنها تغير الأحوال وشاهدتها وإدراكها ، فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل ورود .
- ومنها صفاء القلب ، والسماع مؤثر في تصفية القلوب ، والصفاء سبب المكاشفة . ومنها أنبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى على مشاهدة ما كان تقصر عنه [قبل ذلك] قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله ، وهذا الاستكشاف من ملاحظة أسرار الملكوت . وكما أن حمل الجمل يكون بواسطة ، فبواسطة هذه الأسباب يكون سبب الكشف ؛ بل القلب إذا صفا تمثل له الحق

في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة؛ وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة . وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادي^(١) أنه قال : خرجت يوما في أيام جهلي وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطيرنا باذ كرم ما مررت به * إلا تعجبت ممن يشرب الماء^(٢)

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجرعه * خلق فأبقى له في الجوف أمعاء

فقال : وكان ذلك سبب توبتي وأشتغالي بالعلم .

قال أبو حامد : فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق

في صفة جهنم وفي لفظ منظوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وكما يسمع صوت

الهاتف عند صفاء القلب . ويشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه

يختل لأرباب القلوب بصور مختلفة ، وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع

على ضمائر القلوب ؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ

فإنه ينظر بنور الله تعالى " . قال : فخلص الوجد يرجع إلى مكاشفات وإلى حالات

ينقسم كل واحد منهما إلى ما لا يمكن التعبير عنه عند الإفاقة منه وإلى ما لا يمكن

العبارة عنه أصلا . وضرب لذلك أمثلة ، منها أن الفقيه قد تعرض عليه مسألان

متشابهتان في الصورة ويدرك بذوقه أن بينهما فرقا في الحكم ، فإذا كلف ذكر وجه

الفرق لم يساعده اللسان على التعبير عنه وإن كان من أفصح الناس ، فيدرك بذوقه

(١) في معجم ياقوت : « محمد بن عبد الله الكاتب » .

(٢) طيرنا باذ : موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج وبينها وبين

القادسية ميل ، كانت إقطاعا للاحث بن قيس من عمر بن الخطاب وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم

والشجر والحانات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة « عن معجم البلدان لياقوت » .

الفرق ولا يمكنه التعبير عنه . وإدراكه الفرق علمٌ يصادفه في قلبه بالذوق . ولا شك أن لوقوعه في قلبه سببا ، وله عند الله تعالى حقيقة ، ولا يمكنه الإخبار عنه لقصور في لسانه بل لدقة المعنى أن تناله العبارة .

- (١) وأما الحال فكم من إنسانٍ يدرك في قلبه في الوقت [الذي يصبح فيه] قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه ، وقد يتفكر في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به . وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا يثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور ، أو حزنا فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيقه . وقد تكون تلك الحال حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مُفصِّحة عن المقصود ؛ بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض ، وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها (أعنى التفرقة بين الموزون والمنزحف) ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له . وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم . فأما الأوتار وسائر النغمات التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيرا عجيبا ، ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الأوتار ، وقد يعبر عنها بالشوق ، ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه ، فهذا عجيب . والذي اضطربت نفسه بسماع الأوتار والشاهين وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشواق ، ويجد في نفسه حالة كأنها تتقاضى أمرا ليس يدري ما هو ، حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى . وهذا له سر ، وهو أن كل شوقٍ فله ركنان : أحدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة

الوصول إليه . فإن وُجِدَت الصفة التي بها الشوق وُجِدَ العلم بالمشتاق وُجِدَت الصفة المشوقة وحركت قلبك الصفة وأشتعلت نارها ، أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة . ولو نشأ آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يُحسّ من نفسه بنار الشهوة ولا يدري أنه يشاق إلى الوقاع لأنه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء ؛ فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذات التي وُعد بها في سِدرة المنتهى والفراديس^(١) العلّاء ، إلا أنه لم يتخيّل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي يسمع [لفظ] الوقاع و [أسم^(١)] النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة ليعرف بالمقايسة . فالسمع يحرك منه الشوق ؛ والجهل المفرط والأشغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حينه وأشتياقه بالطبع ، فيتقاضاه قلبه أمراً ليس يدري ما هو فيدهش ويضطرب ويتحير ويكون كالمحتق^(٢) الذي لا يعرف طريق الخلاص . فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ، ولا يمكن المتصّف بها أن يعبر عنها . فقد ظهر أنقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . قال :

وأعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكافٍ يسمى التواجد . وهذا التواجد المتكلف ، فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها ؛ ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى الاستدعاء للأحوال الشريفة وأكتسابها واجتلابها بالحيلة ؛ فإن للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ؛ ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن ،

(١) الزيادة في كليهما عن الإحياء .

(٢) في الأصل : « كالمجنون » والتصويب عن الإحياء .

- فإن هذه الأحوال قد تُتكلّف مبادئها ثم نتحقق أواخرها . وكيف لا يكون التكلّف سببا في أن يصير المتكلّف بالآخرة طبعاً ، وكل من يتعلّم القرآن أولاً يحفظه تكلّفاً ويقرؤه تكلّفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدناً للسان مُطّرداً حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته . وذكر أبو حامد أمثلة نحو ذلك ثم قال : وكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدانها ، بل ينبغي أن يتكلّف اجتلابها بالسمع وغيره ، فلقد سُويِد في العادات مَنْ أَشْتَهَى أَنْ يَعْشَقَ شخصاً ولم يكن يعشقه فلم يزل يردّد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرّر على نفسه الأوصاف المحبوبة إليه والأخلاق الحمودة فيه حتى عَشِقَهُ ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً نخرج عن حدّ اختياره ، وأَشْتَهَى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلّص ، فكذلك حبُّ الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا فقدتها الإنسان فينبغي أن يتكلّف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ، ومشاهدة أحوالهم ، وتحسين صفاتهم في النفس ، وبالجلوس معهم في السماع ، وبالدهاء والتضرّع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن يُيسّر له أسبابها ، ومن أسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين ، فمن جالس شخصاً سَرَت إليه صفاته من حيث لا يدري . ويدلّ على إمكان تحصيل الحبّ وغيره من الأحوال بالأسباب قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه : ”اللهم آرزقني حبّك وحبّ من أحبك وحبّ مَنْ يُقَرِّبني إلى حبّك“ . فقد فزع إلى الدعاء في طلب الحبّ .
- قال : فهذا بيان أنقسام الوجد إلى مكاشفاتٍ وإلى أحوالٍ ، وأنقسامه إلى ما يمكن الإيضاح عنه وإلى ما لا يمكن ، وأنقسامه إلى المتكلّف وإلى المطبوع .

المقام الثالث — في آداب السماع ظاهرًا وباطنًا ، وما يُحمد من آثار الوجد ويُذم .

قال الإمام أبو حامد رحمه الله تعالى : فأما الآداب فهي خمس جمل :

الأول — مراعاة الزمان والمكان والإخوان . قال الجُنَيْد : السماع يحتاج الى ثلاثة أشياء وإلا فلا تسمع : الزمان والمكان والإخوان . قال الغزالي : ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صاريف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه ، فهذا معنى مراعاة الزمان ، فيراعى فراغ القلب . والمكان قد يكون شارعًا مطروقًا أو موضعا كرية الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيُتجنب ذلك . وأما الإخوان فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع مترهّد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلًا في المجلس وأشتغل القلب به ، وكذا إذا حضر متكبر من أهل الدنيا فيحتاج إلى مراقبته ومراعاته ، أو متكلف متواجد من أهل التصوّف يرأى بالوجد والرقص وتمزيق الثوب ، فكل ذلك مشوشات ، فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى .

الثاني — وهو نظر للحاضرين ، أن الشيخ إذا كان حوله مُريدون يضرّهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم ؛ فإن سَمِعَ فليشغلهم بشغل آخر . والمريد الذي لا يستفيد بالسماع أحدٌ ثلاثة : أقلّهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع ؛ فأشتغاله بالسماع أشتغال بما لا يعنيه ؛ فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ، ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع ؛ فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو مضيع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق ولكن فيه بقية من الحظوظ والآلِفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد أنكسارًا تُؤمن غوائله ، فرُبما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فينقطع طريقه ويصدّه عن الاستكمال .

الثالث : أن يكون قد آنكسرت شهوته وأُمنِت غائلته وآنفتحت بصيرته وآستولى على قلبه حبّ الله تعالى ، ولكنه لم يُحكَمْ ظاهرَ العلم ولم يعرف أسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل ، وإذا فُتِح له باب السماع نزل المسموع في حقّ الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز ، فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم عليه من نفع السماع . قال سهل : كلّ وجدٍ لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .
 فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحبّ الدنيا وشهوة المحمّدة والثناء ، ولا من يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع ، فيصير ذلك عادة له ويشغله عن عبادته ومراعاة قلبه وتنقطع عليه طريقة الأدب ، فالسماع مَرَلَة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه .

- الأدب الثالث — أن يكون مُصغياً إلى ما يقوله القائل ، حاضر القلب ، قليل الالتفات إلى الجوانب ، متحرّزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد ، مشغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سرّه ، متحفّظاً عن حركة تُشوّش على أصحابه قلوبهم ؛ بل يكون ساكن الظاهر ، هادئ الأطراف متحرّزاً عن التنحنح والتثاؤب ، يجلس مُطرقاً رأسه بكلوسه في فكرٍ مستغرقٍ لقلبه ، متماسكاً عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراعاة ، ساكناً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد . فإن غلبه الوجد وحزّكه بغير اختيار فهو فيه معذور وغير ملوم ؛ ومهما رجع إليه اختياره فليعد إلى هدوه وسكونه . ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال : انقطع وجده على القرب ، ولا أن يتواجد خوفاً من أن يقال : هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقّة . قال : وقوة الوجد تحرك ، وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر . وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته ، وإما لضعف ما يقابله ، ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك . فلا

تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتمّ وجدا من الساكن بأضطرابه ، بل ربّ ساكنٍ أتمّ وجدا من المضطرب ؛ فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك ف قيل له في ذلك فقال : (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت ، والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة .

الأدب الرابع — ألا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ؛ ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة ؛ لأن التباكى استجلاب للحنن ، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط ، وكل سرور مباح فيجوز تحريكه ؛ ولو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضى الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون . (١) وقد روى عن جماعة من الصحابة أنهم حملوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك [وذلك] (٢) في قصة أبنه حمزة بن عبدالمطلب لما اختصم فيها على بن أبى طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم ، فتشاحوا في تربيتها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : ”أنت منى وأنا منك“ فجل على . وقال لجعفر : ”أشبهت خلقي وخلقي“ فجل . وقال لزيد : ”أنت أخونا ومولانا“ فجل . الحديث . قال : والمجل : الرقص ، ويكون لفرح أو شوق ، فحكمه حكم مهيجه إن كان فرحه محمودا ، والرقص يزيد ويؤكده فهو محمود ، فإن كان مباحا فهو مباح ، وإن كان مذموما فهو مذموم . نعم لا يليق ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب ، وماله صورة اللعب في أعين الناس

(٧٩)

(١) يزفنون : يرقصون . (٢) الزيادة عن الإحياء .

(٣) في النهاية لابن الأثير : المجل أن يرفع رجلا ويقفز على الأخرى من الفرحة وقد يكون بالرجلين إلا أنه قفز .

فينبغي أن يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر في أعين الخلق فيترك الاقتداء به . وأما تخريق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار . ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه أو يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ، وتكون صورته صورة المكره ، إذ يكون له في الحركة أو التمزيق متنفس فيضطر إليه اضطراب المريض إلى الأنيب ؛ ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختياري ؛ فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه ؛ فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ، ولو كلف الإنسان نفسه أن يمسك النفس ساعة أضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس ، فكذلك الزعقة وتخريق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم .

١٠. الأدب الخامس — موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام بأختيار من غير إظهار وجد وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة . وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتخريق . ^(١) فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة ، إذ المخالفة موحشة . ولكل قوم رسم ، ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر لاسيما إذا كانت أخلاقا فيها حسن المعاشرة والمجاملة وتطبيب القلب بالمساعدة . وقول القائل : إن ذلك بدعة لم تكن في الصحابة ، فليس كل ما يحكم بإباحته منقولا عن الصحابة ولم ينقل النهي عن شيء من هذا . والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب ، بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحوال كما رواه أنس رضي الله عنه ، وإن كان لم يثبت فيه نهى عام ، فلا نرى

(١) في الإحياء . « بالتزريق » .

به بأساً في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام؛ فإنَّ القصد منه الاحترام والإكرام وتطيب القلب به؛ كذلك سائر أنواع المساعدة إذا قُصدَ بها طيبة القلب وأصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها؛ بل الأحسن المساعدة (١) إلا فيما ورد فيه نهْيٌ لا يقبل التأويل. ومن الأدب ألا يقوم للرقص مع القوم إن كان يُستثقل رقصه ويشوش عليهم أحوالهم؛ إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف؛ ومن يقوم عن صديق لا تستثقله الطباع؛ فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محكٌ للصدق والتكلف. سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال: صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالا غير أضداد. هذا ملخص ما أورده الغزالي رحمه الله تعالى في معنى السماع وقسمه الى هذه الأقسام التي ذكرناها.

وأما أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم فقد ذكر مسألة السماع وبين إباحته، فبدأ بذكر الأحاديث التي احتجوا بها وضعف روايتها نحو ما تقدم وذكر الآية: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) وأنه قيل: إنه الغناء، فليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ثبت عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، وإنما هو قول بعض المفسرين ممن لا يقوم بقوله حجة؛ وما كان هكذا فلا يجوز القول به. ثم لو صح لما كان فيه متعلق؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وكل شيء أقتني ليضل به عن سبيل الله فهو إثم وحرام ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن. فإذا لم يصح في هذا شيء فقد قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ

(١) كذا في الإحياء. وعبرة الأصل: «ومن الأدب ألا يقوم المرقص مع القوم للرقص إذا كان ... الخ».

- لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أعظم الناس جرماً في الإسلام مَنْ سأل عن شيءٍ لم يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ من أجل مسألته"، فصَحَّ أن كل شيءٍ حرَّمه الله عزَّ وجلَّ علينا فقد فصله لنا، وكل ما لم يُفصل تحريمه لنا فهو حلال .
- وَأَسْتَدَلَّ رحمه الله على إباحته بالأحاديث التي ذكرناها، حديث عائشة عن خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في غناء الجاريتين، وَأَسْتَدَلَّ أيضاً بحديث نافع أن ابن عمر سَمِعَ مزماراً فوضع إصبعيه في أذنيه ونأى عن الطريق وقال : يا نافع، هل تسمع شيئاً؟ قلت لا، فرفع إصبعيه عن أذنيه وقال : كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وَسَمِعَ مثل هذا وصنع مثل هذا . قال : فلو كان حراماً ما أباح عليه الصلاة والسلام لابن عمر سماعه ولا أباح ابن عمر لنافع سماعه، ولكنه عليه الصلاة والسلام كره لنفسه كل شيء ليس من التترَّب إلى الله عز وجل، كما كره الأكل مُتَكَبِّراً، والتَنَشُّف بعد الغسل في ثوبٍ يعدُّ لذلك، والستر الموشى على سَهْوَةِ عائشة وعلى باب فاطمة رضي الله عنهما، وكما كره صلى الله عليه وسلم أشد الكراهة أن يبيت عنده دينار أو درهم . وإِنَّمَا بُعِثَ عليه الصلاة والسلام مُنْكَرًا لِلنَّكَرِ، آمراً بالمعروف .
- فلو كان ذلك حراماً لما أَقْتَصَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أن يسدَّ أذنيه عنه دون أن يأمر بتركه وينهى عنه، ولم يفعل عليه الصلاة والسلام شيئاً من ذلك بل أَقَرَّه وتَرَّه عنه، فصَحَّ أنه مباح وأن الترك له أفضل كسائر فضول الدنيا المباحة .
- قال : فإن قال قائل : قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَمَآذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ففي أيِّ ذلك يقع الغناء؟ قيل له : حيث يقع الترويح في البساتين وصباغ ألوان الثياب، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى فَإِذَا نَوَى الْمَرْءُ تَرْوِيحَ نَفْسِهِ وَإِجَامَهَا لِتَقْوَى عَلَى طَاعَةِ الله فَمَا أَتَى ضَلَالاً . قال : ولا يحلَّ تحريم شيءٍ ولا إباحته إلا بنصٍّ من الله عز وجل أو من رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه إخبار عن الله عز وجل، ولا يجوز

عنه تعالى إلا بالنص الذي لا شك فيه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » . وقد تكلم على إباحة السماع
 جماعة من العلماء . وفيما أوردناه من هذا الفصل كفاية . فلنذكر من سمع الغناء
 من الصحابة رضي الله عنهم .

ذكر من سمع الغناء من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

قد روى أن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم سمعوا الغناء .

منهم النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه . روى أبو الفرج
 الأصفهاني في كتابه المترجم : « بالأغاني » بسند رفعه إلى أبي السائب المخزومي وغيره ،
 قال : دخل النعمان بن بشير المدينة في أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير فقال : والله لقد
 أخفقت أذنائي [من] الغناء فأسمعوني . فقبل له : لو وجهت إلى عزة الميلاء . فإنها من
 قد عرفت ، فقال : إني ورب هذه البنية ! إنها لمن يزيد النفس طيبا والعقل شحذا ،
 ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبت صرت إليها . فقال له بعض القوم : إن النقلة تشتد
 عليها لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوادج ؟
 فوجه إليها بنجيبه فذكرت علة ، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال جليسه : أنت
 كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرعوها ، فأذنت
 وأكرمت واعتذرت ، فقبل النعمان عذرها وقال لها : غني ، فغنت :

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١ طبع بولاق) .

(٢) في الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١) : « ورب الكعبة » .

(٣) في الأصل : « لمن » والتصويب عن الأغاني (ج ١٤ ص ١٢١) .

(٤) كذا بالأصل . وفي الأغاني : « إليها » .

أَجَدَّ بَعْمَرَةَ غُنْيَانُهَا ^(١) * فَتَهَجَّرَ أُمُّ شَانُهَا شَانُهَا؟ ^(٢)

وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ * ءَ تَنْفَحُ بِالمَسِكِ أَرْدَانُهَا ^(٣)

قال : وهذا الشعر هو لقيس بن الخطيم في أم النعمان بن بشير، وهي عمرة بنت رَوَاحَةَ أخت عبد الله بن رَوَاحَةَ، قال : فَأُشِيرُ إِلَى عَزَّةٍ أَنَّهَا أُمُّهُ فَأَمْسَكَتْ ؛ فقال : غَنِّي فَوَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُ إِلَّا كَرَمًا وَطَيِّبًا وَلَا تَغْنَى سَائِرَ الْيَوْمِ غَيْرَهُ ؛ فلم تزل تغنيه هذا اللحن حتى أنصرف .

ومنهم حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه . روى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى محرز بن جعفر قال : خَتَنَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بَنِيهِ وَأَوَّلَمَ وَأَجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَعَاقِمَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَحَضَرَ حَسَانَ بْنُ ثَابِتٍ وَقَدْ كُفِّ بِصَرِهِ يَوْمَئِذٍ وَثَقُلَ سَمْعُهُ فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ خُؤَانٌ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ إِلَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُهُ ، وَكَانَ يَسْأَلُهُ كَلِمًا وَضَعَتْ صَحْفَةً أَطْعَامٍ يَدِ أُمِّ يَدِينٍ ؟ فلم يزل يأكل حتى جىء بِشِوَاءٍ ، فَقَالَ : أَطْعَامُ يَدِ أُمِّ يَدِينٍ ؟ فقال : بل طعام يدين ، فأمسك يده ؛ حتى إِذَا فُرِغَ مِنَ الطَّعَامِ تُنِيتُ وَسَادَةً وَأَقْبَلْتَ عَزَّةَ الْمَيْلَاءِ وَهِيَ إِذَا شَابَّةٌ ، فَوُضِعَ فِي حَجْرِهَا مِرْهَرٌ فَضْرَبَتْ بِهِ وَتَغَنَّتْ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا أَبْتَدَأَتْ بِهِ شِعْرَ حَسَانَ :

فَلَا زَالَ قَصْرٌ بَيْنَ بَصْرَى وَجَلْقٍ ^(٤) * عَلَيْهِ مِنَ الْوَشْمِ جُودٌ وَوَابِلٌ ^(٥)

فَطَرِبَ حَسَانَ وَجَعَلَتْ عَيْنَاهُ تَنْضَحَانِ عَلَى خَدَيْهِ وَهُوَ مُصْنَعٌ لَهَا .

- (١) غُنْيَانُهَا : أى استغناؤها . وفي الأصل : « عَيْنَانِهَا » والتصويب عن الأغاني واللسان وديوان قيس بن الخطيم المطبوع في ليبسيك سنة ١٩١٤ م . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وفي الأغاني واللسان والديوان : « أُمُّ شَانُنَا شَانُهَا » وكلاهما ذو معنى ، والأول أوجه .
- (٣) جمع رَدَنَ بضم فسكون وهو مقدَّم كم القميص أو القميص كله وهو أيضا ضرب من الخبز الأحمر .
- (٤) فِي الْأَصْلِ : « قَالَ : أَطْعَامُ يَدِ أُمِّ يَدِينٍ » وظاهر أن « قَالَ » لا معنى لها .
- (٥) جَلَقٌ هِيَ دَمَشْقٌ أَوْ غَوَطَةٌ وَزَنْتُهَا كَحْمَصٍ وَقَنْبٍ .

وروى أيضا بسنده إلى خارجة بن زيد أنه قال : دُعينا إلى مأدبة في آل نُبَيْط،
فحضرنا وحضر حسان بن ثابت، فجلسنا جميعا على مائدة واحدة وهو يومئذ قد ذهب
بصره ومعه ابنه عبد الرحمن، وكان إذا أُتِيَ بطعام سأل ابنه عبد الرحمن أ طعام يد
أم طعام يدين؟ (يعني بطعام اليد الثريد، وطعام اليدين الشواء لأنه ينش نهشا) فإذا قال : طعام يد
أكل، وإذا قال : طعام يدين أمسك يده . فلما فرغوا من الطعام أتوا بجاريتين
مغنتين إحداهما "رائقة" والأخرى "عزّة" فجلسنا وأخذتا من هريهما وضربتا
ضربا عجيبا وغنّتا بقول حسان بن ثابت :

أنظر خليلي ببابِ جَلَقَ هل * تُؤنِسُ دون البلقاءِ من أَحَدِ

قال : فاسمع حسان يقول : قد أراني هناك سَمِيعًا بَصِيرًا، وعيناه تدمعان، فإذا
سكتتا سكن عنه البكاء وإذا غنّتا يبكي . قال : وكنت أرى عبد الرحمن ابنه إذا
سكتتا يشير إليهما أن غنيا، فيبكي أبوه، فيقال : ما حاجته إلى بكاء أبيه !

(٨١)

وروى أيضا بسنده إلى عباد بن عبد الله بن الزبير عن شيخ من قريش قال :
إني وفيتة من قريش عند قينة ومعنا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت إذ استأذن
حسان، فكرهنا دخوله وشق علينا، فقال لنا عبد الرحمن ابنه : أيسركم ألا يجلس ؟
قلنا نعم . قال : فمروا هذه إذا نظرت إليه أن تغنى :

أولادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ آبِيهِمْ * قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ * لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

قال : فغنّته، فوالله لقد بكى حتى ظننا أنه سيلفظ نفسه . ثم قال : أفبكم
الفاسق؟ لعمري لقد كرهتم مجلسي اليوم . وقام فأنصرف . وهذا الشعر لحسان بن

ثابت وهو مما أمدح به جبلة بن الأيهم، وهو من قصيدة طويلة منها قوله في مدح آل جفنة :

يَبِضُّ الْوَجُوهَ كَرِيمَةً أَحْسَابُهُمْ * شَمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

- وروى أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى الحارث بن عبد الله بن العباس : أنه بينما هو يسير مع عُمر بن الخطاب رضي الله عنه بطريق مكة في خلافة ومعه من معه من المهاجرين والأنصار ، ترنم عمر بببيت فقال له رجل من أهل العراق — ليس معه عراقي غيره — : غيرك فليقلها يا أمير المؤمنين ! قال : فَأَسْتَحْيَا عُمَرَ وَضَرَبَ رَاحِلَتَهُ حَتَّى أَنْقَطَعَتْ مِنَ الرَّكْبِ . قال المقدسي : ويزيد ذلك وضوحا — وساق حديثا بسند رفعه إلى يحيى بن عبد الرحمن — قال :
- ١٠ خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحج الأكبر، حتى إذا كان عمر بالروحاء^(١) كلم الناس رباح بن المعترف^(٢)، وكان حسن الصوت بغناء الأعراب، فقالوا : أَسْمِعْنَا وَقَصِّرْ عَنَّا الطَّرِيقَ ؛ فقال : إِنِّي أَفَرِّقُ مِنْ عُمَرَ . قال : فَكَلَّمَ الْقَوْمُ عُمَرَ . إنا كلمنا رباحا أن يُسَمِعَنَا وَيُقَصِّرَ عَنَّا طَرِيقَ الْمَسِيرِ فَأَبَى إِلَّا أَنْ تَأْذَنَ لَهُ . فقال له : يارباح، أَسْمِعْهُمْ وَقَصِّرْ عَنْهُمْ الْمَسِيرَ، فإذا أَسْخَرْتَ فَأَرْفَعْ وَأَحْذِهِمْ بِشَعْرِ ضِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى وَهُمْ مُحْرَمُونَ .
- ١٥

وروى أيضا بسنده إلى يزيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر رضي الله عنه مرّ برجل يتغنى فقال : إِنْ الْغِنَاءَ زَادَ الْمَسَافِرَ .

وروى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبْيَعِيِّ عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ الْبَجَلِيِّ : أَنَّ أَبَا مَسْعُودَ الْبَدْرِيَّ، وَقَرْظَةَ بْنَ كَعْبٍ، وَثَابِتَ بْنَ يَزِيدَ، وَهُمْ فِي عُرْسٍ

٢٠ (١) الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

(٢) في الأصل : « المعروف » . والتصويب عن أسد الغابة .

وعندهم غناء ، فقلت : هذا وأتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! فقالوا : إنه رُخص لنا في الغناء في العرس والبكاء على الميت في غير نوح . إلا أن شعبة قال : ثابت بن وديعة مكان ثابت بن يزيد ، ولم يذكر أبا مسعود .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى عن أبي طالب المكي : سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية وغيرهم ، وقال : قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي بإحسان .

وروى الحافظ أبو الفضل المقدسي بسند رفعه إلى عمر بن أبي زائدة قال : حدثتني امرأة عمر بن الأصم^(١) قالت : مررنا ونحن جوار مجاس سعيد بن جبيرة ومعنا جارية تغني ومعها دُف وهي تقول :

لئن فتننتني فهي بالأمس أفتنت * سعيداً فأمسي قد قلّ كل مسلم
وألقى مفاتيح القراءة وأشتري * وصال الغواني بالكتاب المنعم
فقال سعيد : تكذِّبين تكذِّبين .

ذكر من سمع الغناء من الأئمة والعُباد والزهاد

قالوا : وقد سمع الغناء من الأئمة الإمام الشافعي ، وأحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى ، وغيرهما من أصحابهما . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي رحمه الله تعالى بسند رفعه إلى المريسي ، قال : مررنا مع الشافعي وإبراهيم ابن إسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم :

خليلى ما بال المطايا كأنها * نراها على الأعقاب بالقوم تنكص^(٢)

(١) الذي في شرح الإحياء (ج ٦ ص ٤٦١) : « عمرو » .

(٢) تنكص : ترجع . وقد ورد هذا البيت في الأغاني (ج ٤ ص ١٦٤) هكذا :
خليلى ما بال المطايا كأنها * نراها على الأدبار بالقوم تنكص

فقال الشافعي: **مِلُّوا بنا نسمع** . فلما فرغت قال الشافعي لإبراهيم: **أيطربك هذا؟ قال لا** . قال: **فمالك حس!**

- وروى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال: كنت أحب السماع وكان أبي يكره ذلك، فواعدت ليلةً ابنَ الخبازة، فكثت عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام، فأخذ يغني، فسمعت خشفةً فوق السطح، فصعدت، فرأيت أبي فوق السطح يسمع ما يغني وذيله تحت إبطه وهو يتبختر كأنه يرقص. قال: وقد رويت هذه الحكاية أيضا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل — وساق سنداً إليه — قال: كنت أدعو ابنَ الخبازة وكان أبي ينهانا عن الغناء، وكنت إذا كان عندي كتمته من أبي لئلا يسمع. فكان ذات ليلةً عندي وهو يقول، فعرضت لأبي عندنا حاجةً — وكانوا في زقاق — فجاء وسمعه يقول، فوقع في سمعه شيء من قوله، فخرجت لأنظر فإذا بأبي يترجح ذاهباً وجائياً، فرددت الباب ودخلت. فلما كان من الغد قال أبي: يا بني، إذا كان مثل هذا فنعم الكلام، أرعناه. قال أبو الفضل: وأبن الخبازة هذا هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الشاعر، وكان عاصراً أحمد ورثاه حين مات.
- وروى أبو الفضل أيضا بسند رفعه إلى [أبي] مصعب الزهري أنه قال: حضرت مجلس مالك بن أنس فسأله أبو مصعب عن السماع، فقال مالك: ما أدري، أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك ولا يقعدون عنه ولا ينكره إلا غبيٌّ جاهل أو ناسكٌ عراقي غليظ الطبع. وقال أيضا: أخبرنا أبو محمد التميمي ببغداد قال: سألت الشريف أبا علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال: ما أدري ما أقول فيه، غير أني حضرت دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلثمائة

(١) يترجح: يتمايل.

(٢) أبو مصعب: كنية أحمد بن أبي بكر الزهري المدني أحد رواة الموطأ عن الإمام مالك.

في دعوة عملها لأصحابه ؛ حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية ، وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعية ، وأبو الحسن طاهر بن الحسن شيخ أصحاب الحديث ، وأبو الحسن ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد ، وأبو عبد الله محمد بن مجاهد شيخ المتكلمين ، وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التيمي شيخ الحنابلة ؛ فقال أبو علي : لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة يشبه واحدا منهم ، ومعهم أبو عبد الله غلام تام ، وكان هذا يقرأ القرآن بصوت حسن ، وربما قال شيئا . فقليل له : قل لنا شيئا ؛ فقال لهم وهم يسمعون :

خَطَّتْ أَنَامِلُهَا فِي بطنِ قِرطاسٍ * رسالةً بغيرِ لا بأنقاسٍ^(١)
 أَن زُرَّ فِدَيْتِكَ لِي مِنْ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ^(٢) * فَإِنَّ حَبَّكَ لِي قَدْ شَاعَ فِي النَّاسِ
 فَكَانَ قَوْلِي لِمَنْ أَدَّى رِسَالَتَهَا * قَفَّ لِي لِأَمْشِي عَلَى الْعَيْنِينَ وَالرَّاسِ

قال أبو علي : فبعد أن رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا بإباحة .
 ومن أحب السماع والغناء وسمعه من الزهاد والعباد والعلماء أبو السائب المخزومي . روى أبو الفرج الأصبهاني بسنده إلى صفية بنت الزبير بن هشام قالت : كان أبو السائب المخزومي رجلا صالحا زاهدا متقللا يصوم الدهر ، وكان أرق خلق الله قلبا وأشدّهم غزلا . فوجه غلامه يوما يأتيه بما يُفطر عليه ، فأبطأ الغلام إلى العتمة . فلما جاء قال له : يا عدو نفسي ، ما أنكرت إلى هذا الوقت ؟ قال : اجتزت بباب فلان فسمعت منه غناء فوقفت حتى أخذته . فقال : هاته يا بُني ، فوالله لئن كنت أحسنت لأحبوك ، وإن كنت أسأت لأضربك . فَأَنْدَفَعَ يُغْنِي بِشَعْرٍ كَثِيرٍ :

(١) بأنقاس : جمع نقس وهو المداد . (٢) الذي في شرح الإحياء للسيد مرتضى :

* أن زرفديتك قف لي غير محتشم *

(٣) في الأغاني (ج ٧ ص ٣٠ طبع بولاق) : « ابنه » .

وَلَمَّا عَلَوْا شَغْبًا تَبَيَّنَتْ أَنَّهُ * تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ علائقُ
فَلَا زِلْنَ حَسْرَى ظُلَعًا لَمْ حَمَلْنَهَا * إِلَى بَلَدٍ نَاءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ

فلم يزل يغنيه ويستعيده الى نصف الليل . فقالت له زوجته : يا هذا ، قد آنتصف
الليل وما أفطرت . فقال لها : أنتِ الطلاقُ إن أفطرتنا على غيره . فلم يزل يغنيه
ويستعيده حتى أسحر . فقالت له : هذا السَّحَرُ وما أفطرتنا . فقال لها : أنتِ
الطلاق إن كان سَحُورنا غيره . ثم قال لأبنه : يا بُنَيَّ ، خذْ جُبَّتِي هذه وأعطني خَلَقَكَ
ليكون الحِباءُ فضلَ ما بينهما . فقال له : يا أبتِ ، أنت شيخ وأنا شاب وأنا أقوى
على البرد منك ، فقال له : يا بُنَيَّ ، ما ترك هذا الصوتُ للبرد على سبيل ما حييتُ .
ويؤيد هذه الحكاية ما حكاه أبو طالب المكي في كتابه ، قال : كان بعض
السامعين يقات بالسماع إيقوى به على زيادة طيِّه ، كان يطوى اليوم واليومين
والثلاثة ، فإذا تآقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع ، فأثار تواجدَه ، فأستغنى
بذلك عن الطعام .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبد الله بن أبي مُليكة عن أبيه عن جدّه قال :
كان بالمدينة رجل ناسك من أهل العلم والعفة ، وكان يَغْشَى عبد الله بن جعفر ، فسمع
جاريةً مُغْنِيَةً لبعض النخاسين تُغنى :

بانت سعادُ وأمسي حَبْلُها آنقطعا * وَأَحْتَلَّتِ الْغُورَ فَالْجَدَّينِ فَالْفَرَا
وَأُنْكِرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْت * مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَا
فهام الناسك وترك ما كان عليه ، حتى مشى إليه عطاء وطاوس ولاماه ، فكان جوابه
لها أن تمثل :

يلومني فيك أقوامٌ أَجَالَسُهُمْ * فَمَا أَبَالِي أَطَارَ اللَّوْمُ أَمْ وَقَعَا

(١) شغب : منهل بين طريق مصر والشام . (عن معجم ما استعجم للبكري) .

فبلغ عبد الله بن جعفر خبره، فبعث إلى النخاس، فأعرض الجارية وسمع غناءها بهذا الصوت وقال: ممن أخذته؟ قالت: من عزة الميلاء؛ فأبتاعها بأربعين ألف درهم. ثم بعث إلى الرجل فسأله عن خبرها فأعلمه إياه؛ فقال: أتحب أن تسمع هذا الصوت ممن أخذه عنه تلك الجارية؟ قال نعم. فدعا عزة الميلاء فقال: غني إياه. فغنته، فصعق الرجل [وخر] مغشياً عليه. فقال ابن جعفر: أئمننا فيه، الماء الماء! فنضح على وجهه. فلما أفاق قال له: أكل هذا بلغ بك عشقها؟ قال: وما خفي عليك أكثر. قال: أفتحب أن تسمعه منها؟ قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أحبها، فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكها! فأخرجها إليه وقال: خذها فهي لك؛ والله ما نظرت إليها إلا عن عريض. فقبل الرجل يديه ورجليه وقال: أئمت عيني، وأحييت نفسي، وتركنتي أعيش بين قومي، ورددت إلى عقلي، ودعاه دعاء كثيراً. فقال عبد الله: ما أَرْضَى أن أعطيكمها هكذا، يا غلام، آحمل معه مثل ثمنها، ففعل.

قال الغزالي رحمه الله في «إحياء علوم الدين»: كان ابن مجاهد لا يُجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع. قال: وكان أبو الخير العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع، وصنف فيه كتاباً ورد فيه على منكره. وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام، فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ قال: هو الصفا الزلال الذي لا تثبت عليه إلا أقدام العلماء.

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ١٦ ص ١٩ طبع بولاق).

(٢) الصفا: المريض من الحجارة الأملس.

وروى الأصفهاني بسند رفعه إلى ابن كُثَّاسة قال : اصطحب شيخ مع شاب
في سفينة في الفُرات ومعهم مغنية . فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ :
معنا جاريةٌ وهي تغني ، فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك ، فإن أذنتَ فعلنا . فقال :
أنا أصعدُ على أطلال السفينة^(١) ، فأصنعوا أتم ما شئتم ، فصعد وأخذت المغنية عودها
وغنت :

حتى إذا أصبح بدا ضوءه * وغابت الجوزاء والمرزم
أقبلت والوطء خفي كما * ينساب من مكته الأرقم^(٢)

فطرب الشيخ وصاح ، ثم رمى بنفسه وبثيابه في الفُرات وجعل يغوص ويطفو
ويقول : أنا الأرقم أنا الأرقم ! فآلقوا أنفسهم خلفه ، فبعد لأيٍ ما استخرجوه ،
وقالوا : يا شيخ ، ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : إليكم عني ، فإني أعيرف من معاني
الشعر ما لا تعرفون . فقالوا له : ما أصابك ؟ قال : دب من قدمي شيء إلى رأسي
كدبيب النمل ونزل من رأسي مثله ، فلما آجتمعا على قلبي عملت ما عملت .

وقال أحمد بن أبي دؤاد : كنت أعيبُ الغناء وأطعنُ على أهله ؛ فخرج المعتصم
يوماً إلى الشَّامِسيَّة في حَراقة ، ووجهه في طلي فصرتُ إليه . فلما قرُبْتُ منه سمعتُ
غناء حيرني وشغلتني عن كل شيء ، فسقط سوطي عن يدي ، فالتفت إلى غلامي
أطلب منه سوطاً ؛ فقال لي : قد والله سقط مني سوطي . فقلت له : أي شيء
كان سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعته فحيرني ، فما علمتُ كيف سقط ، فإذا
قصته قصتي . قال : وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفز الناس منه .

(١) في الأصل : « في ظلال السفينة » والتصويب عن الأغاني (ج ٤ ص ١٨ طبع دار الكتب

المصرية) والأطلال : جمع طلال ، وطلل السفينة : شراعها .

(٢) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ١٧١ طبع بولاق) وفي الأصل : « في » .

فيغلب على عقولهم ، وأُناظر المعتصم عليه . فلما دخلتُ عليه يومئذ أعلمته بالخبر ، فضحك وقال : هذا عمي كان يغنيني :

إن هذا الطويل من آل حَفِص * أنشَرَ المجدَ بعد ما كان ماتا
فإن تُبِتَ مما كنتَ تناظر عليه من ذم الغناء سألتَه أن يُعيدَه ، ففعلتُ وفعل ،
فبلغ بي الطربُ أكثر مما يبلغه من غيري ، ورجعتُ عن رأيي منذ ذلك اليوم .
وعمه الذي أشار إليه هو إبراهيم بن المهدي .

ذَكَرَ مَنْ غَنَى مِنَ الْخُلَفَاءِ وَأَبْنَائِهِمْ وَنُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتٌ
مِنَ الْغَنَاءِ نَقَلْتُ عَنْهُ

كان مَنْ غَنَى مِنَ الْخُلَفَاءِ — على ما أورده أبو الفرج الأصفهاني في كتابه المترجم
«بالأغاني» — ونُسِبَتْ لَهُ أَصْوَاتٌ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدْ نُسِبَتْ لَهُ
أَصْوَاتٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ . وَلَعَلَّ مَا نَقَلَ عَنْهُ كَانَ مِنْهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ . وَكَانَ
رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا . فَكَانَ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ :

عَلَقَ الْقَلْبُ سُعَادًا * عَادَتِ الْقَلْبَ فَعَادَا
كُلَّمَا عُوتِبَ فِيهَا * أَوْ نُهِى عَنْهَا تَمَادَى
وَهُوَ مَشْغُوفٌ بِسُعْدَى * وَعَصَى فِيهَا وَزَادَا

وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَاءِ مَا قِيلَ إِنَّهُ غَنَاهُ مِنْ شَعْرِ جَرِير :
قِفَا يَا صَاحِبِي نَزْرُ سُعَادَا * لَوْ شِئْتُ فِرَاقَهَا وَدَعَا الْبِعَادَا^(١)

(١) ورد هذا البيت في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش هكذا :
ألمأ صاحبي نزر سعادا * لقرب مزارها وذرا البعادا

٢٠ وورد هكذا أيضا في الأغاني (ج ٨ ص ١٥٠) عدا الشطر الثاني فانه هكذا :
* لوشك فراقها وذرا البعادا *

لَعَمْرُكَ إِنَّ نَفْعَ سَعَادَ عَنِّي * لمصروف ونفعي عن سعادا

إلى الفاروق يَنْتَسِبُ ^(١)أَبْنُ لَيْلَى * ومَرْوَان الذي رفع العبادا

ومن ذلك ما قيل إنه غناه من شعر الأشهب بن رَمِيلَةَ ^(٢):

أَلَا يَا دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سَلِيمِي * كما قد دِينَ قَلْبُكَ مِنْ سَعَادَا

هَمَّا سَبَتَا الْفَوَادَ وَهَاضَتَاهُ * ولم يُدْرِكْ بِذَلِكَ مَا أَرَادَا

قِفَا نَعْرِفْ مَنَازِلَ مِنْ سُلَيْمِي * دَوَارِسَ بَيْنَ حَوْمَلٍ أَوْ عُرَادَا

ذَكَرْتُ لَهَا الشَّبَابَ وَآلَ لَيْلَى * فلم يزد الشَّبابُ بِهَا مَزَادَا

فَإِنْ تَشَبَّ الذَّوَابُ أُمَّ عَمْرُو * فَقَدْ لَاقَيْتُ أَيَّامَا شَدَادَا

ومَنْ غَنَى مِنْ خُلَفَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، مِمَّنْ دُونَتْ لَهُ صِنْعَةٌ، الْوَائِقُ بِاللَّهِ

أَبُو جَعْفَرٍ هَارُونَ بْنُ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ بْنِ الرَّشِيدِ. حَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ

إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا دَارَ الْوَائِقِ بِاللَّهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِلَى مَوْضِعٍ

أَمَرَ أَنْ أَدْخُلَهُ إِذَا كَانَ جَالِسًا، فَسَمِعْتُ صَوْتَ عُودٍ مِنْ بَيْتٍ وَتَرَنُّمًا لَمْ أَسْمَعْ أَحْسَنَ

مِنْهُ. فَأُطْلِعَ خَادِمُ رَأْسِهِ ثُمَّ رَدَّه وَصَاحَ بِي، فَدَخَلْتُ وَإِذَا أَنَا بِالْوَائِقِ بِاللَّهِ. فَقَالَ:

أَيُّ شَيْءٍ سَمِعْتَ؟ فَقُلْتُ: الطَّلَاقُ كَامِلٌ لِأَزْمٍ لَهُ وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لَهُ حَرٌّ، لَقَدْ سَمِعْتُ

مَا لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُ قَطُّ حُسْنًا! فَضَحِكُ وَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ إِنَّمَا هَذِهِ فَضْلَةٌ أَدَبٍ وَعِلْمٍ

مَدَحَهُ الْأَوَائِلُ وَآشْتَهَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعُونَ بَعْدَهُمْ وَكَثُرَ

فِي حَرَمِ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ وَمُهَاجَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَجِبُّ أَنْ تَسْمِعَهُ؟

قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ الَّذِي شَرَّفَنِي بِخُطَابِكَ وَجَمِيلِ رَأْيِكَ. فَقَالَ: يَا غَلَامُ، هَاتِ الْعُودَ وَأَعْطِ

(١) فِي الْأَصْلِ: "لَبْنَى". وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي وَالْدِيَوَانِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: رِسْلَةٌ. وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْأَغَانِي (ج ٨ ص ١٥٨).

(٣) فِي الْأَغَانِي (ج ٨ ص ١٥٨): «وَأَصْبَنَاهُ».

إسحاق رطلا؛ فدفَعَ الرطل إلى وضرب وغنى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعه فيه :
 أَصَحْتُ قَبْرَهُمْ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِمْ * تَسْفِي عَلَيْهَا الصَّبَا وَالْحَرْجُفُ الشَّيْلُ
 لَا يَدْفَعُونَ هَوَامًّا عَنْ وُجُوهِهِمْ * كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ بِالْقَاعِ مُنْجِدِلُ
 فشربتُ الرطل ثم قمتُ . فدعوتُ له ، فأحتسبني وقال : أتشتهى أن تسمعه
 بالله ؟ فقلتُ : إى والله ، فغنّانيه ثانية وثالثة ، وصاح ببعض خدمه وقال : إحمل
 إلى إسحاق الساعة ثلاثمائة ألف درهم . قال : يا إسحاق ، قد سمعت ثلاثة أصوات
 وشربت ثلاثة أرطال وأخذت ثلاثمائة ألف درهم ، فأنصرف إلى أهلك مسرورا
 ليسرّوا معك ، فأنصرفتُ بالمال . وقال أبو الفرج بسنده إلى غريب المأمونية
 قالت : صنع الوراق بالله مائة صوت ما فيها صوت ساقط . ولقد صنع في هذا
 الشعر :

هل تعلمين وراء الحب منزلةً * تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنْ الْحَبُّ أَقْصَانِي
 هَذَا كِتَابٌ فَتَى طَالَتْ بَلِيَّتُهُ * يَقُولُ يَأْمُشْتَكِي بَنَى وَأَحْزَانِي

قال : وكان الوراق بالله إذا أراد أن يعرض صنعه على إسحاق نسبها إلى غيره
 فقال : وقع إلينا صوتٌ قديمٌ من بعض العجائز فآسمعه ، وأمر من يغنيه إياه . وكان
 إسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في ذلك أشدَّ أخذًا ، فإن كان جيّدًا رَضِيَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ ١٥
 وإن كان فاسدًا أو مُطَرِّحًا أو متوسّطًا ذكر ما فيه . فإن كان للوراق فيه هوى سألَه
 تقويمه وإصلاح فاسده وإلا أطرحه . وقال إسحاق بن إبراهيم : كان الوراق أعلم
 الناس بالغناء ، وبلغت صنعه مائة صوت ، وكان أحذق من غنى بضرب العود ، ثم
 ذكر أغانيه . وذكر أبو الفرج الأصفهاني منها أصواتا ؛ منها :

وَلَمْ أَرِ لَيْلَى غَيْرَ مَوْقِفٍ لَيْلَةٍ * بِخَيْفٍ مَنَى تَرْمِي جِمَارَ الْمُحَصَّبِ ٢٠
 وَيُبْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا خَدَقَتْ بِهِ * مِنَ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ

ألا إنما غادرت يا أم مالك * صدى أينما تذهب به الريح يذهب
وأصبحت من ليلى الغداة كناظر * مع الصبح فى أعجاز نجم مغرب
وذكر أصواتا كثيرة غير هذا تركنا ذكرها اختصارا .

- قال : ولما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواثق . فوجه الواثق إلى
الجلساء والمغنين أن يكرّوا إليه يوما حدّه لهم ، ووجه إلى إسحاق ، فحضر الجميع .
فقال لهم الواثق : إني عزمت على الصّبح ، ولست أجلس على سرير حتى أختلط
بكم ونكون كالشئ الواحد ، فأجلسوا معى حلقة ، وليكن إلى جانب كلّ جليس
مغنّ ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ ، فأخذ العود فغنّى وشربوا وغنى من
بعده ، حتى انتهى إلى إسحاق وأعطى العود فلم يأخذه ، فقال : دعوه . ثم غنّوا
دورا آخر ، فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغنّ وفعل ذلك ثلاث مرّات . فوثب
الواثق بفلس على سريره وأمر بالناس فأدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلس . ثم
قال : على بإسحاق . فلما رآه قال : يا خوزى^(٢) يا كلب ، أتبدّل لك وأغنى فتترفع
على ! أترانى لو قتلتك كان المعتصم يقيدنى بك ! ابطّحوه ، فبطّح وضرب ثلاثين
مِقرة ضربا خفيفا وحلف لا يغنى سائر يومه سواه ، فأعذر وتكلّمت الجماعة فيه ،
فأخذ العود ، وما زال يغنى حتى أنقضى مجلسه . وللواثق بالله فى الغناء أخبار
وحكايات يطول بذكرها الشرح .

ومنهم المنتصر بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله أبو الفضل جعفر .
قال يزيد المهلبى : كان المنتصر حسن العلم بالغناء ، وكان إذا قال الشعر صنع فيه

(٨٥)

(١) الخوزى : نسبة الى الخوز ، وهى بلاد خوزستان ، وأهلها الأمّ الناس وأسقطهم نفسا ، كما

جاء فى معجم البلدان لياقوت .

وأمر المغنين بإظهاره . فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ماتقدم منه ؛ فلذلك لم تظهر أغانيه .

ومنهم المعتز بالله أبو عبد الله محمد بن جعفر المتوكل . ذكر أيضا أنه كان يغنى أصواتا . فما غنى به في شعر عدى بن الرقاع :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرْتُ^(١) خَيْلُنَا * بِأَكْافٍ دِجَالَةٍ لِلْمُصْعَبِ
فَمَنْ يَكُ مَنَايَيْتَ آمَنَا * وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرُبُ

وهذه الأبيات من قصيدة لعدى بن الرقاع قالها في الواقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومُصْعَب بن الزبير وقتل فيها مصعب بن الزبير، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار عبد الله بن الزبير .

ومنهم المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل على الله . هو ممن له يدٌ في الغناء وصنعةٌ حسنة . ومما نُقِلَ من أغانيه أنه غنى في شعر الفرزدق :

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتِرًا * مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانًا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : إن المعتضد جمع النغم العشر في صوت صنعه في شعر دُرَيْد بن الصَّمَّة وهو :

بِالْيَتْنِي فِيهَا جَدَّعُ * أَخْبَّ فِيهَا وَأَضَعُ

قال : وأستعلمني هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا ، فعترفه صحته ودلته على ذلك حتى تيقنه فسربه . قال عبيد الله : وهو لعمري من جيد الصنعة ونادرها . قال : وقد صنع الحانًا في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمحدثين^(٣)

(١) أصحرت : برزت إلى الصحراء .

(٢) من هنا ابتداء المؤلف في الحديث عن المعتضد الذي هو ابن المعتمد ولم يترجم له كما فعل في سابقه

(٣) كذا في كتاب الأغاني (ج ٩ ص ٢٠) وفي الأصل : « في هذه الأشعار صنع » الخ .

وعارضهم بصنعتيه فأحسن وشا كل وضاهى فلم يعجز ولا قصر، ولا أتى بشيء يُعْتَذَر منه . قال : فمن ذلك أنه صنع في قول الشاعر :

أما القطة فإني سوف أنعتها * نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

فإفاء في نهاية الجودة وهو أحسن ما صنّع في هذا الشعر على كثرة الصنعة فيه وأشتراك القدماء والمحدثين في صنعته مثل معبد ونشيط ومالك وابن محرز وسنان وعمر الوادي وابن جامع وإبراهيم وآبنة إسحاق وعلويه .

قال : وصنع في :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرَى لَمَّا جَهَدَتْهُ * وَيَبْنَ لو يَسْطِيعُ أن يَتَكَلَّمَا

فما قصر في صنعته ولا عجز عن بلوغ الغاية فيها مع أصوات له صنعها تنأهز مائة صوت ما فيها ساقط ولا مردول . فهؤلاء الذين لهم صنعة في الغناء من الخلفاء .



وأما أبناء الخلفاء الذين لهم صنعة ويد في هذا الفن .

فمنهم إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيَّة بنت المهدي رحمهما الله تعالى، وإبراهيم يكنى أبا إسحاق أمه شَكْلَة أمة مولدة كان أبوها من أصحاب المازيار يقال له : شاه أفرند قتل مع المازيار وسُيِّت شَكْلَة فحُمِلت إلى المنصور فوهبها لمُحْيَاة أم ولده فربتها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك، فلما كبرت رُدَّت إليها . فرآها المهدي فأعجبته فطلبها من مُحْيَاة فأعطته إياها فولدت له إبراهيم .

(١) كذا بالأصل والأغاني (ج ٩ ص ٤٩) وفي الطبري : شكلة أم إبراهيم بن المهدي وهي بنت

خرناسان قهرمان المصغفان ؛ وكتب مصححه : خربادان ، (أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب القمم

الثالث ص ١٤٠ طبع أوربا) .

قال أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم قال :

كان إبراهيم بن المهديّ أشدَّ خلق الله إعظاماً للغناء وأحرصهم عليه وأشدَّهم منافسةً فيه . قال : وكانت صنعتُه لينةً فكان إذا صنع شيئاً نسبته إلى غيره لئلا يقع عليه طعن أو تقريع فَقَلَّتْ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها . وكان إذا قيل له فيها شيء يقول : إنما أصنع تطرباً لا تكسباً وأغنى لنفسى لا للناس فأعمل ما أشتى .
قال : وكان حُسن صوته يستر عوَارَ ذلك . وكان الناس يقولون : لم يُرَ في جاهليَّة ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهديّ وأخته عُلَيَّة . وكان إبراهيم يجادل إسحاق ويأخذ عليه في مواطن كثيرة إلا أنه كان لا يقوم له ^(١) ويظهر إسحاق خطاه . ووقع بينهما في ذلك بين يدي الرشيد وفي مجلسه كلام كثير أفضى إلى أمور نذكرها إن شاء الله تعالى في أخبار إسحاق بن إبراهيم .

وكان إبراهيم بن المهديّ في أول أمره يتستر في الغناء بعض التستر إلا أنه يذكره في مجلس الرشيد أخيه . فلما كان من أمره في الوثوب على الخلافة ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة العباسية عند ذكرنا لخلافة المأمون بن الرشيد ، ثم [لمّا] أتمه المأمون بعد هربه منه تهتّك بالغناء ومشى مع المغنين ليلاً إذا خرجوا من عند المأمون ، وإنما أراد المأمون بذلك ليظهر للناس أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عنقه وأنه تهتّك فلا يصلح للخلافة . وكان من أعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً . وكان مع غلمه وطبعه ومعرفته يقصّر عن الغناء القديم وعن أن ينحوه في صنعته . فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « لا يقوم به » وهو تصحيف .

(٢) زيادة يقتضها السياق .

ويحققها على قدر ما يصلح له ويفي بأدائه فاذا عيب ذلك عليه قال : أنا ملك وأبن ملك وإنما أغنى على ما أشتهى وكما ألتذ . فهو أول من أفسد الغناء القديم .

وروى عن حمدون بن إسماعيل قال : قال إبراهيم بن المهدي : لولا أنني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت منها ما يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبلي مثلي .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن جعفر بن سليمان الهاشمي قال : حدثنا إبراهيم بن المهدي قال :

دخلت يوما على الرشيد وبي فضلة^(١) نحر و بين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي فقال : بحياتي يا إبراهيم غن ، فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفضلة فغنيت :

أسرى بخالدة^(٢) الخيال ولا أرى * شيئا ألد من الخيال الطارق
إن البلية من تمل حديثه * فأنقع فؤادك من حديث الواقع
أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل * منذ بنت قلبي كالحنّاج الحافق
شوقاً إليك ولم تجاز مودتي * ليس المكذب كالحبيب الصادق

فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا خبزاً أبداً فقال ابن جامع : صدقت ، فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت : خذا في حقكما ودعا باطلنا .

وروى عن إبراهيم قال :

كان الرشيد يحب أن يسمعي نغلا بي مرّات إلى أن سمعني ، ثم حضرته مرّة

(١) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ٥٠) وفي الأصل : « طربة نحر » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « لخالدة » باللام .

وعنده سليمان بن أبي جعفر فقال لي : عمك وسيّد ولد المنصور بعد أبيك وقد أحب
أن يسمعك ، فلم يتركني حتى غنيت بين يديه :

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رَبْعٍ بَذَى سَلَمَ * وَلِلزَّمانِ بِهِ إِذْ ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذْ أَنْتِ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ * وَإِذَا أُجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِي^(١)

فأمر لي بألف ألف درهم ، ثم قال لي ليلة ولم يبق في المجلس عنده إلا جعفر
ابن يحيى : أنا أحب أن تُشرف جعفرًا بأن تُغنيّه صوتًا فغنيتُه لحنا صنعتُه في شعر
الدَّارِمِيِّ :

كَأَنَّ صُورَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصِفْتَ * دِينَارُ عَيْنٍ مِنْ الْمَضْرُوبَةِ الْعُتْقِ
فَأَمَرَ لِي الرَّشِيدُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَحِكِي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : لَمَّا صَنَعْتَ صَوْتِي الَّذِي هُوَ :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا * وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أُرِدَ * تَ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبًا
وَأَعْتَرَفْنَا بِمَا آدَعِي * تَ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا
فَأَفْعَلْ الْآنَ مَا أُرِدَ * تَ فَقَدْ جِئْتُ تَائِبًا

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب إلي يسألني عنه ، فكتبتُ إليه الشعر
وإيقاعه وبسيطه ومجراه وإصبعه وتجزئته وأقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه
ومقادير أدواره وأوزانه فغناه ثم لقيني فغنانيه ، ففضلني فيه بحسن صوته .

وقال ابن أبي طيبة : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحج فاطرب .

(١) السادر : المنحير ، والرسن : الحبل .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « وبساطه » وهو تحريف . ٢٠

وعن محمد بن خير عن عبد الله بن العباس الربيعي قال :

كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل محسن من المغنين يومئذ وهو جالس يلعب أحدهم بالشطرنج فترنم إبراهيم بصوت فريدة في شعر أبي العتاهية :

قال لي أحمد ولم يدر ما بي * أتحب الغداة عبّة حقا

فتنفست ثم قلت نعم حبا جرى في العروق عرقا فعرقا ٥

(١) فلما فرغ ترنم به مخارق فأحسن فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ، فغناه إبراهيم وزاد في صوته على غناء مخارق . فلما فرغ رده مخارق وغناه بصوته كله وتحفظ فيه وكدنا نظير سرورا . فاستوى إبراهيم جالسا وكان متكا وغناه بصوته كله ووقاه نغمه وشدوره ونظرت إلى كتفيه تهتران وبدنه أجمع يتحرك إلى أن فرغ منه ومخارق شاخص نحوه يرعد وقد أنتقع لونه وأصابعه تختلج نخيل إلى أن الإيوان يسير بنا ، فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبل يده وقال : جعلني الله فداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقيّة يومه في شيء من غنائه ، والله لكأنما كان يتحدث .

وروي عن منصور بن المهدي قال :

كنت عند أخي إبراهيم في يوم كانت عليه فيه نوبة لمحمد الأمين ، فتشاغل بالشرب في بيته ولم يمض ، وأرسل إليه الأمين عدّة رسل فتأخر . قال منصور : فلما كان من غد قال لي : ينبغي أن نعمل على الرواح إلى أمير المؤمنين فنثرضاه ، فما أشك في غضبه علينا . فمضينا فسألنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حير الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار . فدخلنا ، وكان طريقنا على

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « يكي » وهو تحريف .

٢٠ (٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فأطربه » .

(٣) كذا في الأغاني . والحير : شبه الحظيرة . وفي الأصل : « حاشر الوحش » وهو تحريف .

مُحَجَّرَةٌ تُصْنَعُ فِيهَا الْمَلَاهِي ، فَقَالَ لِي : اذْهَبْ فَاخْتَرِ مِنْهَا عَوْدًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْهُ غَايَةً
إِلِصَّاحًا حَتَّى لَا يُحْتَاجَ إِلَى إِصْلَاحِهِ وَتَغْيِيرِهِ عِنْدَ الضَّرْبِ بِهِ ، فَفَعَلْتُ وَجَعَلْتُهُ
فِي كُمِّي . وَدَخَلْنَا عَلَى الْأَمِينِ وَظَهَّرَهُ إِلَيْنَا . فَلَمَّا بَصُرْنَا بِهِ مِنْ بُعِيدٍ قَالَ : أَنْخْرِجْ
عَوْدَكَ فَأَخْرَجْتَهُ ، فَانْدَفَعَ يُغْنِي :

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ * وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
لِكِي يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي أَمْرُو * أَتَيْتُ الْفُتُوَّةَ مِنْ بَابِهَا
وَشَاهَدْنَا الْوَرْدَ وَالْيَاسِمِيَّةَ * نِ وَالْمُسْتَمِيعَاتِ بِقُصَابِهَا
وَبَرَبَطُنَا دَائِمٌ مُعْمَلٌ * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزَرَى بِهَا

٨٧

فَاسْتَوَى الْأَمِينُ جَالِسًا وَطَرِبَ طَرَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا عَمَّ
وَأَحْيَيْتَ لِي طَرِبًا . وَدَعَا بِرِطْلٍ فَشَرِبَ بِهِ عَلَى التَّرِيقِ وَابْتَدَأَ شَرْبَهُ . قَالَ مَنْصُورٌ :
وَعَنَى إِبْرَاهِيمُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَشَدِّ طَبَقَةٍ يُتَنَاهَى إِلَيْهَا فِي الْعَوْدِ ، وَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ
غَنَائِهِ يَوْمَئِذٍ قَطُّ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ :
كَانَ إِذَا ابْتَدَأَ يُغْنِي صَغَبَتِ الْوُحُوشُ إِلَيْهِ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا ، وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو حَتَّى تَكَادَ
تَضَعُ رُءُوسَهَا عَلَى الدُّكَّانِ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ ، فَإِذَا سَكَتَ نَفَرْتُ وَبَعُدْتُ عَنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ
إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ يُمْكِنُهَا التَّبَاعُدُ عَنَّا فِيهَا ، وَجَعَلَ الْأَمِينُ يَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ . وَأَنْصَرَفْنَا مِنْ
الْخَوَائِزِ بِمَا لَمْ يُنْصَرَفْ بِمِثْلِهِ قَطُّ .

وَعَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَبَاحٍ قَالَ :

كُنْتُ أَسْأَلُ مُجَارِقًا : أَيُّ النَّاسِ أَحْسَنُ غَنَاءً ؟ فَكَانَ يُجِيبُنِي جَوَابًا مُجْمَلًا ، حَتَّى

(١) فِي الْأَغَانِي وَاللَّسَانِ : « وَشَاهَدْنَا الْجُلَّ » . وَقَالَ صَاحِبُ اللَّسَانِ : وَالْجُلُّ الَّذِي فِي شَعْرِ

الْأَعَشَى هُوَ الْوَرْدُ ، فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ . (٢) الْقَصَابُ : الْأَوْتَارُ الَّتِي سَوَّيْتُ مِنَ الْأَمْعَاءِ . وَقِيلَ :

جَمْعُ قَاصِبٍ وَهُوَ الزَّامِرُ . (٣) الْبَرَبُطُ : الْعَوْدُ .

(٤) فِي الْأَغَانِي (ج ٩ ص ٥٦ طبع بولاق) : « وَامْتَدَّ فِي شَرْبِهِ » .

حققت عليه يوما فقال : كان إبراهيم الموصلي أحسن غناء من آبن جامع بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناء مني بعشر طبقات . ثم قال لي : أحسن الناس غناء أحسنهم صوتا . وإبراهيم بن المهدي أحسن الإنس والجن والوحش والطير صوتا ، وحسبك هذا ! .

و عن إسحاق بن إبراهيم قال :
غنى إبراهيم بن المهدي ليلة محمدا الأمين صوتا لم أرضه في شعر لأبي نواس ،
وهو :

يا كثير النوح في الدمن * لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة * فإذا أحببت فاستنين^(١)
ظن بي من قد كلفت به * فهو يحفوني على الظن
رشا لولا ملاحظته * خلت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلاثمائة ألف دينار . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين . أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم ! فقال : وهل هي إلا خراج بعض الكور . هكذا رواه إسحاق ، وقد حكيت هذه الحكاية عن محمد بن الحارث ، وفيها أن إبراهيم لما أراد الانصراف قال : أوقروا زورق عمي دنانير فأوقروه ، فأنصرف بمال جليل .
قال : وكان محمد بن موسى المنجم يقول : حكمت أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناء ببرهان ، وذلك أنني كنت أراه في مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغني ، فإذا ابتدأ بالصوت لم يبق من الغلمان أحد إلا ترك ما في يديه وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغيا إليه لاهيا عما

(١) في الأغاني : « فاستكن » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « بعض الكوفة » وهو تحريف .

كان فيه ما دام يغنى ، حتى إذا أمسك وتغنى غيره رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه ولم ينبعثوا إلى شيء . فلا برهان أقوى من هذا [في مثل هذا من] شهادة الفطن به واتفاق الطبائع مع اختلافها وتشعب طرقها على الميل اليه والانقياد نحوه .

ولإبراهيم بن المهدي أصوات معروفة . منها ما غناه بشعر مروان بن أبي حفصة :

هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة من ربكم * جبريل بلغها النبي فقلها

طرقك زائرة فخي خيالها * زهراء تخلط بالدلال جمالها

وأما عليّة بنت المهدي . فقد قيل : ما اجتمع في جاهليّة ولا إسلام أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة . وروى عن أبي أحمد ابن الرشيد قال : كنت يوما بحضرة المأمون وهو يشرب ، ثم قام وقال لي : قم ، فدخل دار الحرم ودخلت معه ، فسمعت غناء أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أتأخر ، وفطن المأمون لما بي فضحك وقال : هذه عمّتك عليّة تطارح عمك إبراهيم .

قال أبو الفرج : وأُم عليّة أم ولد مغنية يقال لها مكنونة ، كانت من جوارى المروانية المغنية . والمروانية هذه ليست من آل مروان بن الحكم ، وإنما هي زوجة الحسن بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس . وكانت مكنونة من أحسن جوارى المدينة وجهًا ، وكانت رسحاء^(٢) ، وكانت حسنة البطن والصدر . فاشترت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغلبت عليه حتى كانت الخيزران تقول : ما ملك

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٩ ص ٧٢ طبع بولاق) .

(٢) رسحاء : قليلة لحم العجيزة .

أُمَّةً أَغْلَظَ عَلَىٰ مِنْهَا . وَلَمَّا اشْتَرَيْتُ لِلْمَهْدِيِّ سِتْرَ أَمْرَها عَنْ أَبِيهِ الْمَنْصُورِ حَتَّى مَاتَ ،
وَوَلَدْتُ لِلْمَهْدِيِّ عَلِيَّةً هَذِهِ .

وَكَانَتْ عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ وَأَظْرَفِهِمْ ، تَقُولُ الشَّعْرَ الْجَيِّدَ
وَتَصُوغُ فِيهِ الْأَلْحَانَ الْحَسَنَةَ . وَكَانَ فِي جَبِينِهَا فَضْلٌ سَعَةٌ ، فَاتَّخَذَتْ الْعَصَائِبَ
الْمُكَلَّلَةَ بِالْجَوْهَرِ لِتُسْتَرَّ بِهَا جَبِينُهَا ؛ فَهِيَ أَقُولُ مِنْ أَحَدِثِ ذَلِكَ .

قَالَ : وَكَانَتْ عَلِيَّةُ حَسَنَةَ الدِّينِ ، وَكَانَتْ لَا تَغْنَى وَلَا تَشْرَبُ النَّبِيذَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مُعْتَرِلةَ الصَّلَاةِ ؛ فَإِذَا طَهَّرَتْ أَقْبَلَتْ عَلَى الصَّلَاةِ وَقَرَأَةَ الْقُرْآنَ وَقَرَأَةَ الْكُتُبِ . وَلَمْ تَلَهُ
بَشَيْءٍ غَيْرَ قَوْلِ الشَّعْرِ فِي الْأَحْيَانِ ، إِلَّا أَنْ يَدْعُوها الْخَلِيفَةُ إِلَى شَيْءٍ فَلَا تَقْدِرُ عَلَى
خِلَافِهِ . وَكَانَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ تَقُولُ : مَا حَرَّمَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ جَعَلَ فِيهَا حَلًّا مِنْهُ
عَوَضًا ، فَبَأَى شَيْءٌ يَحْتَجُّ عَاصِيَهُ وَالْمُنْتَهَكِ حُرْمَاتِهِ ! . وَكَانَتْ تَقُولُ : لَا غَفَرَ اللَّهُ لِي
فَاحْشَةَ أَرْتَكِبُهَا قَطُّ ، وَمَا أَقُولُ فِي شَعْرِي إِلَّا عِبْنًا .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ هُرَيْرٍ قَالَ : كَانَتْ عَلِيَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ تَحِبُّ أَنْ تُرَاسَلَ بِالْأَشْعَارِ
مِنْ تَخْتَصُّهُ ، فَأَخْتَصَّتْ خَادِمًا يَقَالُ لَهُ طَلٌّ مِنْ خَدَمِ الرَّشِيدِ ، تُرَاسِلُهُ بِالشَّعْرِ . فَلَمْ تَرَهُ
أَيَّامًا ، فَحَشَتْ عَلَى مِيزَابٍ وَحَدَّثَتْهُ ثُمَّ قَالَتْ فِي ذَلِكَ :

قَدْ كَانَ مَا كَلَّفْتُهُ زَمَنًا * يَاطْلُ مِنْ وَجْدٍ بِكُمْ يَكْفِي
حَتَّى أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَجَلًا * أَمْشِي عَلَى حَتْفٍ إِلَى حَتْفِي^(١)

خَلَفَ عَلَيْهَا الرَّشِيدُ إِلَّا تُكَلِّمُ طَلًّا وَلَا تُسَمِّيهِ بِأَسْمِهِ ، فَضَمِنْتَ لَهُ ذَلِكَ . وَاسْتَمَعَ
عَلَيْهَا يَوْمًا وَهِيَ تَقْرَأُ آخِرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَنْصِبْهَا
وَأَبْلُ ﴾ فَأَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ : (فَطَلٌّ) فَقَالَتْ : فَالَّذِي نَهَى عَنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَدَخَلَ

(١) فِي الْأَصْلِ : " أَمْشِي عَلَى حَتْفِي إِلَى حَتْفِي " .

الرشيد فقبل رأسها وقال : قد وهبتُ لكِ طأً ولا أَمْنِكِ بعدها من شيءٍ تُريدينه .
ولها في طلّ هذا عدّة أشعار صنعت فيها ألحانا ، وكانت في بعضها تصحّف اسمه وتكُنّي
عنه بغيره . وكانت أيضا تقول الشعر في خادم لها يقال له : رَشَا وتكُنّي عنه بزَيْنَب .
فمن شعرها فيه :

وَجَدَ الْفَوَادُ بَزَيْنَبَا * وَجَدَا شَدِيدًا مُتَعَبَا
أَصْبَحْتُ مِنْ كَلَفِهَا * أَدْعَى شَقِيًّا مُنْصَبَا
وَلَقَدْ كَنَيْتُ عَنْ أَسْمَها * عَمْدًا لَكِي لَا تَغْضَبَا
وَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُتْرَةً * وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجَبَا
قَالَتْ وَقَدْ عَزَّ الْوَصَا * لَوْلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا
وَاللَّهِ لَا نِلْتَ الْمَوْدَةَ أَوْ تَنَالَ الْكُوكَبَا

فصحفتُ اسمه في قولها : ” زَيْنَبَا “ ، وهذا من الجناس الخطي . قال : وكانت لأُم
جعفر جارية يقال لها طُغْيَانُ ، فوشّت بعلية إلى رَشَا وحكت عنها ما لم تقل .
فقالت عليه :

لِطُغْيَانَ خُفُّ مَدَّ ثَلَاثِينَ حِجَّةً * جَدِيدٌ فَلَا يَبْلَى وَلَا يَتَخَرَّقُ
وَكَيْفَ يَبْلَى خُفٌّ هُوَ الدَّهْرُ كُلُّهُ * عَلَى قَدَمَيْهَا فِي السَّمَاءِ مَعْلَقُ^(١)
فَمَا تَحَرَّقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبْلِ جُورَبَا * وَأَمَّا سَرَاوِيلَاتُهَا فَتَمَزَّقُ
وَرُوي عن أبي هَفَّانَ قَالَ :

أَهْدَيْتُ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةً فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ، نَحَلًا مَعَهَا يَوْمًا وَأَخْرَجَ كُلَّ قَيْنَةٍ فِي دَارِهِ
وَأَصْطَبَحَ . وَكَانَ مِنْ حَضَرَ مِنْ جَوَارِيهِ الْغَنَاءَ وَالْخِدْمَةَ فِي الشَّرَابِ زُهَاءُ أَلْفَى جَارِيَةٍ
فِي أَحْسَنِ زِيٍّ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ وَالْجَوْهَرِ . وَاتَّصَلَ الْخَبْرُ بِأُمِّ جَعْفَرٍ

(١) رواية الأغاني (ج ٩ ص ٨٥ طبع بولاق) : ” في الهواء “ .

فعظم عليها ذلك ، فأرسلت إلى عليّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليّة : لا يهولنك هذا ، والله لأردّته إليك . قد عزمْتُ أن أضع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارِي ، فلا تُبقي عندك جاريةً إلّا بعثت بها إلىّ وألبسينّ أنواع الثياب ليأخذن الصوت مع جوارِي ، ففعلت أمّ جعفر ما أمرتها به . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعليّة وأمّ جعفر قد خرجتا إليه من حُجرتيهما معهما زهاء ألفي جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر عليهنّ غرائب اللباس وكلهنّ في لحن واحد هنّج صنعته عليّة وهو :

مُنْفِصِلٌ عَنِّي وما * قلبي عنه مُنْفِصِلٌ
يا هاجري اليوم لمن * نويت بعدى أن تصِلُ

فطرب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أمّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور ، وقال : لم أركاليوم قط . يا مسرور ، لا تُبقيين في بيت المال درهمًا إلّا نثرته . فكان ما نُثر يومئذ ستة آلاف ألف درهم ، وما سُمِعَ بمثل ذلك اليوم .

وروى عن عريب أنها قالت : أحسن يوم رأيته في الدنيا وأطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته عليّة وعندها أخوها يعقوب بن المهديّ ، وكان أحذق الناس بالزمر . فبدأت عليّة فغنت من صنعتهما وأخوها يعقوب يزمر عليها :

تَجَبُّ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ * وكم من بعيد الدار مُسْتَوْجِبُ الْقَرَبِ
تَبَصَّرْ فَإِنْ حَدَّثَتْ أَنَّ أَخَا هَوَى * نجا سالمًا فارجُ النجاة من الحبِّ
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا * فأين حلاوات الرسائل والكُتُبِ

وغنى إبراهيم في صنعته وزمر عليه يعقوب :

لم يُنْسِنِكَ سرورٌ لا ولا حزنٌ * وكيف لا ، كيف يُنسى وجهك الحسنُ
ولا خلا منك قلبي لا ولا جسدي * كلّي بكلك مشغولٌ ومرتهنٌ

يا فردة الحُسنِ مالى منك مذكَلَفْتُ * نفسى بِحُبِّكَ إِلاَّ الهُمُّ والحَزَنُ

نُورٌ تَوَلَّدَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ * حَتَّى تَكَامِلَ فِيكَ الرُّوحُ ^(١) وَالْبَدَنُ

قالت عَرِيبُ : فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ مَا سَمِعْتُ مِنْهَا قَطُّ وَأَعْلَمُ أَنِّى لَا أَسْمَعُ مِثْلَهُ أَبَدًا .

(٨٩)

وَرَوَى عَنْ خَشْفِ الْوَاضِحَةِ قَالَتْ : تَمَارَيْتُ أَنَا وَعَرِيبُ فِي غِنَاءِ عَلِيَّةَ بِحَضْرَةِ

الْمُتَوَكِّلِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ . فَقُلْتُ أَنَا : هِيَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ صَوْتًا ، وَقَالَتْ عَرِيبُ :

هِيَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ صَوْتًا . فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ : غِنَاءُ غِنَاءِهَا ، فَلَمْ أَزَلْ أُغْنِي غِنَاءَهَا حَتَّى

مَضَى اثْنَانِ وَسَبْعُونَ صَوْتًا ، وَلَمْ أَدْرِ الثَّلَاثَ وَالسَّبْعِينَ . قَالَتْ : فَتَقَطَّعَ بِي

وَأَسْتَعَلْتُ عَرِيبَ وَأَنْكَسَرْتُ . قَالَتْ خَشْفُ : فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ رَأَيْتُ عَلِيَّةَ فِيمَا يَرَى

النَّائِمُ ، فَقَالَتْ : يَا خَشْفُ خَالَفْتُكَ عَرِيبُ فِي غِنَائِي . قُلْتُ : نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي .

قَالَتْ : الصَّوَابُ مَعَكَ ، أَفْتَدِيرِينَ مَا الصَّوْتُ الَّذِى أُنْسِيْتِيهِ ؟ قُلْتُ : لَا وَلِلَّهِ ،

وَلَوِ دِدْتُ أَنِّى قَدَيْتُ مَا جَرَى بِجَمِيعِ مَا أَمْلَكُ . قَالَتْ : هُوَ :

بُنَى الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ * أَنْصَفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسَمِعَ

لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْهَوَى * عَاشِقٌ يَعْرِفُ تَأْلِيفَ الْحُجَجِ

وَقَلِيلُ الْحَبِّ صَرَفًا خَالِصًا * لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ قَدْ مُرِجَ

وَكَأَنَّهَا قَدْ أَنْدَفَعَتْ تَغْنًى بِهِ ، فَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِمَّا غَنَّتْهُ ، وَقَدْ زَادَتْنِي فِيهِ

أَشْيَاءٌ فِي نَوْمِي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا ، فَأَنْتَبَهْتُ وَأَنَا لَا أَعْقِلُ فَرَحًا بِهِ . فَبَاكَرْتُ الْخَلِيفَةَ

وَذَكَرْتُ لَهُ الْقِصَّةَ . فَقَالَتْ عَرِيبُ : هَذَا شَيْءٌ صَنَعْتَهُ أَنْتِ لِمَا جَرَى أَمْسَ ،

وَأَمَّا الصَّوْتُ فَصَحِيحٌ . خَلَفْتُ لِلْخَلِيفَةِ بِمَا رَضِيَ بِهِ أَنَّ الْقِصَّةَ كَمَا حَكَيْتُ . فَقَالَ :

رُؤْيَاكَ وَاللَّهِ أَعْجَبُ ، رَحِمَ اللَّهُ عَلِيَّةَ ! فَمَا تَرَكْتُ ظَرْفَهَا حَيَّةً وَلَا مَيِّتَةً . وَأَجَازَنِي جَائِزَةً سَنِيَّةً .

(١) فِي الْأَغَانِي (ج ٩ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مِنْهُ » .

وروى أبو الفرج أيضا بسنده إلى محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال :

شهدتُ أبا جعفرًا وأنا صغير وهو يحدث جدِّي يحيى بن خالد في بعض ما كان يُخبره به من خلوته مع هارون الرشيد، قال : يا أبتِ ، أخذ بيدي أمير المؤمنين وأقبل في حُجْرِهِ يَخْتَرِقُهَا حتى آتَمَى إلى حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ ، ففَتَحَهَا بيده ودخاها ودخلت وأغلق بابها من داخل بيده ، ثم صرنا إلى رِوَاقٍ ففتحه ، وفي صدره مجلس مُغَلَّقٌ فقعد على باب المجلس ، ونَقَرَ الباب بيده نَقَرَاتٍ فسمعنا حَسًّا ، ثم أعاد النَقْرَ ثَانِيَةً فسمعنا صوت عود ، ثم أعاد النقر ثالثةً فغنت جارية ما ظننتُ والله أن الله جلَّ وعزَّ خلق مثلها في حسن الغناء وجودة الضرب . فقال ^(١) [لها] أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتا : غَنَّى صوتي ؛ فغنت صوته ، وهو :

وَمُحَنِّثٍ شَهِدَ الزَّفَافَ وَقَبْلَهُ * غَنَّى الْجَوَارِي حَاسِرًا وَمُنَقَّبًا
لَيْسَ الدَّلَالُ وَقَامَ يَنْقُرُ دَفَّهُ * نَقَرًا أَقْرَبَهُ الْعَيُونَ وَأَطْرَبًا
إِنِّ النِّسَاءَ رَأَيْنَهُ فَعَشِيقَتَهُ * فَشَكُونَ شِدَّةَ مَا بِهِنَّ فَأَكْذَبَا

قال : فَطَرِبْتُ وَاللَّهِ طَرَبًا هَمَمْتُ مَعَهُ أَنْ أَنْطَحَ بِرَأْسِي الْحَائِطَ . ثم قال : غَنَّى :

* طَال تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي *

فغنت :

١٥

طَال تَكْذِيبِي وَتَصْدِيقِي * لَمْ أَجِدْ عَهْدًا لِلْمَخْلُوقِ
إِنَّ نَاسًا فِي الْهَوَى غَدَرُوا * حَسَنُوا نَقْضَ الْمَوَائِيقِ
لَا تَرَانِي بَعْدَهُمْ أَبَدًا * أَشْتَكِي عِشْقًا لِمَعْشُوقِ

قال : فَرَقَصَ الرَّشِيدُ وَرَقَصْتُ مَعَهُ ؛ ثم قال : آمِضْ بِنَا ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَبْدُو

مَنَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا ، فَمَضَيْنَا . فَلَمَّا صَرْنَا إِلَى الدَّهْلِيزِ قَالَ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى يَدِي :

٢٠

(١) زيادة عن الأغاني .

هل عرفتَ هذه المرأة؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك وأنا أخبرك بها ، هذه عليّة بنت المهديّ . ووالله لئن لفظت به بين يدي أحد وبلغني لأقتلنك . قال : فسمعت جدّي يقول لأبي : فقد والله لفظت به ، ووالله ليقتلنك ، فأصنع ما أنت صانع .

وأخبار عليّة وأغانيتها كثيرة ، وقد ذكرنا منها ما يُكتفى به .

قال أبو الفرج : وكان مولد عليّة سنة ستين ومائة ، وتوفيت سنة عشرة ومائتين ، وقيل : سنة تسع ومائتين ، ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمّها إليه وجعل يقبل رأسها ووجهها مغطّى ، فشربت من ذلك وسعلت ثم حمت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت . رحمه الله . ١٥

ومنهم أبو عيسى بن الرشيد . هو أبو عيسى أحمد ، وقيل : بل اسمه صالح بن هارون الرشيد . وأمه أم ولد بربريّة . كان من أحسن الناس وجهاً ومجالسة وعشرةً وأجَنِّهِمْ وأحدّهم نادرةً وأشدّهم عبثاً . وكان أبو عيسى جميل الوجه جدّاً ، فكان إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر ممّا كانوا يجلسون للخلفاء . وكانت عريب المأمونية تقول : ما سمعتُ غناءً أحسنَ من غناء أبي عيسى بن الرشيد ، ولا رأيتُ وجهاً أحسنَ من وجهه . ١٥

وروي أنّ الرشيد قال يوماً لأبي عيسى وهو صبيٌّ : ليت جمالك لعبد الله ! (يعني المأمون) فقال له : يا أمير المؤمنين ، على أنّ حظّه منك لي . فعجب الرشيد من جوابه على صباه وضمّه إليه وقبله .

(١) للرشيد عدّة أولاد منهم أبو عيسى وصالح وغيرهما . (انظر كتاب المعارف لابن قتيبة) .

قال أبو الفرج : وكان أبو عيسى جَيِّدَ الصَّنْعة ، وله أَغَانٍ منسوبةٌ إليه ومعروفةٌ

به . منها :

رَقَدْتَ عَنْكَ سَلَوَتِي * وَالْهَوَى لَيْسَ يَرْقُدُ

وَأَطَارُ السَّهَادُ نَوُ * مِي فَنُومِي مُشَرَّدُ

أَنْتَ بِالْحُسْنِ مِنْكَ يَا * حَسَنَ الْوَجْهِ يُشْهِدُ

وَفُؤَادِي بِحُسْنِ وَجْهِكَ يَشْقَى وَيَكْثُرُ

وله غير هذا من الأصوات . قال : وكان كثير البسِطِ والمُجُونِ والعَبَثِ .

وكان المأمون أشدَّ الناس حُبًّا له ، وكان يُعِدُّه للأمر بعده ويذكر ذلك كثيرا .

حتى لقد حُكِيَ عنه أنه قال يوما : إنه ليسهل على أمر الموتِ وفقدُ الملكِ ، ولا يسهل

شئ منهما على أحد ، وذلك لمحبتِي أن يلي أبو عيسى الأمرَ بعدي لِشدة حُبِّي إياه .

وكانت وفاة أبي عيسى في سنة سبع ومائتين .

رَوَى عن عبد الله بن طاهر قال : حدثني من شهيد المأمون ليلة وهم يتراءون

هِلالَ شهر رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه ، فأروه وجعلوا

يدعون . فقال أبو عيسى قولاً أنكر عليه ، كأنه يسخط لورود الشهر ، فما صام

بعده . ونُقِلَ عنه أنه قال :

دَهَانِي شَهْرُ الصَّوْمِ لَا كَانَ مِنْ شَهْرِ * وَلَا صَمْتُ شَهْرًا بَعْدَهُ آخِرُ الدَّهْرِ

فَلَوْ كَانَ يُعْدِيْنِي الْإِمَامُ بِقُدْرَةٍ * عَلَى الشَّهْرِ لَأَسْتَعِدَّتْ جُهْدِي عَلَى الشَّهْرِ

فَنَالَهُ بِعَقْبِ هَذَا الْقَوْلِ صَرْعٌ ، فَكَانَ يُصْرَعُ فِي الْيَوْمِ مَرَّاتٍ حَتَّى مَاتَ . وَلَمَّا

مَاتَ وَجَدَ الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ وَجَدًا شَدِيدًا .

(١) كذا في الأغاني (ج ٩ ص ٩٦ طبع بولاق) . وفي الأصل : «دعاني» .

(٢) يقال : استعديت على فلان الأمير فأعداني أي استعنت به عليه فأعاني .

رُوى عن محمد بن عباد المَهَلَّبِيّ قال :

لَمَّا مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ على المأمون فخلعتُ عمامتي ونبذتها
ورائي - والخلفاء لا تُعزَّى في العمام - فقال لي : يا محمد، حال القَدَر، دون الوَطَر.
فقلت : يا أمير المؤمنين، كُلُّ مُصِيبَةٍ أَخْطَأْتُكَ شَوْى^(١)، فجعل الله الحزن لك لا عليك ! .
قال : فركب المأمون إلى دار أبي عيسى فحضر جهازه وصلى عليه ونزل في قبره .
وأمتنع من الطعام أياما حتى خيف أن يضرَّ ذلك به . قال : وما رأيت مصابا حزينا
قطُّ أجمل أثرا في مُصِيبَتِهِ ولا أحرق وجداً منه ، صامتٌ ودموعه تهيم على خَدَيْهِ
من غير كلح ولا استنثار^(٢) .

ورُوى عن أحمد بن أبي دُوَاد قال : دخلتُ على المأمون وقد تُوُفِّي أخوه أبو عيسى
وهو يبكي ويمسح عينيه بِمَنْدِيل، فقعدتُ الى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلت قول
الشاعر :

نقص من الدنيا وأسبابها * نقص المنايا من بني هاشم

فلم يزل على تلك الحال يبكي ثم يمسح عينيه، وتمثل :

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض * فحسبك مني ما تُجِنّ الجَـوَاحِ^(٣)
كأن لم يمت حتى سـِـوَاكَ ولم تقم * على أحدٍ إلا عليك النـِـوَاحُ

ثم آلتفت إلى وقال : هيه يا أحمد ! فتمثلت بقول عبدة بن الطبيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترجما
تحيّة من أوليته منك نعمة * إذا زار عن شحط بلادك سلما

(١) شوى : هينة . يقال : كل شيء شوى ما سلم لك دينك ، أى هين . (٢) كذا

في الأصل والأغاني . والذي في معاجم اللغة : كلح (وزان منع) كلوحا وكلاحا (بضمهما) : تكشر
في عبوس . (٣) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «الجوارح» .

فما كان قيس هلك هلك واحد * ولكنه بنيات قوم تهتما
فبكى ساعة ، ثم آلتفت إلى عمرو بن مسعدة فقال : هيه يا عمرو ! فقال : نعم
يا أمير المؤمنين :

بكوا حذيفة لم تبكوا مثله * حتى تعود قبائل لم تُخلق

قال : فإذا عريب وجوارٍ معها يسمعن ما يدور بيننا ، فقالت : اجعلوا لنا معكم
في القول نصيبا . فقال المأمون : قولي ، فرب صواب منك كثير . فقالت :
كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر * فليس لعين لم يفيض مأوها عذر
كان بنى العباس يوم وفاته * نجوم سماء حرمن بينها البدر^(١)

فبكى وبكى . ثم قال لها المأمون : نوحى ، فناحت ورد عليها الجوارى . فبكى
المأمون حتى قلت : قد فاضت نفسه وبكىنا معه أحرباء ، ثم أمسكت . فقال المأمون :
أصنعى فيه لحنا على مذهب النوح وغنى به ، ففعلت وغنته إياه على العود . فوالذى
لا يخلف بأعظم منه لقد بكينا عليه غناء أكثر مما بكينا عليه نوحا .

ومنهم عبد الله بن موسى الهادى . قال أبو الفرج : كان له فى الغناء
صنعة حسنة ، وله أصوات مذكورة ، منها قوله :

تقاضاك دهرك ما أسلفا * وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تجزعن فإن الزمان * رهين بتشتيت ما ألفا
ولما رآك قليل الهموم * كثير الهوى ناعما مترفا
ألح عليك بروعاته * وأقبل يرميك مستهدفا

(١) هذان البيتان من قصيدة لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى يرى بها محمدا وقطبة وأبا نصر بن حميد

الطوسى . وقد غيرت فيهما عريب « بنى نهان » بـ « بنى العباس » .

قال : وكان عبد الله هذا من أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناء . وكان له غلام أسود يقال له « قَلَم » ، فعلمه الضرب فحذق فيه ، فأشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم .

وروى عن سليمان بن داود كاتب أم جعفر قال :

كنت جالسا مع عبد الله بن موسى الهادي ، فمَرَّ به خادم لصالح بن الرشيد ؛ فقال له : ما اسمك ؟ قال : آسَمِي لَا تَسَلْ . فأعجبه حسنه وحسن منطقه ، فقال لي : قم بنا حتى نشرب اليوم ونذكر هذا البدر ، فقممت معه . فأنشدني في ذلك اليوم :

وَشَادِنٍ مَرَّ بِنَا * يَجْرَحُ بِاللَّحْظِ الْمُقَلَّ

مَظْلُومٌ خَصِرَ ظَالِمٌ * مِنْهُ إِذَا يَمْشِي الْكَفَلُ

إِعْتَدَلَتْ قَامَتُهُ * وَالطَّرْفُ مِنْهُ مَا عَدَلُ

بَدْرٌ تَرَاهُ أَبَدًا * طَالَعَ سَعْدٌ مَا أَقَلُ

سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ * فَقَالَ : إِسْمِي لَا تَسَلْ

وَطَلَعْتُ فِي وَجَنَتَيْ * مِنْهُ وَرْدَتَانِ مِنْ نَجَلِ

فَقُلْتُ مَا أَخْطَأَ الَّذِي * سَمَّاكَ بِلِ قَالِ الْمَثَلِ

لَا تَسْأَلُنْ عَنْ شَادِنٍ * فَاقَ جَمَالًا وَكَمَلِ

وقال فيه :

عَزَّ الَّذِي تَهَوَّى وَذُلُّ * صَبَّ الْفُؤَادِ مُخْتَبَلُ

جَدُّ بِهِ الْهَجْرُ وَذَا آلُ * هَاجَرُ إِذَا جَدُّ قَتَلُ

مِنْ شَادِنٍ مُمَنْطَقُ * فَاقَ جَمَالًا وَكَمَلُ

تَنَاصَفَ الْحَسَنُ بِهِ * فَلَا تَسَلْ عَنْ لَا تَسَلْ

وعن أحمد بن المكيّ قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أتقوم غلاماً ضارباً مغنياً قيمة عدل لا حيف فيها على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إليّ ابنه القاسم ، وكنت قد عرفت خبره وهو أحسن من القمر ليلة البدر ، فأخذ عوداً يضرب به ؛ فأكببت على يديه أقبلهما فقال لي عبد الله : أتقبل يد غلام مملوك ! فقلت : بأبي وأمي هو من مملوك ! وقبّلت رجله أيضاً . فقال :
 ٥ أما إذ عرفته فأحب أن تضاربه ، ففعلت . فلما رأى الغلام زيادتي في الضرب عليه آغتم وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر إليه : يا أبت ، أنا متلذذ وهذا متكسب . فضحكت وقلت : هو كذلك يا سيدي . وعجبت من حدة جوابه معتذراً على صغرسنه .

قال عبد الله بن حبيب :

١٠ كان عبد الله بن موسى الهادي معريداً ، وكان قد أعضل المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه ؛ فأمر به أن يُحبس في منزله فلا يخرج منه ، وأقعد على بابه حرساً ؛ ثم تَدَّيَم من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه . ثم نادى فعربد عليه أيضاً وكلمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرماً بالصيد ؛ فأمر المأمون خادماً من خواص خدمه يقال له حسن فسَمَّه في دُرَاج ؛ فلما أكله أحسّ بالسّم ،
 ١٥ فركب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ماتروني ، ومات بعد أيام . وأكل معه خادمان ، فمات أحدهما لوقته ، وضني الآخر ثم مات بعد مدة .

ومنهم عبد الله بن محمد الأمين . قال أبو الفرج الأصفهاني :
 كان عبد الله بن محمد الأمين ظريفاً غزلاً يقول شعراً لنا ويصنعه صنعةً
 ٢٠ صالحة . وكان بينه وبين أبي نهشل بن حميد مودة ؛ فأعرض عبد الله جاريةً مغنيةً

(١) كذا في الأغاني . وأعضل : أعيأ . وفي الأصل : « أحفظ » .

(٢) في الأغاني : « حسين » .

لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالا عظيما . وعرفت مولاتها منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوم فتركها ، فأشترها أخ لأبي نهشل ، فتبعها نفسُ عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزولَ عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل :

يَا بَنَ حَمِيدٍ يَا أبا نَهْشَلٍ * مفتاح باب الحديث المُقْفَلِ
يا أكرمَ الناسِ ودادا وأر * عاهم لحقَّ ضائع مُهمَلِ
أحسنَت في ودي وأجملت بل * جُزْتَ فعال المحسن الجمَلِ
بيتُك في ذي يمينٍ شامخٌ * تقصُر عنه قُتْنا يذبلُ
خلفتَ فينا حاتمًا ذا الندى * وجُدتَ جودا العارض المسبَلِ
أى أخ أنت لذي وحدةٍ * تركته بالعزِّ في جحفَلِ
نجومُ حظي منك مسعودةٌ * فسيما أَرَجى ليس بالأفْلِ
فصدَّق الظنَّ بما قلته * وسهِّل الأمرَ به يسهِّلِ
لا تحرمَّنِي ولديك المني * بالله صيد الرِّشَا الأكلِ
رُميتُ منه بسهام الهوى * وما درى ما الرمي في مَقْتَلِ
أدنيَّتني بالوعد في صيده * إدناء عَطْشانٍ من المنهلِ^(١)
ثم تناسيت وأسلمتني * إلى مطالٍ موحش المنزلِ
تركنتي في لجَّة عائمًا * لا أعرف المديَر من مُقبِلِ
صرَّخ بأمرٍ واضحٍ بينٍ^(٢) * لاخير في ذي لبسٍ مُشْكَلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها . ولعبد الله هذا صنعةٌ منها قوله :

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « اذأنا » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « بينا » .

أَلَا يَـدِيرُ حَنْظَلَةَ الْمُفْعَدَى * لَقَدْ أَوْرَثَنِي سُقْمًا وَكَدًّا
أَزْفَ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَيْكَ زَقًّا * وَأَجْعَلُ حَوْلَهُ الْوَرْدَ الْمُنْتَدَى^(١)

ومنهم أبو عيسى بن المتوكل . قال عبد الله بن المعتز :

جُمِعَ لِأَبِي عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ صِنْعَةٌ مَقْدَارُهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ صَوْتٍ ، مِنْهَا
الْجَيْدُ الصَّنِيعَةُ وَمِنْهَا الْمُتَوَسِّطُ . وَقَالَ الثُّمَيْرِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَيْسَى بْنِ الْمُتَوَكَّلِ يَقُولُ :
إِذَا أَتَمَمْتَ صِنْعَةَ ثَلَاثَةِ وَسْتِينَ صَوْتًا عَدَدَ أَيَّامِ السَّنَةِ تَرَكْتَ الصَّنِيعَةَ . فَلَمَّا أَتَمَمَهَا تَرَكَ
الصَّنِيعَةَ . فَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَّاتَهَا تَحْمَلُ * وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ * وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّجَمُّلُ

قال أبو الفرج الأصفهاني : وهو لعمرى من جيد الغناء وفأحر الصنعة ،
ولو لم يصنع غيره لكفى .^(٢)

ومنهم عبد الله بن المعتز . هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله العباسي .
قد وصفه أبو الفرج الأصفهاني فقال : وأمره مع قُرب عهده بعصرنا مشهورٌ
في فضائله وأدبه شهرةٌ يشترك في أكثرها الخاص والعام ، وشعره وإن كان فيه رقة
الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المُحَدِّثِينَ ، فإن فيه أشياء كثيرة تجرى في أسلوب
المجيدين ، ولا تقصُر عن مدى السابقين وأشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس
ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . وأطنب في وصفه
وتقريضه ، وهو فوق ما قال . ثم قال :

(١) كذا في معجم البلدان لياقوت . وفي الأصل : «تخته» . ورواية الأغاني (ج ٩ ص ١٠٢) :

أَزْفَ مِنَ الْعُقَارِ إِلَيْكَ دَنَا * وَأَجْعَلُ تَحْتَهُ الْوَرْدَ الْمُنْتَدَى

٢٠

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «وما لو لم يصنع» .

وكان عبد الله حسنَ العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وعللها ؛ وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم تدل على فضله وغزارة أدبه . وذكر منها شيئا ليس هذا موضع إيراد . ثم قال : ومن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره :

هل ترجعن ليالٍ قد مضين لنا * والدارُ جامعةً أزمان أزمانا

٥

قال أبو الفرج : ومن صنعته الظريفة الشكل مع جودتها :

وإبلأى من محضير ومغيب * وحيب منى بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين إلا * شيرقت قبل ريتها بريقب

قال : ومن صنعته التي تظارف فيها وملح :

زاحم كمي كمي فالتويا * وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فاكثويا * يا قرة العين ويا همي ويا

١٠

وحكى عن جعفر بن قدامة قال : كان لعبد الله بن المعتز غلام يحبّه ، فغضب الغلام عليه ، فجهد أن يترضاه ، فلم يكن له فيه حيلة . ودخلت عليه فأنشدني فيه :

بأبي أنت قد تما * ديت في الهجر والغضب
وأصطباري على صدو * دك يوما من العجب
ليس لي إن فقدت وجه * هك في العيش من أرب
رحم الله من أعا * ن على الصلح واحتسب

١٥

قال : فمضيت إلى الغلام ، فلم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته له وجئته به ، فمزلنا يومئذ أطيب يوم وأحسنه .

ذَكَرَ مَنْ غَنَى مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ

كَانَ مِنْ غَنَى مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ عَلَى مَا نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ :

- عبد العزيز بن المطلب^(١) . روى الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن
على المقدسي رحمه الله بسند رفعه إلى محمد بن مسلمة قال حدثني أبي قال : أتيتُ
عبد العزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجحّ للنبي صلى الله عليه وسلم بمسجد
الأحزاب ما كان بدؤها ، فوجدته مستلقياً وهو يغنى :

- (٢)
فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى * يَمِجُّ النَّدى جَنَاجِلُهَا وَعَرَارُهَا
بَاطِيبَ مَنْ أَرْدَانِ عَزَّةَ مَوْهِنًا * وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدِلِ الرَّطْبُ نَارُهَا
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقْ شِقْوَةً * وَبِالْحَسَبِ الْمَكُونِ صَافٍ نِجَارُهَا
فَإِنْ بَرَزْتُ كَانَتْ لَعِينُكَ قُرَّةً * وَإِنْ غَبْتَ عَنْهَا لَمْ يَغْمَكْ عَارُهَا^(٣)

فقلت له : تغنى أصلحك الله وأنت في جلالتك وشرفك ! أما والله لأحدون بها
رُكبانَ نجد . قال : فوالله ما أكرثُ وعاد يتغنى :

- فَمَا طَيِّبَةُ أَدْمَاءٍ خَفَاقَةُ الْحَشَى * تَجُوبُ بِظُلْفِيهَا بَطُونَ الْخِمَائِلِ
بِأَحْسَنِ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ تَدْلَالًا * وَأَدْمُعُهَا يُذَرِّينَ حَشَوَ الْمَكَاحِلِ
تَمَتَّعْ بِذَا الْيَوْمِ الْقَصِيرِ فَإِنَّهُ * رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَالِ

(١) في الأصل «عبد العزيز بن عبد المطلب» والتصويب عن كتب التراجم والأغاني (ج ١٥ ص ٦٨
طبع بولاق) . وهو عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ولى قضاء المدينة لعهد المنصور ثم المهدي
وولى قضاء مكة .

(٢) الجنجاث : شجر له زهر أصفر طيب الرائحة . والعرار : الترجس البرى .

(٣) رواية الأغاني (ج ١٤ ص ٥٩ طبع بولاق) :

فإن خفيت كانت لعينك قرّة * وإن تبد يوماً لم يعمك عارها

قال : فندمت على قولي له ، فقلت : أصلحك الله ، أتحدثني في هذا بشيء ! فقال :
نعم ، حدثني أبي قال : دخلتُ على سالم بن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهم —
وأشعب يَغْنِيهِ :

مُعْقَرِبَةٌ كَالْبَدْرِ سُنَّةٌ ^(١) وَجْهَهَا * مُطَهَّرَةُ الْأَثْوَابِ وَالْعِرْضُ وَافِرُ
لَهَا نَسَبٌ زَاكٍ وَعِرْضٌ مُهَذَّبٌ * وعن كل مكروهٍ من الأمر زاجرُ
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ تَلَقَ رِيْبَةً * ولم يَسْتَمِلْهَا عَنْ تُقَى اللَّهِ شَاعِرُ

فقال له سالم رضى الله عنه : زدنى . فقال :

أَلَمْتُ بِنَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ كَأَنَّهُ * جَنَاحُ غُرَابٍ عَنْهُ قَدْ نَفَضَ الْقَطْرَا
فَقُلْتُ أَعْطَارُ ثَوَى فِي رِحَالِنَا * وما أَحْتَمِلْتُ لَيْلَى سِوَى رِيحِهَا عِطْرَا

فقال سالم : أما والله لولا أن تَدَاوَلَهُ الرُّوَاةُ لَأَجَزْتُ جَائِزَتَكَ ، فلك من هذا الأمر
مَكَانٌ .

وَمِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ ^(٢) . هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ . كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الثَّقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ . سَمِعَ أَبَاهُ
وَأَبْنَ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ وَهَشَامَ بْنَ عُرْوَةَ وَصَالِحَ بْنَ كَيْسَانَ وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ
يَسَارٍ . رَوَى عَنْهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ وَشُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ وَاللَيْثُ بْنُ سَعْدٍ ،
وَأَبْنَاهُ يَعْقُوبُ وَسَعْدُ ^(١) أَبْنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ وَيُونُسُ
الْمُؤَدَّبُ وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ وَسُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ الْآدَمِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ
الْجَعْدِ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْوَرَّكَانِيِّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمْ . كَانَ يُبَيِّحُ السَّمَاعَ

(١) في الأصل : « يشبه وجهها » . وظاهر أنه محرف عما أثبتناه . وسنة الوجه : صورته .

(٢) في الأصول : « سعيد » . والتصويب عن تهذيب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال .

ويضرب بالعود ويغنى عليه . وله في ذلك قصة رواها أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسند رفعه إلى سعيد بن كثير بن عفير قال :

- قدم إبراهيم بن سعد الزهري^١ العراق سنة أربع وثمانين ومائة ، فأكرمه الرشيد وأظهر بزه . وسئل عن الغناء فأفتى بتحليله ؛ فأتاه بعض أهل الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري^٢ ، فسمعه يتغنى ، فقال : لقد كنت حريصاً على أن أسمع منك ، فأما الآن فلا سمعتُ منك حديثاً أبداً . قال : إذا لا أفقد إلا شخصك . على وعلى^٣ ألا أحدث ببغداد ما أقتُ حديثاً واحداً حتى أغنى قبله . وشاعت هذه الحكاية ببغداد ، فبلغت الرشيد ، فدعا به فسأله عن حديث المخزومية التي قطعها النبي صلى الله عليه وسلم في سرقة الخيل^٤ ؛ فدعا بعود . فقال الرشيد : أعود المجمر؟ قال : لا ولكن عود الطرب ، فتبسّم . ففهمها إبراهيم بن سعد فقال : لعلك بلغك يا أمير المؤمنين حديث السّفيه الذي آذاني بالأمس وألجأني إلى أن حلفت . قال نعم . فدعا له الرشيد بعود فأخذه وغنى :

يَا أُمِّ طَلْحَةَ ابْنِ الْبَيْنِ قَدْ أَفِدَا * مَلَّ النَّوَاءُ لِأَنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا

- فقال له الرشيد : من كان من فقهاءكم ينكر السماع ؟ قال : مَنْ رَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ . قال : فهل بلغك عن مالك في هذا شيء؟ فقال : لا والله ، إلا أن أبي أخبرني أنهم اجتمعوا في مدعاة كانت في بني يربوع وهم يومئذ جلة^(١) ، ومالك أقبلهم في فقه وقدر ، ومعهم دفوف ومعارف وعيدان يغنون ويلعبون . ومع مالك دُفٌّ مربع وهو يغنيهم :

سَلِمَى أَرْمَعْتُ بَيْنَا * وَأَيْنَ لِقَاؤُهَا أَيْنَا

- وقد قالت لأتراب * لها زُهْرٌ تَلَاقَيْنَا
تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَاب * لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

(١) الجلة : العظام والسادة .

فضحك الرشيد ووصله بمال عظيم ومات إبراهيم في هذه السنة وهو ابن خمس وسبعين سنة . قال : وكان إبراهيم بن سعد يبالغ فيه إلى هذا الحد . وقد أجمعت الأئمة على ثقته وعدالته والرواية عنه . وآتفق البخاري ومسلم على إخراج حديثه في الصحيح . ولم تسقط عدالته بفعله عند أهل العلم ، بل قُلد قضاء بغداد على جلالته ، وقُلد أبوه القضاء بالمدينة على شرفها .

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : شهدت إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمن بالمدينة ينكر الغناء ، فقال : مَنْ قَنَعَهُ اللَّهُ خَزِيَّةً : مالك بن أنس ، ثم حلف أنه سمع مالكا يغني :

سليمي أزمعت بينا * فأين لقاءها أينما

في عرس لرجل من أهل المدينة يُكْنَى أبا حَنْظَلَةَ .

وروى أيضا بسنده إلى الحسين بن دحمان الأشقر قال :

كنت بالمدينة ، نفلا لي الطريق في نصف النهار ، فجعلت أتغني :

مابأل أهلك يا ربَّاب * نُحْزِرًا كَأَنَّهُمْ غِضَابُ

قال : فإذا خَوْخَةً قد فُتِحَتْ وإذا وجهٌ قد بدا تُتَبِعُهُ لِحْيَةٌ حمراء ، فقال :

يا فاسق ! أسأت التادية ، ومنعت القائلة ، وأذعت الفاحشة ، ثم أندفع يغنيه ؛

فظننتُ أن طويسا قد نُشِرَ يغنيه ، فقلتُ : أصلحك الله ! من أين لك هذا الغناء ؟

قال : نشأت وأنا غلام أتبع المغنين وأخذ عنهم ، فقالت لي أمي : يا بني ، إن

المغني إذا كان قبيح الوجه لم يُلتَفَتْ إلى غنائه ، فدع الغناء وأطلب الفقه فإنه

لا يضرّ معه قبح الوجه . فتركتُ المغنين وأتبعْتُ الفقهاء ، فبلغ الله بي ما ترى .

فقلت : فأعد جُعِلْتُ فداءك . فقال : لا ولا كرامة ! أتريد أن تقول أخذته عن

مالك بن أنس ! وإذا هو مالك ولم أعلم .

ومنهم محمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
كان عالماً بالفقه والغناء جميعاً . وكان يحيى بن أكرم وصفه للمأمون بالفقيه ،
ووصفه أحمد بن يوسف بالغناء . فقال المأمون : ما أعجب ما آجتمع فيه العلم بالعلم
والغناء ! .

ذكر مَنْ غَنَى من الأعيان والأكابر والقواد
ممن نُسِبَتْ لَهُ صَنَعَةٌ فِي الغناء

منهم أبو دُلْفٍ العِجْلِيّ . هو أبو دُلْفٍ القاسم بن عيسى بن إدريس أحد
بنِي عِجْلٍ بن لُحَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . كان محلّه من الشجاعة وبعْدَ
الهمة وعلو المحلّ عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحُسن الأدب وجودة الشعر
محلا كبيرا ليس لكثير من أمثاله .

قال أبو الفرج الأصبهانيّ : وله صنعة حَسَنَة . فمن جيّد صنعتته قوله —
والشعر له أيضا — :

بِنَفْسِي يَا جِنَانُ وَأَنْتِ مَنِي * مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ

وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ نَفْسِي * خَشِيتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الزَّمَانِ

لِإِقْدَامِي إِذَا مَا الْخَيْلُ حَامَتْ * وَهَابَ كُكَّاتُهَا حَرَّ الطَّعَانِ

قال : وكان أحمد بن أبي دُوَادٍ يُنكر أمر الغناء إنكاراً شديداً ، فأعلمه المعتصمُ
أن أبا دُلْفٍ صديقه يغني . فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك ! فستر المعتصم
أحمد بن أبي دُوَادٍ في موضع وأحضر أبا دُلْفٍ وأمره أن يغني ففعل ذلك وأطال ،
ثم أخرج أحمد بن أبي دُوَادٍ عليه ، فخرج والكراهة ظاهرة في وجهه . فلما رآه أحمد

قال: سَوْءٌ لِهَذَا مِنْ فَعْلٍ! أَبْعَدُ [هَذِهِ] السَّنَ وَهَذَا الْمَحَلُّ تَصْنَعُ بِنَفْسِكَ مَا أَرَى! (٢)
نُفِجِلُ أَبُو دَلْفٍ وَتَشْوَرُ (٣) وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَيَكْرِهُونِي عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ: هَبْهُمْ أَكْرَهُوكَ
عَلَى الْغِنَاءِ أَهْمُ أَكْرَهُوكَ عَلَى الْإِحْسَانِ فِيهِ وَالْإِصَابَةِ! .

قال: وَكَانَ أَبُو دَلْفٍ يُنَادِمُ الْوَائِقَ . فَوُصِفَ لِلْمُعْتَصِمِ فَأَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَهُ، وَسَأَلَ
الْوَائِقَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا عَلَى نِيَّةِ الْفَصْدِ غَدًا وَهُوَ عِنْدِي . وَفُصِدَ الْوَائِقُ
فَاتَاهُ أَبُو دَلْفٍ وَأَنْتَه رَسَلَ الْخَلِيفَةَ بِالْهَدَايَا، فَأَعْلَمَهُمُ الْوَائِقَ حَصُولَ أَبِي دَلْفٍ عِنْدَهُ .
فَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ أَقْبَلَ الْخَدْمَ يَقُولُونَ: قَدْ جَاءَ الْخَلِيفَةُ . فَقَامَ الْوَائِقُ وَكَلَّ مَنْ كَانَ
عِنْدَهُ حَتَّى تَلَقَّوهُ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ، وَأَمَرَ بِنَدْمَاءِ الْوَائِقِ فَرُدُّوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ . وَأَقْبَلَ
الْوَائِقَ عَلَى أَبِي دَلْفٍ فَقَالَ: يَا قَاسِمُ، غَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ: صَوْتًا بَعِينَهُ
أَوْ مَا أَخْتَرْتُ؟ قَالَ: بَلْ مِنْ صَنْعَتِكَ فِي شَعْرِ جَرِيرٍ . فَغَنَّى:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا * أَوْ كَلَّمَا أَعْتَرَمُوا لِبَيْنٍ تَجَزَّعُ
كَيْفَ الْعِزَاءُ وَلَمْ أَجِدْ مَذْغِبَتُمْ * قَلْبًا يَقْدَرُ وَلَا شَرَابًا يَنْقَعُ

فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ: أَحْسَنُ أَحْسَنَ — ثَلَاثًا — وَشَرِبَ رَطًّا . وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَعِيدُهُ حَتَّى
شَرِبَ تِسْعَةَ أَرْطَالٍ . ثُمَّ دَعَا بِحِمَارِ فَرَكْبِهِ، وَأَمَرَ أَبَا دَلْفٍ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعَهُ، فَخَرَجَ
مَعَهُ فُتِبَّتَ فِي نَدْمَائِهِ، وَأَمَرَ لَهُ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

قال: وَكَانَ أَبُو دَلْفٍ جَوَادًا مَمْدَحًا . وَفِيهِ يَقُولُ عَلَى بَنِ جَبَلَةٍ مِنْ قَصِيدَةٍ
يَقُولُ فِيهَا:

ذَادَ وَرَدَ الْغَى عَنْ صَدْرِهِ * وَآرَعَوَى وَاللَّهُوُ مِنْ وَطَرِهِ
نَدَمِي أَنَّ الشَّبَابَ مَضَى * لَمْ أَبْلُغْهُ مَدَى أَشْرِهِ

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٧ ص ١٥٥ طبع بولاق). (٢) في الأغاني: «تضع نفسك
كما أرى». (٣) يقال: شورت الرجل وبالرجل فتشور، إذا نجلته نخجل.

حَسَرْتُ عَنِّي بِشَاشَتِهِ * وَذَوَى الْحَمُودُ مِنْ ثَمَرِهِ
وَدَمِ أَهْدَرْتُ مِنْ رَشَا * لَمْ يُرِدْ عَقْلًا عَلَى هَدَرِهِ

جاء منها :

دَعَّ جَدَا فُحْطَانَ أَوْ مُضِيرَ * فِي يَمَانِيهِ وَفِي مُضَرِّهِ
وَأَمْتَدَحُ مِنْ وَائِلٍ رَجُلًا * عَصَرَ^(١) الْآفَاقِ مِنْ عَصَرِهِ

ومنها :

الْمَنَايَا فِي مَقَانِبِهِ * وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجَرِهِ
مَلِكٌ تَنَدَّى أَنَامِلُهُ * كَأَنبِلَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ * كَأَنبِتْسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهَرِهِ

ومنها :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمُحْتَضِرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضِرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخِرِهِ

وهذان البيتان اللذان أحفظا المأمون على بن جيلة حتى سلّ لسانه من قفاه. ١٥

وقوله فيه :

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَتْرَلَهَا * وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ * إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
تَرْوُرُ سُخْطًا فَتُضْحِي الْبَيْضُ ضَاكَةً * وَتَسْتَهْلُ فِتْبَكِي أَعْيُنِ الْمَالِ

وكان سبب مدح على بن جيلة أبا دلف بقوله :

* إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

(١) العصر : الحمى والملجأ .

ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن علي بن جبلة قال : زرت أبا دلف بالجبل ، فكان يظهر من برى وإكرامى والتحنى بى أمراً عظيماً مفريطاً حتى تأخرت عنه حياء . فبعث إلى معقلاً وقال : يقول لك الأمير : قد انقطعت عني ، وأظنك قد استقامت برى ، فلا يغضبك ذلك فإنى سأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني إلا الإفراط فى البر ، وكتبت إليه :

هجرتك لم أهجركَ من كفرٍ نعمة * وهل يرتجى نيلُ الزيادة بالكفرِ
ولكننى لما أتيتك زائراً * فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر
فيم الآن لا آتيك إلا مسلماً * أزورك فى الشهرين يوماً وفى الشهر
فإن زدتنى برّاً تزايدت جفوة * ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر

١٠ فلما قرأها معقل استحسنها وقال : أحسنت والله ! أما إن الأمير يعجبه هذا من المعانى . فلما أوصاها إلى أبى دلف قال : قاتله الله ! ما أشعره وأرق معانيه ! وأجبنى لوقته — وكان حسن البديهة حاضر الجواب — :

ألا رب طيف طارق قد بسطته * وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتانى يرجئنى فما حال دونه * ودون القرى والعرف من نائل سترى
وجدت له فضلاً على بقصده * إلى وبراً زاد فيه على برى
فزودته مالا يدوم بقاءه * وزودنى مدحاً يدوم على الدهر

١٥ قال : وبعث بالأبيات وصيفاً وبعث إلى معه بألف دينار . فقلت حينئذ :

* إنما الدنيا أبو دلف *

الأبيات .

وروى أبو الفرج عن أحمد بن عبيد الله بن عمارة قال : كنا عند أبى العباس

٢٠ المبرد يوماً وعنده فتى من ولد أبى البختري وهب بن وهب ، أمرد حسن الوجه ،

وفتي من ولد أبي دلف العجليّ شبيه به في الجمال . فقال المبرد لابن أبي البختريّ :
أعرف لحدك قصة ظريفة من الكرم حسنة لم يسبق إليها . قال : وما هي ؟ قال :
دعني رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقّوه نبيذا غير الذي يشربون
منه ، فقال فيهم :

نبيذان في مجلس واحد * لإيثار مُثَرٍ على مُقْتَرٍ
فلو كان فعلك ذا في الطعام * لزمت قياسك في المسكر
ولو كنت تفعل فعل الكرام * صنعت صنيع أبي البختري
تتبع إخوانه في البلاد * فأغنى المقلّ عن المكثّر

فبلغت الأبيات أبا البختريّ فبعث إليه ثلاثمائة دينار . قال ابن عمار : فقلت
وقد فعل جدّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا . قال : وما فعل ؟
قلت : بلغه أن رجلا أفقر من ثروة ، فقالت له امرأته ، أفترض في الجند ،
فقال :

إليك عني فقد كلفتني شططا * حمل السلاح وقول الدارعين قف
تمشي المنايا إلى قوم فأكرهها * فكيف أمشي إليها عارى الكتيف
حسبت أن نفاذ المال غيرني * أو أن روي في جنبيّ أبي دلف

فأحضره أبو دلف وقال : كم أملت امرأتك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار ،
قال : كم أملت أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك على ما أملت
وأملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان ، وأمر بإعطائه إياه . قال : فرأيت
وجه ابن أبي دلف يتهلل وأنكر ابن أبي البختريّ . وهذه الأبيات رويت
لابن أبي فني .

ومنهم أخوه معقل بن عيسى . كان فارسا شاعرا جوادا مغنياً فهِمًا
بالنغم والوتر، ذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف . وهو القائل لمخارق - وقد
كان زار أبا دلف بالجليل ثم رجع الى العراق، وله في ذلك غناء - :

لعمري لئن قَرَّتْ بِقُرْبِكَ أُعِينُ * لَقَدْ سَخَّنتُ بِالْبُعْدِ عَنْكَ عِيُونَ
فَسِرْ أَوْ أَقِمْ، وَقِفْ عَلَيْكَ مَوَدَّتِي * مَكَانَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ
فَمَا أَوْحَشَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ نَازِحًا * وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا بِحَيْثُ تَكُونُ

ومنهم عبد الله بن طاهر بن الحسين وأبنة عبيد الله . فأما عبد الله
فكان محله من علو المنزلة وعظم القدر والتمكن عند الخلفاء ما هو مشهور مذكور
في أخبارهم . وتقلد الولايات الكبيرة مثل مصر والجزيرة وما يلي ذلك، ثم نُقل إلى
خراسان . وله عطايا وهبات وصَلَات لا يُنكرها أحد . ومحله من الشجاعة والإقدام
معروف . وكان يعتنى بالغناء ويصنعه ، إلا أنه كان يترفع عن ذكره والاعتراف به
ونسبته إليه .

قال أبو الفرج : والأصوات التي غَنَّى فيها عبد الله بن طاهر كثيرة . وكان
أبنة عبيد الله إذا ذكر شيئاً منها من صَنَعته قال : الغناء للدار الكبيرة، وإذا ذكر
شيئاً من صنعة نفسه قال : الغناء للدار الصغيرة . فمن الأصوات التي صنع فيها
عبد الله بن طاهر قوله :

هَلَّا سَقَيْتُمْ بَنِي حَزْمٍ أُسَيْرُكُمْ ^(١) * نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي
الطَّاعِنِ الطَّعْنَةَ النِّجْلَاءَ يَتَّبِعُهَا * مُضَرَّجٌ بَعْدَ مَا جَادَتْ بِإِزْبَادِ

قال : فقد جاء به عبد الله صحيح العمل مزدوج النغم [بين] لين وشدة على رسم

٢٠ (١) في الأغاني (ج ١١ ص ١٤ طبع بولاق) : « بنى سهم » ثم قال : « وهم بطن من هذيل » .
وذكر في موضع آخر بلفظ « بنى جرم » . (٢) الزيادة عن الأغاني .

الحذاق القدماء . قال عبيد الله - وذكر صوتا من أصواته - : لما صنع أبي هذا الصوت لم يحب أن يسمع عنه شيء من الغناء ولا ينسب إليه ؛ لأنه كان يترفع^(١) عن ذلك ، وما جسَّ بيده وترًا قط ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدربة وحسن الثقافة ما لا يعرفه كثير . قال : وبلغ من علم ذلك إلى أن صنع في أبيات أصواتا كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخذها عنه وغنن بها وسمعها الناس منهم .

[ومن أخذ عنهم . فلما أن صنع هذا الصوت :

هـَلَّا سَقِيمٌ بَنَى سَهْمٍ أَسِيرُكُمْ * نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي غُلَّةٍ صَادِي^(٢)

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمح . وكانت لآل الفضل بن الربيع جارية يقال لها راحة^(٣) ، وكانت ترغب إلى عبد الله لما ندبه المأمون إلى مصر ، وكانت تغنيه ؛ وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذته المغنون عنها ، ورؤي لمالك بن أبي السَّمح مدة . ثم قدم عبد الله العراق ، فحضر مجلس المأمون وغنى الصوت بحضرته ونسب إلى مالك ؛ فضحك عبد الله ضحكا كثيرا ؛ فُسئِلَ عن القصة فصَدَقَ فيها وأُعترف بصنعة الصوت . وكشَفَ المأمون عن القصة ؛ فلم يزل كلُّ من سُئِلَ عنه يُخبر عن أخذ^(٤)ه ، فينتهي بالقصة إلى راحة ويقف فلا يعدوها . فأحضرت راحة^(٥) وسُئِلَت فأخبرت بقصته ؛ فعلم أنه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك . ويقال : إنه لم يعجب من شيء عَجَبَه من حَدِّق عبد الله بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

وأما عبيد الله ، ويكنى أبا أحمد . قال أبو الفرج الأصبهاني : له محلٌّ من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس

- ٢٠ (١) كذا في الأغاني : وفي الأصل . « يرتفع » . (٢) النكلة عن الأغاني .
 (٣) في الأغاني : « داحة » . (٤) كذا بالأغاني . وفي الأصل : « عنها » .
 (٥) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « من سئل عنه عن أخذه » .

وعِلوم الأوائل من ^(١) الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك ^(٢) [مما] يحلّ عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعة في الغناء حسنة متقنة عجيبة [تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصله ^(٣)] إلى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد ^(٤) تتبعه هو وأتى به على ما فصله فيها وطلبه منها .

وكان المعتضد بالله ربما أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناء ويحضّرهُ أكابر المغنين فيعدل عنهم إليه فيصنع فيه أحسن صنعة ، و ^(٥) يترفع عن إظهار نفسه بذلك فيومئ إلى أنه من صنعة جاريته ساجي . وسندكر ساجي إن شاء الله تعالى في أخبار القيّان ، وكانت تخريج عبّيد الله وتأديبه .

قال : ولما آخلت حال عبّيد الله كان المعتضد بالله يتفقّده بالصلّات . ومن أصوات عبّيد الله التي جمع فيها النغم العشر قوله في شعر إبراهيم بن عليّ بن هرّمة :
وإنك إذ أطمعتني منك بالرضا * وأياستني من بعد ذلك بالغضب
كُمِكنةٍ من دَرها كفّ حالب * ودافقةٍ من بعد ذلك ما حلب
وأخبار عبّيد الله كثيرة سندكر منها في هذا الباب في أخبار ساجي طرّفاً ، ونورد منها إن شاء الله تعالى في فنّ التاريخ ما يناسب . وأستغفر الله العظيم .

١٥ (١) كذا بالأغاني (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) . وفي الأصل : « الطبقة » .

(٢) الزيادة عن الأغاني .

(٣) في الأصل : « متقنة عجيبة الى ما يعجز عنه ... » . والتكلمة والتصويب من الأغاني (ج ٨ ص ٤٤ طبع بولاق) .

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « في صوت واحد حتى بلغه هو » .

٢٠ (٥) في الأغاني : « ساجي » .

ذكر أخبار المغنين الذين نقلوا الغناء من الفارسية إلى العربية
ومن أخذ عنهم ومن اشتهر بالغناء

والغناء قديم في الفرس والروم، ولم يكن للعرب قبل ذلك إلا الحُداء والنشيد،
وكانوا يُسمّونه «الركبانية». وأول من نقل الغناء العجمي إلى العربي من أهل مكة
«سعيد بن مسجح» ومن أهل المدينة «سائب خاثر». وأول من صنع الهزج
«طويس». ولنبدأ بذكر أخبار هؤلاء ثم نذكر من أخذ عنهم إن شاء الله تعالى .

ذكر أخبار سعيد بن مسجح

هو أبو عثمان سعيد بن مسجح، مولى بني جحج، وقيل : مولى بني مخزوم ،
وقيل : مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . مكّي أسود — وقيل :
أصفر — حسن اللون . وقيل : كان مولداً ، يُكنّى أبا عيسى . وقيل : كان هو
وأبن سريح لرجل واحد . مغنّ متقدم من فحول المغنين وأكابرهم . وهو أول من
وضع الغناء منهم ، وأول من غنّى الغناء العربي بمكة ، وذلك أنه مرّ بالفرس وهم
يبنون المسجد الحرام في أيام عبد الله بن الزبير ، فسمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر
عربي ، ثم رحل إلى الشام فأخذ ألحان الرّوم والبربطية والأسطوخوسية ، وأنقلب^(١)

١٥ (١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « الأسطوخوسية » . وقد رأى العلامة الأب أنستاس ماري
الكرمل أن تكون كلمة « البربطية » مصحفة عن « البرنطية » (بضم الباء الموحدة وفتح الزاي يليها نون
ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشددة وفي الآخر هاء) : نسبة إلى برنطية وهي مدينة القسطنطينية
قبل أن تبنى . ويراد بالبرنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير إلى
سقوط القسطنطينية بيد الترك .

٢٠ ثم قال : وأما الأسطوخوسية فيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس ، وهي جزيرة
في جنوبي فرنسا ، كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس ، كما هم عليه إلى هذا العهد ، وكان سكانها
خاطباً من الروم واليونانيين والقلطيين وبقايا الفلسطينيين . (انظر المجلد الثاني من مجلة الزهراء ص ٣٥٨ —

إلى فارس فأخذ غناء كثيرا وتعلم الضرب ، ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك
النغم وألقى منها ما أستقبحه من النبرات والنغم ، وكان أول من فعل ذلك ، وتبعه
الناس بعد ، وعلم ابن سريج ، وعلم ابن سريج الغريض . قالوا : وكان في صباه
فطنا ذكيا ، وكان مولاه معجبا به ، فكان يقول : ليكون لهذا الغلام شأن ،
وما يمنعني من عتقه إلا حسن فراستي فيه ، ولئن عشت لأتعرّفن ذلك ، وإن مت
قبله فهو حر . فسمعه مولاه يوما يتغنى بشعر ابن الرقاع يقول :

ألم على طليل عفا متقادِم * بين الذؤيب^(١) وبين غيب الناعم
لولا الحياء وأن رأسي قد عسا * فيه المشيب لزرت أم القاسم

فدعاه مولاه فقال : أعذ يا بني ، فأعاده فإذا هو أحسن مما أبتدأ به ، وقال :
إن هذا لبعض ما كنت أقول . ثم قال له : أتى لك هذا ؟ قال : سمعت هذه
الأعاجم نتغنى بالفارسية فقلبتُها في هذا الشعر . قال : فأنت حرأوجه الله . فلزم
مولاه وكثر أدبه وآتسع في غنائه وشهر بمكة وأعجبوا به . فدفع إليه مولاه عبّيد بن
سريج وقال : يا بني علمه وأجتهد فيه . وكان ابن سريج أحسن الناس صوتا ،
فتعلم منه ثم برز عليه . وقد قيل : إنه إنما سمع الغناء من الفرس لما أمر معاوية
ببناء دُوره بمكة التي يقال لها « الرُّقْط » ، وكان قد حمل إليها بنائين من الفرس
الذين كانوا بالعراق فكانوا يبنونها ، وكان سعيد بن مسجع يأتيهم فيسمع غناءهم
على بنائهم ، فما استحسّن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربي ، ثم صاغ على
نحو ذلك . وكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الألحان شعر الأخوص ، وهو :

أسلام إنك قد ملكت فاشججني * قد يملك الحرّ الكريم فيسجج
منى على عايب أطلت عناءه * في الغلّ عندك والعناة تُسرح

(١) في الأصل : « الديك » . والتصويب عن معجم باقوت (ج ٢ ص ٧٢٥ طبع أوربا) .

إني لأنصحكم وأعلم أنه * سَيَّانٍ عِنْدَكَ مِنْ يَغْشُ وَيَنْصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلَامَةَ حَبَّاء * قالت أجدُ منك ذا أم تَمَزَحُ

وهذا من أقدم الغناء العربي المنقول عن الفارسي . قال : وعاش سعيد بن مسجع
حتى لقيه معبد وأخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك .

- ومن أخبار سعيد ما رواه أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه قال : كتب عامل
لعبد الملك بن مروان بمكة إليه أن رجلا أسود يقال له سعيد بن مسجع قد أفسد
فتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم . فكتب إليه : أن أقبض ماله وسيّره إلى . فتوجه
أبن مسجع إلى الشام ، فصاحبه رجل له جوار مغنيات في الطريق . فقال له : أين
تريد ؟ فأخبره الخبر وقال : أريد الشام ، فصاحبه حتى بلغا دمشق ، فدخل مسجدها
فسألا : مَنْ أَخَصُّ النَّاسِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمه .
فوقف أبن مسجع عليهم فسلم ، ثم قال : يا فتيان ، هل فيكم مَنْ يُضَيِّفُ رجلا
غريبا من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وكان عليهم موعد أن يذهبوا إلى
قَيْنَةَ يقال لها « برق الأفق » ، فتأقلوا به إلّا فتى منهم تَدَمُّمٌ ^(١) فقال له : أنا أَضَيِّفُكَ ،
وقال لأصحابه : آنطلقوا أتم وأنا أذهب مع ضيفي . فقالوا : لا ، بل تجيء معنا
أنت وضيفك . فذهبوا جميعا إلى بيت القينة . فلما أُتُوا بِالْغَدَاءِ قال لهم سعيد :
إني رجل أسود ، ولعل فيكم من يَقْدَرُنِي ، فأنا أجلس وأكل ناحية وقام ، فأستحيوا
منه وبعثوا له بما أكل . فلما صاروا إلى الشَّراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا .
ثم أخرجوا جارتين ، جلستا على سرير قد وُضِعَ لهما فغَتَّتا إلى العشاء ثم دخلتا ،
ونجرت جارية حسنة الوجه والهيئة وهما معها جلستا أسفل السرير عن يمينه
وشماله وجلست هي على السرير . قال أبن مسجع : فتمثلت هذا البيت :

٢٠

(١) تدمم : خشي الدم واللوم .

فقلتُ أشمسُ أم مصابيحُ بيعةٍ * بدتُ لك خلفَ السِّجْفِ أم أنتَ حالمُ
فغَضِبْتُ الجاريةَ وقالت : أ يضربُ مثلُ هذا الأسودُ بي الأمثال ! فنظروا إلى
نظراً منكراً ، ولم يزالوا يُسَكِّنونها . ثم غنّت صوتاً . قال ابن مسجح : فقلت :
أحسنِ والله ! فغَضِبَ مولاهُ وقال : أمثلُ هذا الأسودُ يُقَدِّمُ على جاريتي !
فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قُمْ فأنصرف إلى منزلي ، فقد ثقلتُ على القوم .
فذهبت أقوم . فتذم القوم وقالوا : بل أقيم وأحسن أدبك : فأفقت . فغنّت ، فقلت :
أخطأت والله وأساءت ! ثم أندفعتُ فغنيت الصوت ؛ فوثبت الجاريةُ فقالت
لمولاهُ : هذا أبو عثمان سعيد بن مسجح . فقلت : إى والله ، أنا هو ، والله لا أقيم
عندكم ووثبت ؛ فوثب القرشيون : فقال هذا : تكون عندي ، وقال هذا : تكون
عندي ، [وقال هذا : بل عندي ^(١)] . فقلت : والله لا أقيم إلا عند سيديكم !
(يعني الرجل الذي أنزله) منهم وسألوه عما أقدمه . فأخبرهم . فقال له صاحبه : إني أسمعُ
الليلة عند أمير المؤمنين ، فهل تُحسن أن تحدو؟ فقال : لا والله ، ولكنني أصنعُ حذاءً .
فقال له : إن منزلي بمنزل أمير المؤمنين ، فإذا وافقتُ منه طيبَ نفس أرسلتُ
إليك . ومضى إلى عبد الملك . فلما رآه طيبَ النفس أرسل إلى ابن مسجح ؛ فأخرج
رأسه من وراء شرف القصر ثم حدا :

إنك يا معاذُ يابنَ الفضلِ ^(٢) * إن زُلْزِلَ الأقدامُ لم تُزَلِّ
عن دين موسى والكتابِ المُنزَلِ ^(٣) * تُقيمُ أصداغَ القرونِ المِيلِ
* للحقِ حتى ينتحوا للأعدلِ *

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٣ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) في الأصل : * إنك يا معاوى المفضل * والتصويب عن الأغاني .

(٣) في الأصل : « أضراع » . وفي الأغاني : « أصداغ » ، وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه ،
لأنه من صدغ يصدغ صدوغاً وصدغاً بمعنى مال ، ومنه لأقيم صدغك أى ميلك .

فقال عبد الملك للقرشيّ : مَنْ هَذَا ؟ فقال : رجل حجازيّ قديم عليّ . قال : أحضره ، فأحضره . ثم قال له : [هل] ^(١) تغنّي غناء الرّكبان ؟ فغنّي . فقال له : هل تغنّي الغناء المتقنّ ؟ قال نعم . قال : هيه ، فغنّي ، فأهتّر عبد الملك طرباً ، ثم قال : أقسم بالله إنّ لك في القوم أسماً كبيراً ، مَنْ أنت ؟ ويلك ! قال : أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه «سعيد بن مسجع» ، قبض مالي عامل الحجاز ونفاني . فتبسّم عبد الملك ثم قال : قد وضح عُذرُ فتیان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالهم ، وأمنه ووصله وكتب إلى عامله بالحجاز أن أردّد إليه ماله ، ولا تتعرض إليه بسوء . والله أعلم .

ذكر أخبار سائب خاثر

- ١٠ هو أبو جعفر سائب خاثر بن يسار ، مولى لبني ليث . وأصله من فيء كسرى ، وأستراه عبد الله بن جعفر فأعتقه . وقيل : بل كان على ولائه لبني ليث ، ولكنه أنقطع إلى عبد الله بن جعفر ولزمه وعُرف به . وهو أول من عمل العود بالمدينة وغنّي به . قال : وكان عبد الله بن عامر بن كُرَيْز سبي إماء صَنَاجَات ^(٢) فأتى بهنّ المدينة . فكنّ يلعبن في يوم الجمعة ويسمع الناس منهنّ ، فأخذ عنهنّ . وقديم رجل فارسيّ يُعرف بنَشِيط ، فغنّي ، فعجّب عبد الله بن جعفر منه . فقال له سائب خاثر : ١٥ أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسيّ بالعربيّة . ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد عمل في :

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) في الأغاني (ج ٧ ص ١٨٨) (طبع بولاق) : «اشترى» .

٢٠ (٣) هنّ اللاعبات بالصنج ، وهو صفيحة مستديرة من نحاس تضرب بأخرى مثلها ، وقيل : الصنج ذو الأوتار الذي يلعب به .

لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ * لعبتْ بها الأرواحُ والقَطَرُ
وَحَلَّ لها من بَعْدِ ساكنِها * حَجَّجَ مَضِينَ ثَمَانٍ أَوْ عَشْرُ
وَالزَّعْفَرانُ على ترائِبِها * شَرِقَ به اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ

قال ابن الكلبي : وهو أول صوت غنى به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة . قال : ثم اشترى عبد الله بن جعفر نسيطا بعد ذلك ، فأخذ عنه سائب خاثر الغناء العربي ، وأخذ عنه ابن سريج وجميلة ومعبدة وعزة الميلاء وغيرهم . وقيل : إنه لم يكن يضرب بالعود وإنما كان يقرع بالقضيب ويغنى مرتجلا . قال ابن الكلبي : وكان [سائب تاجرا] ^(١) موسرا يبيع الطعام بالمدينة ، وكان تحته أربع نسوة . وكان أنقطاعه إلى عبد الله بن جعفر ، وهو مع ذلك يخاطب سروات الناس وأشرفهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى على نفسه ألا يغنى أحدا سوى عبد الله بن جعفر إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة ، فكان على ذلك إلى أن قُتل ، على ما ذكره . وأخذ عنه معبد غناء كثيرا . قال : وسمع معاوية غناء سائب خاثر مرارا ، فالتزته الأولى لما وفد عبد الله بن جعفر إلى معاوية وهو معه ، فسأل عنه معاوية ، فأخبره عبد الله خبره وأستاذنه في دخوله عليه ، فأذن له . فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته فغنى :

* لَمَنِ الدِّيارُ رَسومُها قَفَرُ * الأبيات

فالتفت معاوية إلى عبد الله وقال : أشهد لقد حسنه . وقضى معاوية حوائجه وأحسن إليه ووصله . وقيل : أشرف معاوية ليلة على منزل يزيد ، فسمع صوتا أعجبه ، وأستخفه السماع فاستمع حتى مل ، ثم دعا بكرسى بفلس عليه وأشتهى الاستزادة ، فاستمع بقية ليلته . فلما أصبح غدا عليه يزيد ، فقال : يا بني ، من كان

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٧ ص ١٨٨ طبع بولاق) .

جليسك البارحة؟ قال : أى جليس يا أمير المؤمنين؟ وأستعجم عليه . فقال : عرّفتني به فإنه لم يخف على شيء من أمرك . قال : هو سائب خاثر . قال معاوية : فأكثر له يا بنى من برك ووصلتك ، فما رأيت يجالسته بأسا .

قال ابن الكلبي : وقدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم ، فأمر حاجبه بالإذن للناس ، فخرج ثم رجع فقال : ما بالبواب أحد . فقال معاوية : وأين الناس؟ قال : عند عبد الله بن جعفر . فركب معاوية بغلته ثم توجه إليهم . فلما جلس قال بعض القرشيين لسائب خاثر : مطرفي هذا لك إن أندفعت تغني (وكان المطرف من خز)؛ فقام بين السماطين وغني فقال :

لنا الحفّات الغريلمعن بالضحي ^(١) * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك ، ثم أنصرف ، وأخذ سائب خاثر المطرف ^(٢) .

وكان مقتل سائب خاثر بالمدينة يوم الحرة . قال : وكان يخشى على نفسه من أهل الشام . فخرج إليهم وجعل يقول : أنا مغن ، ومن حالي ومن قصتي كيت وكيت ، وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا له : غن لنا ، ففعل . فقام أحدهم فقال : أحسنت والله ، ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيد خبره ومرّ به اسمه في أسماء من قتل فلم يعرفه وقال : من سائب خاثر؟ فعرف به ، فقال : ويله ما له وما له ! ألم تحسن إليه ونصّله ونخلطه بأنفسنا ! فما الذي حمّله على عداوتنا ! لا جرم أن بغّيه علينا صرعه . وقيل : إنه لما بلغه قتله قال : إنا لله ! أو بلغ

(١) كذا في الأغاني (ج ٧ ص ١٩٠ طبع بولاق) وكامل المبرد وديوان قائله سيدنا حسان بن ثابت المطبوع في أوربا . وفي الأصل : « في الدجى » .

(٢) روى المبرد في الكامل حكاية لمعاوية مع عبد الله بن جعفر تشبه هذه من بعض الوجوه (انظر صفحة ٣٩٠ طبع أوربا) .

القتلُ إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد، وقال . قبحكم الله
ياهل الشام ! تجدهم وجدوه في حائط أو حديقة مستترا فقتلوه . وقد قيل : إنه
تقدم يوم الحرة وقاتل حتى قُتل . والله أعلم .

ذكر أخبار طويس

هو عيسى بن عبد الله . وكنيته أبو عبد المنعم ، وغيرها المختون فقالوا :
أبو عبد النعيم . وطويس لقبٌ غلب عليه ، وقيل : اسمه طاوس ، مولى بني مخزوم .
وكان أيضا يلقب بالذائب ؛ لأنه غنى :

قد براني الحب حتى * كدت من وجدى أذوب

وهذا أول غناء غناه وهزج هزجه . وقد ضرب المثل به في الشؤم فقالوا :
"أشأم من طويس" لأنه وُلِدَ يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفُطِمَ يوم
مات أبو بكر رضي الله عنه ، وخُتِنَ يوم مات عمر رضي الله عنه ، وتزوج يوم قُتِلَ
عثمان ، ووُلِدَ له يوم مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان مخنثا أحول
طويلا ؛ وقيل : إنه وُلِدَ ذاهب العين اليمنى . قالوا : وكانت أمه تمشي بين نساء
الأنصار بالنائم . وطويس أول من صنع الهزج والرمل في الإسلام ، وكان الناس
يضربون به المثل فيقولون : « أهزج من طويس » . وكان لا يضرب بالعود
ولمَّا ينقر بالدُّفِّ . وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها .

٩٩

حكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى المدائني قال : قدم ابن سريح المدينة ،
بجلس يوما في جماعة وهم يقولون له : أنت والله أحسن الناس غناء ، إذ مرّ بهم
طويس فسمعهم وما يقولون ، فأستل دُفَّهُ من حِضْنِه ونقره وغنى ؛ فلما سمعه

(١) ابن سريج قال : هذا والله أحسنُ الناسُ غناءً لا أنا . وقال المدائني ، قال مسلمة
 ابن محارب : حدثني رجل من أصحابنا قال : خرجنا في سفر ومعنا رجلٌ من أصحابنا
 فاتھينا إلى وادٍ ، فدعونا بالغداء ، فمَدَّ الرجلُ يده إلى الطعام فلم يَقْدِرْ عليه ، وكان
 قبل ذلك يأكل معنا ، فخرجنا نسأل عن حاله فنلقى رجلاً طويلاً أحول مضطرباً
 الخلق في زِيِّ الأعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبر الرجل
 فقال : ما اسم صاحبكم ؟ فقلنا : أَسِيدٌ ، فقال : هذا وادٍ قد أَخَذَتْ سِباعُهُ فارتحلوا ،
 فلو قد جاوزتم الوادي استمر صاحبكم وأَسَدٌ وأَكَلَ . قلنا في أنفسنا : هو من الجن ،
 ودخلنا فزعة . فثمهم ذلك وقال : لِيُنْزَخْ رَوْعُكُمْ فإنا طَوَيْسٌ . فقال له رجل منا :
 مرحباً بك أبا عبد النعيم ، ما هذا الرّى ؟ ! فقال : دعاني بعض أودائي من الأعراب
 فخرجت إليهم وأحببتُ أن أتخطي الأحياء فلا يُنْكروني . فسأله رجل منا أن يغنينَا ،
 فأندفع ونقر بدفٍّ كان معه مربع ، فلقد خُيِّلَ لي أن الوادي ينطق معه حسناً .
 وتعجبنا من علمه وما أخبرنا به من أمر صاحبنا .

قال المدائني : وكان طَوَيْسٌ وإِيعاً بالشعر الذي قالته الأوس والخزرج
 في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء ، فقلَّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحيان فغنى
 فيه طَوَيْسٌ إلا وقع فيه شيء . فنهى عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناءَ بشعر
 الأنصار حتى يوسّدوني التراب ، وذلك لكثرة تولّع القوم به ، وكان يُبْشِرُ السرائر
 ويُخرج الضغائن ، وغناؤه يُستحسن ولا يُصبر عن حديثه .

- (١) كذا في الطبري والأغانى (ج ٣ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) وهو مسلمة بن محارب بن
 سلم بن زياد الراوى . وفي الأصول : « مسلم » وهو تحريف .
 (٢) عبارة الأغانى : « فنقينا رجلاً ... » . (٣) أخذت سباعه : سحرت .
 (٤) استمر : قوى واستقام أمره .
 (٥) كذا في الأصل . والذي في الأغانى : « استمر صاحبكم وأكل » بدون « أسد » .

وحكى الأصبهاني عفا الله عنه قال : كان بالمدينة مخنث يقال له النغاشي .
 فقيل لمروان بن الحكم : إنه لا يقرأ من كتاب الله تعالى شيئا . فبعث إليه فاستقرأه
 أم الكتاب ؛ فقال : والله ما معي بناتها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن !
 فقال : أتتزا لا أم لك ! فأمر به فقيل ببطحان^(١) ، وقال : من جاءني بمخنث فله
 عشرة دنانير . فأتى طويس وهو في بني الحارث بن الخزرج فأخبر بمقالة مروان ؛
 فقال : أما فضلى الأمير عليهم بفضلي حتى جعل في وفيهم شيئا واحدا ! . ثم خرج
 حتى نزل السويداء (على ليلتين من المدينة في طريق الشام) فنزلها ، فلم يزل بها بقية
 عمره . وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك . ثم ساق الأصفهاني هذه
 القصة في موضع آخر بسند آخر قال : خرج يحيى بن الحكم وهو أمير على المدينة ،
 فبصر بشخص في السبخة مما يلي مسجد الأحزاب ؛ فلما نظر إلى يحيى جلس ؛
 فاستراب به ، فوجه إليه أعوانه ، فأتى به كأنه امرأة في ثياب مصبغة مصقولة
 وهو ممتشط مخضب . فقال له أعوانه : هذا ابن نغاش المخنث . فقال : ما أحسبك
 تقرأ من كتاب الله تعالى شيئا ! إقرأ أم القرآن ؛ فقال : لو عرفت أمهن عرفت
 البنات . فأمر به فضربت عنقه . وساق نحو ما تقدم ، إلا أنه قال : جعل في كل
 مخنث ثلثمائة درهم .

وحكى أيضا بسند رفعه إلى صالح بن كيسان وغيره : أن أبان بن عثمان لما
 أمره عبد الملك على الحجاز أقبل ، حتى [إذا] دنا من المدينة تلقاه أهلها وخرج
 إليه أشرافها ، فخرج معهم طويس . فلما رآه سلم عليه ، ثم قال له : أيها الأمير ،

(١) بطحان (بفتح الباء ، وأكثروا يضمها . قال ابن الأثير : ولعله الأصح) : اسم وادي

المدينة ، واليه ينسب البطحانيون . (انظر اللسان مادة « بطح ») .

(٢) الزيادة عن الأغاني (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

﴿١٠﴾

إِنِّي كُنْتُ قَدْ أُعْطِيتُ اللَّهُ تَعَالَى عَهْدًا إِنْ رَأَيْتُكَ أَمِيرًا لَاخِضِبِن يَدِي إِلَى الْمُرْفَقَيْنِ
ثُمَّ أَزْدُو^(١) بِالْدَفِّ بَيْنَ يَدَيْكَ . ثُمَّ أَبْدَى عَنْ دَفِّهِ وَتَغْنَى [بشعر ذِي جَدَنِ الْحَمِيرَى^(٢)] :

مَا بَالُ أَهْلِكَ يَا رَبَّابُ * نُحْزَرًا كَأَنَّهُمْ غَضَابُ

فَطَرِبَ أَبَانَ حَتَّى كَادَ يَطِيرُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ : حَسْبُكَ يَا طَاوُسُ ! — وَلَمْ يَقُلْ لَهُ

طُوَيْسٌ لَنْبَلُهُ فِي عَيْنِهِ — ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَجْلِسْ ، بَخْلَسْ . فَقَالَ لَهُ أَبَانُ : قَدْ زَعَمُوا

أَنْتَ كَافِرٌ . فَقَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا

رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] وَأَصَلَّى الْخَمْسَ وَأَصُومُ رَمَضَانَ وَأُحِجُّ الْبَيْتَ . قَالَ :

أَفَأَنْتَ أَكْبَرُ أُمِّ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ ؟ — وَكَانَ عَمْرٍو أَخَا أَبَانَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ — فَقَالَ

طُوَيْسٌ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! أَنَا وَاللَّهِ مَعَ جَلَائِلِ نِسَاءِ قَوْمِي أُمِّسِكَ بِذِيوَلَهْنِ يَوْمَ زُفَّتْ^(٣)

أَمْكُ الْمُبَارَكَةِ إِلَى أَبِيكَ الطَّيِّبِ . فَاسْتَحْيَا أَبَانَ وَرَمَى بِطَرْفِهِ إِلَى الْأَرْضِ .

ذِكْرُ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ^(٤) بْنِ سَرِيحٍ

هُوَ أَبُو يَحْيَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرِيحٍ ، مَوْلَى بَنِي نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ :

إِنَّهُ مَوْلَى لَبْنَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مَوْلَى لَبْنَى لَيْثٍ ، وَمَنْزَلُهُ بِمَكَّةَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عُتْبَةَ اللَّهِيّ : إِنَّهُ مَوْلَى لَبْنَى عَائِذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْزُومٍ .

وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ أَنَّهُ كَانَ آدَمَ أَحْمَرَ ظَاهِرَ الدَّمِ سِنَاطًا^(٥) ، فِي عَيْنَيْهِ قَبْلُ^(٦) ،

وَبَلَغَ خَمْسًا وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ .

(١) أَزْدُو : أَضْرَبُ .

(٢) الزِّيَادَةُ عَنْ الْأَغَانِي (ج ٤ ص ٢١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « عَلَى أَبِيكَ » . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ الْأَغَانِي .

(٤) هَكَذَا بِالْأَصُولِ . وَسَيَأْتِي قَرِيبًا أَنَّهُ يُسَمَّى « عُبَيْدُ بْنُ سَرِيحٍ » . وَاضْطَرَبَتْ فِيهِ أَصُولُ الْأَغَانِي ،

فَوُرِدَ فِي بَعْضِهَا : « عُبَيْدٌ » . وَفِي بَعْضِهَا : « عُبَيْدُ اللَّهِ » . وَفِي بَعْضِهَا : « عَبْدُ اللَّهِ » .

(٥) السِّنَاطُ : الَّذِي لَا لَحْيَةَ لَهُ أَصْلًا أَوِ الْخَفِيفُ الْعَارِضُ أَوْ مَنْ لَهُ لَحْيَةٌ وَلَيْسَ فِي عَارِضِيهِ شَيْءٌ .

(٦) الْقَبْلُ : مِثْلُ الْحَوْلِ فِي الْعَيْنِ أَوْ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ .

ونقل أيضا عن ابن الكلبي أنه كان مخنثا أحول أعمش ، يلقب وجه الباب .
 وكان لا يغنى إلا متقبعا ، مُسَبِّلَ القِنَاعِ على وجهه . قال : وكان أحسن الناس
 غناء ، وكان يغنى مُرْتَجِلا وَيُوقِعُ بقضيب ، وقيل : كان يضرب بالعود ، وغنى في زمن
 عثمان بن عفان ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل : كان اسمه عبيد بن
 سريخ من أهل مكة . وقال ابن جريح : كان عبيد بن سريخ مولى آل خالد بن أسيد ،
 وقيل : كان أبوه تركيا . وقيل : كان عودته على صنعة عيدان الفرس ، وهو أول من
 ضرب به على الغناء العربي بمكة ؛ وذلك أنه رآه مع العجم الذين قدم بهم ابن الزبير
 لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم . فقال ابن سريخ : أنا أضرب به على غنائى ،
 فضرب به فكان أحذق الناس . وأخذ الغناء عن سعيد بن مسجع ، وقد تقدم
 ذكر ذلك . وأول ما اشتهر بالغناء في خِتان ابن مولاة عبد الله بن عبد الرحمن بن
 أبي حسين . قال ابن سريخ لأم الغلام : خَفَضِ عليك بعض المغرم والكلفة ،
 فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به . وكان معبد إذا أعجبه غناء نفسه
 قال : أنا اليوم سُرَيْجِي .

ومن أخباره أيضا أن عطاء بن أبي رباح لقيه بذي طوى وعليه ثياب مُصَبَّغَةٌ
 وفي يده جَرَادَةٌ مشدودة الرجل بخيط يُطِيرُهَا وَيَجْذِبُهَا كلما تخلفت ؛ فقال له عطاء :
 يا فتان ، ألا تكف عما أنت فيه ! كفى الله الناس مثونتك . فقال له ابن سريخ :
 وما على الناس من تلوينى ثيابى ولعبي بجرادتي ! فقال : تُغْنِيهِمْ أَغَانِيكَ الخبيثة .
 فقال له ابن سريخ : بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلا سمعت منى بيتا من الشعر ، فإن سمعت
 منكرا أمرتنى بالإمساك عما أنا عليه ، وأنا أقسم بالله وبحق هذه البنية إن أمرتنى

بعد آستماعك مني بالإمسالك عما أنا عليه لأفعلن . فأطمع ذلك عطاءً في ابن سريج
وقال له : قل . فأندفع يغني بشعر جرير :

إن الذين غدوا بلبك غادروا * وشالا بعينك لا يزال معيننا

غِيضَنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَانِ لِي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

- قال : فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً وداخلته أريجية ، خلف ألا يكلم
أحدًا بقية يومه إلا بهذا الشعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ، فكان كل من
يأتيه يسأل عن حلال أو حرام أو خبر لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى
ويُنشد هذا الشعر حتى صلى المغرب ، ولم يعاود ابن سريج بعدها ولا تعرض له .
وحكى عنه أيضاً أن عمر بن أبي ربيعة حج في عام من الأعوام ومعه ابن سريج ،
فلما رموا الجمرات تقدما الحاج إلى كئيب على خمسة أميال من مكة مشرفاً على طريق
المدينة وطريق الشام والعراق ، وهو كئيب شامخ مفرد عن الكُتبان ، فصارا إليه
فأكلا وشربا . فلما أنتشيا أخذ ابن سريج الدف فنقره وجعل يتغنى وهم ينظرون
إلى الحاج . فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته وتغنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة ، فسمعه
الركبان ، فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت ، أما لتقي الله ! قد حبست الناس عن
مناسكهم ، فيسكت قليلاً حتى إذا مضوا رفع صوته فيقف آخرون ، إلى أن وقف
عليه في الليل رجل حسن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكئيب ، ثم نادى :
يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن ترد شيئاً مما سمعته منك ؟ قال : نعم ونعمة
عين ، فأياها تريد ؟ فأقترح صوتاً فغناه . ثم قال له ابن سريج : ازدد إن شئت ، فأقترح
صوتاً آخر فغناه ، فقال له : والثالث ولا أستريدك ، فغناه الثالث . وقال له ابن
سريج : أبقيت لك حاجة ؟ قال نعم ، تنزل لأخاطبك ، فنزل إليه فإذا هو يزيد

(١) في الأصول هكذا : (أتعبت الزجاجة) . والتصويب عن الأغاني (ج ١ ص ١٠٣) .

ابن عبد الملك، فأعطاه حُلته وخاتمه وقال : خذهما ولا تُخَدَّعَ فيهما فإن شراءهما ألف وخسمائة دينار، فعاد ابن سريج بهما فأعطاهما لعمر بن أبي ربيعة وقال : هما بك أشبهُ منهما بي، فأخذهما وعوّضه عنهما ثلاثمائة دينار، وغدا فيهما إلى المسجد، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويسألون عمر عنهما، فيُخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك . وقيل : إن عمر بن عبد العزيز مرّ به فسمع ابن سريج وهو يغني، فقال : لله در هذا الصوت لو كان بالقرآن ! .

قال إبراهيم بن المهدي : كان ابن سريج رجلا عاقلا أدبيا، وكان يعاشر الناس بما يشتهون فلا يغنيهم بما مُدِح به أعداؤهم ولا بما فيه عارٌ عليهم أو غضاضة منهم . ومن أخباره ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني بإسناده، قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أَسْخِصْ إلى ابن سريج، فأشخصه إليه . فلما قدم مكث أياما لا يدعوه ولا يلتفت إليه، ثم ذكره فأستحضره، فدخل عليه وسلم فأذن له بالجلوس وأستدناه حتى كان قريبا منه، فقال : وَيَحْك يا عُبَيْد ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة مجلسك . قال : جُعِلت فداءك يا أمير المؤمنين ! « تسمع بالمُعَيْدِي لا أن تراه »^(١)، قال الوليد : إني لأرجو ألا تكون أنتَ ذاك، ثم قال : هاتِ ما عندك، فأندفع يغني بشعر الأحوص :

وإني إذا حَلَّتْ بَيْشٌ مقيمة * وَحَلَّ بَوْجٌ جالسا أو تتهما^(٢)^(٣)

(١) هذى إحدى روايات المثل، حكاه الميبداني في مجمع الأمثال، والرواية المشهورة وهي التي صدرت بها هذه الروايات (تسمع بالمعیدی خير من أن تراه) .

(٢) بيش (بالفتح) : أحد مخاليف اليمن . وبیش (بالكسر) : من بلاد اليمن أيضا قرب دهلك .

(٣) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٢٩٨ طبع دار الكتب المصرية) ووج : اسم واد بالطائف بالبادية وفي الأصول : « بوح » بالخاء المهملة . روح : قيل إنها ناحية بعمان وجالسا : أتى المجلس وهو نجد . وتهم : أتى تهامة .

يَمَانِيَّةٌ شَطَّتْ وَأَصْبَحَ نَفْعُهَا * رَجَاءٌ وَظَنًا بِالْمَغِيبِ مَرْجَمًا
 أَحَبُّ دَنَوِ الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى * بِهَا صَدْعُ شَعْبِ الدَّارِ إِلَّا تَشْتَمًا
 بَكَاهَا وَمَا يَدْرِى سِوَى الظَّنِّ مَا بَكَى * أَحْيَا يُبَكِّى أُمُّ تَرَابًا وَأَعْظَمًا
 فَدَعَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً * تُزِلُّ عَنْكَ بُؤْسَى أَوْ تَفِيدُكَ مَغْنَمًا^(١)
 فَإِنْ بِكَفِّهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ * وَغِيثَ حَيَا يَحْيَا بِهِ النَّاسُ مُرْهِمًا^(٢)
 إِمَامٌ أَتَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُثَبِّ * عَلَى مَلِكِهِ مَالًا حَرَامًا وَلَا دَمًا
 تَخَيَّرَهُ رَبُّ الْعِبَادِ لِحَلْفِهِ * وَلِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمًا
 يَنَالُ الْغِنَى وَالْعِزَّ مَنْ نَالَ وَدَّه * وَيَرْهَبُ مَوْتًا عَاجِلًا مَنْ تَشَامَا^(٣)

فَقَالَ الْوَلِيدُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ وَأَحْسَنَ الْأَحْوُسُ . ثُمَّ قَالَ : يَا عُيَيْدُ هَيْه ! فُغْنَاهُ بِشَعْرِ

عَدِي بْنِ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيِّ يَمْدَحُ الْوَلِيدَ :

طَارَ الْكَرَى وَالْمُتَّهِمُ فَأَكْتَمْنَا^(٤) * وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَأَمْتَمْنَا
 كَانَ الشَّبَابُ قِنَاعًا أَسْتَكِنُ بِهِ * وَأَسْتَظِلُّ زَمَانًا ثُمَّتْ أَنْقَشَعَا
 وَأَسْتَبْدِلُ الرَّأْسَ شَيْبًا بَعْدَ دَاجِيَةٍ * فَيَنَانَةٍ مَا تَرَى فِي صُدْغِهَا نَزْعًا^(٥)
 فَإِنْ تَكُنْ مَيْعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبْتُ * وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبُورَةِ الْوَرَعَا
 فَقَدْ أُبَيَّتْ أُرَاعِي الْخَوْدَ رَابِيَةً^(٦) * عَلَى الْوَسَائِدِ مَسْرُورًا بِهَا وَلِيعَا

(١) فِي الْأَغَانِي : « أَنْعَمَا » . وَرَفَعَ الْفِعْلَ هُنَا عَلَى تَوْهَمِ أَنَّ الْأَوَّلَ مَرْفُوعٌ ، كَأَنَّهُ قِيلَ : تَزِيلُ عَنْكَ

بُؤْسَى أَوْ تَفِيدُكَ مَغْنَمًا ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ كَأَنَّهُ قِيلَ : أَوْ هِيَ تَفِيدُكَ مَغْنَمًا .

(٢) يُقَالُ : أَرْهَمْتُ السَّمَاءَ إِذَا أَتَتْ بِالرَّهَامِ ، جَمْعُ رَهْمَةٍ وَهِيَ الْمَطَرُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « تَشَامَا » . وَالتَّصَوُّبُ عَنِ الْأَغَانِي .

(٤) أَلَمْ : نَزَلَ . وَاكْتَمَعَ : دَنَا وَحَضَرَ .

(٥) فَيَنَانَةٌ : حَسَنَةُ الشَّعْرِ طَوِيلَتُهُ . وَالنَّزْعُ : انْخِسَارُ مَقْدَمِ شَعْرِ الرَّأْسِ عَنْ جَانِبِي الْجَبْهَةِ .

(٦) فِي الْأَغَانِي : « رَاقِدَةٌ » .

براقة الثغر يشفي القلب لذتها * إذا مقبلها في ريقها كرمها
كالأخوان بضاحي الروض صبحه * غيث أرش بتنضاج وما نقعا
صلى الذي الصلوات الطيبات له * والمؤمنون إذا ما جمعوا الجمعا
على الذي سبق الأقوام ضاحية * بالأجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذي جمع الرحمن أتمته * على يديه وكانوا قبله شيعا^(١)
عذنا بذى العرش أن نحيا ونفقدده * وأن نكون لراع بعده تبعا
إن الوليد أمير المؤمنين له * ملك أعان عليه الله فارتفعا^(٢)
لا يمنع الله ما أعطى الذين هم * له عباد ولا يعطون ما منعا

فقال الوليد : صدقت يا عبدي ، أتى لك هذا ؟ قال : (هو من عند الله) .
قال الوليد : لو غير هذا قلت لأحسن أدبك . قال ابن سريج : (ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء) قال الوليد : (يزيد في الخلق ما يشاء) . قال ابن سريج : (هذا من
فضل ربى ليسلوني أشكر أم أكفر) . قال الوليد : لعلمك والله أكثر وأعجب إلى
من غنائك ! غننى ؛ فغنناه بشعر عدى بن الرقاع يمدح الوليد فقال :
عرف الديار توهمها فأعتادها * من بعد ما شمل البلى أبلادها^(٤)

- ١٥ (١) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٢٩٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصول : « صلى
الذى ... الخ » .
(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « لا يمنع الناس » .
(٣) رأينا أن ثبتت هذه القصيدة كاملة ، وقد نقلناها عن مجلة الآثار السنة الثانية ص ٤٤٤ وقد
نشرها فيها المرحوم أحمد تيمور باشا وقال : إنه لا يوجد منها في كتب اللغة والأدب إلا أبيات متفرقة وإنه
عثر عليها تامة في مجموع مخطوط قديم بخزانة المرحوم أحمد زكى باشا مكتوب عليه بخط حديث أنه للشعالي .
والأبيات الموضوعة بين قوسين مربعين غير موجودة بالأصل .
(٤) أبلادها : آثارها . وفي رواية أخرى « درس » بدل « شمل » .

[إلا رواسى كلهن قد أصطلى * جمراً وأشعل أهلها إيقادها^(١)
 كانت رواحل للقدور فعريت * منهن وأسئلب الزمان رمادها^(٢)
 وتكرت كل التنكر بعدنا * وآلأرض تعرف بعلمها وجمادها^(٣)
 ولرب واضحة العوارض حرة^(٤) * كالريم قد ضربت به أوتادها^(٥)
 تصطاد بهجتها المعلل بالصبا * عرّضاً فتقصده ولن يصطادها^(٦)
 كالظبية البكر الفريدة ترتعي * من أرضها قفاتها وعهادها^(٧)
 خضبت لها عقد البراق جبينها * من عركها عالجها وعرادها^(٨)
 كالزئ في وجه العروس تبدأت * بعد الحياء فلاعبت أرادها
 ترحى أغن كأن إبرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها^(٩)
 ركبته به من عاج متحيراً * قفراً تريت وحشيه أولادها^(١٠)
 فترى محانيه التي تسق الثرى * والهبر يونق نبتها روادها^(١١)
 بانت سعاد وأخلفت ميعادها * وتباعدت عنا لئتمنع زادها^(١٢)

(١) رواية الأغاني «رواك» بدل «رواسى» ، و«جمراً أشعل» بدل «جمراً وأشعل» .

(٢) البعل : الأرض المرتفعة التي لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة ، والجماد : اليابسة التي لم

يصيبها مطر ولا شئ فيها .

(٣) في الأغاني (ج ١ ص ١١٩) : « طفلة » .

(٤) المعلل بالصبا : المشغول به المتلهى . وأقصده : رماه بسهم فقتله .

(٥) القفات : جمع قفة ، وهي — كما قال الأزهري — : شجرة مستديرة ترتفع عن الأرض قدر

شبر وتيس . والعهاد : جمع عهد بالفتح وعهدة (بالفتح والكسر) وهي مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله .

(٦) في الأصل :

خضبت لها عقد البراق جبينها * عن عركها علجانها وعرادها

والبراق : جمع برقة وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . والعلجان والعراذ نباتان .

(٧) عاج : اسم موضع .

(٨) محانيه : معاطفه وثناياه ، وتسق : من الوسق وهو الجمع ، والهبر : المظمن من الأرض .

إني إذا ما لم تصلني خلتي * وتباعدت عني آغفرت^(١) بعادها
 [إما ترى شئبي تقشع^(٢) لمتي * حتى علا وضح^(٣) يلوح سوادها
 فلقد ثبت يد الفتاة وسادة * لي جاعلا يسرى يدي وسادها
 وأصاحب الجيش العرمم فارساً * في الخيل أشهد كرها وطرادها
 وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أقوم ميلها وسنادها^(٣)
 نظراً المثقف في كعوب قناته * حتى يقيم ثقافه^(٤) منادها
 فسترت عيب معيشتي بتكرّم * وأتيت في سعة النعيم سدادها^(٥)
 وعلمت حتى ما أرائل واحداً * عن علم واحدة لكي أزدادها
 صلى الإله على امرئ ودّعه * وأتم نعمته عليه وزادها
 وإذا الربيع نتابعت أنوائه * فسقى خنصرة الأحص^(٦) فجادها
 نزل الوليد بها فكان لأهلها * غيثاً أغاث أنيسها وبلادها
 أولاً ترى أن البرية كلها * أنقت خزائمها إليه فقادها
 ولقد أراد الله إذ ولاكها * من أمة إصلاحها ورشادها
 أعمرت أرض المسلمين فأقبات * وكففت عنها من يروم فسادها
 وأصبت في أرض العدو مصيدة * عمّت أقاصي غورها ونجادها
 ظفراً ونصراً ما تناول مثله * أحد من الخلفاء كان أرادها

(١) الخلة بالضم : الخلية . (٢) يلوح سوادها : يغيره .

(٣) السناد : هو اختلاف الحركات التي تلي الأرداف في الروى .

(٤) منادها : معوجها . (٥) السداد : ما تسد به الخلة . (٦) الأحص : كورة

كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب فصبتها « خنصرة » مدينة كان

ينزلها عمر بن عبد العزيز وهي صغيرة وقد خربت الآن إلا اليسير منها كذا في ياقوت ، وقد أورد البيت هكذا :

وإذا الربيع نتابعت أنوائه * فسقى خنصرة الأحص وزادها

فإذا نشرت له الثناء وجدته * جمع المكارم طرفها وتلاذها
 [غلب المسامح الوايد ساحة * وكفى قریش المعضلات وسادها
 تأتیه أسلاب الاعزة عنوة * قسراً ويجمع للحروب عتادها
 وإذا رأى نار العدو تضمرت * سامى جماعة أهلها فأقتادها
 بعزمهم تبدو الروابي ذى وعى * كالخزة آتحت الضحى أطوادها^(١)
 أطفأت ناراً للحروب وأوقدت * ناراً قدحت براحتيك زنادها
 فبدت بصيرتها لمن يبغي الهدى * وأصاب حر شديد حسادها
 وإذا غدا يوماً بنفحة نائل * عرضت له الغد مثلها فأعادها
 وإذا عدت خيل تبادر غاية * فالسابق الجالى يقود جياذها]

فأشار الوليد إلى بعض الخدم فغطوه بالخلع ، ووضعوا بين يديه كيس الدنانير
 وبدر الدراهم ، ثم قال الوليد : يا مولى بنى نوفل بن الحارث لقد أوتيت أمراً جليلاً
 فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرفاً عالياً وعزاً
 بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله ، فأدام الله لك ما ولاك
 وحفظك فيما استرعاك ، فإنك أهل لما أعطاك ، ولا يترعه منك إذ رآك له موضعاً .
 قال : يا نوفلى ، وخطيباً أيضاً ! قال ابن سريج : عنك نطق ، ولسانك تكلمت ،
 وبعزك بينت ، وكان قد أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصارى وعدي بن
 الرقاع العاملى ، فلما قدما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج فأنزلا منزلاً بجوار منزله .
 فقالا : والله لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولى بنى نوفل ، وإن
 فى قربك لما يلدنا ويشغلنا عن كثير مما نريد . فقال لهما ابن سريج : أوقلة شكر !

(١) الوعى : الخلبة ، والخرة بالفتح الأرض الصلبة الغليظة . والمعنى أن الروابي التى يحارب فيها هذا
 الجيش تبدو للناظر كأنها حرة حمل سراب الضحى أطوادها وجبالها العالية .

فقال له عدى : كأنك يا ابن اللّخاء تَمُنُّ علينا ، [على وعلى] ^(١) إن جمعنا وإياك سقُف بيت أو صحن دار عند أمير المؤمنين ، فقال الأحوص : أولا تحتمل لأبي يحيى الزّلة والمفسوة ، وكفارة يمين خير من ^(٢) لحاج في غير منفعة . فتحول عدى وبقى الأحوص . وبلغ الوليد ما جرى بينهم ، فدعا ابن سريج فأدخله بيتا وأرخصى دونه سِتْرًا ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدى من كلمتيهما أن يغنى ، فلما دخلا وأنشدها مدائح لهما فيه ، رفع ابن سريج صوته من حيث لا يروونه وضرب بعود . فقال عدى : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى أن أتكلّم ؟ قال : قل يا عاملى ، قال : مثل هذا عند أمير المؤمنين ويبعث إلى ابن سريج يتخطى رقاب قريش والعرب من تهامة إلى الشام ترفعه أرض وتخفّضه أخرى ليسمع غناءه ! قال : ويحك يا عدى ! أولا تعرف هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قط ولا سمعت مثله ، ولولا أنه فى مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفة من الجن يتغنّون ، فقال : أخرج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج . فقال عدى : حقّ لهذا أن يُحمل ! حقّ لهذا أن يحمل ! نلانا ، ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج وأرتحل القوم .

وروى أبو الفرج أيضا عن سهل بن بركة وكان يحمل عود ابن سريج قال : كان على مكة نافع بن علقمة الـكـنانى فشدد فى الغناء والمغنين والنبيذ ونادى فى المختين . فخرج فتية من قريش إلى بطن محسر ^(٢) وبمشوا برسول لهم ، فجاءهم براوية من شراب الطائف ، فلما شربوا وطربوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تم سرورنا ، فقلت : هو على لكم ، فقال لى بعضهم : دونك هذه البغلة فاركبها وأمض إليه ، فأتيته فأخبرته بمكان القوم وطلبهم إياه ، فقال لى : ويحك ! وكيف لى بذلك

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ١ ص ١١٩) .

(٢) بطن محسر : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل : بين منى وعرفة .

مع شدة السلطان في الغناء وندائه فيه . فقلت له : أتردهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعود ؟ فقلت : أنا أخبؤه لك فشأنك . فركب وستر العود فأردفني . فلما كنا ببعض الطريق إذا بنافع بن علقمة قد أقبل ؛ فقال لي : يا ابن بركة ، هذا الأمير . فقلت له : لا بأس عليك ! أرسل عنان البغلة وأمض ولا تخف ، ففعل . فلما حاذيناه عرفني ولم يعرف ابن سريح ، فقال لي . يا ابن بركة ، من هذا أمامك ؟ قلت : من ينبغي أن يكون ! هذا ابن سريح ؛ فبسم ثم تمثل :

فإن تنج منها يا أبا ت مسلمات * فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

ثم مضى ومضينا . فلما كنا قريبا من القوم نزل إلى شجرة يستريح . فقلت له : غني مرتجلا ؛ فرفع صوته فحبل إلى أن الشجرة تنطق معه ، فغنى وقال :

كيف الثواء ببطن مكة بعد ما * هم الذين تحب بالإجماع
أم كيف قلبك إذ تويت مخمرا * سقما خلافهم وكربك بادي
هل أنت إن ظعن الأحبة غادي * أم قبل ذلك مدلج بسواد

قال : فقلت : أحسنت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ! ولو أن كنانة كلها سمعتك لاستحسنتك ، فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور من غمره نافع . ثم قلت : زدني وإن كان القوم متعلقة قلوبهم بك ؛ فغنى وتناول عودا من الشجرة فوقع به على الشجرة ؛ فكان صوت الشجرة أحسن من خفق بطون الضأن على العيدان إذا أخذتها عيدان الدفلى ، وغنى :

لا تجمعي هجرا على وغربة * فالهجر في تلف المحب سريع

(١) كذا في الأغاني (ج ١١ ص ٢٠ طبع بولاق) . وفي الأصل : « ولونك » .

(٢) في الأصل : « من قيل ذلك » . والتصويب عن الأغاني .

(٣) في الأصل : « لاستحسنك » والتصحيح عن الأغاني .

(٤) الدفلى : شجر مر أخضر حسن المنظر يكون في الأودية .

مَنْ ذَا فَدَيْتُكَ يَسْتَطِيعُ لِحَبِّهِ * دَفْعًا إِذَا أَشْتَمَّتْ عَلَيْهِ ضَالُوعُ
 فقلت : بنفسى أنت والله ، من لا يُكَلَّل ولا يُمَلَّل ! والله ما جهل مَنْ فَهِمَكَ ، اركب
 بنا فَدَتَكَ نفسى . قال : أمهلنى كما أمهلْتُكَ أَقِضْ بعض شأنى . فقلت : وهل عما
 تريد مَدْفَعٌ ! . فقام فصلى ركعتين ثم ضرب بيده إلى الشجرة وقال : أشهد أن لا إله
 إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . ثم مضينا والقوم مستشرفون . فلما دنونا منهم إذا
 الغريض يغنيهم :

مِنْ خَيْلٍ حَيٍّ لَا تَزَالُ مُغِيرَةً * سَمِعْتُ عَلَى شَرْفِ صَهِيلِ حِصَانٍ
 فبكى ابن سريج حتى ظننت أن نفسه قد خرجت . فقلت : ما يُبْكِيكَ يا أبا يحيى ؟
 جُعِلْتُ فِدَاكَ لا يسوءك الله ولا يُرِيكَ سُوءًا^(١) ! قال : أبكاني هذا المَخْنَثُ بحسن
 غنائه وشجا صوته ، والله ما ينبغى لأحد أن يغنى وهذا الصبي حى ، ثم نزل وأستراح
 وركب . فلما سرنا هنيهة آندفع الغريض يغنى لهم بلحنه :

يَا خَلِيلِي قَدْ مِلْتُ نَوَائِي * بِالْمَصَلَّى وَقَدْ سَمْتُ الْبَقِيعَا
 بلغانى ديار هند وسعدى * وأرجعانى فقد هويت الرجوعا
 قال : ولصوته دوى فى تلك الجبال . فقال ابن سريج : يا بن بركة ، أسمعته مثل هذا
 الغناء قط ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا نساوى يسحبون أعطافهم وجعلوا يقبلون وجه
 ابن سريج . فنزل فأقام عندهم ثلاثا ، والغريض لا ينطق بحرف ، وأخذوا فى شراهم^(٢)
 وقالوا : يا حبيب النفس وشقيقها ، أعطها بعض شأنها . فضرب بيده إلى جيبه فأخرج^(٣)
 منه مضرا بآ ثم أخذه بيده ووضع العود فى حجره — فما رأيت^(٤) [يدا] أحسن من يده

(١) فى الأصول : « والله لا يسوءك هذا ولا يريك سوءا » . والنصوب عن الأغاني .

(٢) فى الأغاني : « بعض منها » .

(٣) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « الى جنبه » .

(٤) الزيادة عن الأغاني .

ولا خشبةً تخيلت لي أنها جوهرةٌ إلّا هي - ثم ضرب فلقد ضجَّ القومُ جميعاً ، ثم غنى
فكلُّ قال : لبيك لبيك ! فكان مما غنى به [واللحن له] ^(٢) هزجٌ :

لبيك يا سيدي * لبيك ألفاً عدداً

لبيك من ظالمية * أحببتها مجتهداً

قومى إلى ملعبنا * نحك الجوارى الخرداً

وضع يدي فوق يدي * نرفعها يداً يداً

فكلُّ قال : نفعل ذاك ، فلقد رأيتنا نستبق أينما تقع يده على يده . ثم غنى :

ما هاج شوقك بالصرائم * ربَّعٌ ^(٣) أحال لآل عاصم

ربَّعٌ تقادم عهده * هاج المحبُّ على التقادم

فيه النواغم والشبا * بُ الناعمون مع النواغم

من كل واضحة الحبية * من عميمة رياء المعاصم

ثم غنى بقوله :

شجاني مغاني الحى وأنشقت العصا * وصاح غرابُ البين أنت مريض

ففاضت دموعى عند ذاك صبايةً * وفيهنَّ خودُ كالمهاة غضيض

ووليت محزونَ الفؤادِ مروءاً * كئيباً ودمعى فى الرداء يفيض

قال : فلقد رأيت جماعةً من الطير وقعن بقربنا وما نحس من قبل ذلك منها

شيئاً . فقالت الجماعة : ياتمام السرور وكال المجالس ، لقد سعد من أخذ بحظه ^(٤)

منك وخاب من حرمك ، يا حياة القلوب ونسيم النفوس جعلنا الله فداءك ، غننا .

فغنى :

(١) فى الأغاني : « سبج » . (٢) زيادة عن الأغاني . (٣) فى الأغاني :

« لأم عاصم » . (٤) فى الأصول : « بحظك » . والتصويب عن الأغاني .

يا هند إنك لو علمت * بيت بعاذلين نتابعا

قال : فبدرت من بينهم فقبلت عينيه ، فتهافت القوم عليه يقبلونه ، ولقد رأيتني وأنا أرفعهم عنه شفقة عليه .

وكانت وفاة ابن سريج بالعلّة التي أصابته من الجذام بمكة في خلافة سليمان ابن عبد الملك أو في خلافة الوليد ، ودُفن في موضع يقال له « دسم » . رحمة الله عليه وعفا عنه وغفر له . والحمد لله رب العالمين .

حكى أنه لما احتضر نظر إلى أخته تبيكي فبكى وقال : إنه من أكبر همي أنت وأخشى أن تضيعي بعمدي . فقالت : لا تخف فما غنيت شيئا إلا وأنا أغنيه . فقال : هاتي ، فأندفعت فغنت وهو مصغ إليها . فقال : قد أصبت ما في نفسي وهونت على أمرك . ثم دنا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه إياها ، فأخذ أكثر غناء أبيها وأنتحله .

ذكر أخبار معبد

هو معبد بن وهب ، وقيل : ابن قطنى مولى ابن قطن ، وقيل : إن قطننا مولى العاص بن واقصة المخزومي ، وقيل : مولى معاوية بن أبي سفيان . غنى معبد في أيام بني أمية في أوائلها ، ومات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق .

قال أبو الفرج الأصفهاني :

إنه لما مات خرجت سائمة جارية الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخذت بعمود السرير والناس ينظرون إليها وهي تتدبه وتقول شعر الأحوص :

(١) دسم : موضع قرب مكة .

(٢) في الأغاني (ج ١ ص ٣٦ طبع دار الكتب المصرية) : « واصفة » بالباء الموحدة .

قد لَعَمْرِي بَتْ لَيْلِي * كَأَنِّي الدَّاءِ الْوَجِيعِ
 وَنَجَى الْهَمِّ مِثْنِي * بَاتَ أَدْنَى مِنْ نَجِيعِي
 كَلِمًا أَبْصَرْتُ رَبْعًا * خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي
 قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدٍ كَا * نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ
 لَا تَلْمُنَا إِنْ خَشَعْنَا * أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعِ

وكان معبدٌ قد علمها هذا الصوت فندبته به . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :
 كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم خلقاً ، وهو إمام
 أهل المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خاثر ونسيط الفارسي مولى عبدالله بن جعفر ،
 وعن جميلة مولاة بهز (بطن من بني سليم) . وفي معبد يقول الشاعر :

أَجَادَ طَوَيْسٌ وَالسَّرِيحِيُّ بَعْدَهُ * وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدِ

وحكى أبو الفرج أيضا :

أن الوليد بن يزيد آشتاق إلى معبد ، فوجه إليه البريد إلى المدينة فأحضره . فلما
 بلغ الوليد قدومه أمر ببركة ملئت ماء ورد وخط بسك وزعفران ، ثم جلس الوليد
 على حافة البركة وفرش لمعبد مقابله وضرب بينهما ستر ليس معهما ثالث . وجرى
 بمعبد فقيل له : سلم على أمير المؤمنين وأجلس في هذا الموضع ، فسلم فرد عليه من
 خلف السجف ، ثم قال له : أتدرى لم وجهت إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين .
 قال : ذكرك فأحببت أن أسمع منك . فقال له معبد : أأغني ما حضر أو ما يقترحه
 أمير المؤمنين ؟ قال : [بل] غن^(٢) :

ما زال يعدو عليهم ريبٌ دهرهم * حتى تفانوا وريبٌ الدهر عداء

(١) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٣٨ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : « خلقا » بالخاء

المعجمة وهو تصحيف . (٢) الزيادة عن الأغاني .

فغناه . فرفع الجوارى السَّجَفَ ، ثم خرج الوليدُ فالتقى نفسه في البركة فغاص فيها ،
ثم خرج منها ، فاستقبله الجوارى بثياب غير الثياب التي كانت عليه ، ثم شرب وسقى
معبدًا ثم قال له : غنّني يا معبد :

يا رَبُّعُ مالِك لا تُجِيبُ مَتِيًّا * قد عاج نحوكَ زائرًا ومسلّمًا
جادتكَ كُلُّ سَحَابَةٍ هَطَّالَةٍ * حتى تُرى عن زَهْرَةٍ ^(١) متبسّمًا
لو كنتَ تدري من دعاكَ أَجَبْتَهُ * و بكيتَ من حُرِّقَ عليه إذا دما

قال : فغناه . وأقبل الجوارى فرفعن السَّترَ ، وخرج الوليدُ فالتقى نفسه في البركة
فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثيابًا غير تلك الثياب ، ثم شرب وسقى معبدًا وقال له :
غنّني يا معبد :

عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتَنِي * أُنْدُبُ الرِّبْعَ الحِيلَا
واقفًا في الدار أبكى * لا أرى إلّا الطلولا
كيف تبكى لأناس * لا يَمَلُّونَ ^(٢) الذَمِيلَا
كلما قلتُ أَطمَأتُ * دأْرُهُم جَدُّوا ^(٣) الرَحِيلَا

قال : فلما غناه ألقى نفسه في البركة ثم خرج فردّوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبدًا
وقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد حُظوةً عند الملوك فليكن أسرارهم . فقال :
ذلك ممّا لا يَحْتَاجُ أمير المؤمنين إلى إيصائي به . فقال الوليد : يا غلام آحمِلْ إلى
معبد عشرة آلاف دينار ^(٤) تُحْصَلْ له في بلده وألفي دينار لنفقة طريقه ، فحُمِلَتْ
إليه كلّها ، وُحِلَ على البريد من وقته إلى المدينة . وقد قيل : إنه أعطاه في ذلك
المجلس خمسة عشر ألف دينار .

(١) كذا في الأغاني . والزهرة : البهجة والنضارة والحسن . وفي الأصل : « ترى عن زهره » .
وصححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي في نسخته من الأغاني : « يرى عن زهره » . (٢) الذميل :
ضرب من السير . (٣) في الأغاني (ج ١ ص ٥٤) : « قالوا » . (٤) أي تدفع وتسلم .

وقال أبو الفرج بسند رفعه :

- إن معبدا كان قد علم جاريةً من جوارى الحجاز الغناء تدعى ^(١) « طيبة » وعُني بتخريجها ، فأشترها رجل من أهل العراق وأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فأشترها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهةً من الزمان ؛ فأخذ جواريه أكثر غنائها عنها .
- فكان لمحبه إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأين مستقره ، ويُظهر التعصب له والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر الأغاني من أهل عصره ، إلى أن عُرف ذلك منه وبلغ معبداً خبره . فخرج من مكة حتى أتى البصرة ؛ فلما ورد لها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك الوقت واليوم إلى الأهواز . فجاء معبد في طلب سفينة تحمله إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، فركب فيها وكلاهما لا يعرف الآخر ، وأنحدرت السفينة . فلما صاروا بفم نهر الأبله ^(٢) ، أمر الرجل جواريه بالغناء فغنين ، إلى أن غنت إحداهن صوتاً من غناء معبد فلم يُجد أداءه ؛ فصاح بها معبد : يا جارية ، إن غناءك هذا ليس بمستقيم . فقال مولاها وقد غضب : وأنت ما يدريك الغناء ما هو ! ألا تُمسِكُ وتلزم شأنك ! فأمسك . ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت من غنائه فأخلت ببعضه ؛ فقال لها معبد : يا جارية ، قد أخلت بهذا الصوت إخلالاً كثيراً . فغضب الرجل وقال له : ويلك ! ما أنت والغناء ! ألا تكف عن هذا الفضول ! فأمسك معبد . وغنى الجوارى

(١) في أكثر أصول الأغاني المخطوطة والمطبوعة : « طيبة » .

(٢) الأبله (بضم أوله وثانيه وشديد اللام وفتحها) : اسم بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى

في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، كما في معجم البلدان لياقوت .

(٣) كذا في أكثر أصول الأغاني . وفي بعض أصوله : « لم لا تمسك ... » وفي الأصل هنا :

« ... وأنت ما يدريك ما الغناء ما هو إلا أن تمسك ... » .

ملياً؛ ثم غنت إحداهن صوتاً من غنائها فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد :
يا هذه، أما تقومين^(١) على أداء صوت واحد! فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع
هذا الفضول بوجه ولا حيلة! فأقسم بالله إن عاودت لأخرجتك من السفينة .
فأمسك معبدٌ، حتى سككت الجوارى سكتهً، فاندفع يغنى الصوت الأول حتى فرغ
منه . فصاح الجوارى : أحسنت والله يارجل، فأعده . قال : لا والله ولا كرامة .
ثم اندفع يغنى الثاني؛ فقلن لسيدهن : ويحك ! هذا والله أحسن الناس غناءً، فسأله
أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه منه، فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً .
قال : قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه، وقد استقبلناه بالإساءة، فأصبرن
حتى نداريه . قال : ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فقبل رأسه،
وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : وهبك لم تعرف
موضعي، قد كان ينبغي لك أن تثبت ولا تسرع إلى سوء العشرة وجفاء القول .
فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه، وكان معبدٌ قد أُجلس في مؤخر السفينة . فقال له
الرجل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز، فمن أين أخذه
جواريك ؟ قال : أخذه من جارية كانت لي، كانت قد أخذت الغناء عن أبي عباد
معبد وكانت تحل منى مكان الروح من الجسد، ثم استأثر الله بها وبقي هؤلاء الجوارى
وهن [من] تعليمها، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً، وأفضل
صنعتَه على كل صنعة . فقال له معبد : وإنك لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال لا .
قال : فصكّ معبد بيده صلته ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز
ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز، والله لا قصرت في جواريك

١٠٧

(١) في بعض أصول الأغاني : « أما تقوين » . (٢) الزيادة عن الأغاني .

(٣) في الأصول : « فانه » والتصويب عن الأغاني .

هؤلاء ولأجعلن لك في كل واحدة خافاً من الماضية . فأكب الرجل والجواري على يده ورجليه يقبلونها ويقولون : كتممتنا نفسك حتى جفوناك في المخاطبة وأسأنا عسرتك وأنت سيدنا ومن نمتي أن نلقاه . ثم غير الرجل أثواب معبد وخلع عليه عدة خلع وأعطاه في ذلك الوقت ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها ، وأنحدر معه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى حذق جواريه ، ثم ودعه وأنصرف إلى الحجاز .

معين التارخ^{جزوب} لاهل التارخ ذكر أخبار الغريض

وما يتصل بها من أخبار عائشة بنت طلحة
هو عبد الملك ، وكنيته أبو زيد ، وقيل : أبو مروان . والغريض لقب لقب به ، لأنه [كان] طرى^(١) الوجه نضراً غصّ الشباب حسن المنظر ، فلقب بذلك .
والغريض : الطرى من كل شيء . وقال ابن الكلبي : شُبّه بالإغريض وهو الجمار^(٢) .
ثم ثقل ذلك على الألسنة فحذفت الألف فقل : الغريض . وهو من موالدي البربر .
وولاهه للثريا (صاحبة عمر بن أبي ربيعة) وأخواتها الرضيا وقرية وأم عثمان بنات علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . قالوا : وكان يضرب بالعود وينقر بالدق ويوقع بالقضيب . وكان قبل الغناء خياطاً . وأخذ الغناء في أول أمره عن عبيد بن سريح ، لأنه كان قد خدمه ، فلما رأى ابن سريح طبعه وظرفه وحلاوة منطقه ، خشي أن يأخذ غناؤه فيغلبه عليه ويفوقه بحسن وجهه ، وحسده ، فأعتل عليه وشكاه إلى موليائه ، وكن دفعته إليه ليعلمه الغناء ، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده .
فعرّف موليائه غرض ابن سريح فيه وأنه حسده ، فقلن له : هل لك أن تسمع

(١) الذي في الأغاني (ج ٢ ص ٣٥٩ طبع دار الكتب المصرية) : « أبو زيد » .

(٢) الزيادة عن الأغاني .

نَوَحْنَا عَلَى قَتْلَانَا فَتَأْخُذْهُ وَتَغْنَى عَلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَأَسْمَعْنَاهُ الْمِرَاثِي فَاحْتَذَاهَا وَنَحَرَ جُ غَنَاءَهُ عَلَيْهَا . وَكَانَ يَنْوَحُ مَعَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُ الْمَاتِمَ وَتُضْرَبُ دُونَهُ الْحُجُبُ ثُمَّ يَنْوَحُ فَيَفْتِنُ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ . فَلَمَّا كَثُرَ غِنَاؤُهُ عَدَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ لَمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الشَّجَا^(١) ، فَكَانَ ابْنُ سَرِيحَ لَا يَغْنَى صَوْتًا إِلَّا عَارِضَهُ فِيهِ فَيَغْنَى فِيهِ لَحْنًا آخَرَ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ سَرِيحَ مَوْقِعَ الْغَرِيضِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَحْسَدُهُ ، فَغْنَى الْأَرْمَالَ وَالْأَهْزَاجَ ، فَاشْتَهَاهَا النَّاسُ . فَقَالَ لَهُ الْغَرِيضُ : يَا أَبَا يَحْيَى قَصُرَتْ الْغَنَاءُ وَحَذَفَتْهُ . قَالَ : نَعَمْ يَا مَخْنُثُ حِينَ جَعَلْتَ تَنْوَحُ عَلَى أَبِيكَ وَأَمَّكَ . قَالَ : وَلَمْ يُفْضَلْ ابْنُ سَرِيحَ عَلَيْهِ إِلَّا بِالسَّبْقِ ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ الْغَرِيضُ أَشْجَى غَنَاءً ، وَابْنُ سَرِيحَ أَحْكَمَ صَنْعَةً . وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِي بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى أَيُّوبَ بْنِ عَبَّادَةَ عَنْ مَوْلَى لَالِ الْغَرِيضِ قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ مَوَالِيَتِي وَقَدْ ذَكَرْنَا الْغَرِيضَ فَتَرَحَّمْنَا عَلَيْهِ وَقُلْنَا : جَاءَنَا يَوْمًا فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثِ أَنْكَرَنَاهُ عَلَيْهِ ثُمَّ عَرَفْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَقِيقَةً . قَالَتْ : وَكَانَ ابْنُ سَرِيحَ بِجَوَارِنَا فَدَفَعْنَاهُ إِلَيْهِ وَلَقِّنَ الْغَنَاءَ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا ، فَفَتَنَ أَهْلَ مَكَّةَ بِحَسَنِ وَجْهِهِ مَعَ حَسَنِ صَوْتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ سَرِيحَ نَحَاهُ عَنْهُ^(٢) . فَكَانَ بَعْضُ مَوَالِيَتِهِ تَعَلَّمَهُ النَّيَاحَةَ فَبَرَزَ فِيهَا . بِخَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ : نَهَشَنِي الْجَنُّ أَنْ أَنْوَحَ وَأَسْمَعَنِي صَوْتًا عَجِيبًا ، فَقَدْ آبَتْنِيَتْ عَلَيْهِ لَحْنًا فَأَسْمَعِيهِ مِنِّي ، فَأَنْدَفَعَ فَغْنَى بِصَوْتٍ عَجِيبٍ فِي شَعْرِ لَمَرَّارِ الْأَسَدِيِّ :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا بَيْنَ ذِي الْغَضَا * وَهَضَبِ الْقَنَانِ مِنْ عَوَانٍ وَمِنْ بَكْرِ^(٣)

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصُولِ : « عَدَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِشَجَاةٍ » .

(٢) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « جَلَاهُ عَنْهُ » . (٣) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَالْقَنَانُ :

جَبَلُ لَبْنِي أَسَدٍ فِيهِ مَاءٌ يَدْعَى الْعَسِيلَةَ . وَفِي الْأَصْلِ : « هَضَبُ الْقَنَانِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أحبُّ إلينا منك دَلًا وما نرى * به عند ليلى من ثواب ولا أجر
 قالت : فكذبناه وقلنا : شيءٌ ففكر فيه وأخرجه على هذا الجنس . فكان في كل
 يوم يأتينا فيقول : سمعت البارحة صوتًا من الجن بترجيع وتقطيع ، فقد بنيتُ عليه
 صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يزل على ذلك ونحن نُنكر عليه . فإنا لكذلك ليلة
 وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكة في جمع لنا سمرنا فيه ليلتنا والغريضة يغنين
 بشعر عمر بن أبي ربيعة حيث يقول :

أمن آل زينب جد البكور * نعمَ فلأى هواها تصيرُ
 إذ سمعنا في بعض الليل عزيًا عجيبًا وأصواتا دعرتنا وأفزعتنا . فقال لنا الغريضُ :
 إن في هذه الأصوات صوتًا إذا نمتُ سمعته وأصبح أُنبي عليه غنائى ، فأصغينا إليه
 فإذا نغمته نغمة الغريض بعينها ، فصدقناه تلك الليلة .

وكانت وفاة الغريض باليمن في خلافة سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز ،
 وكان قد هرب من نافع بن علقمة لما ولي مكة من مكة إلى اليمن وأستوطنها
 ومات بها .

وللغريض أخبارٌ مستظرفة وحكايات مستحسنة قد رأينا أن نُثبت في هذا
 الموضع ما سنقف عليه إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه المترجم بالأغاني في أخبار
 الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي ، بعد أن ساق قطعة من
 أخباره مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وأنه كان يهواها ويشبب بها في شعره ،
 ثم قال في أثناء ذلك : لما قدمت عائشة بنت طلحة مكة أرسل إليها الحارثُ
 وهو أمير مكة يومئذ ، وكان وليها من قبل عبد الملك بن مروان ، فأرسل إليها :
 إني أريد السلام عليك ، فإذا خف ذلك عليك أذنت ، وكان الرسول الغريض .

فأرسلت إليه : إنا حرم ، فإذا أحلنا أذنك . فلما أحأت خرجت سرا على بغاتها ، ولحقها الغريضة بعسفان أو قريب منه ومعه كتاب الحارث إليها ، وفيه :

ما ضرركم أو قلتم سدا * إن المطايا عاجل غدها
ولها علينا نعمة سلفت * لسنا على الأيام نجحدها
لو أتممت أسباب نعمتها * تمت بذلك عندنا يدها

فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحارث باطله ! . ثم قالت للغريضة : هل أحدثت شيئا ؟ قال : نعم فأسمعي ، ثم أندفع يغني في هذا الشعر . فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سدا ولا أردنا إلا أن نشترى لسانه ، وأستحسنتم الشعر ، وأمرت للغريضة بخمسة آلاف درهم وأثواب ، [وقالت] : زدني . فغنى في قول الحارث أيضا حيث يقول :

زعموا بأن البين بعد غد * فالقلب مما أحدثوا يحف
والعين منذ أجد بينهم * مثل الجمان دموعها تكف
نشكو وتشكو ما أشت بنا * كل بوشك البين معترف
ومقالها ودموعها سجم * أقلل حنينك حين تنصرف

فقالت عائشة : يا غريضة ، بحق عليك أهو أمرك أن تغنيني في هذا الشعر ؟ قال : لا وحياتك يا سيدتي ، فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت : غنني في [غير] شعره ، فغناها بشعر عمر بن أبي ربيعة — وكان عمر قد سأله ذلك — فقال :

أجمعت خلتي مع الهجر بينا * جلل الله ذلك الوجه زينا
أجمعت بينها ولم نك منها * لذة العيش والشباب قضينا

٢٠ (١) في الأصل : « والله ما قال » . والتصويب عن الأغاني (ج ٣ ص ٣٢٠ طبع دارالكتب المصرية) . (٢) النكلة عن الأغاني .

فتواتُ حُمولُها وأستقلتُ * لم تُنَلْ طائلاً ولم تقضِ ديناً
والقد قلتُ يوم مَكَّةَ لَمَّا * أرسلتُ تقرأ السلام علينا
أنعم الله بالرسول الذي أُر * سِلَ والمرسلِ الرسالة عينا

قال : فضحكت ثم قالت : وأنت يا غريضُ فأنعم الله بك عينا وأنعم بأبن أبي ربيعة
عينا ، لقد تلطفتُ حتى أدتَ إلينا رسالته ، وإن وفاءك له لَمَّا يزيدنا رغبةً فيك
وثقةً بك . وكان عمر سأل الغريضُ أن يغنيها بشعره هذا لأنه كان قد ترك ذكرها
لَمَّا غَضِبَتْ بنو تيم من ذلك ، فلم يُجِبْ التصريح بها وكرِهَ إغفالَ ذكرها . فقال
له عمرُ بن أبي ربيعة : إن أبلغتها هذه الأبيات في غناءٍ فلك خمسة آلاف درهم ،
فوقى له ، وأمرتُ له عائشةُ بخمسة آلاف درهم . ثم أنصرف الغريضُ من عندها ،
فلقي عاتكة بنتَ يزيد بن معاوية امرأةَ عبد الملك بن مروان وقد كانت حجت
في تلك السنة ، فقال لها جواريتها : هذا الغريضُ . فقالت لهن : على به ، فحُفْنُ به
إليها . قال الغريضُ : فلما دخلتُ سلمتُ فردت عليّ وسألتنى عن الخبر ، فقصصته
عليها . فقالت : غني بما غنيتها به ، ففعلتُ ، فلم أرها تهشّ لذلك ، فغنيتها معرضاً
ومذكراً بنفسى في شعر مُرّة بن مُحَكَّان السَّعْدِيّ يخاطبُ امرأته وقد نزل به أضياف :

(١٠٩)

أقول والضيفُ مخشىٌ ذِمَّامته * على الكريم وحقُّ الضيف قد وجبا
يا ربة البيت قومي غير صاغرة * ضمّي إليك رجال القوم والقربا
في ليلةٍ من جمادى ذات أنديّة * لا يبصر الكلبُ في ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلبُ فيها غير واحدة * حتى يلفّ على خيشومه الدنبا

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « بم لطف » .

(٢) كذا في الأغاني (طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : « فأقصصته » .

(٣) الذمامة (بفتح الذال وكسرهما) : الذمة والعهد .

فقلت وهي مبتسمة : نعم وقد وجب حقك يا غريضة، فغنىي، فغنىتها :

يادهرُ قد أَكْثَرَتْ بَجْعَتَنَا ^(١) * بَسَرَاتَنَا وَوَقَرَتْ ^(٢) فِي الْعَظَمِ

وَسَلَبَتْنَا مَا لَسْتُ مُخْلَفَهِ ^(٣) * يادهر ما أنصفت في الحكم

لو كان لي قرنٌ أناضله * ما طاش عند حفيظة سهمي

لو كان يُعْطَى النِّصْفُ ^(٤) قَلْتُ لَهُ * أحرزت قسمك فآله عن قسمي

فقلت : نعطيك النصف فلا يضيع سهمك عندنا ونجزل لك قسمك، وأمرت

له بخمسة آلاف درهم وثياب عذنية وغير ذلك من الألفاف . قال الغريضة : فأتيتُ

الحارث بن خالد فأخبرته الخبر وقصصتُ عليه القصة ، فأمر لي بمثل ما أمرتني

جميعاً ، وأتيتُ ابن أبي ربيعة فأعلمته بما جرى ، فأمر لي بمثل ذلك . فما أنصرف

أحدٌ من ذلك المومِسم بمثل ما أنصرفتُ به : نظرة من عائشة ، ونظرة من عاتكة — وهما

أجمل نساء عالميهما — وبما أمرتني به ، والمنزلة عند الحارث — وهو أمير مكة —

وإبن أبي ربيعة وما أجازاني به جميعاً من المال .

ولنصل هذا الفصل بشيء من أخبار عائشة بنت طلحة ، لأن الشيء بالشيء

يذكر .

هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن

سعد بن تيم . وأُمُّها أُم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وكانت عائشة

لا تستر وجهها من أحد . فعاتبها مُصْعَب في ذلك فقالت : إن الله تبارك وتعالى

وَسَمَنِي بِمِيسَمِ جَمَالٍ أَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ وَيَعْرِفُوا فَضْلِي عَلَيْهِمْ فَمَا كُنْتُ لِأَسْتَرَهُ ،

وَوَاللَّهِ مَا فِيَّ وَصْمَةٌ يَقْدِرُ أَنْ يَذْكُرَنِي بِهَا أَحَدٌ .

(١) في الأصول : « كثرت بجعتنا » . والتصويب عن الأغاني ولسان العرب (مادة « وقر ») .

(٢) وقر العظم : صدعه . (٣) في الأصل : « ما كنت » والتصويب عن الأغاني .

(٤) النصف (مثلثة) : اسم بمعنى الانتصاف .

- قال أبو الفرج الأصبهاني : وكانت شريسة الخلق ، وكذلك نساء بني تيم ، هن أشرس خلق الله خلقاً وأحظاهن عند أزواجهن . قال : وآلت عائشة من زوجها مصعب بن الزبير ، فقالت : أنت عليّ كظهر أمي ، وقعدت في غرفة وهيأت ما يصاحها . بفهد مصعب أن تكلمه فأبت . فبعث إليها ابن قيس الرقيات فسأها كلامه . فقالت : كيف يميني ؟ فقال : ها هنا الشَّعبيّ فقيه أهل العراق فاستفتيه .
- فدخل الشعبيّ عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء ، فأمرت له بأربعة آلاف درهم .
- وحكى أبو الفرج أن مصعب بن الزبير لما عزم على زواج عائشة بنت طلحة ، جاء هو وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وسعيد بن العاص إلى عزة الميلاء — وكانت عزة هذه يالفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأهوار النساء — فقالوا لها : إنا خطبنا فأنظري لنا .
- فقالت لمصعب : يا بن أبي عبد الله ، ومن خطبت ؟ قال : عائشة بنت طلحة .
- قالت : فأنت يا بن أبي أحيحة ؟ قال : عائشة بنت عثمان بن عفان . قالت : فأنت يا بن الصديق ؟ قال : أم الهيثم بنت زكريا بن طلحة . فقالت : يا جارية ، هاتي منقلبي (تغني خفيها) ، فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها ، فبدأت بعائشة بنت طلحة ، فقالت : فديتك ، كذا في مآدبة أو ماتم لقريش ، فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدرك كيف أصفك ، فديتك ، فألقي ثيابك ، ففعلت فأقبلت وأدبرت فأرتج كل شيء منها . فقالت لها عزة : خذي ثوبك . فقالت عائشة : قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي . فقالت عزة : وما هي ؟ فديتك ! قالت : تغنيني صوتاً . فأندفعت تغني لحنها في شعر جميل بن عبد الله بن معمر العذري :
- خَلِيلِي عُوْجًا بِالْمَحَلَّةِ مِنْ جُمَلِ * وَأَتْرَاهَا بَيْنَ الْأَصْفِيرِ فَالْحَبْلِ
- تَقِفْ بِمَغَانٍ قَدْ عَفَا رَسْمَهَا الْبَلِي * تَعَاقِبُهَا الْأَيَّامُ بِالرَّيْحِ وَالْوَبْلِ

⑪٠

فلودرج النمل الصغار بجلدها * لَأَنْدَبَ أَعْلَى جِلْدِهَا مَدْرَجُ النَّمْلِ

وأحسن خلق الله جيداً ومُقْبِلَةً * تُشَبِّهُ [فِي الذِّسْوَانِ بِالشَّادِنِ الطِّفْلِ] ^(١)

فَقَبِلَتْ عَائِشَةُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا وَدَعَتْ لَهَا بَعْشَرَ أَثْوَابٍ وَطَرَائِفَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَضَّةِ ،

فَدَفَعَتْهُ إِلَى مَوْلَاتِهَا . وَأَتَتْ النَّسْوَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ تَقُولُ ذَلِكَ لَهَا . ثُمَّ أَتَتْ الْقَوْمَ

فِي السَّقِيفَةِ . فَقَالُوا : مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَتْ : يَا بَنَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، أَمَّا عَائِشَةُ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ

مِثْلَهَا مُقْبِلَةً وَلَا مُدْبِرَةً ، ^(٢) مَحْطُوطَةً الْمَتْنَيْنِ ، عَظِيمَةً الْعَجِيزَةِ ، مَمْتَلَأَةً التَّرَائِبِ ، نَقِيسَةً

الثَّغْرِ وَصَفْحَةَ الْوَجْهِ ، فِرَاءَ الشَّعْرِ ، مَمْتَلَأَةً الصَّدْرَ ، نَحِيسَةً الْبَطْنِ ذَاتَ عُكْنٍ ، ضَخْمَةً

السَّرَّةِ ، مُسْرُولَةَ السَّاقِ ، يَرْتَجُّ مَا بَيْنَ أَعْلَاهَا إِلَى قَدَمَيْهَا ، وَفِيهَا عِيَانٌ ، أَمَّا أَحَدُهُمَا

فِيوَارِيهِ الْحِمَارُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُوَارِيهِ الْخُفُّ : عِظْمُ الْأُذُنِ وَالْقَدَمِ . وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ

طَلْحَةَ كَذَلِكَ . ثُمَّ قَالَتْ عَزَّةٌ : وَأَمَّا أَنْتَ يَا بَنَ أَبِي أَحْيَحَةَ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ

خَلْقِ عَائِشَةَ بِنْتِ عُثْمَانَ لَأَمْرَأَةٍ قَطْ ! لَيْسَ فِيهَا عَيْبٌ وَاللَّهِ لَكَا نَمًا أَفْرِغْتَ إِفْرَاغًا

وَلَكِنْ فِي الْوَجْهِ رَدَّةٌ ، وَإِنْ آسْتَشَرْتَنِي أَشَرْتُ عَلَيْكَ . قَالَ : هَاتِي . قَالَتْ : عَلَيْكَ

بِوَجْهِ تَسْتَأْنِسُ بِهِ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا بَنَ الصَّدِيقِ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أُمِّ الْهَيْثَمِ ، كَأَنَّهَا

خُوطَ بَانَةٌ تَنْثَنِي ، أَوْ كَأَنَّهَا جَانٌّ يَتَنَنِي عَلَى رَمَلٍ ، لَوْ شِئْتَ أَنْ تَعْقِدَ طَرْفِيهَا لَفَعَلْتَ ،

وَلَكِنَّا شَخْتُهُ الصَّدْرَ وَأَنْتَ عَرِيضُ الصَّدْرِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ قَبِيحًا ، لَا وَاللَّهِ ^(٣)

حَتَّى يَمْلَأَ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَهُ . قَالَ : فَوَصَلَهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَتَزَوَّجُوهُنَّ .

وَحَكَى أَبُو الْفَرَجِ أَيْضًا : أَنَّ مَصْعَبَ بْنَ الزَّيْرِ إِنَّمَا تَزَوَّجَهَا بَعْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ . وَقَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ تُشَبِّهُ بِخَالَتِهَا عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَزَوَّجَتْهَا عَائِشَةُ مِنْ ابْنِ أَخِيهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَهُوَ

(١) التَّكْلَةُ عَنْ الْأَغَانِي (ج ١٠ ص ٥٥ طبع بولاق) .

(٢) مَحْطُوطَةُ الْمَتْنَيْنِ : مَمْدُودَتُهُمَا . (٣) شَخْتَةُ الصَّدْرِ : دَقِيقَتُهُ .

أول من تزوجها . ولم تلد عائشة بنت طلحة من أحد من أزواجها غيره ، ولدت له عمران وبه كانت تُكنى^(١) ، وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، ولكل من هؤلاء عقيب . وأنا من عقيب طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر من ولده ليث ابن طلحة . وليس هذا موضع سرد نسبي فأسرده .

- ٥ قال أبو الفرج : وصارمت عائشة بنت طلحة زوجها عبد الله بن عبد الرحمن وخرجت من داره مغضبة تريد عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها . فرآها أبو هريرة فسبح الله تعالى وقال : كأنها من الحور العين . فمكثت عند عائشة قريبا من أربعة أشهر . وكان عبد الله قد آلى منها ، فأرسلت عائشة إليه : إني أخاف عليك الإيلاء ، فضمها إليه وكان مولى^(٢) منها . فقيل له : طلقها ، فقال :
- ١٠ يقولون طلقها لأصبح ثاويا * مقيما على الهيم ، أحلام نائم وإن فراقى أهل بيت أحبهم * لهم زلفة عندى لإحدى العظام وتوفي عبد الله بعد ذلك وهى عنده ، فما فتحت فاهها عليه ، وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تعد هذا عليها فى ذنوبها التى تعددها . ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير ، فمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . فبلغ ذلك أخاه عبد الله بن الزبير فقال : إن مصعبا قدّم أمره وأخر خيره . فبلغ قوله عبد الملك
- ١٥ ابن مروان فقال : لكنّه هو أخر خيره وأمره . وكتب عبد الله الى أخيه يؤنبه على ذلك ويُقسم عليه ألا يلحق بمكة ولا ينزل بالمدينة ولا ينزل إلا بالبيداء ، وقال له : إني لأرجو أن تكون الذى يُخسّف به بالبيداء ، فما أمرتك بنزولها إلا لهذا . فصار إليه وأرضاه من نفسه فأمسك عنه .

(١) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « وبه كان يكنى » .

(٢) فى الأصول : « ملق فيها » . والتصويب عن الأغاني .

وكانت عائشة تمتنع على مصعب في غالب الأوقات . فحُكي أنه دخل عليها يوماً وهي نائمة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبها ونثر اللؤلؤ في حجرها .
 فقالت : نومتى كانت أحبّ الىّ من هذا اللؤلؤ . ولم تزل حالها معه على مثل ذلك حتى شكا ذلك الى كاتبه ابن أبي فروة . فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنت لي .
 قال : نعم ! إفعل ما شئت . فأتاها ليلاً ومعه أسردان فاستأذن عليها . فقالت : أفى مثل هذه الساعة ؟ قال نعم ؛ فأذنت له فدخل . فقال للأسودين : آحفروا هنا بئرا . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر؟ قال : سُومُ مولاتك ، أمرنى هذا الظالم أن أدفنها حية ، وهو أسفك خلق الله لدمٍ حرام . قالت عائشة : فأنظرني أذهب اليه ؛ قال : هيهات لاسبيل إلى ذلك ، وقال للأسودين : آحفروا . فلما رأت الحدّ منه بكت وقالت : يا ابن أبي فروة ، إنك لقاتلى ما منه بد ؟ قال : نعم ، وإني لأعلم أن الله عز وجل سيخزيه بعدك ، ولكنه قد غَضِبَ وهو كافر الغضب . قالت : وفى أى شىء غضبه ؟ قال : من امتناعك عليه وقد ظنّ أنك تبغضينه وتبتلعين إلى غيره ، فقد جُنّ . فقالت : أنشدك الله إلا عاودته . قال : أخاف أن يقتلني ؛ فبكت وبكى جوارياها . فقال لها : قد رَقَّقتُ لكِ وحلف لها إنه يغتر بنفسه ، وقال لها : فما أقول ؟ قالت : تضمن له عني أنى لا أعود أبداً . قال : فما لي عندك ؟ قالت : قيامٌ بحقك ما عشت . قال : فأعطينى الموائيق فأعطته . فقال للأسودين : مكانكما . وأتى مصعباً فأخبره . فقال : آستوثق منها بالآيمان ؛ فآستوثق منها ففعلت ، وصلحت بعد ذلك لمصعب .

قال : وكان مصعب من أشدّ الناس إعجاباً بها . ولم يكن لها شبيه في زمانها حسناً وديانةً وجمالاً وهيئةً وشارةً وعِفَّةً . وإنها دعت يوماً نِسوةً من قريش ، فلما جئنها

أجلستهن في مجلس قد نُضد فيه الرياحان والفواكه والطيب والمجامر، وخلعت على كل امرأة منهن خلعة من الوشي والخز ونحو ذلك، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفته ؛ ثم قالت لعزة : هاتِ يا عزة فغنيانا . فغنتهن في شعر أمرئ القيس فقالت :

وثر أغر شبيب اللثات * لذيذ المقبل والمبتسم
وما ذقته غير ظن به * وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه إخوان له ، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة ، فصاح بها : يا هذه ، إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت ، فبارك الله فيك يا عزة . ثم أرسل إلى عائشة : أما أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك ، وأما عزة فتأذنين لها أن تغنينا هذا الصوت ثم تعود إليك ، ففعلت وخرجت عزة اليهم فغنتهم هذا الصوت مراراً ، وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عزة ، إنك لتحسين القول والوصف ، وأمرها بالعود إلى مجلسها .

قال : ولم تزل عند مصعب حتى قُتل عنها . فخطبها بشر بن مروان ، وقدم عمر ابن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام فنزل الكوفة ، فبلغه أن بشراً خطبها ، فأرسل إليها جارية لها وقال : قولي لأبنة عمي : ابن عمك يُقرئك السلام ويقول لك : أنا خير لك من هذا المبسور المطحول ، وأنا ابن عمك أحق بك ، وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيراً وفرجك أيراً . فتروجته فبنى عليها بالحيرة ، فهدت له سبعة أفرشة عرّضها أربع أذرع ، فأصبح ليلة بنى بها عن تسعة . فلقيته مولاة لها فقالت : أبا حفص ، فديتك ! قد كملت في كل شيء حتى في هذا . وقيل إنه لما تزوجها حمل إليها ألف ألف درهم ، وخمسمائة ألف مهر ، وخمسمائة ألف هدية ، وقال لمولاتها : لك على ألف دينار إن دخلت بها الليلة ، وأمر بالمال فحمل فألق في الدار وغطى

- بالياب، وخرجت عائشة فقالت لمولاتها : ما هذا ؟ أفرش أم ثياب ؟ قالت :
أنظري إليه ، فنظرت فإذا هو مال ، فتبسمت . فقالت الجارية : أجزاء من حمل هذا
المال أن يبيت عزبا ! قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن أترين له
وأستعد . قالت : وماذا ؟ فوالله لوجّهك أحسن من كلّ زينة وما تمّدين يديك إلى
طيب أو ثوب أو مال أو فراش إلا وهو عندك ، وقد عزمت عليك أن تأذني له .
فقالت : أفعل . فذهبت إليه فقالت له : بت بنا الليلة . فجاءهم عند العشاء الآخرة
فأدنى إليه طعام فأكل الطعام كلّ حتى أعرى الخوان وغسل يده وسأل عن المتوضأ
فأخبر به ، فقام فتوضأ وقام يصلي حتى ضاق صدرى ونمت ، ثم قال : أعلّكم آذن ؟
قلت : نعم فأدخل ، فأدخلته وأسبلت السّتر عليهما . فعددت له في بقية الليلة
على قلّتها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها . فلما أصبحنا وقف على رأسه فقال :
أتقولين شيئا ؟ قلت : نعم والله ما رأيت مثلك ! أكلت أكل سبعة وصليت صلاة
سبعة ونكّت نيك سبعة ! فضحك وضرب بيده على منكب عائشة وقال لها :
كيف رأيت ابن عمك ؟ فضحكت وغطت وجهها وقالت :
قد رأيناك فلم تحل لنا * وبلوناك فلم نرض الخبر
ومكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله ثمانى سنين حتى مات سنة اثنتين وثمانين .
ولما مات ندبته قائمة ، ولم تندب أحدا قبله من أزواجها إلا جالسة . فقل لها في ذلك
فقالت : إنه كان أكرمهم على وأمسهم بي رجما ، فأردت ألا أتزوج بعده . وكانت
المرأة إذا ندبت زوجها قائمة لا تتزوج بعده أبدا . ولم تتزوج عائشة بنت طلحة بعد
زوجها عمر بن عبيد الله .
ومن أخبار عائشة بنت طلحة أيضا ما رواه أبو الفرج الأصبهاني بسنده إلى يزيد
ابن عياض ، قال :

استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج، فأذن لها وقال :
 أرفعى حوائجك وأستظهرى، فإن عائشة بنت طلحة تخرج، ففعلت وتجهزت بهيئة
 جهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا موكب^(١) قد جاء فضغطها وفرق
 جماعتها، فقالت : أرى هذه عائشة بنت طلحة، فسألت عنها، فقالوا : هذه جاريتها^(٢) .
 ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك، فقالوا : عائشة عائشة، فضغطهم فسألت عنها،
 فقالوا : هذه ما شطتها . ثم جاءت مواكب على هذا لحاشيتها، ثم أقبلت في ثلثائة
 راحلة عليها القباب والهواذج، فقالت عاتكة : ما عند الله خير وأبقى . قال : ووفدت
 عائشة بنت طلحة على هشام بن عبد الملك، فقال لها : ما أوفدك؟ قالت : حبست
 السماء مطرها ومنع السلطان الحق . قال : فأنا أصل رحمك وأعرف حقك . ثم بعث
 إلى مشايخ بني أمية فقال : إن عائشة عندي فأسمروا عندي الليلة فحضروا، فما تذاكروا
 شيئا من أخبار العرب وأشعارها وآثارها إلا أفاضت معهم فيه ، وما طلع نجم
 ولا غار إلا أسمته . فقال لها هشام : أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟
 قالت : أخذته عن خالتي عائشة رضى الله عنها، فأمر لها بمائة ألف درهم وردّها إلى
 المدينة .

قال : ولما تأيمت عائشة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مالها
 بالطائف عظيم وقصر لها هناك فتتزه وتجلس فيه بالعشيات ، فتتناضل بين [يديها]^(٥)
 الرّماء . فتربها الثميري الشاعر، فسألت عنه فانتسب لها، فقالت : اتّوني به، فجىء به .

(١) كذا في الأغاني (ج ١٠ ص ٦٠ طبع بولاق) . وفي الأصل : « فضعضها » .

(٢) في الأغاني : « خازتها » .

(٣) هكذا بالأصول . وفي الأغاني : « أخذتها » .

(٤) كذا بالأغاني . وفي الأصل : « مقيمة » .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

فَقَالَتْ لَهُ : أَنُشِدْنِي مِمَّا قُلْتَ فِي زَيْنَبَ ، فَأَمْتَنَعُ وَقَالَ : بِنْتُ عَمِّي وَقَدْ صَارَتْ عَظَامًا بِأَلِيَّةٍ . قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا فَعَلْتَ ، فَأَنْشِدْهَا قَوْلَهُ :

نَزَلْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رُحْنٌ عِشِيَّةً * يَلْبِينُ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتٍ^(١)
يُخَمَّرْنَ أَطْرَافَ الْأَكْفِ مِنَ التَّقَى * وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ^(٢)
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرِ رَاعَهَا * وَكَتَنَ مِنْ أَنَّ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
تَضُوقُ مَسْكَابِطُنْ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ * بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةٍ خَفِرَاتٍ

— وزينبُ هذه هي زينب بنت يوسف الثقفيّ - أختُ الحجاج ، وكان النميرى يهواها ويُشَبِّبُ بها ، وله معها أخبارٌ يطول شرحها ليس هذا موضع إيرادها — قال : فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ لَمَّا أَنْشَدَهَا هَذَا الشَّعْرَ : وَاللَّهِ مَا قُلْتَ إِلَّا جَمِيلًا ، وَلَا وَصَفْتَ إِلَّا كَرَمًا وَطِيبًا وَدِينًا وَتَقَى ، أَعْطُوهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى تَعْرِضُ لَهَا ، فَقَالَتْ : عَلَىَّ بِهِ ، بِخَاءٍ فَقَالَتْ لَهُ : أَنُشِدْنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ، قَالَ : فَأُشَدُّكَ مِنْ قَوْلِ الْحَارِثِ فَيْكَ . فَوَثَبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ لَأَبْنَةَ عَمِّهِ ، هَاتِ ، فَأَنْشَدَهَا :

ظَعَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ * وَغَدَا بِلَبِّكَ مَطْلَعُ الشَّرْقِ
وَتَنُوءُ تُثْقِلُهَا عَجِيزَتُهَا * نَهَضَ الضَّعِيفُ يَنْوُءُ بِالْوَسْقِ
مَا صَبَّحَتْ زَوْجًا بَطَلَعَتَهَا * إِلَّا غَدَا بِكُواكِبِ الطَّلَقِ
بِيَضَاءٍ مِنْ تَيْمٍ كَلِفَتْ بِهَا * هَذَا الْجَنُونُ وَلَيْسَ بِالْعَشِقِ

(١) اسم واد بمكة .

(٢) في الكامل للبرد (ص ٢٩٠ طبع أوربا) ورد هذا البيت هكذا :

يُخَمَّرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى * وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ

فقلت : والله ما ذكر إلا جملاً ، ذكر أنى إذا صبحتُ زوجاً بوجهى غداً
بكواكب الطلق ، وأنى غدوتُ مع أمير تزوجنى الى الشرق ، أعطوه ألف درهم
وأكسوه حلتين ولا تعد لآتيانا يا نميرى^(١) والله أعلم . [ولنرجع إلى أخبار المغنين] .

ذكر أخبار محمد بن عائشة

- ٥ . يكنى أبا جعفر ولم يكن له أبٌ يعرف فنُسب الى أمه ؛ وكان يزعم أن اسم
أبيه جعفر . وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندى حليف قريش ، وقيل :
هى مولاة لآل المطلب بن [أبي] وداعة السهمي^(٢) . وقال ابن عائشة — وقد سأل
الوليد بن يزيد فقال : يا محمد البغيّة أنت ؟ — : كانت أمى يا أمير المؤمنين ماشطة^(٣)
وكنّت غلاماً ، وكانت إذا دخلت إلى موضع قالت : أرفعوا هذا لابن عائشة ، فغلبت^(٤)
على نسبي . قالوا : وكان ابن عائشة يفتن كل من سمعه ، وكان فتيان [من] المدينة^(٥)
قد فسدوا فى زمانه بمحادثته ومجالسته . وأخذ عن معبد ومالك بن أبى السّمح ، ولم
يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما وأُعترف بهما بفضلهما . وكان تيّاهاً سيئ الخلق ،
إن قال له إنسان : تغنّ قال : ألمثلّ يقال هذا ! فإن غنى وقال له إنسان :
أحسنّت ، سكت ؛ فكان قليلاً ما ينتفع به .
- ١٥ . وكان ابن عائشة منقطعاً إلى الحسن بن الحسن ، وكان الحسن مكرماً له . فسأله
الحسن أن يخرج معه إلى البغيّة^(٥) ، فأمتنع ابن عائشة ؛ فأقسم عليه وأظهر الحد .

(١) هذه الزيادة فى إحدى النسخ .

(٢) الزيادة عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) فى الأصل بعد هذه العبارة : « قال » وهى مكررة مع قوله : « وقال ابن عائشة » .

(٤) رواية الأغاني (ج ٢ ص ٦٢) « قالوا » .

(٥) ضيعة بالمدينة أو عين غزيرة كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فى القاموس .

فلما عاين ما ظهر عليه قال : أخرج طائعا لا كارها ، فأمر له ببغلة فركبها ومضيا الى البغيغة ، فترلا الشعب ثم أكلوا . وقال له : غننى ، فاندفع فغنناه صوتا فأستحسنه . فقال ابن عائشة : والله لا غنيتك فى يومى هذا شيئا . فأقسم الحسن ألا يفارق البغيغة ثلاثة أيام . فأغتم ابن عائشة ليمينه ونديم . فلما كان فى اليوم الثانى قال له : غن فقد برت يمينك ، فنظر إلى ناقة تقدم جماعة إبل فاندفع يغنى :

تَمُرْ بِكَنْدَلَةِ الْمُنْجَنِى * قِي يُرْمَى بِهَا السُّورُ يَوْمَ الْقِتَالِ

وهى أبيات لأمية بن أبى عائذ الهذلى يصف حمارا وحشيا ، والبيت « يمر » بالياء .

وقيل : سال العقيق مرة فدخل عرسمة سعيد بن العاص [الماء] ^(١) حتى ملأها ، فخرج الناس إليها ، وخرج ابن عائشة فجلس على قرن البئر . فبينما هم كذلك إذ طلع الحسن على بغلة ومعه غلامان أسودان ، فقال لهما : امضيا رويدا حتى تقفا بأصل القرن الذى عليه ابن عائشة ، ففعلا ذلك . ثم ناداه الحسن : كيف أصبحت يا ابن عائشة قال : بخير . قال : أنظر من تحتك ، فنظر فإذا العبدان . قال : أتعرفهما ؟ قال نعم . قال : فهما حران لئن لم تُغننى مائة صوت لأمرنهما بطرحك فى البئر ، وهما حران لئن لم يفعلا لأقطعن أيديهما . فاندفع ابن عائشة وغنى بشعر الهذلى :

أَلَا لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ * فَتَى قَوْمٍ إِذَا رَهَبُوا

وَقَالُوا مَنْ فَتَى لِلْحَرِ * بَ يَرْقُبُنَا وَيَرْتَقِبُ ^(٣)

فَكُنْتَ فَتَاهُمْ فِيهَا * إِذَا تُدْعَى لَهَا تَثْبُ

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٥ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) كذا فى الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٦) وفى الأصل : « فهما أحرار إن لم تغن مائة صوت لأمرهما

بطرحك فى البئر وهما حران إن لم يفعلا إن لم أقطع أيديهما » .

(٣) فى الأصل : « فترقب » والتصحيح عن الأغاني وديوان الهذليين .

ذَكَرْتُ أَنحَى فَعَاوِدُنِي * صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَبُ
 كَمَا يَعْتَادُ ذَاتَ الْبُؤْ * بَعْدَ سَلَوَاتِهَا الطَّرْبُ
 عَلَى عِبْدِ بْنِ زُهْرَةَ بَتْ طُولَ اللَّيْلِ أَنْتَحِبُ

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى حماد الراوية :

ه أن الوليد بن يزيد آستقدمه من العراق إلى الشام على دواب البريد . وكان
 ممّا حكاه عنه قال : قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ عَلَى سَرِيرٍ مُمَهَّدٍ وَعَلَيْهِ
 ثَوْبَانِ أَصْفَرَانِ وَعِنْدَهُ مَعْبُدٌ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ وَأَبُو كَامِلٍ مَوْلَاهُ ، فَاسْتَنْشَدَنِي :
 * أَمِنَ الْمُنُونِ وَرِييَهَا تَتَوَجَّعُ *^(١)

فَأَنشَدْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا . ثُمَّ قَالَ : يَا مَالِكُ ، غَنِّني :

١٠ أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا * نُنْ إِذْ جَاوَزْنَا مُطْلَعًا

فَغَنَّاهُ . ثُمَّ قَالَ : غَنِّني :

جَلَا أَمِيَّةٌ عَنِّي كُلَّ مَظْلَمَةٍ * سَهَلَ الْحِجَابِ وَأَوْفَى بِالذِّى وَعَدَا

فَغَنَّاهُ . ثُمَّ قَالَ : غَنِّني :

أَتَنَسَّى^(٢) إِذْ تُودَّعُنَا سُلَيْمَى * يَفْرَعُ بَشَامَةٍ ، سُقِيَ الْبَشَامُ !

١٥ فَغَنَّاهُ ؛ ثُمَّ أَتَاهُ الْحَاجِبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الرَّجُلُ الَّذِي طَلَبْتَ بِالْبَابِ ،

فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ شَابٌّ لَمْ أَرَأْ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ : غَنِّني :

وَهِيَ إِذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِزْرٌ * وَلَهَا بَيْتٌ جَوَارٍ مِنْ لُعب

فَغَنَّاهُ ، فَنَبَذَ إِلَيْهِ الثَّوْبَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : غَنِّني :

(١) و يروى : « ورييه » وكلاهما صحيح ، لأن المنون يذكر ويؤنث .

٢٠ (٢) رواية اللسان : « أتذكر » بدل « أتنسى » . وروى بوجه آخر والشعر بالحرير :

* أتذكر يوم تصقل عارضها *

طاف الخيال فرحبا * ألفا برؤية زينبا

فغضب معبدٌ وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مُقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا وإنك تركتنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي . فقال : يا أبا عباد ، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكن هذا الغلام طرَحني في مثل الطناجير من حرارة غنائه . قال حماد : فسألت عن الغلام فقبل لي : هو ابن عائشة .

وحكى عن شيخ من تنوخ قال : كنتُ صاحبَ ستر الوليد بن يزيد ، فرأيتُ ابنَ عائشة عنده وقد غناه :

إني رأيتُ صبيحةَ النَّفر * حورًا تَقَيْن عزيمةَ الصبرِ

مثل الكواكب في مطالعها * بعد العشاء أطفن بالبدرِ

ونخرجتُ أبغى الأجر مُحْتَسِبًا * فرجعتُ موفورًا من الوزرِ

فطرب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، آسَقِنَا بالسَّماء السابعة ، ثم قال : أحسنت والله يا أميري ، أعد بحق عبد الشمس فأعاد ، ثم قال : أحسنت يا أميري والله ، أعد بحق أمية فأعاد ، ثم قال : أعد بحق فلان حتى بلغ من الملوك نفسَه ، فقال : أعد بحياتي فأعاده ، فقام فأكب عليه ، فلم يبقَ عضوٌ من أعضائه إلا قبله وأهوى إلى فرجه ، فجعل ابنُ عائشة يضمُّ نَحْدِيهِ عليه ، فقال : والله العظيم لا ترمِ (١) حتى أقبله ، فأبداه له فقبل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقى مجتردا إلى أن أتوه بمثلها ، ووهب له ألف دينار وحمله على بغلة وقال : أركبها بأبي أنت وأنصرف ، فقد تركتني على مثل المقل من حرارة غنائك . فركبها على بساطه وأنصرف .

(١) في الأغاني (ج ٢ ص ٢٢٦ طبع دار الكتب المصرية) : « الرابعة » .

(٢) أي لا تبرح .

وَحِكِي أَيضًا أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ أَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ وَقَدْ غَنَّاهُ :

أَبْعَدَكَ مَعْقِلًا أَرْجُو وَحِصْنًا * قَدْ آعَيْتَنِي الْمَعَاقِلُ وَالْحِصُونُ^(١)

فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَبِمِثْلِ كَارَةِ الْقَصَارِ كَسُوَّةً^(٢) . فَبَيْنَا ابْنَ عَائِشَةَ يَسِيرُ

إِذْ نَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ وَادِي الْقُرَى ، وَكَانَ يَشْتَهِي الْغَنَاءَ وَيَشْرِبُ النَّبِيذَ ، فَقَالَ

لِغُلَامِهِ : مَنْ هَذَا الرَّاكِبُ ؟ قَالَ : ابْنُ عَائِشَةَ الْمَغْنَى ، فَدَنَا مِنْهُ فَقَالَ : جُعِلَتْ

فِدَاؤُكَ ! أَنْتَ ابْنُ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا أَنَا مُوَلَّى لِقُرَيْشٍ وَعَائِشَةُ أُمِّي ، وَحَسْبُكَ

هَذَا . قَالَ : وَمَا هَذَا الَّذِي أَرَاهُ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ الْمَالِ وَالْكُسُوءَةِ ؟ قَالَ : غَنَيْتُ أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ صَوْتًا فَأُطْرِبُهُ فَكُفِّرَ وَتَرَكَ الصَّلَاةَ وَأَمَرَ لِي بِهَذَا الْمَالِ وَهَذِهِ الْكُسُوءَةُ .

قَالَ : جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ! فَهَلْ تَمَنَّيْتَ عَلَى أَنْ تُسَمِعَنِي مَا أَسْمَعْتَهُ إِيَّاهُ ؟ فَقَالَ : وَيْلَكَ !

أَمْثَلِي يُكَلِّمُ بِهَذَا فِي الطَّرِيقِ ! قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ ؟ قَالَ : آلِحَقْنِي بِالْبَابِ . وَحَرَّكَ ابْنُ عَائِشَةَ

بِغَلَّتِهِ لِيَنْقَطِعَ عَنْهُ ، فَعَدَا مَعَهُ حَتَّى وَافِيََا الْبَابَ كَفَرَسَى رِهَانٍ . وَدَخَلَ ابْنُ عَائِشَةَ

فَمَكَثَ طَوِيلًا طَمَعًا أَنْ يَضْجَرَ فَيَنْصَرِفَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَعْيَاهُ . فَقَالَ لِغُلَامِهِ :

أَدْخِلْهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، قَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مِنْ أَيْنَ صَبَّكَ اللَّهُ عَلَيَّ ! قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ

أَهْلِ وَادِي الْقُرَى أَشْتَهِي هَذَا الْغَنَاءَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِيهَا هُوَ أَنْفَعُ لَكَ مِنْهُ ؟ قَالَ :

وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : مَائَتَا دِينَارٍ وَعِشْرَةُ أَثْوَابٍ تَنْصَرِفُ بِهَا إِلَى أَهْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : جُعِلَتْ

فِدَاؤُكَ ! وَاللَّهِ إِنْ لِي بُنْيَةً مَا فِي أُذُنِهَا — عِلْمُ اللَّهِ — حَلَقَةٌ مِنَ الْوَرَقِ فَضْلًا عَنِ الذَّهَبِ ،

وَإِنْ لِي زَوْجَةً مَا عَلَيْهَا — شَهِدَ اللَّهُ — قَمِيصٌ ، وَلَوْ أُعْطِيتَنِي جَمِيعَ مَا أَمَرَ لَكَ بِهِ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ وَالْفَقْرِ الَّذِي عَرَّفْتُكُمَا وَأَضْعَفَتَ لِي هَذَا لَكَانَ

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي (ج ٢ ص ٢٢٧) . وَفِي الْأَصْلِ : « وَرَاعَتْنِي » .

(٢) الْقَصَارُ هُوَ الَّذِي يَحْتَوِي الثِّيَابَ وَيَدْقُهَا . وَالكَارَةُ : مَا يَحْمِلُهُ مِنَ الثِّيَابِ . قَالَ صَاحِبُ اللِّسَانِ :
وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَكْتَوِّرُ ثِيَابَهُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَيَحْمِلُهَا فَيَكُونُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ .

الصوتُ أعجبَ إلى . فتعجبَ ابن عائشة وغناه الصوت ، بفعل يحرك رأسه ويطرب له طرباً شديداً حتى ظن أن عنقه ستنقصف ؛ ثم خرج من عنده ولم يرزأه شيئاً . وبلغ الخبر الوليد بن يزيد ، فسأل ابن عائشة عنه ، بفعل يغيب عن الحديث ؛ فلم يزل به حتى صدقه الحديث ، فطلب الرجل ، فطلب حتى أحضر إليه ووصله صلةً سنيةً وجعله من ندمائه ووكله بالسقي ؛ فلم يزل معه حتى قُتل رحمه الله . ٥

وعن علي بن الجهم الشاعر قال : حدثني رجل أن ابن عائشة كان واقفاً بالموسم ^(١) مهجراً . فتربه بعض أصحابه فقال : ما يُقيمك هاهنا ؟ قال : إني أعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس هاهنا فلم يذهب أحدٌ ولم يجئ . فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال : أنا ؛ ثم أندفع يغنى :

جَرْتُ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي * نَوَى مَشْمُولَةً فَتَى اللَّقَاءِ
بِنَفْسِي مَنْ تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ * أَعَانِيهِ وَمَطْلَبُهُ عَنَاءُ

قال : لحبس الناس وأضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها ، فكادت الفتنة أن تقع . فأُتي به هشام بن عبد الملك ، فقال له : يا عدو الله ! أردت أن تفتن الناس ! قال : فأمسك عنه وكان تياهاً ؛ فقال له هشام : أرفق بتيهك . فقال : يحق لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تياهاً ! فضحك هشام وخلي سبيله . ١٥

وآخُتِلَفَ في وفاة ابن عائشة وسببها . فقليل : كانت وفاته في أيام هشام بن عبد الملك ، وقيل : في أيام الوليد بن يزيد وهو أشبه ، لأنه قد تقدم أنه نادى الوليد وغناه . والذي يقول : إنه تُوفِّي في أيام هشام يزعم أنه نادى الوليد في أيام ولايته العهد . وكانت وفاته بذي خُشْبٍ ، وهو على أميال من المدينة . قيل : كان سبب وفاته أن الغمر بن يزيد خرج إلى الشام ؛ فلما نزل قصر ذي خُشْبٍ جلس على سطحه ، ٢٠

(١) في الأغاني (ج ٢ ص ٢٠٨ طبع دار الكتب المصرية) : « متحيراً » .

فغنى ابن عائشة صوتاً طرب له الغمر، فقال : أعدّه فأبى ، وكان لا يردّ صوتاً
لسوء خلقه . فأمر به فطرح من أعلى السطح فمات . وقيل : بل قام من الليل يبول
وهو سكران فسقط من السطح فمات . وقيل : بل كان قد رجع من عند الوليد بن
يزيد ، فلما قرب من المدينة نزل بذي خُشب ، وكان والى المدينة إبراهيم بن هشام
المخزوميّ وكان في قصره هناك ، فدعاه فأقام عنده ذلك اليوم . فلما أخذوا في الشرب
أخرج المخزوميّ جوارِيه ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمز جاريةً منهم ، فقال لخدمته :
إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فأرّم به من القصر ، وكانوا يشربون في سطح القصر .
فلما قام رماه الخادم فمات . وقيل : بل أقبل من الشام فنزل بقصر ذي خُشب فشرب
فيه ثم صعد إلى أعلى القصر فنظر إلى نسوة يمشين في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه :
هل لكم فيهنّ ؟ فقالوا : وكيف لنا بهنّ ! فلبس ملاءةً مدلوكةً ثم قام على شُرْفَةٍ من
شُرَفات القصر وتغنّى بشعر ابن أذينة :

وقد قالت لأتراپ * لها زُهْرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب * لنا العيشُ تعالينا

فأقبلن عليه ، فطرب وأستدار فسقط فمات ، عفا الله عنه ورحمه . وقيل : بل
مات بالمدينة . وأقول هذه الأبيات :

سَلِمَى أزمعت بيّنا * وأين لقاءها أينا

وقد قالت لأتراپ * لها زُهْرٍ تلاقينا

تعالين فقد طاب * لنا العيشُ تعالينا

فأقبلن إليها مُسَدَّ * مِرْعَاتٍ يتهادينا

إلى مثل مهابة الرم * مل تكسو المجلس الزينا

إلى خَوْدٍ مُنْعَمَةٍ * حَفَفْنَ بِهَا وَفَدَيْنَا
تَمَنِّينَ^(١) مُنَاهِنَ * فَكَّنَا مَا تَمَنَيْنَا

ذكر أخبار ابن مُحَرِّز

هو مسلم، وقيل: عبد الله بن مُحَرِّز. ويُكنى أبا الخطاب. مولى عبد الدار بن قُصَيٍّ. وكان أبوه من سَدَنَةِ الكعبة، وأصله من الفرس. وكان يسكن المدينة مرةً ومكة مرةً. فكان إذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلم الضرب من عَزَّة الميلاء ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة أشهر. ثم شَخَصَ إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غنائهم، ثم صار إلى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غنائهم. وأُسْقَطَ من ذلك ما لا يُستحسن من غناء الفريقين ونغمهم وأخذ محاسنها، فمزج بعضها ببعض وألّف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بها لم يُسمع مثله. وكان يقال له صَنَّاجِ العرب.

وقيل: إنه أول من أخذ الغناء عن ابنِ مِسَجَج. وهو أول من غنّى بالرمل وما غنّى قبله. وكان ابنُ مُحَرِّزٍ قليلَ الملازمة للناس، فأحمل ذلك ذكره. وأخذ أكثر غنائه جاريةً كانت لصديق له من أهل مكة كانت تألفه فأخذه الناس عنها. ومات بعلة الجذام، وكان ذلك سببَ امتناعه من معاشرَةِ الخلفاء ومخالطة الناس. وحكى أنه رحل إلى العراق، فلما بلغ القادسية لقيه حنينٌ فقال له: كم متك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار؛ قال: هذه خمسمائة دينار نخذها وأنصرف وأحلف ألا تعود، ففعل. فلما شاع ما فعل حنينٌ لامه أصحابه: فقال: والله لو

(١) في الأصل: «فنين». والتصويب عن الأغاني (ج ٢ ص ٢٣٧ طبع دار الكتب المصرية).

(٢) كذا في الأغاني (ج ١ ص ٣٧٨ طبع دار الكتب المصرية). وفي الأصل: «ألحان الشام».

دخل العراق ما كان لى معه خبزاً آكله ولا طُرِحَتْ ثم سقطت إلى آخر الدهر . ولم أقف من أخبار ابن محرز على أكثر من هذا فأورده . والسلام .

ذكر أخبار مالك بن أبي السَّمَح

هو أبو الوليد مالك بن أبي السَّمَح . وأسم^(١) أبي السَّمَح جابر بن ثعلبة الطائي ، وأمه قرشية من بني مخزوم ؛ وقيل : بل أم أبيه [منهم] ؛ وقيل فيه : مالك بن أبي السَّمَح بن سليمان . وكان أبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويتيماً في حجره أوصى به أبوه إليه . وكان مالكٌ أحول طويلاً . وأخذ الغناء عن جميلة ومعبد وعمر ، وأدرك الدولة العباسية . وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن علي ، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

- ١٠ وروى الأصفهاني بسنده إلى الورداني ، قال :
- كان مالك بن أبي السَّمَح المغني من طيء ، فأصابتهم^(٢) حُطْمَةٌ في بلادهم بالجليلين ، فقدمت به أمه وبإخوة له وأخوات أيتام لا شيء لهم . وكان يسأل الناس على باب حمزة بن الزبير . وكان معبداً منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كل يوم . فسمع مالكٌ غناءه فأعجبه وأشتهاه . وكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ولا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يريم موضعه ، فينصرف إلى أمه ولم يكسب شيئاً فتضربه ، وهو مع ذلك يترنم بألحان معبد فيؤذيها نغماً بغير لفظ .
- ١٥ وجعل حمزة كلما غدا أوراخ رآه ملازماً لبابه ؛ فقال لغلامه يوماً : أدخل هذا الغلام إلى فأدخله الغلام إليه ؛ فقال له حمزة : من أنت ؟ قال : غلام من طيء

(١١٧)

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٥ ص ١٠١ طبع دار الكتب المصرية) .

٢٠ (٢) الحطمة : السنة الشديدة . (٣) لا يريم : لا يبرح .

أصابتنا حُطْمَةٌ بالحبلى فهبطنا إليكم ومعى أمُّ لى وإخوةٌ، وإنى لزمْتُ بآبِك فسَمِعْتُ
 من دارك صوتًا أعجبنى ولزمْتُ بآبِك من أجله . قال : فهل تعرف منه شيئًا ؟
 قال : أعرف لحنه كَلَّه ولا أعرف الشعر . فقال : إن كنت صادقًا إنك لفهمٌ .
 ودعا بمعبد فأمره أن يغنى صوتًا فغناه ، ثم قال لمالك : هل تستطيع أن تقول له ؟
 قال نعم . قال : هاته ، فاندفع فغناه فأدّى نغمه بغير شعر^(١)، يُؤدّى مدّاته وليّاته
 وعطفاته ونبراته ومتعلقاته لا يحرم منه حرفًا . فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرجه
 فليكوننَّ له شأنٌ . قال معبد : ولم أفعل ذلك ؟ قال : لتكون محاسنه منسوبة إليك
 وإلا عدّاك إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبةً إليه . فقال معبد : صدق الأمير، وأنا
 أفعل ما أمرتنى به . قال حمزة لمالك : كيف [وجدت^(٢)] ملازمتك لبابنا ؟ قال : أرايتَ
 إن قلتُ فيك غير الذى أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنت ترضى بذلك ؟ قال
 لا . قال : وكذلك لا يسرك أن تُحمّد بما لم تفعل ، قال نعم . قال : فوالله ما شيعت
 على بابك شعبةً قط ، ولا أنقلبتُ إلى أهلى منه بخير . فأمر له ولأتمه وإخوته بمنزل
 وأجرى عليهم رزقًا وكسوةً وأمر لهم بخادم يخدمهم وعبد يسقيهم الماء ، وأجلس
 مالكًا معه فى مجالسه ، وأمر معبدًا أن يطارحه فلم ينشب أن مهر . فخرج مالك يوما
 فسمع امرأة تتوح على زيادة الذى قتله هذبة بن خشرم - والشعر لأخى زيادة - :
 أبعد الذى بالنّعف نعف كويكب * رهينة رمس ذى تراب وجندل
 أذكر بالبقيا على من أصابنى * وذلك أنى جاهد غير مؤتلي^(٣)
 فلا يدعنى قومي لزيد بن مالك * لئن لم أعجل ضربة أو أعجل

(١) فى الأصول : « شىء » والتصحيح عن الأغاني (ج ٥ ص ١٠٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الزيادة عن الأغاني . (٣) فى الأغاني : « وبقياى أنى ... » وورد البيت فى اللسان

(مادة « بقى ») منسوبا الى أبى القمقام الأسدى هكذا :

أذكر بالبقوى على ما أصابنى * وبقواى أنى جاهد غير مؤتلي

وإلا أنل ثأرى من اليوم أو غد * بني عمنا فالدهر ذو مُتَطَوِّل

أَنَحْتُم علينا كلكل الحرب مرّة ^(١) * فنحن مُنِيخُوها عليكم بَكَلِكَل ^(٢)

- فغنى في هذا الشعر لحنين، أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورققه وأصلحه،
والآخر نحا فيه نحو معبد في غناؤه. ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير، إني قد صنعتُ
غناءً في شعر سمعتُ أهل المدينة يُنشدونه وقد أعجبني، فإن أذن الأميرُ غنيته. قال: هـ
هات، فغنى اللحن الذي نحا فيه نحو معبد، فطرب حمزة وقال: أحسنت يا غلام،
هذا الغناء غناء معبد بطريقته. قال: لا تعجل أيها الأمير وأسمع مني شيئاً ليس
من غناء معبد ولا طريقته، فغناه اللحن الذي تشبه فيه بنوح المرأة. فطرب حمزة حتى
ألقي عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتا دينار. ودخل معبدُ فرأى حلة حمزة على مالكٍ
فأنكرها. وعلم حمزة بذلك فأخبر معبدًا بالسبب، وأمر مالكاً فغناه الصوتين. فغضب
معبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائى فيدعيه
لنفسه. فقال حمزة: لا تعجل وأسمع غناءً ^(٣) [صنعه] ليس من شأنك ولا غنائك، وأمره
أن يغنى الصوت الآخر فغناه، فأطرق معبد. فقال له حمزة: والله لو أنفرد بهذا لضأهاك
ثم تزايد على الأيام، وكلما كبر وزاد شئت أنت وأنتقصت، فلا أن يكون منسوباً
إليك أجمل. فقال له معبد وهو منكسر: صدق الأمير. فأمر حمزة لمعبدٍ بخلعة من
ثيابه وجائزة حتى سكن وطابت نفسه. فقام مالكٌ على رجله وقبّل رأس معبد وقال
له: يا أبا عباد، أساءك ما سمعت مني؟ والله لا أغنى لنفسى شيئاً أبداً ما دمت حياً!
وإن غلبتني نفسى فغنيت في شعر أستحسنه لا نسبته إلا إليك، فطب نفساً وأرض

(١) في الأصول: «الدهر». والتصويب عن الأغاني (ج ٥ ص ١٠٤).

(٢) في الأصول: «سننخوها». والتصويب عن الأغاني.

(٣) الزيادة عن الأغاني (ج ٥ ص ١٠٥).

١١٨

عَنِّي . فقال له معبد : أتفعل هذا وتنفى به ؟ قال : إى والله وأزيد . فكان مالك إذا غنى صوتًا وسُئِلَ عنه قال : هذا لمعبد ، ماغْنَيْتُ لِنَفْسِي شَيْئًا قَطُّ ، وإنما أَخَذُ غِنَاءَ معبد فَأَنْقُلُهُ إِلَى الأشعار وأَحْسَنُهُ وأزيد فيه وَأَنْقُصُ منه . وحضر مالكُ بن أبي السَّمْحِ عند يزيد بن عبد الملك مع معبد وابن عائشة فغَنَوْهُ ، فأمر لكل واحد منهم بألف دينار .

وحكى عن ابن الكلبي قال : قال الوليد بن يزيد لمعبد :

قد آذَنِي وَلَوْلَاكَ هَذِهِ ، وقال لابن عائشة : قد آذاني آسْتَهْلَاكَ هَذَا ، فَأَطْلُبَالِي رجلاً يكون مذهبه متوسطاً بين مذهبَيْكُمَا . فقالا له : مالك بن أبي السَّمْحِ ؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر من بالحجاز من المغنين . فلما قَدِمَ مالك على الوليد بن يزيد فيمن معه نَزَلَ على الغمر بن يزيد ، فأدخله على الوليد فغَنَاهُ فلم يُعْجِبْهُ . فلما آنصرفت قال له الغمر : إِنَّ أمير المؤمنين لم يُعْجِبْهُ شَيْءٌ من غنائك ، فقال له : جعلني الله فِدَاكَ ! اطلُبْ لِي الإِذْنَ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَإِنْ أُعْجِبْهُ شَيْءٌ مِمَّا أُغْنِيهِ وَإِلَّا آنصرفتُ إِلَى بِلَادِي . فلما جلس الوليد في مجلس اللهو ذكره الغمر له ؛ فأذن له فشرب مالكُ ثَلَاثَ صَرَاحِيَّاتٍ صُرْفًا ، ودخل على الوليد وهو يَخْطُرُ في مشيته ، فلما بلغ بَابَ المجلس وقف ولم يُسَلِّمْ وأخذ بِحَلَقَةِ الباب ثم رفع صَوْتَهُ فغَنَى :

لَا عِشَ إِلَّا بِمَالِكَ بْنِ أَبِي السَّمْحِ فَلَا تَلَحَّنِي وَلَا تَلُمُ
أَبْيَضُ كَالْبَدْرِ أَوْ كَمَا يَلْمَعُ الْـ * سَبَّارُكَ فِي حَالِكَ مِنَ الظُّلَمِ
فَلَيْسَ يَعْصِيكَ إِنْ رَشَدْتَ وَلَا * يَهْتِكُ حَقَّ الْإِسْلَامِ وَالْحَرَمِ
يُصِيبُ مِنَ لَذَّةِ الْكِرَامِ وَلَا * يَجْهَلُ آيَ التَّرْخِيصِ فِي اللَّمَمِ
يَا رَبِّ لَيْلٍ لَنَا كَاشِيَةٌ الْـ * بُرْدٍ وَيَوْمَ كَذَاكَ لَمْ يَدُمِ

(١) جمع صراحية وهي آنية للخمر .

نَعِمْتُ فِيهِ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ

فَطَرِبَ الْوَلِيدُ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَارَسَ إِبْطَاهُ وَقَامَ فَأَعْتَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ فِي صَوْتِهِ ذَلِكَ فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ أَيَّامًا، وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطِيَّةَ حِينَ أَرَادَ الْأَنْصِرَافَ . قَالَ : وَلَمَّا أَتَى مَالِكُ عَلَى قَوْلِهِ : « أَبْيَضُ كَالْبَدْرِ » قَالَ الْوَلِيدُ :

أَحُولُ كَالْقِرْدِ أَوْ كَمَا يَرْقُبُ السَّارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

قَالُوا : وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَبِي السَّمْحِ مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ يَوْمَ قُتِلَ هُوَ وَابْنُ عَائِشَةَ . قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَحْمَقَ الْخَلْقِ، فَلَمَّا قُتِلَ الْوَلِيدُ قَالَ : أَهْرُبُ بَنَاءَ، قُلْتُ : وَمَا يُرِيدُونَ مِنَّا؟ قَالَ : وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ يَأْخُذُوا رَأْسِنَا فَيَجْعَلُوا رَأْسَهُ بَيْنَهُمَا لِيَحْسِنُوا أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ ! .

ذكر أخبار يونس الكاتب

١٠

هُوَ يُونُسُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ كُرْدٍ بْنِ شَهْرِيَارٍ مِنْ وَلَدِ هُرْمُزٍ، مُوَلَّى لِعَمْرُو بْنِ الزَّيْرِ، وَمَنْشَوُهُ وَمَنْزَلُهُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ فَقِيهًا فَأَسْلَمَهُ فِي الدِّيْوَانِ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِهِ . وَأَخَذَ الْغَنَاءَ عَنْ مَعْبُدٍ وَابْنِ سَرِيحٍ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَالْغَرِيضِ، وَكَانَ أَكْثَرَ رَوَايَتِهِ عَنْ مَعْبُدٍ . وَلَمْ يَكُنْ فِي أَصْحَابِ مَعْبُدٍ أَحَدٌ مِنْهُ وَلَا أَقْوَمُ بِمَا أَخَذَ عَنْهُ مِنْهُ . وَلَهُ غَنَاءٌ حَسَنٌ، وَصَنَعَةُ كَثِيرَةٌ، وَشِعْرٌ جَيِّدٌ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الْغَنَاءَ . وَلَهُ كِتَابٌ فِي الْأَغَانِي نَسَبَهَا إِلَى مَنْ غَنَى فِيهَا . وَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ، فَبَلَغَ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدٍ مَكَانَهُ فَأَحْضَرَهُ وَالْوَلِيدُ إِذْ ذَاكَ وَلَّى الْعَهْدَ . قَالَ : فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ، ثُمَّ دَعَا بِالشَّرَابِ وَالْجَوَارِي . قَالَ يُونُسُ : فَكُنَّا يَوْمَنَا وَلَيْلَتَنَا فِي أَمْرٍ عَجِيبٍ، وَغَنَيْتُهُ فَأَعْجَبَ بِغِنَائِي إِلَى أَنْ غَنَيْتُهُ :

١٥

٢٠

(١) فِي الْأَغَانِي (ج ٤ ص ٣٩٨ طبع دار الكتب المصرية) : « وَقِيلَ : إِنَّهُ مَوْلَى ... » الخ .

إِنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فَنَحْنُ بِخَيْرٍ * قَدْ أَتَانَا مِنْ عَيْشِنَا مَا نُرْجَى

ثم تنبّهت فقطعتُ الصوتَ وأخذتُ أعتذر من غنائى بشعيرٍ فى مصعب ، فضحك
ثم قال : إن مُصْعَبًا قد مضى وأنقطع أثره ولا عداوة بينى وبينه وإنما أريد الغناء ،
فأمضِ الصوتَ ؛ فعُدْتُ فيه فغنّيته ولم يزل يستعيده حتى أصبح فشرب مُصْطَبِحًا
وهو يستعيدنى هذا الصوت ولا يتجاوزه . فلما مضت ثلاثة أيام قلت : جعلنى الله
فذلك إني رجل تاجر خرجتُ مع تُجَّارٍ وأخاف أن يرتحلوا فيضيع مالى ، فقال : أنت
تغدو غداً ، وشرب باقى ليلته وأمر لى بثلاثة آلاف دينار . فحُمِلْتُ إلىّ وغدوتُ
إلى أصحابى . فلما استُخْلِفَ بعث إلىّ فأتيته فلم أزل معه حتى قُتِلَ .

ذكر أخبار حنين

هو حنين بن بلّوع الحيرى . وأختلف فى نسبه ، فقيل : هو من العباديين من
تميم ، وقيل : إنه من بنى الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم بقوا من طميم
وجديس ، فزلوا فى بنى الحارث بن كعب فعُدّوا فيهم . ويكنى أبا كعب . وكان
شاعراً مغنياً من فحول المغنّين ، وكان يسكن الحيرة ويكرى الجمال إلى الشام ، وكان
نصرانياً . وعن المدائنى قال : كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة ، وكان إذا حمل
الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين ورأوا
رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه وأقام عندهم ، فكان يسمع الغناء
ويُصْنِى له ، حتى شدا منه أصواتاً فأستمعه الناس ، وكان مطبوعاً حسن الصوت . وأشتهر
غناؤه وشهره بالغناء ومهر فيه وبلغ فيه مبلغاً كبيراً . ثم رحل إلى عمر بن داود الوادى

(١) كذا فى الأغاني (ج ٢ ص ٣٤٥ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصل : «بيوت القيان» .

(٢) كذا فى الأغاني . وفى الأصل : « عمرو » وهو تحريف .

وإلى حكم الوادى وأخذ منهما وغنى لنفسه وأستولى على الغناء فى عصره، وهو الذى بذل لأبن مُحَرِّز خمسمائة دينار حتى رجع عن العراق، كما قدّمناه فى أخبار ابن محرز . وبلغ من الناس بالغناء مبلغاً عظيماً، حتى قيل له فيما حُكى : إنك تغنى منذ خمسين سنة فما تركت لكريم مالا ولا داراً ولا عقاراً إلا أتيت عليه . فقال : بأبى أتم ! إنما هى أنفاسى أقسمها بين الناس، أفتلومونى أن أغلى بها الثمن .

وحكى المدائنى قال : حجّ هشام بن عبد الملك وعديله الأبرش الكلبيّ؛ فوقف له حينئذٍ بظهر الكوفة ومعه عودٌ وزامر له . فلما مرّ به هشام عرض له فقال : من هذا ؟ قيل : حنين ؛ فأمر به هشام فحُمِلَ فى حِمْلٍ على جملٍ وعديله زامرُه وسيره أمامه، فغنّاه :

أَمِنْ سَلْمَى يَظْهَرِ الْكُو * فَةِ الْآيَاتُ وَالطَّلَلُ
تَلُوحُ كَمَا تَلُوحُ عَلَى * جَفُونِ الصَّبَقِ الْخَلَلُ

فأمر له هشام بمائتى دينار وللزّامر بمائة دينار .

وحكى أن خالد بن عبد الله القسرى حرّم الغناء بالعراق فى أيامه ثم أذن للناس يوماً فى الدخول عليه عامّةً؛ فدخل عليه حنين فى جملة الناس ومعه عودٌ تحت ثيابه فقال : أصلح الله الأمير! كانت لى صنّاعةٌ أعود بها على عيالى فخرّمها الأميرُ فأضّرّ ذلك بى وبهم . فقال : وما كانت صنّاعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا . فقال له خالد : غنّ ؛ فعرك أوتاره وغنّى :

أَيُّهَا الشَّامَتُ الْمُعَيَّرُ بِالْهَدْ * رِ أَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِيْدِ * لَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مِنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أَمْ مَنْ * ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

(١) فى الأغانى : « فرك » .

قال : فبكى خالد وقال : قد أذنتُ لك وحدك خاصّةً ، ولا تجالس سفيهاً ولا مُعريداً . فكان إذا دُعِيَ قال : أفيكم سفيه أو معريدٌ ؟ فإذا قالوا لا ، دخل .
وقال بشر بن الحسين بن سليمان بن سُمرة بن جندب : عاش حنين بن بلّوع مائة سنة وسبع سنين .

ذكر أخبار سيات

- ٥ هو عبد الله بن وهب ويكنى أبا وهب ، وسياتٌ لقب غلب عليه . وهو مكيٌّ مولى خزاعة . كان مقدّماً في الغناء روايةً وصنعةً ، مقدّماً في الطرب . وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وعنه أخذوا ، وأخذ هو عن يونس الكاتب . وكان سيات زوج أم ابن جامع . قيل : وإنما لُقّب سياتٌ بهذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يغنى :
كأن مزاحفَ الحياتِ فيها ^(١) * قبيلَ الصبح آثارُ السّياطِ
- ١٠ حُكي أن إبراهيم الموصليّ غنى صوتاً لسيات ، فقال أبنته إسحاق : لمن هذا الغناء يا أبت ؟ قال : لمن لو عاش ما وجد أبوك خبزاً يأكله ، سيات .
- ١٥ وحكى أن سياتاً مرّ بأبي رَيحانة في يوم بارد وهو جالسٌ في الشمس وعليه سَمَلٌ ثوب رقيق رث ، فوثب إليه أبو ريحانة المدنيّ وقال : بأبي أنت يا أبا وهب ! غنّني صوتك في شعر ابن جندب :
فؤادِي رهينٌ في هوائك ومُهْجتي * تَذوبُ وأجفاني عليك هُمُولُ
فغناه إياه ، فشقّ قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد آزداد برداً وجهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك هذا من شقّ قميصك ؟ ! فقال : يابن أنحى ، إن الشعر الحسن من المغنّى المحسن ذى الصوت المطرب أدفاً للقرور من حمامٍ مُحمّى . فقال له

(١) في الأغاني (ج ٦ ص ١٥٢ طبع دار الكتب المصرية) : « فيه » .

رجل : أنت عندي من الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فَمَا رَیَحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ فقال : بل أنا ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ . وقد حكيت هذه الحكاية أيضا من طريق آخر : أنه لما غناه هذا الصوت شق قبيصه حتى خرج منه وبقي عاريا وغشي عليه واجتمع الناس حوله ، وسياط واقف يتعجب مما فعل ، ثم أفاق فقام إليه . فقال له سياط^(١) : مالك يا مشئوم ! أي شيء تريد؟ قال : غني بالله عليك يا سيدي :

ودّع أمانة حان منك رحيل * إن الوداع لمن يُحبّ قليل
مثل القضيبي تمألت أعطافه * فالريح تجذب منه فيميل^(٢)
إن كان شأنكم الدلال فإنه * حسن دلالك يا أميم جميل

فغناه ، فلطم وجهه حتى خرج الدّم من أنفه ووقع صريعا . ومضى سياط وحمل^{١٠} الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلما أفاق قيل له في ذلك فقال نحو ما تقدم . قال : ووجه إليه سياط بقميص وسراويل وجبة وعمامة .

وكانت وفاة سياط في أيام موسى الهادي . ودخل عليه ابن جامع وقد نزل به الموت فقال له : ألك حاجة؟ قال : نعم لا تزد في غنائى شيئا ولا تنقص منه ، فإنما هو ثمانية عشر صوتا دعه رأسا برأس . وقيل : بل كانت وفاته فجأة ، وذلك أنه دعاه بعض إخوانه فأتاهم وأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميتا في منزلهم ، فجاءوا إلى أمه وقالوا : يا هذه إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسربه ونأنس بقربه فمات فجأة ، وها نحن بين يديك ، فأحكى ما شئت ، وناشدناك الله أن [لا] تعرضينا^(٣)

(١) في الأصل : « مالك أيضا » . ولا معنى لكلمة « أيضا » وهي غير موجودة في الأغاني .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل :

... .. أعطافها * والريح تجذب منها فتميل

(٣) التكلة عن الأغاني .

للسلطان أو تدعى علينا ما لم نفعله . قالت : ما كنت لأفعل ، وقد صدقتم ، وهكذا مات أبوه فجأة ، وتوجهت معهم فحملته إلى منزله ودفنته .

ذكر أخبار الأبحر

هو عبيد الله بن القاسم بن منبه^(١) ، ويكنى أبا طالب . وقيل : اسمه محمد بن القاسم ، والأبحر لقب غلب عليه . وهو مولى لكانة ثم لبني ليث بن بكر^(٢) . وكان يلقب بالحساس . وكان مديناً منشؤه مكة أو مكياً منشؤه المدينة . قال عورك اللهي :
لم يكن بمكة أحدٌ أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبحر ؛ كانت حلتته بمائة دينار وفرسه بمائة دينار ومركبه بمائة دينار ؛ وكان يقف بين المأزمين ويرفع عقيرته ، فيقف الناس له فيركب بعضهم بعضاً . وروى الأصفهاني بسنده إلى اسحاق ابن إبراهيم الموصلي قال :

جلس الأبحر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التنعيم فإذا عسكر جرار^(٣) [قد أقبل] في آخر الليل وفيه دوابٌ تجنب ومنها فرس أدهم عليه سرج حليته ذهب ، فاندفع يغنى :

عرَفْتُ ديارَ الحى خاليةً قفراً * كأن بها لما توهمتها سطوراً

فلما سمعه من في القباب والمحامل أمسكوا وصاح صائح : ويحك أعد الصوت ! فقال : لا والله إلا بالفرس الأدهم بسرجه وجامه وأر بعائة دينار ، وإذا الوليد بن يزيد صاحب العسكر . فنودي : أين منزلك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأبحر ، ومنزلى على

(١) في ترجمته في الأغاني (ج ٣ ص ٣٤٤ طبع دار الكتب المصرية) : « ضبية » . وورد

في بعض أصول الأغاني : « ضية » و « ضبية » . (٢) الذى فى الأغاني « وهو مولى لكانة

ثم لبني بكر ، ويقال : إنه مولى لبني ليث » . (٣) الزيادة عن الأغاني .

زُقاق باب الخرازين . فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعائة دينار وتحت ثياب وشي وغير ذلك، ثم أُتِيَ به الوليدُ، فأقام وراح مع أصحابه عشية التروية وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشام .

(١٢١)

وحكى عن عمرو بن حفص بن أمّ كلاب^(٢)، قال :

- ٥ كان الأبيجر مولانا وكان مكيًا، وكان إذا قديم من مكة نزل علينا . فقال لنا يوما :
أسمعونا غناء ابن عائشكم هذا ، فأرسلنا إليه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبار . فغنى
ابن عائشة : فقال الأبيجر : كل مملوك له حرّان غنيت معك إلا بنصف صوتي ،
ثم أدخل إصبعه في شدقه وغنى فسمع صوته من في السوق ، فحشر الناس علينا ،
فلم يفترقا حتى تشامّا .

ذكر أخبار أبي زيد الدّلال

١٠

هو أبو زيد ناقد مدنيّ، مولى عائشة بنت سعيد بن العاص ، وكان مُحَنَّتًا .
قال إسحاق :

- لم يكن في المحنّين أحسن وجهًا ولا أنظف ثوبًا ولا أظرف من الدّلال . قالوا :
ولم يكن بعد طوئس أظرف منه ولا أكثر ملحًا . وكان كثير النوادر تزر الحديث ،
١٥ فإذا تكلم أضحك الثكالي ، وكان ضاحك السنّ ، ولم يكن يغنى إلا غناءً مُضَعَّفًا
(يعني كثير العمل) .

وقال أيوب بن عباية :

شهدتُ أهل المدينة إذا ذكروا الدّلال وأحاديثه طوّلوا رقابهم ونفخوا به ،
فعلمتُ أن ذلك لفضيلة كانت عنده . قالوا : وكان مُبْتَلًى بالنساء والكونِ معهنّ ،

٢٠

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « الخرازين » . وهو تصحيف .

(٢) الذي في الأغاني : « عن عمرو بن حفص بن أبي كلاب » .

فكان يُطَلَّب فلا يُقَدَّر عليه . وكان صحيحَ الغناء حسنَ الحُرْم . قالوا : وإنما لُقِّب
بالدلال لشكله وحسن ظُرفه ودلّه وحلاوة منطقه وحسن وجهه . وكان مشغوقاً
بمخالطة النساء يُكثر ووصفهن للرجال . وكان يُشَاغِلُ كُلَّ مَنْ يجالسُه عن الغناء
بأحاديث النساء كراهةً منه للغناء . وكان إذا غنّى أجاد ، كما حكاه ابن المَاجِشُون
عن أبيه قال : غنّاني الدلالُ يوماً بشعر مجنون بنى عامر ، فلقد خِفْتُ الفتنةَ على
نفسى . واستحضره سليمان بن عبد الملك من المدينة سرّاً وغنّاه وأقام عنده شهراً
ثم صرفه إلى الحجاز مكرماً .

قال الأصمعيّ :

حجّ هشامُ بن عبد الملك ، فلما قدِم المدينة نزل رجلٌ من أشرف أهل الشام وقوادِهم
يُجَنَّبُ دارِ الدّلال ، فكان الشاميُّ يَسْمَعُ غناءَ الدلال ويُصْغِي إليه ويصعد فوق
السطح ليَقْرُب من الصوت ، ثم بعث إلى الدلال : إِمّا أن تزورنا وإمّا أن تزورك .
فبعث إليه الدلال بل تزورنا . فبعث الشاميّ ما يَصْلُحُ ومضى إليه بغير غلامانه
كأنهما دُرتان مكنونتان . فغنّاه الدلال ، فأستحسن الشاميُّ غناءه فقال : زدني ؛
قال : أو ما يكفيك ما سمعت ! قال : لا والله ما يكفيني . قال : فإن لي حاجة .
قال : وما هي ؟ قال : تبيغني أحد هذين الغلامين أو كليهما ، فقال : آختر
أيّهما شئت ، فأختر أحدهما ، فقال له الشاميّ : هو لك ؛ فقبله منه الدلال ، ثم غنّاه
وغنّني :

دَعَنِي دَواعٍ مِنْ أَرِيّا فَهَيَّجَتْ * هَوَى كان قِدْماً مِنْ فؤاد طَروِب
لعل زماناً قد مضى أن يعودَ لي * فتَغْفِرَ أروى عند ذاك ذنوبي
سَبَتْنِي أَرِيّا يوم نَعِفَ مُحسِر * بوجه جميلٍ للقلوب سَلُوب

(١) كذا في الأغاني (ج ٤ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصل : « لعل زماناً للرضا » .

- فقال له الشامي: أحسنت . ثم قال له : أيها الرجل الجميل ، إن لي [إليك] ^(١) حاجة ، قال الدلال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً ولدت في حجر صالح ونشأت في خير ، جميلة الوجه مجدولةً وضيفةً جعدةً في بياض مشربةً حمرةً حسنةً الهامة سبطةً أسيلةً اتخذ عذبةً اللسان لها شكلٌ ^(١) [ودل] تملأ العين والنفس . فقال له الدلال : قد أصبتها لك ، فما لي عندك إن دلتك عليها ؟ قال : غلامى هذا . قال : إذا رأيتها وقبلتها فالغلام لى ؟ قال نعم . قال : فأتى امرأةً كنى عن اسمها ، فقال لها : جُعِلْتُ فداءك ! نزل بقربى رجلٌ من قواد هشام ، له ظرفٌ وسخاءٌ ، وجاءنى زائراً فأكرمتُه ، ورأيتُ معه غلامين كأنهما الشمسُ الطالعةُ المنيرة واليكواكب الزاهرة ما وقعت عيني على مثلهما ولا يطول لسانى بوصفهما ، فوهب لى أحدهما والآخرُ عنده ، وإن لم يصِرْ إلى فنفسى ذاهبةً . قالت : وتريد ما ذا ؟ قال : طلب منى وصيفةً على صفةٍ لا أعلمها إلا فى آبتك ، فهل لك أن تُريه إياها ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : إني قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع .
- قالت : شأنك ، لا يعلم هذا أحد . فمضى الدلال وأتى بالشامى . فلما صار إلى المرأة وُضع له كرسيٌّ وجلس . فقالت له المرأة : أمِن العرب أنت ؟ قال نعم . قالت : من أيهم ؟ قال : من خُراعة . قالت : مرحباً بك وأهلاً ! أى شىء طلبت ؟ فوصف لها الصفة . قالت : قد أصبتها ، وأسرت إلى جارية لها فدخلت فمكثت هنيهة ثم خرجت فنظرت فقالت : أخرجى ، فخرجت وصيفةً ما رأى [الراءون] ^(١) مثلها . فقالت لها : أقبل فأقبلت ، ثم قالت : أدبرى فأدبرت تملأ العين والنفس ، فما بقى منها شىء إلا وضع يده عليه . فقالت له : أتحب أن تؤزرها لك ؟ قال نعم . قالت : أئترى ، فضمها الإزار وظهرت محاسنها الخفية ، فضرب بيده إلى تحجيزتها

(١) الزيادة عن الأغاني .

وصدرها . ثم قالت : أتحب أن نجتردها لك ؟ قال نعم . قالت : [أى حبيبتى^(١)] وصحى ، فألقت الإزار فإذا أحسن خلق الله كأنها سبيكة . فقالت : يا أبا العرب ، كيف رأيت ؟ قال : منية^(١) الممتنى . قال : بكم تقولين ؟ قالت : ليس يوم النظر يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى نبائعك فلا تنصرف إلا عن رضا ، فأنصرف من عندها . فقال له الدلال : أرضيت ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أن مثل هذه في الدنيا ، وإن الصفة لتقصّر دونها ، ثم دفع إليه الغلام الثاني . فلما كان من الغد قال له الشامي : أمض بنا . فمضيا حتى قرعا الباب ، فأذن لهما فدخلتا فسلما ، فرحبت المرأة بهما ثم قالت للشامي : أعطنا ما تبذل ، فقال : ما لها عندي ثمن إلا وهى أكثر منه ، فقولى أنت يا أمة الله . قالت : بل قل أنت ، فإننا لم نوطئك أعقابنا ونحن نريد خلافاً وأنت لها رضا . قال : ثلاثة آلاف [دينار]^(١) . قالت : والله لقبله منها خير من ثلاثة آلاف [دينار]^(١) . قال : أربعة آلاف [دينار]^(١) . قالت : غفر الله لك أعطنا أيها الرجل . قال : والله مامعى غيرها — ولو كان لزدتك — إلا رقيق ودواب . قالت : ما أراك إلا صادقاً ، أتدرى من هذه ؟ قال : تُخبريني . قالت : هذه أبتى فلانة بنت فلان وأنا فلانة بنت فلان ، قم راشداً . فقال للدلال : خدعتنى . قال : أو ما ترضى أن ترى ما رأيت من مثلها وتهب مائة غلام مثل غلامك ؟ قال : أما هذا فنعم . وخرجا من عندها .

والدلال أحد من خصى من المختئين بالمدينة لما أمر سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة أبا بكر بن عمرو بن حزم بنخصيهم .

وقد اختلف في سبب ذلك ، فكان ما حكاه إسحاق عن مصعب الزيرى قال : أنا أعلم خلق الله بالسبب الذى خصى من أجله الدلال ، وذلك أنه كان القادم

(١) الزيادة عن الأغاني

- يَقْدَمُ الْمَدِينَةَ فَيَسْأَلُ عَنْ أَمْرَاءٍ يَتَزَوَّجُهَا فَيُدَلُّ عَلَى الدَّلَالِ ؛ فَإِذَا جَاءَهُ قَالَ لَهُ :
- صِفْ لِي مَا تَعْرِفُ مِنَ النِّسَاءِ لِلزَّوْجِ ؛ فَلَا يَزَالُ يَصِفُ لَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى مَا يُوَافِقُ هَوَاهُ ؛ فَيَقُولُ : كَيْفَ لِي بِهِذِهِ ؟ فَيَقُولُ : مَهْرُهَا كَذَا وَكَذَا . فَإِذَا رَضِيَ بِذَلِكَ أَتَاهَا الدَّلَالُ فَقَالَ لَهَا : إِنِّي قَدْ أَصَبْتُ لَكَ رَجُلًا مِنْ حَالِهِ وَقِصَّتِهِ وَهَيْئَتِهِ وَيَسَارِهِ ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالنِّسَاءِ وَإِنَّمَا قَدِمَ بِلَدِنَا أَنْفَاءً ؛ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ يَشْوِقُهَا وَيَحْتَزُّهَا ه
- حَتَّى تُطِيعَهُ ، فَيَأْتِي الرَّجُلَ فَيُعَلِّمُهُ أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَ لَهُ مَرَادَهُ . فَإِذَا تَزَوَّجَهَا قَالَ لَهَا : قَدْ أَنْ لِهَذَا الرَّجُلِ أَنْ يَدْخُلَ وَاللَّيْلَةَ مَوْعِدُهُ وَأَنْتِ مُغْتَلِمَةٌ شَبَقَةٌ ، فَسَاعَةَ يُجَامِعُكَ قَدْ دَفَّقَتْ عَلَيْهِ مِثْلَ سَيْلِ الْعَرِمِ فَيَقْدَرُكَ وَلَا يُعَاوِدُكَ وَتَكُونِينَ مِنْ أَشَامِ النِّسَاءِ عَلَى نَفْسِكَ .
- فَتَقُولُ لَهُ : كَيْفَ أَصْنَعُ ؟ فَيَقُولُ : أَنْتِ أَعْلَمُ بِدَوَاءِ فَرْجِكَ وَدَائِهِ وَمَا يُسْكِنُ غُلْمَتِكَ .
- فَتَقُولُ لَهُ : مَا أَعْرِفُ لَهُ دَوَاءً أَشْفَى مِنَ الْجَمَاعِ . فَيَقُولُ لَهَا : إِنْ لَمْ تَخَافِ الْفُضِيحَةَ ١٠
- فَأَبْعَثِي إِلَى بَعْضِ الزَّوْجِ حَتَّى يَقْضِيَ بَعْضَ وَطَرِكَ وَيَكْفِ عَادِيَةَ فَرْجِكَ . فَتَقُولُ لَهُ :
- وَيْلَكَ ! وَلَا ذَا بَمَرَّةٍ ! فَلَا تَزَالُ الْمُحَاوَرَةُ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَقُولَ لَهَا : فَكَمَا حُكِمَ عَلَيَّ أَقُومُ فَأَخْفِّفُكَ ١٥
- وَأَنَا إِلَى التَّخْفِيفِ أَحْوَجُ . فَتَفْرَحُ الْمَرْأَةُ فَيُجَامِعُهَا حَتَّى يَقْضِيَ وَطَرَهُ مِنْهَا ؛ فَيَقُولُ لَهَا :
- أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ أَسْتَرَحْتِ وَأَمِنْتَ الْعَيْبَ وَبَقِيتُ أَنَا . ثُمَّ يَأْتِي الزَّوْجَ فَيَقُولُ لَهُ : قَدْ وَعَدْتُنِي أَنْ تَدْخُلَ بِي اللَّيْلَةَ وَأَنْتِ رَجُلٌ غَرِيبٌ عَزَبٌ ، وَنِسَاءُ الْمَدِينَةِ يُحِبُّونَ الْمُطَاوَلَةَ ٢٠
- فِي الْجَمَاعِ ، وَكَأَنِّي بِكَ تُجَامِعُهَا فَتُفْرِغُ وَتَقُومُ فَتُبَغِضُكَ وَتَمُتُّكَ وَلَا تَعَاوِدُكَ وَلَوْ أَعْطَيْتَهَا الدُّنْيَا ، وَلَا تَنْظُرُ فِي وَجْهِكَ بَعْدَهَا . فَلَا يَزَالُ فِي مِثْلِ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ هَاجَتْ شَهْوَتُهُ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ أَعْمَلُ ؟ قَالَ : تَطْلُبُ زَنْجِيَّةً فَتُجَامِعُهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى تَسْكُنَ غُلْمَتُكَ ، فَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا لَمْ يَحْجِرْ أَمْرُكَ إِلَّا جَمِيلًا . فَيَقُولُ لَهُ الرَّجُلُ :
- أَعُوذُ بِاللَّهِ ! لَا أَفْعَلُ . فَإِذَا أَكْثَرَ مُحَاوَرَتَهُ قَالَ لَهُ : فَكَمَا حُكِمَ عَلَيَّ قُمْ فَأَفْعَلْ بِي حَتَّى تَسْكُنَ ٢٠

(١) فِي الْأَنَافِي : « وَلَا كُلُّ هَذَا » .

غُلْمُكَ وَشَبَقُكَ ، فيفعل ذلك به مرة أو مرتين ، فيقول له : قد آستوى أمرُك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتجامعها مجامعةً تملؤها سرورا ولذة . فيقربُ المرأة قبل زوجها ، ويقربُه الرجل قبل زوجته . فكان ذلك دأبه ، إلى أن بلغ خبره سليمان ابن عبد الملك وكان غيورا شديداً الغيرة ، فكتب بأن يُحصى ^(١) هو وسائر المختنين بالمدينة ومكة ، وقال : إن هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسدونهن ؛ فورد الكتابُ على ابن حزم فخصاهم .

١٢٣

ذكر أخبار عطرْد

هو أبوهارون عطرْد ، مولى الأنصار [ثم مولى] بن عمرو بن عوف ، وقيل : إنه مولى مُزينة . مدنيٌّ كان يتزل قباء . وكان جميل الوجه حسن الغناء طيب الصوت جيد الصنعة حسن الزي والمروءة فقيهاً قارئاً للقرآن . وقيل : إنه كان مُعدّل الشهادة بالمدينة . وأدرك دولة بني أمية وبقى إلى أول أيام الرشيد . وكان يُغنى مرتجلاً .

وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه قال :

لما استُخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة فأمره بإشخاص عطرْد المغني إليه ، ففعل . قال عطرْد : فدخلتُ على الوليد وهو جالس في قصره على شفير بركة مُرصصة مملوءة نحرًا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها [سباحة] . قال : فوالله ما تركني أسلم حتى قال : أعطرْد؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ما زلتُ إليك مشتاقاً يا أبا هارون ، غني :

(١) في الأصل : « وينشدونهن » والنصح عن الأغاني .

(٢) كذا في الأغاني (ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية) وسيأتي قريباً . وفي الأصل هنا :

« أبو مروان » وهو تحريف . (٣) الزيادة عن الأغاني .

حَيَّ الْحُمُولَ بِجَانِبِ الْعَزْلِ * إِذْ لَا يَشَا كُلُّ شَكْلٍهَا شَكْلِي
 اللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ * وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ
 إِنِّي بِحَبْلِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي * وَبِرِيْشِ نَبْلِكَ رَأْسُ نَبْلِي
 وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتُ وَمَا * نَجَتْ كِلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي

- قال : فغنيته إياه ، فوالله ما أتممته حتى شقَّ حُلَّةَ وَشَى كانت عليه لا أدرى
 كم قيمتها ، فتجرد منها كما ولدته أمه ، وألقى نفسه في البركة فنهل منها حتى تبينت
 أنها قد نقصت نقصاناً بيننا ، وأخرج منها وهو كالميت سكران ، فأضجع وغطى ، فأخذت
 الحُلَّةَ وقمتُ وأنصرفتُ إلى منزلي متعجباً من فعله . فلما كان في غد ، جاءني رسوله
 في مثل الوقت فأحضرني . فلما دخلتُ عليه قال : يا عَطَرْدُ ! قلت : لبيك
 يا أمير المؤمنين ! قال : غني :

- أَيَذْهَبُ عَمْرِي هَكَذَا لَمْ أَنْلَ بِهِ * مَجَالَسَ تَشْفِي قَرْحَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
 وَقَالُوا تَدَاوِ إِنَّ فِي الطَّبِّ رَاحَةً * فَعَلَلْتُ نَفْسِي بِالْدَوَاءِ فَلَمْ يُجِدِ
 فغنيته إياه ، فشقَّ حُلَّةَ وَشَى كانت تلتمع عليه بالذهب احتقرتُ والله الأولى عندها ،
 ثم ألقى نفسه في البركة فنهل منها حتى تبينتُ نُقصانها وأخرج كالميت سكران ، فألقى
 وغطى ونام ، وأخذتُ الحُلَّةَ وأنصرفت . فلما كان اليوم الثالث ، جاءني رسوله
 فدخلت إليه وهو في بهوٍ قد أُلقيت ستوره ، فكلمتني من وراء الستور وقال :
 يا عَطَرْدُ ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : كأني بك الآن قد أتيت إلى المدينة
 فقممت في مجالسها وقعدت وقلت : دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ عليه فأقترح عليّ
 فغنيته فأطربته فشقَّ ثيابه وأخذتُ سلبه وفعل وفعل ! ووالله يابن الزانية إن
 تحزكت شفتاك بشيءٍ مما جرى لأخير بنٍ عنقك . يا غلام أعطيه ألف دينار ، خذها

وانصرف إلى المدينة . فقلتُ : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى تقبيل يده
ويزودنى نظرة منه وأغنيّه صوتًا ! فقال : لا حاجة بى ولا بك إلى ذلك ، فأنصرف .
قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما علم الله أتى ذكرْتُ شيئًا مما جرى حتى مضت
من دولة بنى هاشم مدّة . ودخل عطرّد على المهديّ وغناه . قيل : ودخل على
الرشيّد وغناه . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

ذكر أخبار عمر الوادى

هو عمر بن داود بن زاذان . وجدّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفّان .
وأخذ الغناء عن حكم ، وقيل : بل أخذ حكمٌ عنه . وهو من أهل وادى القرى .
قديم الحرم وأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد . وكان طيّب الصوت شجيّا
مطربا . وهو أقول من غنى من أهل وادى القرى ، وآتصل بالوليد بن يزيد فى أيام
إمارته فتقدّم عنده جدّا ، وكان يسمّيه « جامع لذاتى ومُحيّ طربى » . وقُتل الوليدُ
وهو يغنيّه ، وكان آخر الناس به عهدًا . قال : وكان يجتمع مع معبد ومالك بن
أبى السّمح وغيرهما من المُغنين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه
والإصغاء إليه والاختصاص به . وفى عمر هذا يقول الوليدُ بن يزيد :

إنما فكرتُ فى عُمـير * حين قال القول واختلجا
إنه لـلـُسـتـنـير به * قمر قد طمس السُّرجا
ويغنى الشعر ينظمه * سيّد القوم الذى فاجبا
أكل الوادى صنعته * فى كتاب الشعر فاندجا

أراد الوليد بن يزيد بقوله : « سيّد القوم » نفسه .

ذكر أخبار حكم الوادى

- هو أبو يحيى الحكم بن ميمون، وقيل : الحكم بن يحيى بن ميمون . مولى الوليد بن عبد الملك، كان أبوه حلاقاً يَحْلِقُ^(١) رأس الوليد، فأشتراه فأعتقه . وكان حكم طويلاً أحول، يُكْرَى الجمال يَنْقُلُ^(٢) [عليها] الزيت من الشام إلى المدينة . وقيل : كان أصله من الفرس . وكان واحد عصره في الحِذْق، وكان يغنى بالدَّفِّ ويغنى مرتجلاً . وعمر عمرًا طويلاً، غنى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد، ومات في الشَّطْر من خلافته .
- وأخذ الغناء عن عمر الوادى، وقد قيل : إن عمر أخذ عنه . قال حماد بن إسحاق قال لى أبى : أربعة بَلَّغَتْ في أربعة أجناس من الغناء مبلغاً قَصَرَ عنه غيرهم : «معبد» في الثقل، و«ابن سريج» في الرمل، و«حكم» في الهزج، و«إبراهيم» في الماخورى .
- قال أبو الفرج الأصفهاني : وزار حكم الوادى الرشيد، فبره ووصله بثلاثمائة ألف درهم، وخيره فيمن يَكْتُبُ له بها عليه؛ فقال : آكتب لى بها على إبراهيم بن المهدي . وكان إبراهيم إذ ذاك عاملاً له بالشام — فقدم عليه حكم بكتاب الرشيد؛ فأعطاه ما كتب له به، ووصله بمثل ذلك، إلا أنه نَقَصَه ألف درهم من الثلاثمائة ألف، وقال له : لا أصِلُّك بمثل ما وصلك أمير المؤمنين . قال إبراهيم بن المهدي : وأقام عندي ثلاثين يوماً أخذت عنه فيها ثلاثمائة صوت، كلُّ صوت أحبُّ إلى من الثلاثمائة ألف التي وهبتها له . وقيل : إنه لم يَشْتَهَر بالغناء حتى صار إلى بنى العباس، فأنقطع إلى محمد بن أبى العباس، وذلك في خلافة المنصور، فأُعْجِبَ به وأختاره على المغنين وأعجبه أهزأجه . وكان يقال : إنه أهزجُ الناس . ويقال : إنه غنى الأهزاج في آخر عمره؛ فلامه ابنه على ذلك وقال : أبعدَ الكبر تغنى غناء المَخَنَّثين ! فقال له : اسكت

(١) كذا في الأغاني (ج ٦ ص ٢٨٠ طبع دار الكتب المصرية) . وفي الأصلين : « غلاما » .

(٢) الزيادة عن الأغاني .

فإنك جاهل ، غنيتُ [الثقيل]^(١) ستين سنة فلم أنل إلا القوت ، وغنيتُ الأهراج منذ سنين فكسبتك ما لم تر مثله قط . والله أعلم .

ذكر أخبار ابن جامع

هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن عبد الله بن المطالب بن أبي وداعة
 ٥ ابن صبيزة بن سهم بن هصيص بن كعب بن لؤي . قالوا : وكان ابن جامع من
 أحفظ خلق الله لكتاب الله تعالى ، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي
 الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس ، فلا يصلي الناس الجمعة حتى ينتم القرآن
 ثم ينصرف إلى منزله . وكان حسن السمات ، كثير الصلاة . وكان يعم بعمامة سوداء
 على قلنسوة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مرسياً في زى أهل الحجاز . وروى
 ١٠ عنه أنه قال : لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لترك المغنين لا يأكلون
 الخبز . قال ابن جامع : أخذت من الرشيد بيتين غنيت إياهما عشرة آلاف دينار .
 قالوا : وكان إبراهيم بن المهدي يفضل ابن جامع فلا يقدم عليه أحدا . قال : وكان
 ابن جامع منقطعاً إلى موسى الهادي في أيام أبيه ، فضر به المهدي وطرده . فلما مات
 المهدي بعث الفضل بن الربيع إلى مكة فأحضر ابن جامع في قبة ولم يعلم به أحدا .
 ١٥ فذكره موسى الهادي ذات ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع
 وقد عرفتم موقعه مني ؟ فقال الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين
 وأحضره إليه . فوصل الفضل في تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته .

(١) الكلمة عن الأغاني .

(٢) في الأصول : «مرسا» والتصويب عن الأغاني (ج ٦ ص ٢٩١ طبع دار الكتب المصرية) .

٢٠ والمريسي : نسبة إلى مريس وهي أدنى بلاد النوبة التي تلي أرض أسوان ، وهي معروفة بجودة الخير .

وحكى أنه دخل على الهادى فغناه فلم يعجبه ، فقال له الفضل : تركت الخفيف
وغنيت الثقيل . قال : فأدخلنى عليه أخرى فأدخله ، فغناه الخفيف ، فأعطاه ثلاثين
ألف دينار . قال أحمد بن يحيى المكي : كان ابن جامع أحسن ما يكون غناءً إذا
حزن . وأحب الرشيد أن يسمع ذلك ، فقال للفضل بن الربيع : ابعث بخريطة
فيها نعى أم ابن جامع — وكان براً بأمه — ففعل . فقال الرشيد : يا ابن جامع ،
في هذه الخريطة نعى أمك ، فاندفع ابن جامع يغنى بتملك الحرقه والحزن الذى
فى قلبه :

(١)
كم بالدروب وأرض السند من قدم * ومن جاحم صرعى ما بها قبروا
(٢)
بقندهار ومن تكتب منيته * بقندهار يرجم دونه الخبر

قال : فوالله ما ملكنا أنفسنا ، ورأيت الغلمان يضربون برءوسهم الحيطان
والأساطين ، وأمر له الرشيد بعشرة آلاف دينار .

وروى أبو الفرج بسنده إلى عبد الله بن علي بن عيسى بن مآهان قال : سمعت
يزيد يحدث عن أم جعفر أنه بلغها أن الرشيد جالس وحده وليس معه أحد من
الندماء ولا المسامرين ، فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إني لم أرك منذ ثلاث
وهذا اليوم الرابع . فأرسل إليها : عندي ابن جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أني
لا أتناه بـشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه ، ما كان عليك أن أشركك
فى هذا الذى أنت فيه ! فأرسل إليها : إني صائر إليك الساعة . ثم قام وأخذ بيد
ابن جامع وقال للخادم : امض إليها وأعلمها أني قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلما نظر

(١) فى الأغاني : « وأرض الروم » . وورد هذا البيت فى معجم البلدان لياقوت عند الكلام على

« قندهار » هكذا :

٢٠

كم بالجروم وأرض الهند من قدم * ومن سرايل قتلى ليتهم قبروا

(٢) جاء فى معجم البلدان : أنها مدينة من بلاد السند أو الهند مشهورة فى الفتوح .

إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله ؛ فوجه إليها : إن
معى ابن جامع ، فعدلت إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصير ابن جامع فى بعض
المواضع التى يُسمع منه فيها ، ثم أمر ابن جامع فاندفع يغنى :

ما رَعَدَتْ رَعْدَةً وَلَا بَرَقَتْ * لكنها أنشِدت لنا خَاقَةً^(١)

الماءُ يَجْرى وَلَا نِظَامَ لَهُ * لو يجد الماءُ مَخْرَقًا نَحْرَةً^(٢)

يَتَنَا وَبَاتَ عَلَى نَمَارِقِهَا * حتى بدا الصبح عينها أَرْقَةً

أَنْ قِيلَ إِنَّ الرِّحِيلَ بَعْدَ غَدٍ * والدَّارُ بَعْدَ الْجَمِيعِ مُفْتَرَقَةٌ

فقلت أم جعفر للرشيد : ما أحسن ما آشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! ثم قالت
لمسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع بكل بيت مائة ألف درهم . فقال الرشيد :
غَلَبَتِنَا يَابَنَةُ أَبِي الْفَضْلِ وَسَبَقَتِنَا إِلَى بَرِّ ضَيْفِنَا وَجَلِيسِنَا . فلما خرج حمل الرشيد إليها
مكان كل درهم ديناراً .

ذكر أخبار عمرو بن أبي الككّات^(٣)

١٢٥

قال أبو الفرج الأصفهاني : هو أبو عثمان ، وقيل : أبو معاذ عمرو بن
أبي الككّات ، مولى بنى جُحج . وهو مكىٌّ مَغْنٌ حَسَنُ الصَّوْتِ ، من طبقة ابن جامع
وأصحابه . وفيه يقول الشاعر :

أَحْسَنُ النَّاسِ فَأَعْلَمُوهُ غَنَاءً * رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي الْكَكَّاتِ

(١) يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أى فيها أثر المطر .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « على نظام له » .

(٣) فى الأصول : « الككّات » بالباء الموحدة بدل النون وهكذا ورد فى هذا الفصل كله . والمثبت هنا

هو ما ورد فى الأغاني (ج ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق وما بعدها الى آخر الترجمة) .

- قال محمد بن عبد الله بن فرّوة : قلت لإسماعيل بن جامع يوماً : هل غلبك أحدٌ من المغنين قط؟ قال : نعم ، كنت ليلةً ببغداد إذ جاءني رسولُ أمير المؤمنين هارون الرشيد فأمرني بالركوب ، فركبتُ حتى صرْتُ إلى الدار ، فإذا أنا بالفضل بن الربيع ومعه زلزل العواد وبرصوما ، فسلمت وجلست يسيراً . فطلع خادمٌ فقال للفضل : هل جاء؟ قال لا . قال : فأبعث إليه . ولم يزل المغنون يدخلون واحداً واحداً حتى استأثرت سبعاً . ثم طلع الخادم فقال : هل جاء؟ فقال لا ، فقال : قم فأبعث في طلبه ، فقام فغاب غير طویل فإذا هو قد جاء بعمر بن أبي الكّات . فسلم وجلس إلى جنبی ، فقال لي : مَنْ هؤلاء؟ قلتُ : مُغَنّون ، هذا «زلزل» وهذا «برصوما» . فقال : لأغنيّك غناءً يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان . ثم طلع الخصىّ فدعا بكراسي ، وخرج الجوّاري . فلما جلسن قال الخادم : شُدّوا فشّدوا عيدانهم ، ثم قال : يغنيّ ابنُ جامع ، فغنيت سبعة أو ثمانية أصوات ، قال : آسكت ، وليغنّ إبراهيم الموصليّ ، فغنّي مثل ذلك أو دونه ثم سكّت ، وغنّي القوم كلّهم واحداً بعد واحد حتى فرغوا . ثم قال لابن أبي الكّات : غنّ ، فقال لزلزل : شُدّ طبقتك فشّد ، ثم قال له : شُدّ فشّد ، ثم أخذ العودَ من يده فحسّه حتى وقف على الموضع الذي يريده ، ثم قال : على هذا . وأبتدأ الصوت الذي أوّلُهُ «ألا لا» ، فوالله لقد خُيّل إليّ أن الحيطان تجاوبه ، ثم رجّع النغمة فيه ، فطلع الخصىّ فقال : آسكت لا تُتمّ الصوت فسكت . ثم قال : يجلس عمرو بن أبي الكّات وينصرف سائرُ المغنين ، فقمنا بأسوأ حال وأكسِف بال ، ولا والله ما زال كلّ واحد منا يسأل صاحبه عن كلّ ما يرويه من الغناء الذي أوّلُهُ «ألا لا» طمعاً في أن يعرفه وأن يوافق غناءه فما عَرَفَه منا أحدٌ . وبات عمرو عند الرشيد ليلته وأنصرف من عنده بجوازٍ وصلاتٍ وطُرفٍ سنّية .

وقال موسى بن أبي المهاجر : خرج آبن جامع وآبن أبي الكّثات حين دفع الإمام^(١) من عرفة ، حتى إذا كانوا بين المأزمين جلس عمرو على طرف الجبل ثم أندفع يغني ، فركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا به وآستغاثوا : يا هذا ، الله الله ! أسكت عنا يجرّ الناس ؛ فضبط آبن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُردِلفة .

قال عليّ بن الجهم : حدثني من أثق به قال : واقفتُ آبن أبي الكّثات على جسر بغداد أيام الرشيد فحدثته بحديث آتصل بي عن آبن عائشة أنه وقف في الموسم في أيام هشام ، فترّبه بعض أصحابه فقال : ما تصنع ؟ فقال : إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس فلم يذهب منهم أحدٌ ولم ينجي^(٢) . فقلت له : من هذا الرجل ؟ قال : أنا ، ثم أندفع فغنى فحبس الناس ، فأضطربت المحامل ومدت الإبل أعناقها . فقال آبن أبي الكّثات وكان معجباً بنفسه : أنا أفعل كما فعل وقدرت على القلوب أكثر من قدرته . ثم أندفع فغنى الصوت الذي غنى فيه آبن عائشة ، وهو :

جَرْتُ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيرِي * نَوَى مَشْمُولَةً فَمَتَى اللَّقَاءُ
بِنَفْسِي مَنْ تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ * أَعَالَجْهُ وَمَطْلُبُهُ عَنَاءُ

قال : فغناه ، وكنا إذ ذاك على جسر بغداد ، وكان على دجلة ثلاثة جسور ، فأنقطعت الطرق وامتلاّت الجسورُ بالناس فأزدحموا عليها وآضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لِثِقَلِ من عليها من الناس . فأخذ فأتى به الرشيد ؛ فقال له : يا عدوّ الله ، أردت أن تفتن الناس ! قال : لا والله يا أمير المؤمنين ولكنه بلغني أن آبن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام ، فأحببتُ أن يكون في أيامك مثله . فأعجبه ذلك ،

(١) في الأغاني (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : « حين دفعا من عرفة حتى إذا كانا » .

(٢) كذا في الأصل والأغاني . وكان مقتضى السياق أن يكون : « فقال له » : اذ مرجع

الضمير بعض أصحابه الذي مرّ به .

وأمر له بـمال وأمره أن يغنى فغنى؛ فسمع شيئاً لم يسمع مثله، فأحبسه عنده شهراً يستريده، وكل يوم يُستأذن له في الانصراف فلا يأذن له حتى تـم شهراً، وأنصرف بأموال جسيمة.

وقال عثمان بن موسى : كنا على شراب يوماً ومعنا عمرو بن أبي الكـات إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَنْ تحبون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصور الحـجبي . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر . فمكثنا ساعة ثم أندفع يغنى :

أحسنُ الناس فأعلموه غناءً * رجلٌ من بني أبي الكـات
عَفِيَ الدارُ فالهضابُ اللواتي * بين ثورٍ فملتقى عَرَقاتٍ^(١)

فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بُعد قد أقبل يركض دابته نحونا . فلما جلس إلينا قلت له : من أين علمت بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو وأنا في سوق البقر، فخرجت أركض دابتي حتى صرتُ إليكم . قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

وقال يحيى بن يعلى بن سعيد : بينا أنا ليلةً في منزلي في الرمضة بأسفل مكة، إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكـات كأنه معي ، فأمرتُ الغلام فأسرج لي دابتي وخرجت أريده، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكثيب العارض ببطن عرفة يغنى :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي * وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

(١) في الأغاني (ج ١٨ ص ١٢٧ طبع بولاق) : * بسوار فلتقى عَرَقات * .

٢٠ وثور : جبل بمكة فيه الغار الذي اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وأما سوار فن قرية البحرين .
(انظر ياقوت ج ١ ص ٩٣٨ وج ٣ ص ١٨٠) .

ولا تَقْرِبْنِي قَفْرَةَ الدَّفِّ مَرَّةً * فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمَغِيبِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى * إِذَا آجَتَمَعَا لَمْ يَلْبِثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

ذكر أخبار أبي المهنا مخارق

هو أبو المهنا مخارق بن يحيى بن ناووس الجزار مولى الرشيد . وقيل : بل ناووس لقبُ أبيه يحيى ؛ وإنما لُقِّبَ بناووس لأنه بايع رجلاً أنه يمضى إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قِدرًا بالليل حتى تَنْضَجَ ، فطرح رهنه بذلك ؛ فدس الرجل الذي رآه رجلاً فألقى نفسه في الناووس بين الموتى . فلما فرغ ناووس من الطبخ مدَّ الرجلُ يده من بين الموتى وقال له : أَطْعِمْنِي ؛ فغرف بالمغرفة من المرق وصَبَّها في يد الرجل فأحرقها وضربها بالمغرفة وقال له : اصْبِرْ حَتَّى نَطْعِمَ الْأَحْيَاءَ أَوَّلًا ثُمَّ نَتَفَرَّغُ لِلْمَوْتَى ؛ فَلُقِّبَ ناووسًا لذلك . ١٠

قال : وكان مخارق لعاتكة بنت شهدة ، وهي من المغنيات المحسنات المتقدّمات في الضرب . نشأ مخارق بالمدينة ؛ وقيل : كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزارًا مملوكًا ، وكان مخارق وهو صبيّ ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان طيبُ صوته علّمته مولاته طَرَفًا من الغناء ، ثم أرادت بيعه ، فأشتراه إبراهيم الموصليّ منها وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . وقيل : أشتراه إبراهيم من مولاته بثلاثين ألف درهم وزادها ثلاثة آلاف درهم . قال : ولما أشتراه قال له الفضل بن يحيى : ما خبرُ غلام بلغني أنك آشتريته ؟ فقال : هو ما بلغك . قال : فَأَرِنِيهِ ، فأحضره ، فغنى بين يديه ؛ فقال له : ما أرى فيه الذي رأيت . قال : تريد أن يكون في الغناء مثلي في ساعةٍ واحدةٍ ! فقال : بكم تبيعه ؟ قال : آشتريته بثلاثين ألف درهم ، وهو حرّ لوجه الله تعالى إن بعته إلا بثلاثة وثلاثين ألف دينار . فغضب ٢٠

- الفضل وقال : إنما أردت ألا تبعه أو تجعله سببا لأن تأخذ مني ثلاثة وثلاثين ألف دينار . فقال إبراهيم : أنا أصنع بك خصلة واحدة ، أبيعك نصفه بنصف هذا المال وأكون شريكك في نصفه [وأعلمه^(١)] ، فإن أعجبك إذا علمته أتممت لي باقي المال وإلا بعته بعد ، وكان الربح بيني وبينك . فقال الفضل : إنما أردت أن تأخذ مني المال الذي قدمت ذكره ، فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه ، وغضب . فقال إبراهيم له : فأنا أهبه لك على أنه يساوي ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، قال : قد قبلته ، قال : وقد وهبته لك . وغدا إبراهيم على الرشيد ، فقال له : يا إبراهيم ، ما غلام بلغني أنك وهبته للفضل ؟ قال : غلام يا أمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله ، ولا يكون مثله أبدا . قال : فوجهه إلى الفضل يأمره بإحضاره . فوجه به إليه ، فغنى بين يديه ، فقال له : كم يساوي ؟ قال إبراهيم : يساوي نراج مصر وضياعها . قال : ويحك ! أتدري ما تقول ! مبلغ هذا المال كذا وكذا ! قال : وما مقدار هذا المال في غلام لم يملك أحد مثله قط ! قال : فالتفت الرشيد إلى مسرور الكبير وقال : قد عرفت يميني أني لا أسأل أحدا من البرامكة شيئا . فقال مسرور : فأنا أمضي إلى الفضل فأستوهبه منه ، فإذا كان عندي فهو عندك . فقال له : شأنك . فمضى مسرور إلى الفضل وأستوهبه منه ، فوهبه له . وقيل : بل إبراهيم هو الذي أهداه للرشيد ، فأمره الرشيد بتعليمه فعلمه حتى بلغ ما بلغه . قال : وكان مخارق يقف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلس ويغنى وهو واقف . فغنى ابن جامع ذات يوم بين يدي الرشيد :

كأن نيراننا في جنب قلعتهم * مصبغات^(٢) على أرسان قصار^(٣)

- ٢٠ (١) الزيادة عن الأغاني (ج ٢١ ص ٢٢٢) . (٢) في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٢٣) : « نيرانها » . (٣) القصار (كالمقصر) : المحور للثياب .

هَوَتْ هِرْقَلَةُ لَمَّا أَنْ رَأَتْ عَجَبًا * جَوَائِمًا تَرْتَمِي بِالنَّفْطِ وَالنَّارِ
 فطرب الرشيد وأستعاده مرارًا ، وهو شعر مُدَحِّح به الرشيدُ في فتح هِرْقَلَةَ . فأقبل
 الرشيد على ابن جامع دون غيره . فغمز مخارق إبراهيم بعينه وتقدمه إلى الخلاء ، فلما
 جاء قال له : مالي أراك مُنكسرًا ؟ فقال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن
 جامع بسبب هذا الصوت ! فقال مخارق : قد والله أخذته . فقال : ويحك ! إنه
 الرشيد ، وابن جامع من تعلم ، ولا يمكن معارضته إلا بما يزيد على غنائه وإلا فهو
 الموت ! فقال : دعني وخالك ذم ، وعرفه أتي أغنى به ، فإن أحسنتُ فإليك يُنسب ،
 وإن أسأتُ فإليّ يعود . فقال إبراهيم للرشيد : يا أمير المؤمنين ، أراك مُتَعَجِّبًا من
 هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه ! فقال : لقد أحسن فيه ابن جامع
 ما شاء . قال : أو لابن جامع هو ؟ قال : نعم ، كذا ذكر . قال : فإن عبدك مخارقًا
 يغنيه . فنظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : هاته ، فغنّاه وتحفظ
 فيه فأتى بالعجائب ، وطرب الرشيد حتى كاد يطير ، ثم أقبل على ابن جامع فقال :
 ويلك ! ما هذا ؟ فأبتدأ يحاف بالطلاق وكلّ مُحْرِجَة أنه لم يسمع ذلك الصوت قط
 من غيره وأنه صنعه وأنها حيلةٌ جرّت عليه . فأقبل على إبراهيم وقال : أُصدّقني
 بحياتي ، فصدّقه عن قصّة مخارق . فقال لمخارق : اجلس إذا مع أصحابك ، فقد
 تجاوزت مرتبة من يقوم . وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار وأقطعه ضيعةً ومنزلاً .
 وقد روى أبو الفرج الأصفهاني عن هارون بن مخارق ، قال : كان أبي إذا
 غنى هذا الصوت :

يَا رَبِّعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرَبًا * زِدْتَ الْفَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ وَصَبَا
 رَبِّعٌ تَبَدَّلَ مِنْ كَانَ يَسْكُنُهُ * عَفَرَ الطَّبَاءَ وَظَلَمَانًا بِهِ عُصْبَا

(١) في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٢٣) : « حوائم » .

يبكى ويقول : أنا مولى هذا الصوت . فقلت له : كيف يا أبت ؟ فقال : غنيتُه
مولاي الرشيد ، فبكى وشرب عليه رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق ! فسألني
حاجتك ؛ فقلت : تُعْتِقْنِي يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار ؛ فقال : أنت حر
لوجه الله تعالى ، فأعيد الصوت فأعدته ؛ فبكى وشرب رطلا ، ثم قال : أحسنت
يا مخارق ! فسألني حاجتك ؛ فقلت : ضَيْعَةٌ تُقِيمُنِي غَلَّتْهَا^(١) ؛ فقال : قد أمرتُ لك
بها ، أَعِدِ الصوت فأعدته ؛ فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ،
تأمر لي بمنزل وفريسي وخادم ؛ فقال : ذلك لك ، أَعِدِ الصوت فأعدته ؛ فبكى وقال :
سل حاجتك ؛ فقبلت الأرض بين يديه وقلت : حاجتي أن يُطِيلَ اللهُ بقاءك ويُديم
عزك ويجعلني من كل سوء فداءك ؛ فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي .

وَيُرَوَّى أَيْضًا عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنْ مُخَارِقٍ أَنَّ الرَّشِيدَ قَالَ يَوْمًا لِلْغَنَيْنِ
وَهُوَ مُصْطَبِحٌ : مَنْ مِنْكُمْ يَغْنَى :

* يَارْبَعَ سَلَمَى لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي طَرْبَا *

فَقَعْتُ وَقُلْتُ : أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : هَاتِهِ ؛ فَغَنَيْتُهُ فَطَرِبَ وَشَرِبَ ثُمَّ قَالَ :
عَلَى بَهْرَمَةِ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَاذَا يَرِيدُ مِنْهُ ! بَجَاءِ هَرْتَمَةَ فَقَالَ لَهُ : مُخَارِقُ الشَّارِى
الَّذِي قَتَلَنَاهُ بَنَوَاحِي الْمَوْصِلِ مَا كَانَتْ كُنْيَتُهُ ؟ فَقَالَ : أَبُو الْمُهَنَّا ؛ فَقَالَ : أَنْصِرْفِ
فَأَنْصِرْفِ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ الرَّشِيدُ عَلَى فَقَالَ : قَدْ كُنَيْتُكَ أبا الْمُهَنَّا لِإِحْسَانِكَ ؛ وَأَمَرَ لِي
بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَأَنْصِرَفْتُ بِهَا وَبِالْكُنْيَةِ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدُونَ : كُنَّا عِنْدَ الْوَائِقِ وَأُمُّهُ عَلِيَّةٌ . فَلَمَّا صَلَّى الْمَغْرِبَ دَخَلَ
إِلَيْهَا وَأَمَرَ أَلَا نَبْرَحَ ، فَجَلَسْنَا فِي صَحْنِ الدَّارِ ، وَكَانَتْ لَيْلَةً مَقْمَرَةً وَأَبْطَأَ الْوَائِقُ عَلَيْنَا ؛
فَأَنْدَفَعَ مُخَارِقُ يَغْنَى ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْنَا الْغُلَمَانُ ، وَخَرَجَ الْوَائِقُ فَصَاحَ : يَا غَلَامُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي (ج ٢١ ص ٢٢٤) . وَفِي الْأَصْلِ : «عَلَيْهَا» وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

أحد، ومشى في المجلس الى أن توسَّط الدار؛ فلما رأيته بادرتُ إليه؛ فقال لي :
ويلك ! هل حدث في دارى شيء؟ فقلتُ : لا ياسيِّدى . قال : فما بالى أصبح فلا
أجاب ؟ فقلت : مخارق يغنى والغلمان قد اجتمعوا اليه فليس فيهم فضلٌ لسماع
غير ما يسمعون . فقال : عذروا الله لهم يا بن حمدون وأى عذر! ثم جلس وجلسنا
بين يديه الى السَّحر . وقد روى نحوه هذه الحكاية في أمر الغلمان مع مخارق عند
المعتصم . وقال محمد بن عبد الملك الزيات : قال لي الواصل : ما غناني مخارق قط
إلا قدرت أنه من قلبى خُلِق . وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضلَ مخارق على
جميع أصحابه؟ أنظروا الى هؤلاء الغلمان الذين يقفون فى السَّماط ، فكانوا يتفقدونهم
وهم وقوفٌ فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعا وهو واقفٌ مكانه ضابطٌ لنفسه ،
فاذا تغنى مخارق خرجوا عن صُورهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم وبانت أسبابُ
الطرب فيهم ، وأزدحموا على الحبل الذى يقفون من ورائه .

وحكى أنه خرج مرَّة الى باب الكُفاسة بمدينة السلام والناس يرحلون الى مكة ؛
فنظر الى كثرتهم وأزدحامهم ، فقال لأصحابه الذين معه : قد جاء فى الخبر أن
أبن سريج كان يغنى فى أيام الحج والناس يمشون فيستوقفهم بغنائه ، وسأستوقف لكم
هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعًا لتعلموا أنه لم يكن ليَفْضُلنى إلا بصنعتة دون صوته ؛
ثم اندفع يؤذن ، فاستوقف أولئك الخلق واستلهاهم ، حتى جعلت المحاملُ يغشى
بعضها بعضًا .

قالوا : وجاء أبو العتاهية الى باب مخارق وطرقه فخرج اليه ؛ فقال له : يا حُسان
هذا الإقليم ، يا حَكيمَ أرض بابل ، أُصِيبُ فى أذنى شيئًا يفرح به قلبى وتتنعم به نفسى —
وكان فى جماعة منهم محمد بن سعيد اليزيدى — فقال : أنزلوا ، فنزلوا ، فغنَّاهم .
فقال محمد بن سعيد : فكدتُ أسعى على وجهى طربًا . قال : وجعل أبو العتاهية

يبكى ، ثم قال : يادواء المجانين ، لقد رَقَقْتَ حتى كِدْتُ أن أَحْسُوك ، فلو كان الغناء طعاماً لكان غناؤك أداماً ، ولو كان شراباً لكان ماء الحياة .

- وقال أبو الفرج عن عمر بن شبة قال : حدثني بعض آل نُوبخت قال : كان أبي وعبد الله بن أبي سهل وجماعة من آل نوبخت وغيرهم وقوفاً بكُفاسة الدواب في الجانب الغربي ببغداد يتحدثون ، وإنهم لذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود وعليه قميص رقيق ورداء مسهم ، فقال : فيم كنتم ؟ فأخبروه . فقال : دعونا من وسواسكم هذا ، أي شيء لي عليكم إن رميتُ بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطيتُ وجهي وغنيت صوتاً فلم يبق أحد بهذه الكُفاسة ولا في الطريق من مُشترٍ ولا بائع ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب مني واتبع صوتي ؟ فقال عبد الله : إني لأحب أن أرى هذا ، فقل ماشئت . فقال مخارق : فرسك الأشقر الذي طابته منك فمنعتنيه . قال : ١٠ هو لك إن فعلت ماقلت . قال : فرمى بنفسه بين قبرين وتغطى بردائه ، ثم أندفع يغني بشعر أبي العتاهية :

- نَادَتْ بَوْشَكَ رَحِيلَكَ الْيَّامُ * أَفَلَسْتَ تَسْمَعُ أُمُّ بَكِ آسَتِضَامُ
وَمَضَى أَمَامَكَ مَنْ رَأَيْتَ وَأَنْتَ لَا * بَاقِينَ حَتَّى يَلْحَقُوكَ أَمَامُ
مَالِي أَرَاكَ كَأَنَّ عَيْنَكَ لَا تَرَى * عَبْرًا تَمُرُّ كَأَنَّهَا سِهَامُ
تَمْضِي الْخَطُوبُ وَأَنْتَ مُنْتَبَهُ لَهَا * فَإِذَا مَضَتْ فَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ

- قال : فرأيتُ الناس يأتون إلى المقبرة أرسلالاً بين راكبٍ وراجلٍ وصاحب شغلٍ وماز في الطريق حتى لم يبق أحد . ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقي أحد ؟ قلنا : لا ، وقد وجب الرهن . فقام فركب حماره ، وعاد الناس إلى صنائعهم ؛ وقال لعبد الله : أحضِر الفرس ؛ قال : على أن تُقيم عندي ؛ قال نعم ! فسلم الفرس إليه ٢٠ وبرّه وأحسن رفده .

وَرَوَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيَّ قَالَ : خَرَجَ مَخَارِقُ مَعَ بَعْضِ إِخْوَانِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُتَنَزِّهَاتِ ،
فَنَظَرَ إِلَى قَوْسٍ مُذَهَّبَةٍ مَعَ بَعْضٍ مِنْ خَرَجٍ مَعَهُ ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا ، وَكَانَ الْمَسْئُولُ ضَنَّ
بِهَا ، وَسَنَحَتْ طِبَاءُ بِالْقُرْبِ مِنْهُ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْقَوْسِ : أَرَأَيْتَ إِنْ تَغَنَّيْتُ صَوْتًا
فَعَطَفْتُ عَلَىَّ بِهِ خَدُودُ هَذِهِ الطِّبَاءِ أَتَدْفَعُ إِلَى الْقَوْسِ ؟ قَالَ نَعَمْ ! فَانْدَفَعَ يَغْنَى :

مَازَا تَقُولُ الطِّبَاءُ * أَفُرْقَةُ أَمْ لِقَاءُ
أَمْ عَهْدُهَا بِسَلَمِي * وَفِي الْبَيَانِ شِفَاءُ
مَرَّتْ بِنَاسَانِحَاتٍ * وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
فَمَا أَحَارَتْ جَوَابًا * وَطَالَ فِيهَا الْعَنَاءُ

قَالَ : فَعَطَفَتِ الطِّبَاءُ رَاجِعَةً إِلَيْهِ حَتَّى وَقَفَتْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ لِنَظَرِ إِلَيْهِ مُصْغِيَةً إِلَى
صَوْتِهِ . فَعَجِبَ مِنْ حَضَرٍ مِنْ رَجُوعِهَا وَوُقُوفِهَا ، وَنَاوَلَهُ الرَّجُلُ الْقَوْسَ ، فَأَخَذَهَا وَقَطَعَ
الْغَنَاءَ [فَعَاوَدَتِ الطِّبَاءُ نِفَارَهَا وَمَضَتْ رَاجِعَةً عَلَى سَنَنِهَا ^(١)] .

وَرَوَى عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ بَابَيْنِ لَهُ
وَمَخَارِقُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَغْنَى :

يَا رُبَّ بَشِيرَةٍ إِنْ أَضْرَبَكَ الْبَلَى * فَلَقَدْ رَأَيْتُكَ أَهْلًا مَعْمُورًا

قَالَ : فَرَأَيْتُ أَبِي وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَيْهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ وَهُوَ يَنْشِجُ أَحْرَّ
نَشِيجٍ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ : يَا إِسْحَاقُ ، هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ اللَّوَاءِ غَدًا إِنْ مَاتَ أَبُوكَ .
وَرَوَى عَنْ مَخَارِقَ قَالَ : رَأَيْتُ وَأَنَا حَدَّثْتُ كَأَنَّ شَيْخًا جَالِسًا عَلَى سُرِيرٍ فِي رَوْضَةٍ
حَسَنَةٍ ، فَدَعَانِي فَقَالَ لِي : غَنِّنِي يَا مَخَارِقُ ، فَقُلْتُ : أَصَوْتًا تَقْتَرِحُهُ أَوْ مَا حَضَرَ ؟ فَقَالَ :
مَا حَضَرَ . فَغَنَّنِي :

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٢١ ص ٢٣٧) .

دَى الْقَلْبَ لَا يَزْدَدُ خَبَالًا مَعَ الَّذِي * بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَوَاهُ الْمُكْتَمَا

وَلَيْسَ بِتَرْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْغِهِ * وَاصْكَنَهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَا

فقال لى : أحسنت يا مخارق ! ثم أخذ وترًا من أوتار العود فلفه على المضرب ودفعه الى ، فجعل المضرب يطول ويغأظ والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضرب كالرمح والوتر كالعذبة^(١) [عائيه] وصار فى يدي علماء ، ثم آنتبهت فحدثت برؤياى إبراهيم الموصلى ، فقال لى : الشيخ بلا شك إبليس ، وقد عقد لواء صنعتك فانت ما حييت رئيس أهلها .

وقال أحمد بن حمدون : غضب المعتصم على مخارق فأمر أن يجعل فى المؤذنين ويلزمهم ففعل ذلك ، وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب ، فأذنت العصر ، فدخل الى الستر حيث يقف المؤذن للسلام ، ثم رفع صوته جهده وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله . فبكى حتى جرت دموعه وبكى كل من حضر ، ثم قال : أدخلوه على وأقبل علينا ، ثم قال : سمعتم هكذا قط ! هذا الشيطان لا يترك أحدا يغضب عليه ! . فدخل اليه فقبل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم اليه فأعطاه يده فقبلها وأمره بإحضار عوده فأحضره ، وأعادته الى مرتبته . وأخبره كثيرة ، وفيما أوردناه منها كفاية . وكانت وفاته فى أول خلافة المتوكل ، وقيل : بل فى آخر خلافة الواثق . وغنى خمسة من الخلفاء : الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق . رحمهم الله تعالى .

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٢١ ص ٢٣٣) .

(١٢٩)

ذكر أخبار يحيى بن مرزوق المكيّ

هو أبو عثمان يحيى بن مرزوق المكيّ، مولى بني أمية، وكان يكتُم ذلك لخدمته للخلفاء من بني العباس؛ وكان إذا سُئِلَ عن ولائه آنتمى إلى قريش، ولم يذكر البطن الذي ولأُوهُ له، ويستغنى من يسأله عن ذلك.

قال الأصفهانيّ :

وعمّر يحيى المكيّ مائة وعشرين سنة، وأصاب بالغناء ما لم يُصِبْه أحدٌ من نظرائه ومات وهو صحيحُ العقل والسمع والبصر. وكان قديم مع المجازيين الذين قدّموا على المهديّ في أوّل خلافته فبقي بالعراق. وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفليح يفزعون إليه في الغناء القديم فيأخذونه عنه، ويُعَايِي بعضهم بعضا بما يأخذونه منه. فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوه منها ووفّروا نصيبه. وله صنعة عجيبَةٌ نادرة متقدّمة. قال : وله كتاب في الأغاني ونسبها وأجناسها كبير جليل مشهور، إلا أنه كالمطروح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته؛ والعمل على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحّح كثيرا مما أفسده وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه، وحقق ما نسبته من الأغاني إلى صانعه. قال : وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت.

قال أحمد بن سعيد :

كانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت، منها زهاء ألف صوت لم يُقَارِبْه فيها أحدٌ. وسُئِلَ ابنه أحمد عن صنعة أبيه فقال : الذي صحّ عندي منها ألف صوت وثلاثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتا، غلب فيها على الناس جميعا من تقدّم منهم [من] تأخر، فلم يبقَ له أحد فيها.

(١) أحذاه : أعطاه مما أصاب من غنيمة أو جائزة. (٢) في الأصل : «خطب» ،

والتصويب عن الأغاني (ج ٦ ص ١٧٨) . (٣) الزيادة عن الأغاني .

قال أحمد بن يحيى قال لى إسحاق : يا أبا جعفر لأبيك مائة وسبعون صوتاً
من أخذها عنه بمائة وسبعين ألف درهم فهو الرابع . والله أعلم .

ذكر أخبار أحمد بن يحيى المكي الملقب بطنين^(١)

هو أبو جعفر أحمد بن يحيى المكي^(١)، وكان يُلقب طنيناً . وهو أحد المحسنين
المُبرزين الرواة للغناء المحكي الصنعة . كان إسحاق يقدمه ويؤثره ويشدو^(٢) بذكره
ويجهر بتفضيله .

قال أبو الفرج : وكتابه المجرد في الأغاني ونسبها أصل من الأصول المعول
عليها . قال : وكان مع جودة غنائه وحسن صنعته أحد الضراب الموصوفين
المتقدمين .

قال علي بن يحيى : قالت لإسحاق بن إبراهيم الموصلي - وقد جرى ذكر أحمد
ابن يحيى المكي - : يا أبا محمد لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى مملوكاً كم كان يساوي؟
قال : أخبرك عن ذلك ، انصرفت ليلة من دار الواثق فأجترت بدار الحسن بن وهب
فدخلت إليه فإذا أحمد عنده . فلما قاموا للصلاة العشاء الآخرة قال لى الحسن بن
وهب : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت : يساوي عشرين ألف دينار . قال :
ثم رجع فغنى صوتاً ، فقال لى الحسن : كم يساوي أحمد لو كان مملوكاً؟ قلت : يساوي
ثلاثين ألف دينار . ثم غنى صوتاً آخر ، فقلت للحسن : يا أبا علي أضعفها . ثم أردت
الأنصراف فقلت لأحمد : غنى

لولا الحياء وأن الستر^(٣) من خلقي * إذا قعدت إليك الدهر لم أقم

(١) في الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « ظنين » بالطاء المعجمة .

(٢) الذى فى الأغاني : « ويشيد » .

(٣) الذى فى الأغاني (ج ١٥ ص ٦٥ طبع بولاق) : « السير » .

(١) أليس عندك سكرٌ للتي جعلتُ * ما أبيض من قادمات الرأس كالحميم
فغناه فأحسن فيه كل الإحسان . فلما قمتُ للانصراف قلتُ : يا أبا عليّ ، أضعف
الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذي أسمعكما تقولانه ولستُ أدري ما معناه ؟ فقال :
نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري . وقال محمد بن عبد الله بن مالك :
سألني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوما : مَنْ بَقِيَ من المغنين ؟ قلتُ : وجهُ القرعة
محمد بن عيسى . فقال : صالح كيسٌ ، وَمَنْ أيضا ؟ قلتُ : أحمد بن يحيى المكيّ .
قال : بَخٍ بَخٍ ! ذاك المحسنُ الجميل الضارب المغنّي ، القائمُ بمجلسه لا يُنْجِجُ أهلَ
المجلس إلى غيره . وكانت وفاته في أول خلافة المستعين .

ذكر أخبار هاشم بن سليمان مولى بني أمية

يُكنّى أبا العباس . وكان موسى الهادي يسمّيه أبا الغريض . قال أبو الفرج :
وهو حسنُ الصنعة غزيرُها ، وفيه يقول الشاعر :

(٢)
يا وَحْشَتِي بعدك يا هاشمُ * غِبْتَ فَشَجْوِي بك لي لِإِزْمِ
اللَّهُوُ وَاللَّذَّةُ يا هاشمُ * ما لم تكن حاضره ماتم

وقال الأصبهانيّ بسند رفعه إلى هاشم :

أصبح موسى أمير المؤمنين يوما وعنده جماعةٌ فقال : يا هاشمُ غنّني :

* أَبْهَارُ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعًا *

فإن أصبتَ مرادى فيه فلك حاجةٌ مقضية . قال : فغنّيته ، وهو :

أَبْهَارُ قَدْ هَيَّجَتْ لِي أَوْجَاعًا * وتركتني عبداً لكم مطّواعا

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « شكر » .

(٢) في الأغاني (ج ١٤ ص ٤٤ طبع بولاق) : « دائم » .

بحديثك الحسن الذي لو كُتِّمْتُ * وحشُ الفلاة به لحُنَّ سِراعا
وإذا مررتُ على البَهارِ مُنْضِداً * في السوق هَيَّجَ لى إليك نِزاعا
والله لو علم البَهارُ بأنها * أضحت سَمِيَّتَه لصار ذِراعاً

فقال : أصبت وأحسنت ، سأل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر بأن
يُمْلَأَ هذا الكانون دراهم — وكان بين يديه كانون عظيم — فأمر به فمُلئ فوسِعَ
ثلاثين ألف درهم . فلما حصَلَتْها قال لى : يا ناقص الهمة ، والله لو سألت أن أُمْلأَه
لك دنانير لفعَلْتُ . فقلت : أَقِلْنى يا أمير المؤمنين . قال : لا سبيل الى ذلك
ولم يُسْعِدْكَ الجَدُّ به . وقد رُوِيَتْ هذه الحكايةُ فى موضع آخر ، وذِكْرُ أن الذى
غَنّاه غيرُ هذا الشعر ، وأن الكانون وسِعَ ستَ بَدْرٍ ، فدفعها اليه .

(١٣)

ذكر أخبار يزيد حوراء

١٠

هو رجل من أهل المدينة من موالى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ،
ويُكنى أبا خالد . مُغَنٍّ محسنٌ كثيرُ الصنعة ، من طبقة آبن جامع وإبراهيم الموصلى .
وكان ممن قديم على المهديّ فى خلافته فغناه . وكان حسن الصوت حلّو الشائل .
فحسده إبراهيم الموصلى على شمائله وإشاراتِهِ فى الغناء ، فاشتري عدة جوار وشاركه [فيه] ،
وقال له : علمهين ، فما رزق الله تعالى من ربح فيهن فهو بيننا . وأمره أن يجعلن
وكدهن أخذ إشاراتِهِ ففعلن ذلك . فكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وأبْنُه ويأمره
بتعليم كل من يعرفنه ذلك حتى شهرها فى الناس ، فأبطل عليه ما كان منفرداً به من
ذلك .

١٥

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٣ ص ٢٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الوكد : الهم والقصد .

٢٠

قال عبد الله بن العباس الرِّبَيعي :

كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شِكْلاً ، لم يقدّم علينا من المجاز
أنظف منه ولا أشكل ، وما كنت تشاء أن ترى خصلةً جميلة لا تراها في أحد منهم
إلا رأيته فيها . وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي^(١) على ابن جامع ، فكان إبراهيم يرفع
منه ويُشيع ذكره بالجميل ويذبه على مواضع تقدّمه [وإحسانه] ، ويبعث بأبنة إسحاق^(١)
[إليه] يأخذ عنه .

وحكى أبو الفرج بسند رفعه الى يزيد حوراء قال :

كلمني أبو العتاهية في أن أكلّم المهدى في عتبة ، فقلت : إن الكلام لا يمكنني ،
ولكن قل شعراً أغنيه به ، فقال :

نفسى بشيء من الدنيا معلقة * الله والفاء المهدى يكفيها ١٠

إني لأياس منها ثم يطمئني * فيها أحتقارك للدنيا وما فيها

قال : فعملت فيه لحناً وغنيتّه . فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ،

فقال : ننظر فيما سأل ، فأخبرت بذلك أبا العتاهية . ثم مضى شهر بخاءني فقال : هل

حدث خبر ؟ قلت لا . قال : فأذكركني للمهدى . فقلت : إن أحببت ذلك فقل

شعراً تحركه به وتذكره وعده حتى أغنيه به ، فقال :

ليت شعري ما عندكم ليت شعري * فلقد أنحر الجواب لأمر

ما جواب أولى بكل جميل * من جواب يرد من بعد شهر

قال يزيد : فغنيت المهدى ، فقال : على بعتبة فأحضرت ، فقال : إن أبا العتاهية

كلمني فيك ، فما تقولين ولك عندى وله ما يُحبّان مما [لا] تبلغه أمانيكما ؟ فقالت :

(١) الزيادة عن الأغاني .

قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حق مولاتي، وأريد أن أذكر هذا لها.
قال : فأفعل . قال : فأعلمتُ أبا العتاهية . ومضت أيام فسألني معاودة المهدى،
فقلتُ : قد عرفت الطريق، فقل ماشئت حتى أغنيه به، فقال :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَالِهِ * عَنْقُ يُحِبُّ إِلَيْكَ بِي وَرَسِيمِ
وَأَمَلْتُ نَحْوَ سَمَاءِ جُودِكَ نَاطِرِي * أَرْعَى مَخَائِلَ بَرْقِهَا وَأَشِيمِ^(١)
ولقد تنسّمتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي * فإذا لها مِنْ رَاحَتِكَ نَسِيمِ
ولربما آسْتِيَأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ لَا * إِنَّ الَّذِي وَعَدَ النَّجَاحَ كَرِيمِ

قال يزيد : فغنىته الشعر، فقال : عليّ بعتبة بجاءت، فقال : ما صنعت؟ فقالت:
ذكرتُ ذلك لمولاتي فكرهته وأبت أن تفعل، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد. قال :
ما كنت لأفعل شيئاً تكرهه. فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك، فقال :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْآمَالِ * وَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَاتِلِي * وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَعْتَلِجْنَ بِبَالِي
وَلئن طَمِعْتُ لَرَبِّ بَرْقَةٍ خُلْبِ * مَالَتْ بَذَى طَمَعٍ وَلَمْعَةِ آلِ

وقد حكى أبو الفرج أيضاً هذه الحكاية وأختصرها، ولم يذكر الأبيات التي منها

* أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَالِهِ *

إلا أنه غير قوله : "أشربت قلبي" بقوله : "أعلمت نفسي من رجائك". وقال :
فصنع فيه يزيد لحناً وغناه المهدى. فدعا بأبي العتاهية وقال له : أما عتبة فلا سبيل
إليها، لأن مولاتها قد منعت منها، ولكن هذه خمسون ألف درهم فأشترِ ببعضها خيراً
من عتبة، فحملت إليه، فأخذها وأنصرف .

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : «قربها» .

وحكى عن حماد بن إسحاق قال :

قال يزيد حوراء : كنتُ أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، وكانت تمر بي جاريةٌ تختلف الى الزرقاء لتعلم منها الغناء . فقلت لها يوما : افهمى قولى وردى جوابى وكونى عند ظنى ، فقالت : هات ما عندك . فقلت : بالله ما اسمك ؟ فقالت : مُنَّعة . فاطرقتُ طيرةً من اسمها مع طمعى فيها ، ثم قلت : بل باذلةٌ ومبذولةٌ إن شاء الله فأسمعى منى . فقالت وهى تتبسم : إن كان عندك شئ فقل . فقلت : ليهنك منى أننى لستُ مُفْشِيًا * هواك الى غيرى ولومت من كربى ولا مانحاً خلقتُ سواك محبةً * ولا قائلًا ما عشتُ من حبكم حسبي فنظرت الى طويلا ثم قالت : أَنشدك الله ، أعن فرط محبة أم أحتاج غُلمةً [تكلمت]؟ فقلتُ : لا والله إلا عن فرط محبة . فقالت :

فوالله رب الناس لا خُنتك الهوى * ولا زلت مخصوص المحبة من قلبى

(١٣١)

فتيق بى فإنى قد وثقتُ ولا تكن * على غير ما أظهرت لى يا أخا الحب

قال : فوالله لكأنما أضمرت فى قلبى نارا . فكانت تلقانى فى الطريق الذى كانت تسلكه فتحدثنى فأتفترج بها ، ثم اشتراها بعضُ أولاد الخلفاء ، وكانت تكاتبنى وتلاطفنى دهرا طويلا .

ذكر أخبار فليح بن أبي العوراء

هو رجل من أهل مكة مولى لبني مخزوم ، وهو أحد مُغنى الدولة العباسية ، له محلٌ كبير من صناعته ، وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد التى بنى أبو الفرج الأصفهاني كتابه المترجم بالأغاني عليها . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ما سمعتُ أحسنَ من غناء فليح وأبن جامع . وكان المهدي لا يُغنيه مغن إلا من (١) الزيادة عن الأغاني .

٥

١٠

١٥

٢٠

وراء الستارة إلا فليح فإن الستارة كانت تُرفع بينه وبين المهدى . وهو أول مغنٍ
نظر وجه المهدى .

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدى
قال : كتب إلى جعفر بن يحيى وأنا عامل الرشيد على [جند^(١)] دمشق : قد
قدم علينا فليح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمعناه قبله .
وأنا محتال لك في تخليصه إليك لتسمع منه كما أسمعنا . فلم ألبث أن ورد علي فليح
بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلاف دينار ، فورد علي منه رجل أذ كرني لقاءه الناس
وأخبرني أنه قد ناهز المائة . فأقام عندي ثلاث سنين ، وأخذ جوارى عنه كلَّ
ما كان معه من الغناء ، وانتشر بعض غنائه بدمشق .

وروى أيضا بسنده إلى أحمد بن يحيى المكي عن فليح بن أبي العوراء قال :
كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عم له ، فوعده أنها تزوره ، وشكا إلى أنها تأتيه
ولا شيء عنده ، فأعطيته دينارا للنفقة . فلما زارته قالت له : من يلهمنا ؟ قال :
صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ، وكان أول ما غنيت :
مِنَ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاها * وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَالِدِها شَانِرا

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتصرف . فتعلق بها وجهه كلَّ الجهد في أن تُقيم فلم
تفعل وأنصرفت . فأقبل يلومني في أن غنيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيء
أعتمدت به مساءتك ولكنه شيء آتفق . قال : فلم نَبْرَحْ حتى عادرسوها ومعه صرة
فيها ألف دينار ، فدفعها إلى الفتى وقال : تقول لك ابنة عمك : هذا مهري ، فادفعه
إلى أبي وأخطبني ، ففعل وتزوجها .

(١) الزيادة عن الأغاني (ج ٤ ص ٣٦٥ طبع دار الكتب المصرية) . والجند : المدينة وخص
به أبو عبيدة مدن الشام . وأجناد الشام خمس كور : دمشق وحمص وقنسرين والأردن وفلسطين ،

ذكر أخبار إبراهيم الموصلي عفا الله عنه

هو إبراهيم بن ماهان بن ميمون، وأصله من فارس، ومولده في سنة خمس وعشرين ومائة بالكوفة، ووفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة. قالوا: ومات ماهان وترك إبراهيم صغيراً، فكفله آل خزيمة بن خازم، فكان ولأوه لبني تميم. وكان السبب في نسبه إلى الموصلي أنه لما كبر وأشتد وأدرك صحب الفتيان وأشتهى الغناء وطلبه، فاشتد أخواله بنو عبد الله بن دارم عليه في ذلك وبلغوا منه، فهرب منهم إلى الموصلي فأقام بها سنة، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان: مرحباً بالفتي الموصلي، فغلب عليه^(١) ثم ارتحل إلى التري في طاب الغناء، فطال مقامه هناك، وأخذ الغناء الفارسي والعربي.

قال إسحاق: حدثني أبي قال:

أول شيء أعطيته بالغناء أني كنت بالري أنادم أهلها بالسوية لا أرزؤهم شيئاً ولا أنفق إلا من بقية مال كان معي. فمربنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عماله برسالة، فسمعني عند رجل من أهل التري فشغف بي وخاع عليّ دواج سموره قيمة، ومضى بالرسالة فرجع وقد وصله العامل بسبعة آلاف درهم وكسوة كثيرة، فجاءني إلى منزلي الذي كنت أسكنه، فأقام عندي ثلاثة أيام ووهب لي نصف^(٢) الكسوة [التي معه] وألفي درهم. وكان ذلك أول مال كسبته من الغناء. فقلت: والله لا أنفق هذه الدراهم إلا على الصناعة التي أفادتها. ووُصف لي رجل بالأبلة^(٣)

(١) في الأغاني (ج ٥ ص ١٥٦ طبع دار الكتب المصرية): «فلقب به».

(٢) ضرب من الثياب. والسمور دابة معروفة تسقى من جلودها فراء غالية الأثمان.

(٣) الزيادة عن الأغاني.

(٤) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة.

اسمه : «جوانويه»^(١) وكان حاذقا ، نخرجت إليه ، وصحبت فتيانها وأخذت عنهم وغنيتهم فشُغِفُوا بي .

- قال إبراهيم : ولما أتيت «جوانويه» لم أصادفه في منزله فأقمت حتى جاء .
 فلما رآني احتشمني وكان مجوسيا ، فأخبرته بصناعتي والحال التي قصدته فيها ، فرحب بي وأفرد لي جناحا في داره ووكل بي جارية^(٢) ، فقدمت لي ما أحتاج إليه . فلما كان
 العشاء عاد إلى منزله ومعه جماعة من الفرس ممن يغني ، فنزلت إليه بخلسنا وأخذوا
 في شأنهم وضربوا وغنوا ، فلم أجِدْ في غناء أحد منهم فائدة ، وبلغت النوبة إلى
 فضربت وغنيت ، فقاموا جميعا إلى قمتلوا رأسي وقالوا : خِرت بنا ، نحن إلى تعليمك
 إيّانا أحوج منك إلينا . فأقمت على تلك الحال أياما حتى بلغ [محمد بن] سليمان بن علي^(٣)
 خبري ، فوجه إلى فأحضرني وأمرني بملازمته . فقلت : أيها الأمير ، لست أتكسب
 بهذه الصناعة وإنما ألتذ بالغناء فلذلك تعلمته ، وأريد العود إلى الكوفة ، فلم أنتفع
 بذلك عنده وأخذني بملازمته وسألني : من أين أنا ؟ فانتسبت إلى الموصل ، فلزمتني
 وعُرفت بها . ولم أزل عنده مكرما ، حتى قدم عليه خادم المهدي . فلما رآني عنده
 قال له : أمير المؤمنين أحوج إلى هذا منك ، فدافعه عني . فلما قدم الخادم على
 المهدي سأل عَمَّا رَأَى في طريقه ومقصده ، فأخبره بما رأى ، حتى انتهى إلى ذكرى
 فوصفني له . فأمره المهدي بالرجوع وإشخاصي إليه ، بجاء وأشخصني إلى المهدي ،
 وحظيت عنده وقدمني .

قال : وما سمع المهدي قبلي أحدا من المغنين سوى فليح بن أبي العوراء
 وسياط ، فإن الفضل بن الربيع وصفهما له .

قال : وكان المهديّ لا يشرب ، فأرادني على ملازمته وترك الشرب ، فأبيتُ عليه . وكنتُ أغيب عنه الأيام ، فإذا جئته جئته مُنْتَشِياً ، فغَاظَه ذلك مني وضرَبني وحبَسني ، فحَدِثْتُ القراءة والكتابة في الحبس . ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتبَدَّل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلَّمتُ^(١) هذه الصنعة للذَّتي وعشرة إخواني ولو أمكنني تركها تركتها وجميع ما أنا فيه لله تعالى . فغَضِب غضباً شديداً وقال : لا تَدْخُل على موسى وهارون ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلن وأصنعن . فقلت نعم . ثم بلغه أني دخلتُ عليهما وشربتُ معهما وكنا مشتهرين^(٢) بالتيِّد ، فضرَبني ثلاثمائة سوط وستين سوطاً . فقلتُ له وأنا أُضْرَب : إن جُرمي ليس من الأجرام التي يَحِلُّ بها سفك دمي ، ووالله لو كان سرّاً بذيكَ تحت قدمي^(٣) ما رفعتهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك كنت في حالة أبان العبد الساعي . فلما قلتُ ذلك ضربني بالسيف في جفنه فشجَّني^(٤) ، فسقطت مغشياً على . وقال لعبد الله ابن مالك : خُذْهُ إِلَيْكَ وَاجْعَلْهُ فِي مِثْلِ الْقَبْرِ . فدعا عبدُ الله بكبش فدَبَحَه وسَلَخَه وألبَسني جلده ليسكن الضرب عني ، ودفعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سعيد التركي ، فجعلني في قبر ووكَّل بي جارية . فتأذيت بئزَّ كان في القبر وبيق^(٥) . فقلت للجارية : أَصْلِحِي لِي مِجْمَرَةً وَكُنْدُرًا لِيَذْهَبَ عَنِي هَذَا الْبَقُّ ففعلت . فلما دَخَنْتُ أَظْلَم الْقَبْرُ وَكَادَتْ نَفْسِي تَذْهَبُ ، ثم خَفَّ ذَلِكَ وَزَالَ الْبَقُّ ، وإذا حِيتَان مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شَقِّ فِي الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى

(١) في الأصل « فعلت » . والتصويب عن الأغاني (ج ٥ ص ١٦٠ طبع دارالكتب المصرية) .

(٢) في الأغاني : « مشتهرين » . (٣) هو العبد الذي سعى به وبموسى وهارون

(٤) جفن السيف : غمده .

(٥) المراد بالبق هنا ما يسميه أهل مصر الناموس ، وأهل العراق يسمونه البق ، ويطلقون الناموس

على ما يسميه أهل مصر بالبق . (٦) الكندر : اللبان .

والأخرى بيدي اليسرى ، فإتما على وإتما لي ، ثم كُفِيَتْهُمَا ، فَدْخَلَتْ فِي الثَّقْبِ الَّذِي
نَحَرَجْنَا مِنْهُ . فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أُخْرِجْتُ مِنْهُ . وَأُحْلَفَنِي الْمُهْدَى
بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ وَكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا إِلَّا أَدْخَلَ عَلَى آبْنِيهِ مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا
وَلَا أَغْنِيَهُمَا ، وَخَلَّى سَبِيلِي . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : وَقُلْتُ وَأَنَا فِي الْحَبْسِ :

• أَلَّا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي النُّجُومَ * أَعَالَجَ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
بِدَارِ الْهَوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ * أَسَامُ بِهَا الْحَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرِّخَاءِ * فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهِمُ قَلِيلًا
لَطُولَ بِلَائِي مَلِّ الصَّدِيقِ * فَلَا يَأْمَنَنَّ خَلِيلُ خَلِيلًا

قال : فَلَمَّا وَلِيَ مُوسَى الْهَادِيَ الْخِلَافَةَ أَسْتَتَرَ إِبْرَاهِيمَ مِنْهُ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ بِسَبَبِ
الْإِيمَانِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا لِلْمُهْدَى . فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ حَتَّى أَتَى بِهِ . فَلَمَّا عَايَنَهُ قَالَ : يَا سَيِّدِي ،
[فَارَقْتُ^(١)] أُمَّ وَلَدِي أَعَزَّ الْخَلْقِ عَلَيَّ ، ثُمَّ غَنَاهُ :

يَا بَنَ خَيْرِ الْمُلُوكِ لَا تَتْرُكْنِي * غَرَضًا لِلْعَدْوِ يَرْمِي حَيَالِي
فَلَقَدْ فِي هَوَاكَ فَارَقْتُ أَهْلِي * ثُمَّ عَرَضْتُ مَهْجَتِي لِلزَّوَالِ
وَلَقَدْ عَفُتُ فِي هَوَاكَ حَيَاتِي * وَتَغَرَّبْتُ بَيْنَ أَهْلِي وَمَالِي

١٥ قال إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : فَقَوْلُهُ الْهَادِيَ وَخَوْلُهُ ، وَبِحَسْبِكَ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفٍ
وخمسين ألف دينار في يوم واحد ، وَلَوْ عَاشَ لَنَا لَبْنِينَا حَيْطَانٌ دُورَنَا بِالذَّهَبِ
وَالْفَضَّةِ .

قال حماد بن إسحاق قال لي أبي :

والله ما رأيتُ أَكَلَ مَرْوَةٍ مِنْ جَدِّكَ ، كَانَ لَهُ طَعَامٌ يُعَدُّ أَبَدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ .
فقلت لأبي : كيف كان يُمكنه ذلك ؟ قال : كَانَ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثُ شَيْيَءٍ ،

واحدةً مقطّعة في القدور ، وأخرى مسلوخةً معلقة ، وأخرى قائمة في المطبخ ؛ فإذا أتاه قوم طعموا مما في القدور ، فإذا فرغت القدور قُطِّعت الشاة المعلقة ووضعت في القدور وذبحت القائمة وأتى بأخرى فأقيمت في المطبخ . وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرى وسوى كسوته . ولقد كان مرةً عندنا من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما فيهن واحدة إلا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثل ما يُجرى لأخص جواريه ، فإذا ردت الواحدة إلى مولاه وصلها وكساها . ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار وعليه من الدين سبعمائة دينار قضيت منها .

وروى عن إسحاق بن إبراهيم قال :

اشترى الرشيد من أبي جارية ستة وثلاثين ألف دينار ، فأقامت عنده ليلة ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع وقال له : إنا آشرينا هذه الجارية من إبراهيم ونحن نحسب أنها على صفةٍ وإست كما ظننا وما قرّبنا ، وقد ثقلَ على الثمن وبينك وبينه ما بينكما ، فأذهب إليه فسله أن يحطّنا من ثمنها ستة آلاف دينار . قال : فأتاه الفضل ، فخرج إليه وتلقاه ، فقال له : دعني من هذه الكرامة التي لا مئونة فيها ، قد جئتُك في أمر ، ثم أخبره الخبر ، فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يبلو قدرَكَ عندي . قال : هو ذاك ؟ قال : فمالى في المساكين صدقةٌ إن لم أضِعه لك ، قد حططتُك اثني عشر ألف دينار . فرجع الفضل إليه بالخبر ، فقال : ويحك ! إحمل إليه المال بجملة ، فما رأيت سوقاً أنبل منه نفساً . قال إسحاق : وكنت قد أتيت أبي فقلت : ما كان لحطيطة هذا المال معنى ولا هو قليل يتغافل عنه ، قال لى : يا أحمق ، أنا أعرف الناس به ، والله لو أخذتُ المال منه كمالاً ما أخذته إلا وهو كاره ولحقّ ذلك ، وكنت أكون

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « أمثل » .

عنده صغير القدر ، وقد مننت عليه وعلى الفضل وأنبسطت نفسه وعظم قدرى
عنده ، وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم وقد أخذت بها أربعة وعشرين
ألف دينار . فلما حمل اليه المال بكأله دعاني وقال : كيف رأيت يا إسحاق ، من
البصير أنا أم أنت^(١) ؟ فقلت : أنت ، جعلني الله فداك . قال : وإبراهيم أول من علم
الجواري المثلثات الغناء فإنه بلغ بالقيان كل مبلغ ورفع من أقدارهن .

(١٣٣)

ومن أخباره مع الرشيد ما روى عن إسحاق قال حدثني أبي قال :

إن الرشيد غضب عليّ فقيّدني وحبسني بالرقّة وجلس للشرب يوما في مجلس قد
زينه وحسنه . فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيب ؟ قال : نعم ، غيبة إبراهيم
الموصلّي عنه . فأمره بإحضاري ، فأحضرت في قيودي ، ففككت عني بين يديه ،
وأمرهم فناولوني عودا ، ثم قال : غنّ يا إبراهيم ، فغنّيته :

تَضَوَّعَ مِسْكَ بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ * بِهِ زَيْنَبُ فِي نَسْوَةٍ عَطَرَاتِ

فاستعاده وشرب وطرب وقال : هَنَأْتَنِي وَسَاهَيْتُكَ بِالصَّلَاةِ ، وقد وهبت لك الهنيء
والمرىء^(٢) ، فانصرفت ، فلما أصبحت عوّضت منهما مائتي ألف درهم .

قال إبراهيم : دخلت على موسى الهادي فقال لي : يا إبراهيم ، غنّ من الغناء
ما ألدّ وأطرب عليه ولك حكمك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن لم يقابلني زحل ببرده
رجوت ذلك ، فغنّيته :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكِ هِزَّةٌ * كَمَا آتَتْ فَضَّ الْعُصْفُورُ بِلَلِّهِ الْقَطْرُ

(١) في الأصل « أو » .

(٢) الهنيء والمرىء : نهران بازاء الرقة والرافقة حفرهما هشام بن عبد الملك وأحدث فيهما « واسط

الرقة » . يريد أنه أقطعه ضيعتهما (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٩٩٤ طبع أوروبا) .

(١) فضرب بيده إلى جيب دُرَاعَتِهِ فخطّه ذراعاً، ثم قال: أحسنت والله! زدني؛ فغَنَيْتُ:
فيا حُبِّها زِدْني جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ * ويا سَلْوَةَ الأَيامِ مَوْعِدُكَ الحَشْرُ
فضرب بيده إلى دُرَاعَتِهِ فخطها ذراعاً آخر وقال: زدني ويلك! أحسنت والله
ووجب حكماً؛ فغَنَيْتُ:

هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ مَا يَعْرِفُ الهَوَى * وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

فرفع صوته وقال: أحسنت والله! لله أبوك! هات ما تريد. فقلت: يا سيدي
عَيْنُ مروان بالمدينة. فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جمرتان وقال:
يَا بَنَ اللِّخْنَاءِ! أَرَدْتُ أَنْ تَشْهَرَنِي بِهَذَا المَجْلِسِ فيقول الناس: أطر به فحكم عليه فتجعلني
سَمَرًا وحديثاً! يا إبراهيم الحِزَانِي، خذ بيد هذا الجاهل فأدخله بيت مال الخاصة، فإن
أخذ كل ما فيه نخله وإياه. فدخلت فأخذت خمسين ألف دينار. وهذا الشعر
لأبي صخر الهذلي، وأوله:

عَجِبْتُ لِسَمْعِي الدَّهْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * فَلَمَّا أَنْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
فيا حُبِّها زِدْني جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ * ويا سَلْوَةَ الأَيامِ مَوْعِدُكَ الحَشْرُ
ويا هَجَرَ لَيْلٍ قَدْ بَاغَتْ بِي المَدَى * وَزِدْتَ عَلَيَّ مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الهَجْرُ
وامني لتعروني لذكراك هِزَّةً * كَمَا أَنْتَفِضُ العَصْفُورُ بِلِلَّهِ القَطَرُ
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَا يَعْرِفُ الهَوَى * وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ لَهُ صَبْرُ

(١) الدُرَاعَةُ: جبة مشقوقة المقدم ولا تكون إلا من صوف.

(٢) في نسخة من الأصل: «الجداني». وفي أخرى: «الجداني» والتصويب عن الأغاني.
وهو من ندماء الهادي وكان قياً على خزائن الأموال في أيامه.

(٣) ورد هذا الشطر هكذا في الأغاني وأمالى القالي (ج ١ ص ١٥٠ طبع دار الكتب المصرية).
وفي الأصل: * وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر *

أما والذي أبكى وأضحك والذي * أَمَاتَ وأَحْيَا والذي أمره الأمرُ
لقد تركتني أحسُّدُ الوحش أن أرى * أَلَيْفَيْنِ منها لا يروعهما الذُّعْرُ

ذكر نبذة من أخبار إبراهيم الموصلي مع البرامكة رحمهم الله تعالى
كان لإبراهيم الموصلي مع البرامكة أخبار مستحسنة، سنورد منها طرفاً . منها
ما حكى عن مُخَارِق قال :

أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نُقيمَ في منازلنا ثلاثة أيام وأعلمنا أنه يشتغل
فيها مع الحرم . فمضى المجلساء أجمعون الى منازلهم وقد أصبحت السماء مُتَغَيِّمَةً تَطِشُ
طِيشًا خفيفاً . فقلت : والله لأذهبن الى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ثم أعود ،
وأمرت مَنْ عِنْدِي أن يسوّوا لنا مجلساً الى وقت رجوعي . فحُتُّ الى إبراهيم ،
فدخلت إليه ، فإذا هو جالس في رِواق له والستارة منصوبة والجواري خلفها ؛
فدخلت أترنم ببعض الأصوات وقلت له : ما بأل الستارة لست أسمع من ورائها
صوتاً؟ فقال : اقعد ويحك ! إني أصبحت بخاءني خبر ضيعة تُجاورني قد والله طلبتها
زماناً وتمنيتها ولم أملكها ، وقد أعطى بها مائة ألف درهم . فقلت له : ما يمنعك منها؟
فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر . قال : صدقت ، ولكن لستُ
أطيبُ نفساً بأن أُخرجَ هذا المال . فقلت : فمن يُعطيك الساعة مائة ألف درهم؟
قال^(١) : والله ما أطمع في ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ! ثم قال : اجلس ، خذ
هذا الصوت . ثم تقرّ بقضيب على الدواة وألقِ على هذا الصوت :

نام الخليّون من همٍّ ومن^(٢) سَقِيمٍ * وبتُّ من كثرة الأحران لم أنم

(١) كلمة « قال » غير موجودة في الأغاني ، وسباق كلامه أن ما بعدها من كلام مخارق .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « من همي ومن حزني » .

يا طالب الجود والمعروف مجتهداً * اعتمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال : فأخذت الصوت وأحكمته . ثم قال لى : أنصرف الى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس على بابه قبل أن يفتح الباب ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعد ، فأستأذن عليه قبل أن يصل اليه أحد ، فإنه يُنكر مجيئك ويقول : من أين أقيبت فى هذا الوقت ؟ فحدثه بقصدك إياى وما ألقىت اليك من خبر الضيعة وأعلمه أنى قد صنعت هذا الصوت وأعجبنى ولم أر أحداً يستحقه إلا جاريته فلانة ، وأنى ألقىته عليك [حتى أحكمته ^(١)] لتطرحه عليها ، فسـيدعوها ويأمر بالستارة فتُصب ويوضع لها كرسيّ ويقول لك : اطرحه عليها بحضرتى ، فأفعل وأُتني بما يكون بعد ذلك من الخبر . قال مخارق : فجئت الى باب يحيى بن خالد فوجدته كما وصف . وسألنى فأعلمته بما أمرنى به ، ففعل كل شئ قاله لى إبراهيم وأحضر الجارية فألقىته عليها . ثم قال لى : تُقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف ؟ فقلت : بل أنصرف ، أطل الله بقاءك ، فقد علمت ما أُذن لنا فيه . فقال يا غلام ، احمل مع أبى المهنا عشرة آلاف درهم واحمل الى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة . فحملت عشرة الآلاف معى ، وأتيت منزلى وقلت : أسر يومى هذا وأسر من عندى . ومضى الرسول بالمال الى إبراهيم ، فدخلت منزلى ونثرت على من عندى دراهم من تلك البذرة وتوسدتها وأكلت وشربت وطربت وسُرت يومى كله . فلما أصبحت قلت : والله لا آتين أستاذى ولأعرفن خبره ، فأتيته فوجدته كهيئته بالأمس على مثل ما كان عليه ، فترنمت وطربت فلم يتلق ذلك بما يجب ، فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال بالأمس ؟! فقال : بلى ، فما كان خبرك أمس ؟ فأخبرته بما كان وقلت : ما تنتظر ؟ فقال : ارفع السجف ، فرفعته فإذا عشر بدر ، فقلت : فأى شئ بقى عليك فى أمر

(١) الزيادة عن الأغاني .

الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى شححتُ عليها
وصارت مثل ماحويتُ قديما . فقلت : سبحان الله ! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى
أُلقي عليك صوتا صنعتُهُ يفوق ذاك . فقممتُ بجلست بين يديه ؛ فألقى عليّ :
وَيَفْرِحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرَمِكِ * بُغَاةُ النَّدَى ، وَالسَيْفُ وَالرَّحْمُ وَالنَّصْلُ
وَتَبْسِطُ الْأَمَالَ فِيهِ لِفَضْلِهِ * وَلَا سِيَمَا إِنْ كَانَ وَالِدَهُ الْفَضْلُ

- قال مخارق : فلما ألقى عليّ الصوتَ سمعتُ ما لم أسمع مثله قطّ وصغر في عيني
الأول ، فأحكته . ثم قال : امض الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأذن
لأحد بعدُ وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ؛ فاستأذن عليه وحدثه بحدثنا وما كان
من أبيه إلينا ، وأعلمه أني صنعتُ هذا الصوت وكان عندي أرفع منزلةً من الصوت
الأول الذي صنعتُهُ بالأمس ، وأنى ألقيته عليك حتى أحكته ووجهتُ بك قاصداً
لِتُلْقِيَهُ عَلَى فَلَانَةٍ جَارِيَتِهِ . فصرتُ إلى باب الفضل فوجدتُ الأمر على ما ذكر ،
فاستأذنتُ فوصلتُ إليه ؛ وسألني عن الخبر ، فأعلمتهُ بخبري وما وصل إليّ وإليه من
المال ؛ فقال : أنزى الله إبراهيم ! ما أبخله على نفسه ! ثم دعا خادما فقال له :
إِضْرِبِ السَّتَارَةَ ، فَضْرِبْهَا ؛ فقال لي : ألقه . فلما ألقيته وغنته الجارية لم أتمه حتى
أقبل يجتز مطرفه ، ثم قعد على وسادة دون الستارة وقال : أحسنَ والله أستاذك
وأحسنَتَ أنتَ يا مخارق . ولم أبرح حتى أحكته الجارية ؛ فسُرَّ بذلك سرورا عظيما
وقال : أقيم عندي اليوم . فقلت : ياسيّدِي إنما بقي لنا يوم واحد ، ولولا أنني
أُحِبُّ سرورك لم أخرج من منزلي . فقال : يا غلام ، إحمل مع أبي المهنا عشرين
ألف درهم وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم . فانصرفتُ إلى منزلي بالمال ،
وفتحتُ بَدْرَةً ونثرتُ منها على الجوارى وشربتُ وسُررتُ أنا ومن عندي يومنا .
فلما أصبحتُ بكرتُ إلى إبراهيم أتعتزف خبره وأعرّفه خبري ، فوجدته على الحال

التي كانت عليها أولاً وآخراً ، فدخلت أترنم وأصفق . فقال لي : أدن ، فقلت :
ما بقي عليك ؟ فقال : اجلس وأرفع سَجَفَ هذا الباب ، فرفعته فإذا عشرون بدرّة
مع تلك العشر . فقلت : ما تنتظر الآن ؟ فقال : ويحك ! ما هو إلا أن حصلت
حتى جرت مجرى ما تقدم . فقلت : والله ما أظن أحداً نال من هذه الدولة
مانلت ! فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيتَه دهرًا وقد ملكك الله أضعافه ! ثم قال :
اجلس نخذ هذا الصوت . فألقى على صوتنا أنساني صوتي الأولين وهو :

أفي كل يوم أنت صبّ ويلة * إلى أم بكرٍ لا تُفِيقُ فتُقصِرُ
أحبُّ على الهجرانِ أكفَ بيتها * فيالك من بيت يحب ويهجر
إلى جعفر سارت بنا كل جسر * طواها سراها نحوّه والتهجر
إلى واسع للجسدِينِ فَناءُوه * تروح عطاياه عليهم وتبكر

— وهو شعر مروان بن أبي حفصة يمدح جعفر [بن يحيى] — قال مخارق : ثم قال
لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا قط ؟ فقلت : ما سمعتُ قط مثله ! فلم يزل
يردده عليّ حتى أخذته ، ثم قال لي : امض إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأبيه
وأخيه . قال : فمضيت ففعلت مثل ذلك وأخبرته بما كان وعرضت عليه الصوت ؛
فسرّبه ودعا خادماً فأمره أن يضرب الستارة ، وأحضر الجارية وقعد على كرسي ،
ثم قال : هايت يا مخارق ، فألقيت الصوت عليها حتى أخذته ؛ فقال : أحسنت
يا مخارق وأحسن أستاذك ، فهل لك في المقام عندنا اليوم ؟ فقلت : يا سيدي ، هذا
أنحرأ يامنا ، وإنما جئتُ لموقع الصوت مني حتى ألقيته على الجارية . فقال : يا غلام ،
احمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصل ثلثمائة ألف درهم . فصرتُ إلى منزلي
بالمال وأقمتُ ومن عندى مسرورين نشرب طول يومنا ونطرب . ثم بكرتُ إلى إبراهيم

١٣٥

- فتلقاني قائماً، ثم قال لي: أحسنت يا مخارق! فقلت: ما الخبر؟ قال: اجلس فحسنت، فقال لمن خلف الستارة: خذوا فيما أتم عليه ثم رفع السجف فإذا المال. فقلت: ما خبر الضيعة؟ فادخل يده تحت مسورة وهو متكئ عليها فقال: هذا صك الضيعة اشتراها يحيى بن خالد وكتب إلي: "قد علمت أنك لا تسخو نفسك بشراء هذه الضيعة من مال يحصل لك ولو حوت الدنيا كلها، وقد آتيتها من مالي". ووجهه إلى بصكها، وهذا المال كما ترى. ثم بكى وقال: يا مخارق، إذا عاشرت فعاشراً مثل هؤلاء، وإذا خنكرت فخنكراً مثل هؤلاء، ستمائة ألف، وضيعة بمائة ألف، وستون ألف درهم لك، حصّلنا ذلك أجمع وأنا جالس في مجلسي لم أبح منه، متى يدرك مثل هؤلاء! .
- وروي عنه قال: أتيت الفضل بن يحيى يوماً فقلت له: يا أبا العباس، جعلت فداك! هب لي دراهم فإن الخليفة قد حبس برّه. فقال: ويحك يا أبا إسحاق، ما عندي ما أرضاه لك. ثم قال: هاه! إلا أن هاهنا خصلة^(١)، أتانا رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه، ووجه [الينا] بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا. فما فعلت ضياء جاريك؟ قلت: عندي جعلت فداك. قال: فهوذا، أقول لهم يشترونها منك فلا تنقصها من خمسين ألف دينار، فقبلت رأسه ثم أنصرفت. فبكر على رسول صاحب اليمن ومعه صديق له ولي، فقال: جاريك فلانة [عندك]^(٢)؟ قلت: عندي. قال: أعرضها على فعرضتها عليه، فقال: بكم؟ فقلت: بخمسين ألف دينار ولا أنقص منها ديناراً واحداً، وقد أعطاني الفضل بن يحيى أمس هذه العطيّة،

(١) في الأغاني: «فما أتم فيه». (٢) المسورة: الوسادة من الجلد.

- (٣) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ١٨٣ طبع دار الكتب المصرية) ومعناها: إذا أردت أن تغني فغنّ لمثل هؤلاء. وفي الأصل: «واذا احتكرت فاحتكر» وهو تحريف. (٤) الزيادة عن الأغاني. (٥) كذا في الأغاني. وفي الأصل: «حتى يشترونها». (٦) الزيادة عن الأغاني.

فقال : هل لك في ثلاثين ألف دينار مُسَلِّمة ؟ وكان يشتري الجارية أربعمائة دينار ،
فلما وقع في أُذُنِي ذِكْرُ ثلاثين ألف دينار أُرْتَجَّ عَلَيَّ وَلَحِقَنِي زَمْعٌ^(١) ، وأشار عليّ صديقي
الذي معه بالبيع ، وخِفتُ والله أن يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ بِي أَوْ بِالْفَضْلِ بْنِ يَسَّى^(٢) ،
فَسَلَّمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ . ثم بَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ . فلما نظر
إِلَيَّ ضَحِكَ وَقَالَ لِي : يَا ضَيْقَ الْعَطَنِ وَالْحَوْصَلَةِ ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .
فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، دَعُ ذَا عَنكَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ دَخَلَنِي شَيْءٌ أَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهِ
وَخِيفْتُ أَنْ تَحْدُثَ بِي حَادِثَةٌ أَوْ بِالْجَارِيَةِ أَوْ بِالْمَشْتَرِي أَوْ بِكَ أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ ،
فَبَادَرْتُ بِقَبُولِ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقال : لَا ضَيْرَ ، يَا غَلَامُ حَيَّ بِجَارِيَتِهِ ، يَخْفَى بِهَا ،
فَقَالَ : خُذْ بِيَدِهَا وَأَنْصِرِفْ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا مَنْفَعَتَكَ وَلَمْ نُرِدِ الْجَارِيَةَ .
فلما نَهَضْتُ قَالَ لِي : مَكَانَكَ ، إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ أَرْمِينِيَّةٍ قَدْ جَاءَنَا فَقَضَيْنَا
حَوَائِجَهُ وَنَقَّذْنَا كُتْبَهُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَشْتَرِي لَنَا بِهَا مَا نُنْجِبُ ،
فَأَعْرِضْ عَلَيْهِ جَارِيَتَكَ هَذِهِ وَلَا تَقْصُصْهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَنْصَرَفْتُ
بِالْجَارِيَةِ . وَبَكَرْتُ عَلَى رَسُولِ صَاحِبِ أَرْمِينِيَّةٍ وَمَعَهُ صَدِيقٌ لِي آخَرُ ، فَقَاوَلَنِي بِالْجَارِيَةِ ،
فَقُلْتُ : لَنْ أَنْقُصَهَا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقال لِي : مَعِيَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ
مُسَلِّمة خذها بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . فَدَخَلَنِي وَاللَّهِ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى
وَخِيفْتُ مِثْلَ خَوْفِي الْأَوَّلِ ، فَسَلَّمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ . وَبَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ ، فَإِذَا هُوَ
وَحْدَهُ . فلما رَأَى ضَحِكَ وَضَرَبَ بَرَجْلَهُ ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرَةَ آلَافٍ
دِينَارٍ . فَقُلْتُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، خِيفْتُ وَاللَّهِ مِثْلَ مَا خِيفْتُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . فقال :
لَا ضَيْرَ ، [أَخْرِجْ^(٣)] يَا غَلَامُ جَارِيَتَهُ يَخْفَى بِهَا ، فَقَالَ : خُذْهَا ، مَا أَرَدْنَاهَا وَمَا أَرَدْنَا إِلَّا

(١) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَالزَّمْعُ : شِبْهُ الرِّعْدَةِ تَأْخُذُ الْإِنْسَانَ . وَفِي الْأَصْلِ : « جَزَع » .

(٢) كَذَا فِي الْأَغَانِي . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنْ يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ فِي أَمْرِ الْفَضْلِ » .

(٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْأَغَانِي .

منفعتك . فلما ولىت الجارية صحت بها : ارجعي فرجعت ، فقلت : أشهدك جعلت فداك هي حرة لوجه الله تعالى ، وإني قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم ، كسبت لي في يومين خمسين ألف دينار فما جزاؤها إلا هذا . فقال : وفتت إن شاء الله تعالى . وأخبره مع البرامكة كثيرة وصلاتهم له وافر . وقد ذكرنا منها ما فيه غنية عن زيادة . فلنذكر وفاة إبراهيم . كانت وفاته ببغداد في سنة ثمان وثمانين ومائة ، ومات في يوم وفاته العباس بن الأحنف الشاعر ، وهشيمة الخمار ، فرفع ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون أن يصلي عليهم ، فخرج وصلى عليهم .

قال إسحاق : لما مرض إبراهيم مرض موته ركب الرشيد حمارا ودخل على إبراهيم يعودده وهو جالس في الأبن^(١) ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيدي كما قال الشاعر :

سَقِيمٌ مَلٌّ مِنْهُ أَقْرَبُوه * وَأُسْلَمَهُ الْمُدَوَايَ وَالْحَمِيمُ

فقال الرشيد : إنا لله ! فخرج ، فما بعد حتى سمع الواعية^(٢) عليه .

(١) الأبن مثلثة الأول : حوض يفتسل فيه ، وقد يتخذ من نحاس ، معرب آب زن .

(٢) الواعية : الصراخ على الميت ونعيه .

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في أحد الأصلين الفتوغرافيين :

هذا آخر الجزء الرابع من نهاية الأرب في فنون الأدب .
والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ؛
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صورة ما ورد بآخر الجزء الرابع في الأصل الآخر الفتوغرافي :

كل الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد
مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم
البكريّ التيميّ القرشيّ المعروف بآلنويري عفا الله عنهم .

تمّ الجزء الرابع من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ،

يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس وأوله

ذكر أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصليّ

٥

١٠

(مطبعة الدار ٦٢ / ١٩٣٣ / ٥٠٠)
